أيها القرنيون

هلا فقهتم

الامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة

ومشيخة الطريقة العزمية

السيدة زينب تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع

شارع بورسعيد

تليفون المكتبة / 3901030 022 002

الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ملك فقدر ، وعُصي فستر ، واستُغفر فغفر ، غاية الطالبين الراغبين ، ومنتهى أمل الراجين ، من أحاط بكل شئ علما، ووسع المستقبلين رأفة ورحمة وحلماً، وصلي الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه و سلم .

و بعـــد . .

شاء الله أن يشرفني بتلك الكلمات التي أقدم بها لذلك الكتاب الجامع الذي ألفه سماحة السيد عز الدين ماضي أبو العزائمﷺ ، وسبق نشره على هيئة مقالات تحت عنوان ﴿ أيها القرنيون هلا فقهتم في مجلة ﴿الإسلام وطن﴾ وقد أعده رضوان الله عليه للطبع قبل انتقاله إلي الرفيق الأعلى .

ولقد نالت حالة الأمة الإسلامية منه رضوان الله عليه غاية الاهتمام، فاجتهد وجمع لها الدواء من مصادره المعلومة وهي كتاب الله تعالي وسنه رسول الله ﴿ ﷺ وآله ﴾وهدي السلف الصالح رضي الله عنهم ، واجتهد لبيان الحقيقة لطلابها ، وأزاح الستار عن الوجه الحقيقي للفتنة التى أطلت برأسها في هذا الزمان ، وهي فتنة الخوارج التى ظهرت في ثوب السلفية والتيمية والوهابية .

ولا أحب أن أطيل عليك – أخي المسلم – في هذه المقدمة ، ففي هذا الكتاب ما يكفي – بإذن الله تعالي – لشفاء الأمراض ، وجلاء القلوب ، وشرح الصدور ، وإحقاق الحق وإبطال الباطل .

لكني أبلور لك مسألة في غاية الأهمية وهي تمثل الإجابة على هذا السؤال :

كيف تستطيع أن تعرف من هم القرنيون ﴿ الوهابيون ﴾ وكيف تستطيع أن تميزهم عن سائر أمة النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ لتنجو من فتنتهم ؟

وللإجابة باختصار عن هذا السؤال نقول لك : إن القرنين ﴿ الوهابين ﴾ هم الذين يتصفون بالصفات التالية :

١- هم الذين يعتقدون في الصفات عقائد المجسمة ، فهم ينسبون إلي الله سبحانه الأعضاء على الحقيقية : كاليد ، والرجل ، والعين ، والوجه . . . ثم يصفونه - تعالي شأنه - بالجلوس والحركة والانتقال والنزول والصعود ، على الحقيقية كما يفهم من ظاهر اللفظ .. تعالي الله عما يصفون ﴿ راجع الهدية السنية . الرسالة الرابعة لعبد اللطيف محمد بن عبد الوهاب ﴾.

٢- هم الذين ينهون عن الصلاة على النبي ﴿ﷺ وآله﴾ بعد الأذان ، ويتأذون من سماعها، وينهون عن الجهر بها على المنابر، وكان شيخهم يؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب، حتي أنه قتل رجلاً أعمي كان مؤذناً صالحاً ذا صوت حسن ، نهاه عن الصلاة على النبي ﴿ﷺ وآله ﴾في المنارة بعد الأذان فلم ينته ، وأتي بالصلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فأمر بقتله فقتل ، ثم قال : إن الربابة في بيت الخاطئه- يعني الزانية - أقل إثماً ممن ينادي بالصلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله ﴾في المنائر ، ويلبس على أصحابه بأن ذلك كله محافظة على التوحيد﴿ راجع كتاب الدرر السنية لشيخ الإسلام أحمد بن زيني دحلان ص٨٩-٩٠ ﴾

٣- هم الذين يحرمون زيارة النبي ﴿ ﷺ وآله ﴾وشد الرحال إليه ، وينكرون الأحاديث الشريفة التيوردت في هذا الباب والتى عليها إجماع الأمة الإسلامية ، يقول ابن تيمية ما نصه : ﴿ ليس عن النبي﴿ ﷺ وآله﴾ في زيارة قبره ولا قبر الخليل حديثاً ثابتاً أصلا ﴾ ﴿ كتاب الزيارة ١٢ - ١٣ ﴾ .

و قال : ﴿ الأحاديث الكثيرة المروية في زيارة قبره كلها ضعيفة بل موضوعة لم يرو الأئمة ولا أصحاب السنن المتبعة منها شيئاً﴾ ﴿ كتاب الزيارة ٢٢ ، ٣٨ ﴾ .

ومع قوله هذا فهو ينقل بين الموضوعين الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجة والدار قطني في سننه أيضاً عن رسول الله﴿ ﷺ وآله ﴾ أنه قال : ﴿ من زارني بعد مماتي كأنما زارني في حياتي﴾ لكنه يعود فيتنكر له ويقول : لم يرو أحد من الأئمة في ذلك شئ ولا جاء فيه حديث في السنن !! .

ويكفيك - أخي المسلم - أن تعلم أن أحاديث الزيارة هذه التي ينكرها ابن تيميه أوردها الدار قطني في سننه والدولابي في الكني والأسماء ، والهيثمي في مجمع الزوائد ، وابن حجر في تلخيص الخبير ، والسيوطي في الدر المنثور ، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ، والمتقي

الهندي في كتر العمال، والطبراني في المعجم الكبير ، والبيهقي في السنن الكبري، وابن حجر في المطالب العالية ، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ، وابن عدي في الكامل ، والسهمي في تاريخ جرجان ، والمنذري في الترغيب والترهيب ، والتبريزى في مشكاة المصابيح ، وغيرهم .

٤- هم الذين لا يودون أهل بيت النبي﴿ ﷺ وآله﴾ وقرابته ، يقول ابن تيميه بالحرف الواحد : ﴿ إن فكرة تقديم آل الرسول هي من أثر الجاهلية في تقديم أهل بيت الرؤساء ﴾ ﴿ منهاج السنة٣ : ٢٦٩ ﴾ مخالفاً بذلك قول الله تعالي : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ، و قوله جل شانه : ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ، وقول رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتي يردا على الحوض ﴾ ﴿ سنن الترمذي ، مسند أحمد ، المستدرك ، وغيرها ﴾

٥- هم الذين تقضي عقيدتهم على جل الصحابة بالكفر والشرك ، هذا حكمهم على جل الصحابة الذين عاشوا بعد النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وأجازوا الاستشفاع به ﴿ ﷺ وآله﴾، وأجازوا السفر لزيارة قبره الشريف ، أو رأوا من يجيز ذلك أو سمعوا به فلم يحكموا عليه بالكفر والشرك ولاهدروا دمه واستباحوا أمواله ، هذا هو لازم عقيدتهم ، وهذا هو حكمهم بالفعل ، أما حين يروغون عنه بالقول في ما يزعمونه من تعظيم الصحابة فإنما يريدون منه إغواء البسطاء وتضليل الناس ، كما يخشون أيضاً عواقب تصريحهم بذلك .

ولم يقف القرنيون عند هذا الحد ، بل تناولوا الصحابة الذين كانوا حول الرسول﴿ ﷺ وآله﴾ في حياته أيضاً ، فقال شيخ القرنيين ما نصه : ﴿ إن جماعة من الصحابة كانوا يجاهدون مع الرسول ويصلون معه ويزكون ويصومون ويحجون ، ومع ذلك فقد كانوا كفارا بعيدين عن الإسلام ﴾ ﴿راجع الرسائل العملية التسع لمحمد بن عبد الوهاب – رسالة كشف الشبهات : ٢٠ طبعة سنة ١٩٥٧ م ﴾

٦- هم الذين يطلقون ألسنتهم بالسب واللعن والتكفير على من خالفهم من أمة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾، كما يعتقدون أنهم وحدهم أهل التوحيد الخالص ، وأما سائر المسلمين فهم مشركون ولا حرمة لدمائهم وذراريهم وأموالهم ، ودارهم دار حرب وشرك ، ويعتقدون

أن المسلم لا تنفعه شهادة أن ﴿ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ ما دام يعتقد بالتبرك بمسجد الرسول﴿ ﷺ وآله ﴾– مثلاً – ويقصد زيارته ويطلب الشفاعة منه ، ويقولون إن المسلم الذي يعتقد بهذه الأمور فهو مشرك وشركه أشد من شرك الجاهلية من عبدة الأوثان والكواكب ﴿ أنظر من امهات كتبهم: الرسائل العملية التسع لمحمد بن عبد الوهاب : ٧٩ ، تطهير الاعتقاد للصنعاني : ٧ ، ١٢ ، ٣٠ ، فتح المجيد : ٤٠ ، ٤١ رسالة أربع القواعد ورسالة كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب وغيرها ﴾ .

ففي رسالة كشف الشبهات أطلق شيخ القرنيين لفظ الشرك والمشركين على عامة المسلمين عدا أتباعة في نحو ٢٤ موضعاً ، وأطلق عليهم لفظ: الكفار ، وعباد الأصنام ، والمرتدين ، وجاحدي التوحيد ، وأعداء الله ، ومدعي الإسلام في نحو ٢٠ موضعاً وعلى هذا النحو سار أتباعه في سائر كتبهم .

٧– هم الذين يحقرون شأن أولياء الله الصالحين ، ويتطالون عليهم ويؤذونهم، ويعادونهم ويتهمون زائريهم بالكفر والشرك وعبادة غير الله تعالي ، ويحرمون الصلاة في المساجد التى بها أضرحة الأولياء ، كمسجد الإمام الحسين والسيدة زينب
والسيد البدوي والسيد إبراهيم الدسوقي وغيرهم .

٨– هم الذين يعتبرون تجويف المحراب بدعة، ورفع المنبر عن ثلاث درجات بدعة ، مخالفين بذلك وضع جميع مساجد الأمة الإسلامية ، ومن بينها المسجد الحرام ومسجد النبي﴿ ﷺ وآله﴾ .

٩– هم الذين يحرمون قراءة القرآن الكريم في المساجد يوم الجمعة ، ويكتفون بأذان واحد منكرين سنة الخلفاء الراشدين المهديين التى أمرنا النبي﴿ ﷺ وآله ﴾أن نعض عليها بالنواجذ، كما أنهم يؤذنون للفجر في مصر بعد التوقيت الفعلي بأكثر من ثلث ساعة مخالفين بذلك التوقيت المتفق عليه في جميع المساجد ، و يبدأون يوم صومهم على أساس ذلك .

١٠– هم الذين يفرج المصلي منهم بين قدميه تفريجاً متفاحشاً ، يزيد عن الحد المشروع الذي أورده أهل المذاهب الأربعة
وهو كالآتي :

أ- الحنفية : قدروا التفريج بين قدمي المصلي بقدر أربع أصابع ، فإن زاد أو نقص كره .
ب- الشافعية : قدروا التفريج بينهما بقدر شبر ، فيكره أن يقرن بينهما أو يوسع أكثر من ذلك ، كما يكره تقديم إحداهما على الأخرى .
ج- المالكية : قالوا تفرج القدمين مندوب لا سنة ، وقالوا المندوب هو أن يكون بحالة متوسطة بحيث لا يضمهما ولا يوسعهما كثيراً حتي يتفاحش عرفاً .
د- ووافقهم الحنابلة على هذا التقدير إلا أنه لا فرق عند الحنابلة بين تسميته مندوباً أو سنة . ﴿ راجع الفقه على المذاهب الأربعة ﴾
١١- هم الذين يفعلون ما أخبرنا به النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ عنهم بقوله : ﴿ يقتلون أهل الإسلام ويَدَعون أهل الأوثان ﴾وتكفي نظرة إلي ما يحدث في أيامنا هذه في مصر والجزائر وأفغانستان وباكستان... إلخ، من قيام هؤلاء بقتل أهل الإسلام ويَدَعون أهل الأوثان لا يمسوهم بسوء﴾ .
١٢- هم الذين قام بعضهم بكسر رباعيته ظناً منه أنه بذلك يتأسي ويتشبه برسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ لما كسرت رباعيته ، وهل قام رسول الله﴿ ﷺ وآله ﴾بكسرها ؟ أم أن ذلك كان مما لاقاه من أذي الكفار ومحاربتهم له ؟ ... لكن صدق رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ لما وصفهم بقوله : ﴿سفهاء الأحلام ﴾ أي : ضعفاء العقول .
١٣- هم الذين ينكرون لفظ السيادة للنبي ﷺ وآله ﴾ويكرهون تعظيمه بما عظمه الله تعالي وجاز لهمع أن الله تعالي قال عن سيدنا يحيي عليه السلام ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ وقال جل شأنه عن امرأة العزيز ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ أي : زوجها ،وأمر النبي ﴿ ﷺ وآله ﴾ الأنصار أن يقوموا لسعد بن معاذ بقوله : ﴿ قوموا لسيدكم ﴾ مع صريح قوله صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ أنا سيد ولد آدم و لا فخر ﴾ .
١٤- هم الذين يحرمون الاحتفال بمولد النبي ﴿ ﷺ وآله ﴾ ومع ذلك فهم يقيمون لأئمتهم الاحتفالات ، مع أن النبي ﴿ ﷺ وآله ﴾ لما سئل عن صيام يوم الاثنين قال : ﴿ فيه ولدت و فيه أنزل عليَّ ﴾ رواه مسلم في الصحيح في كتاب الصيام ، وهذا في معني الاحتفال به، إلا أن الصورة مختلفة ولكن المعني موجود سواء كان ذلك بصيام أو إطعام طعام، أو اجتماع على ذكر ، أو صلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله ﴾، أو سماع شمائله الشريفة.

هذه من أشهر صفاقم التى عرفوا بها ، مع اخـــتلاف صـــورهم ، وأشـــكالهم ، وتعـــدد إنتماءاقم.

وصحيح أن ولاة الأمر في الأمة الإسلامية مطالبون بالأخذ على يد هؤلاء كما أمر القرآن الكريم ، وكما بينت سنة سيد المرسلين ﴿ ﷺ وآله ﴾، حتي يكفوا أذاهم عـــن الأمـــة ، ويستريح الناس من شرهم ، وهذا واجب ولاة الأمر الذي يجب عليهم ألا يحيدوا عنه ، إلا أن القاعدة العريضة في الأمة الإسلامية محتاجة إلي دور العلماء في الرد على الفكر بالفكر ، ودرء تمويه الباطل وتدليس الكذب ؛ بحجة الحق وبيان الصدق .

وهذا الكتاب الذي بين يديك – أخي المسلم – إسهامة في هذا المجال ، وقبس من ذلـــك النور ، نفعنا الله به وإياك ، وكشف به الغمة عن الأمة ، إنه مجيب الدعاء .

وصلي الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه وسلم

الخليفة الثالث

السيد محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمة

الحمد لله خير من سئل ، وأرحم من استرحم ، من لا يخفي عليه إغماض الجفون ، ولا لحظ العيون ، ولا ما استقر في المكنون ، ولا ما انطوت عليه مضمرات القلوب ، ألا كل ذلك قد أحصاه علمك ، ووسعه حلمك ، سبحانك وتعاليت عما يقول الظالمون علوًا كـبيرًا ، تسبح لك السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ، وإن من شيْءٍ إلا يسبح بحمدك ، فلك الحمد والمجد ، وعلو الجد ، ياذا الجلال والإكرام ، والفضل والإنعام ، والأيـادي الجسام ، وأنت الجواد الكريم ، الرءوف الرحيم.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد عين أعيان الأسرار ، ومصدر حقائق الأنوار ، الساري بظاهره في كل ظاهر ، وبباطنه في كل باطن ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحابته الهادين المهدين ، ورضي الله تعالي عن الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم ﷺ ، و نضر الله وجه خليفته الأول الإمام السيد أحمد ماضي أبي العزائم ﷺ ، آمين آمين ، وبعد:

لقد ابتلي الإسلام على مر العصور والدهور بالأعداء الذين أحاطوا به من كـل جانـب ، والمؤامرات التي دبرت ضده لتفرق كلمته وتشتت شملـه ، مـن يـوم الـردة إلي أيـام الانقسامات والحروب ، إلي نكبة هولاكو والمغول، إلي هجمات الصـليبيين ، إلي إلغـاء الخلافة الإسلامية، وتفرق كلمة المسلمين وجعلهم أممًا وشعوبًا مختلفة ، بعد أن كانوا تحـت لواء الخلافة الإسلامية أمة واحدة، إلي الأفكار والمبادئ الهدامة كالشيوعية ، والعلمانيـة ، والوهابية والماسونية والبهائية والقديانية، إلي الأحزاب السياسية المتناحرة.

نكبات تلو نكبات ، لكنها دون ما يواجه الإسلام في هذه الأيام من حملات الإبـادة مـن الصليبية والصهيونية والشيوعية والعلمانية والوهابية ، واجتمعت أمام العـالم الإسـلامي لمحاربته واستبعاده من طاجيسكان إلي أذربيجان إلي البوسنة والهرسك إلي كسوفو وألبانيـا إلي بورما والهند وكشمير ، إلي سيريلانكا والفلبين ، إلي نيجيريا وليبيريا والصـومال ، إلي اللاجئين المسلمين في فرنسا وألمانيا وإيطاليا وأسبانيا من المغاربة والجزائريين والأتراك .

وما كنت أحب أن انقب عن جراح أصابت الجسد الإسلامي وأعيته وأنهكتة فيما مضى، لكني وجدت أن الفتنة التى ذاقت منها الأمة الإسلامية الأمرين في أزمان مضت ، قد أطلت برأسها في زماننا هذا وأصابت الأمة الإسلامية في صميمها .

وأعني بتلك الفتنة فتنة القرنيين ، والقرنيون هم أصحاب فكر الخوارج من بلاد نجد ، ففي صدر الدعوة الإسلامية كان القرنيون هم مسيلمة الكذاب وشرذمته ، وفي عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كان ذو الخويصرة التميمي رأس الخوارج ، و في القرن الثاني عشر كان البدعي النجدي ابن عبد الوهاب ومن يحرقون بخور الثناء لفكره الخارجي ، وجميع هؤلاء من بلاد نجد التى تنبأ الرسول ﴿ ﷺ وآله ﴾ بأن بها زلازل العقيدة والفتن بين الأمة الإسلامية ، ومنها ﴿ يطلع قرن الشيطان ﴾ وفي رواية أخري ﴿ يخرج قرن الشيطان ﴾ بصيغة الفعل المضارع الذي يفيد الاستمرار على مر العصور والدهور ، فخرج من نجد مسيلمة الكذاب ، وخرج من نجد ذو الخويصرة التميمي وخرج من نجد القرامطة، وخرج من نجد ابن بعد الوهاب التميمي ، والآن القرنيون هم سدنة فكر البدعي النجدي ابن عبد الوهاب ، وامتطي أعداء الإسلام تلك الفتنة ، وأججوا نارها وأمدوها بالعون المادي والمعنوي ففعلت بالأمة على مر تاريخها الأفاعيل .ولقد كانت وحدة الأمة الإسلامية فيما مضي ، ووعيها ودرايتها بمخططات أعدائها حائلاً دون أن يتمكن عدو الأمة منها ، واستطاعت الأمة فيما مضي أن تتخطي العقبات ، وأن تستعلي على النكبات ، وأن تستيقظ من نومة الغفلة ورقدة الجهالة كلما أحست بالخطر الخارجي ، وكانت الأمة دائماً تتوحد أمام الخطر وتدمر العدوان وتنجو من الأخطار .

لكن العدو استطاع أن ينقل المعركة إلي داخل الأمة الإسلامية ، وأن يجند له جنوداً وأعوانًا قاموا بأكثر مما كان يحلم به ، فتبجح العدو ، ولم يعد يداري في عداوته للإسلام ، وفي إرادته تدميره وإهلاك أهله والقضاء عليه ، وكأنما تبلد الجسد الإسلامي ، وأصاب الأمة الإسلامية الوهن والضعف والتشتت والتفرقة ، ونال منها عدوها الكثير ، وأصبح بأس المسلمين بينهم شديداً .واستطاع العدو الحاقد أن يجند فئة تنتمي إلي الإسلام – وهم القرنيون في زماننا هذا – لتقوم بهدم الإسلام وتمكين عدوه منه ، واستطاعت تلك الفئة أن

تحدث في الدين أحداثا جساماً ، وأن تعوق مسيرة الأمة الإسلامية ، وأن تطعنها في الصميم بلا رحمة وبلا هوادة .

لقد كانت الأسس التى بني عليها العدو خطته هـــي تلـــك النقـــاط الـــتى قامـــت وزارة المستعمرات البريطانية بتلقينها لعمليها ﴿ محمد بن عبد الوهاب ﴾ عن طريق مستر همفر – رجل المخابرات البريطانية في البلاد الإسلامية – وهذه الخطة كما يلي :

١– تكفير المسلمين ، وإباحة قتلهم وسلب أموالهم ، وهتك أعراضهم ، وبيعهم في أسواق النخاسة ، وحلِّيَّةِ جعلهم عبيداً

ونسائهم جواري .

٢– هدم الكعبة باسم أنها آثار وثنية إن أمكن ، ومنع الناس عن الحج ، وإغـــراء القبائـــل بسلب الحجاج وقتلهم .

٣– السعي لخلع طاعة الخليفة والإغراء لمحاربته وتجهيز جيوش لذلك ، ومن اللازم أيضًـــا محاربة أشراف الحجاز بكل الوسائل الممكنة والتقليل من نفوذهم .

٤– هدم القباب والأضرحة والأماكن المقدسة عند المسلمين في مكة والمدينة وسائر البلاد التى يمكنه ذلك فيها باسم أنها وثنية وشرك ، والاستهانة بشخصية الـــنبي ﴿ محمـــد ﴾ وخلفائه ورجال الإسلام بما يتيسر .

٥– نشر الفوضي والإرهاب في البلاد حسب ما يمكنه ذلك .

٦– نشر قرآن فيه التعديل الذي ثبت في الأحاديث من زيادة ونقيصة .

لقد قال سكرتير وزارة المستعمرات البريطانية لمستر همفر وهو يملي عليه تلك النقاط لكى تكون خطة عمل تسلم إلي ﴿ محمد بن عبد الوهاب ﴾: لا يهولنك هذا البرنامج الضخم ، فإن الواجب علينا أن نبذر البذرة ، وستأتي الأجيال الآتية ليكملوا المسيرة، وقد اعتـــادت حكومة بريطانيا العظمي على النَّفَس الطويل ، والسير خطوة خطوة ، وهل محمد الـــنبي إلا

رجل واحد تمكن من ذلك الإنقلاب المذهل ؟ فليكن ﴿ محمد بن الوهاب ﴾ مثل نبيه محمد ليتمكن من هذا الانقلاب المنشود .

وقد وعد ﴿ محمد بن عبد الوهاب ﴾ بتنفيذ كل الخطة السداسية إلا أنه قال إنه لا يتمكن في الحال الحاضر إلا على الإجهار ببعضها ، وهكذا كان، فقد استبعد أن يقدر على هـدم الكعبة عند الاستيلاء عليها ، كما لم يبح للناس بأنها وثنية ، وكذلك استبعد قدرته علـى صياغة قرآن جديد .

والناظر فيما حوله إلي ما يحدث على الساحة الإسلامية يجد أن تلك الخطة يجري تنفيـذها على قدم وساق ، وقام القرنيون ببث سمومهم وأفكارهم ، وغمرت شبابنا المسلم كتـب ومنشورات تأخذ عليه سمعه وبصره ، واحجم علماء القحط عن بيان الحقـائق طمعًـا في الثراء المأمول من بلاد البترول.

وأصبح لزامًا عليَّ أن أوضح الحقيقة وأبينها للناس ، ليس من وجهة نظري الشخصية فقط، ولكن من وجهة نظر الدين وعلماء الملة ، وفقهاء الأمة والسلف الصالح رضي الله عنهم ، فبنيت مقولاتي على آرائهم، ونقلت ما أجمع عليه علماء الأمة الإسلامية التى لا تجتمع على ضلالة ، فيما عدا ثالوث التكفير : ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب .

ولقد قمت بنشر ذلك كله على هيئة مقالات بعنوان ﴿ أيها القرنيون هلا فقهتم ﴾ في مجلة ﴿ الإسلام وطن ﴾ على مدي حوالي أربع سنوات ، ولم يستطيع بوق واحد مـن أبـواق الوهابية سواء في مهدها في نجد أو في غيرها من البلاد ، أن يردوا ردًا موضوعيًا على مـا جاء فيها ، أو يفندوا ولو جزءًا صغيرًا منها ، اللهم إلا تلك الشتائم والسباب والـتكفير والتشريك التى أعتدنا على قراءتها وسماعها من هؤلاء الذين يسـيرون في فلـك ثـالوث التكفير ، دون أن يظهر على ادعاءاتهم حجة ، أو يبينوا للناس فيها بيانًا .

ولقد ظن البعض خلال نشر تلك المقالات في مجلة ﴿ الإسلام وطن ﴾ أن عبـارة ثـالوث التكفير – التى أطلقناها على ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب – قصد بها أن نطلـق لفظة الكفر على هؤلاء ، ونستعيذ بالله تعالي من ذلك ، فإننا لا نتهم أصغر مسلم بشرك أو بكفر أو بخروج من الملة ، يقول سيدنا رسول الله﴿ ﷺ وآله ﴾ : ﴿ أيما رجل قال لأخيـه ياكافر فقد باء بها أحدهما ﴾ رواه الشيخان – و يقول﴿ ﷺ وآله ﴾ ﴿ سـباب المسـلم

فسوق و قتاله كفر ﴾ رواه الشيخان . ويقول الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم ﷺ : ﴿ كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فله قسط من أبوة رسـول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴾ . ونحن لم نقل : ثالوث الكفر . حتي يظن هؤلاء أننا نتهم أحدًا بكفر . . لكننـا قلنا عن ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب ونقول : إنهم ثالوث التكفير ، أي: الثالوث الذين يقومون هم بتكفير السواد الأعظم من أمة النبي ﴿ ﷺ وآله ﴾ .

وغاية حكمنا على هؤلاء وأمثالهم ما ورد في معني ما قاله الإمام علي كرم الله وجهه لما سئل عن ﴿مثاله هؤلاء من الخوارج : أكفار هم ؟ قال : لا لأنهم من الكفر فـروا ، فقـالوا : أمنافقون هم ؟ قال : لا ، لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً ، وهـؤلاء يـذكرون الله كثيراً ، قـالوا : إذن مـا هـم ؟ قـال : قـوم أصـابتهم الفتنـة فعمـوا وصـموا . وقال عنهم ﷺ في موطن آخر : ﴿صم ذووا أسماع ، وبكم ذووا كلام ، وعمـي ذووا أبصار ، أقوالهم بغير علم ، وغفلتهم من غير ورع، وطمعهم في غير حق﴾ .ولقد آثرنا نطق كلمة الحق ، وإشاعة حجة الصدق ، وإعلان رأي فقهاء الأمة وعلمائهـا دون أن ترهبنـا سيوف الخوارج وأسلحتهم التى قامت تحصد الأبرياء ، وتقطع أعناق أهـل القبلـة ، ولا ترقب في مؤمن إلاً ولا ذمة.

إن واجب الوقت دعاني إلي البيان – كل البيان – وعملت جهدي وطاقتي ألا أترك منـبرًا من منابر الحق إلا وأعلن كلمة الحق عليه ، ولقد اغتمنت كل فرصة للتحدث مع علمـاء الأمة ومفكريها وولاة الأمر فيها لدعوتهم جميعًا إلي الوقوف صفًا واحدًا أمام الخطر الداهم الذي كاد يؤدي بالأمة الإسلامية.

والامر بدءا وختما بيد الله تعالي وحده يفعل ما يشاء ، لكن واجـب العلمـاء البيـان ، وعلينا أن نسابق الزمن ، فالعمر قصير ، والمطلوب عظيم جدًا .

وقد أخبر النبي ﴿ ﷺ وآله ﴾عن هؤلاء الخوارج بأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السـهم من الرمية وبين في الحديث الذي رواه البخاري في كتاب الفتن أنهم : ﴿ لا يعودن فيه حتي يعود السهم إلي فُوقه ﴾ والفُوق – بضم الفاء – موضع الوتر ، والسهم إن أطلق لا يعود إلي مكانه مرة أخري ، يقال : ﴿ ما ارتد على فُوقه ﴾ أي : مضي ولم يرجع ، ومعني ذلك

أن الذي تمكنت منه هذه الفتنة لا ينفعه نصح ولا إرشاد ، لكني أعتقد أن هؤلاء ينقسمون إلي قسمين : قسم مُمَوَّل، وقسم مضلل. وهؤلاء المملون لا حاجة لنا بهم ، فقد تكاثف الران على قلوبهم فعموا وصموا .

لكننا نطمع في هداية هؤلاء المضللين الذين طنوا – خطأ – في ذلك المنهج سيرًا على الكتاب والسنة، ونجاة من النار ، وضمانًا للجنة ، واطمع في فضل الله تعالي أن يرجع هؤلاء إلي الحق ، وأن ندخل تحت مصداق قوله ﴿ ﷺ وآله ﴾ : ﴿ لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمْر النَّعَم ﴾ (رواه الشيخان).
ولقد حاولت في كتابي هذا كشف الحقيقية لطالبيها ، وتحصين شبابنا المسلم من خطر هذه الفتنة ومن السقوط في تلك الهوة ، مع إدراكي أن الأمر لله وحده ، قال تعالي : ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ .

إن القابض على دينه في هذا الزمان كالقابض على الجمر ، وإني لأثق أن لله تعالي رجالاً يحبهم ويحبونه ، يظهر بهم دينه، وينصر بهم شريعته ، وما ذلك على الله بعزيز .

لقد راجعني بعض أحبائي وأبنائي وتلاميذي ، وخشوا على من مغبة التصدي لهؤلاء وبيان أفكارهم وكشف الستار عن ضلالاتهم .
لكن هذا لم يثنني يومًا عما انتويته ، ولم يفتر عزيمتي ، ولم يوهن همتي ، إنما كنت أبث فيهم روح الجهر بكلمة الحق ، وليكن بعدها ما يكون . . قلها ومت .

إنني أقدم ما جمعت وما كتبت قربة إلي الله تعالي ، وهدية إلي سيدي ومولاي رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾الذي شرفت بانتسابي إليه ، وأحس برضاه وسروره أن أحببتُ ما قال ، وقلتُ ما يحب .
لقد امتثلت في هذا الكتاب أمر الله تعالي وأمر رسول الله ﴿ ﷺ وآله ﴾ في الحديث المروي عن مسلم:

﴿ أترعون أن تذكروا الفاجر بما فيه ، اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذروه الناس ﴾ وقد حث أفاضل علماء الأمة الإسلامية على الجهاد ضد الخوارج والسلفيين والتيميين والوهابيين وأبواقهم في مصر والسودان وتونس والجزائر والمغرب وغيرها بقولهم :

من الدين كشف الستر عن كل كاذب وعن كل بدعي أتي بالعجائب
ولولا رجال مؤمنون لهدمت صوامع دين الله من كل جانب

إن تعصب القرنيين قد بلغ مبلغه من هؤلاء البغاة المتعصبين لرأي ثالوث التكفير – ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب – دون غيرهم من أئمة الإسلام ، يحاربون كل فكرة مخالفة لهم ، ويشيعون المثالب حول كل دعوة مخالفة لدعوهم ، ويستعدون الناس إزاء كل شاردة وواردة، ويقحمون أنفسهم في كل شئ وكأنهم هم المعنيون ، وينالون من مخالفيهم نيلاً ، ويرموهم رميًا ويطالبون بتكميم الأفواه إلا أفواههم ، ويطالبون غيرهم باتباعهم رغمًا عنهم ، ولا يميلون إلي السماع ، ويستبيحون دماء مخاليفهم وأموالهم ، ويعتقدون بصلاح حالهم طالما أنهم متمسكون بعقيدة سلفهم ، ماضون في تعصبهم طالما شيوخ النفط معهم ، والبترورِيال يناصرهم ، فمتي يرعون إلي جادة الصواب ، ومتي يؤخذ على يد هؤلاء البغاة الذين يريدونها فتنة تعم البلاد والعباد ، ويريدون أن تسال الدماء ، ويقتل الرجال ، و يسبي النساء .
وقي الله تعالي الأمة الإسلامية شر تلك الفتنة، وسلمها من كيد أعدائها ، وأعاد لنا المجد الذي كان لسلفنا الصالح ، إنه أفضل مسئول وأكرم مأمول ، وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه و سلم .

السيد عز الدين ماضي أبو العزائم

الباب الأول

القرنيون : منهجهم وصفاتهم وغايتهم

الفصل الأول

نبـذة تاريخيـة

مؤامرة قريش في دار الندوة تعقد تحت رعاية إبليس اللعين :

شعر المشركون بتفاقم الخطر الذي كان يهدد كيانهم ، فصاروا يبحثون عن أنجح الوسائل لدفع هذا الخطر الذي مبعثه الوحيد هو حامل لواء الإسلام سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ .

ففي يوم الخميس ٢٦ من صفر سنة ١٤ من النبوة الموافق ١٢ من شهر سبتمبر سنة ٦٢٢م أي بعد شهرين ونصف من بيعة العقبة الكبرى – عقدت قريش أخطر مؤامرة تكفل القضاء سريعًا على حامل لواء الدعوة الإسلامية ؛ لتقطع تيار نورها عن الوجود نهائيًا ، وذلك بدار الندوة –وهي الدار التى بناها قصي بن كلاب بمكة – وكانت قريش لا تقضي أمرًا إلا فيها، وسميت دار الندوة لأنهم ينتدون فيها ، أي يجتمعون للمشاورة .

وتوافد على دار الندوة جميع نواب القبائل القرشية ، وكانت الوجوه البارزة في هذا الاجتماع الخطير من نواب قبائل قريش : أبو جهل بن هشام عن قبيلة بني مخزوم ، وجبير بن مطعم ، وطعيمة بن عدي ، والحارث بن عمرو ، عن بني نوفل بن عبد مناف . وشيبة وعتبة ابنا ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، عن بني عبد شمس بن عبد مناف ، والنضر بن الحارث ، عن بني عبد الدار ، وأبو البحتري بن هشام ، وزمعة

بن الأسود ، وحكيم بن الأسود ، وحكيم بن حزام ، عن بني أسد بن عبد العزي ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج عن بني سهم ، وأمية بن خلف عن بني جمح.

إبليس اللعين يتجسد في هيئة شيخ نجدي ليخطط لقرار هذه المؤامرة :

ولما جاءوا إلي دار الندوة حسب الميعاد اعترضهم إبليس عليه اللعنة في هيئة شيخ نجدي ووقف على الباب ودار بينهم وبينه الحديث التالي ﴿ راجع مختصر سيرة الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ لابن عبد الوهاب طبعة ١٤٠٨ ص ١٢٥ ﴾ .

قريش : من الشيخ ؟

إبليس : شيخ من أهل نجد قدمت مكة وسمعت بالذي تواعدتم عليه فحضرت معكم لأسمع ما تقولون ، وعسى ألا أعدمكم مني رأيًا ونصحًا .

قريش : أجل هذا رجل لا بأس عليكم منه ، ادخل .

فدخل معهم ، وبعد أن تكامل الاجتماع بدأ عرض الاقتراحات والحلول ، ودار النقاش طويلاً ، فقال بعضهم : إن هذا الرجل – يقصدون سيدنا رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾– قد كان من أمره ما كان فتشاورا .

أبو البحتري : احبسوه في الحديد ، وشدوا عليه وثاقه .

ابن هشام : وأغلقوا عليه بابا ، ثم تجعلون له كوة تدخلون عليه طعامه وشرابه فيكون محبوسًا عندكم إلي أن يموت .

إبليس: ﴿ في هيئة شيخ نجدي ﴾: لا والله ما هذا برأي ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليأتينكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم ، فانظروا في غيره وتشاوروا .

قريش : صدق والله الشيخ النجدي ﴿ يعني إبليس ﴾ .

زمعة: نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا .

ابن الأسود : ولا نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع .

إبـــليـــــس : ﴿ في هيئة شيخ نجدي ﴾: لا والله ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي ؟ والله لـــو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب ، ثم يسير بهم إلــيكم بعد أن يتابعوه ، حتي يطأكم بهم في بلادكم ، ثم يفعل بكم مـــا أراده ، دبروا فيه رأيا غير هذا.

قـــريــــــش : صدق والله الشيخ النجدي ، ﴿ يعني إبليس ﴾.

وبعد أن رفض المتآمرون هذين الاقتراحين قدم إليهم اقتراح آخر من كبير مجرمـــي مكة أبي جهل بن هشام .

أبو جهــــــل: أري أن نأخذ من كل قبيلة فتي شابًا جلدا نسيبًا ، وسيطًا ، ثم نعطـــي كل فتي منهم سيفًا صارمًا ، ثم يعمدون إليه ، فيضربونه بها ضربة رجـــل واحـــد ، فيقتلونه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعًا ، فلم يقـــدر ينو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا فرضوا منا بالدية .

إبـــليـــــس : ﴿ في هيئة الشيخ النجدي ﴾: القول ما قال أبو جهل ، هذا الرأي لا أري غيره .

قـــريــــــش : نوافق على هذا الاقتراح بالإجماع ونصمم على تنفيذ هـــذا القـــرار فورًا.

﴿ راجع عيون الأثر من فنون المغازي والشمائل والسير ص ٢١٠ ﴾

فانظر كيف أن جنود إبليس الذين جالوا الدنيا كلها ولا يزالـــون يجولـــون فيهـــا ويعربدون ، ويعملون ليل نهار لغواية البشر ، وإثارة الفتن بين الناس وإضلالهم عـــن الصراط المستقيم ! لم يجد إبليس أحدا من جنوده هؤلاء له الصـــلاحية في حضـــور مؤامرة قريش بدار الندوة فحضر شخصيًا ليشارك بالرأي السديد في هذه المؤامرة ﴿ راجع سيرة ابن هشام الجزء الأول٤٨٠ ﴾ .

وكيف أنه استعرض شيوخ الدنيا كلها ليتجسد في شخصية واحد منها ، ليحضر هذه المؤامرة ويشارك بالرأي فيها ، فلم يجد إبليس من شيوخ الشام شيخًا يصلح ليتقمص شخصيته ، ولم يجد من شيوخ اليمن شيخًا جديرًا بشخصيته ، ولم يجد من شيوخ الحجاز ومصر شيخًا يصلح لأن يتشكل على صورته ، ولم يجد من شيوخ العراق شيخًا تطابق هيئته هيئة إبليس اللعين ، ولكنه وجد ضالته المنشودة وطلبته المرغوبة في صورة شيخ نجدي فتجسد إبليس اللعين على صورة ﴿ هذا الشيخ النجدي ﴾ وصدق رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ إن نجدًا يَخْرُجُ منها قرنُ الشيطان وإن بها الزلازل والفتن ﴾.[1] ﴿ راجع البداية والنهاية لابن كثير – الجزء الثالث ص ١٧٣ ﴾.

ولما اتخذ مجرموا قريش القرار الغاشم بقتل سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، نزل جبريل بوحي ربه تبارك وتعالي ، فأخبره بمؤامرة قريش ، وأن الله قد أذن له في الخروج وحدد له وقت الهجرةقائلاً : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه . فذهب سيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ في الهاجرة إلي أبي بكر ليبرم معه خطة الهجرة ، وبعد إبرام خطة الهجرة رجع سيدنا رسولالله ﴿ ﷺ وآله﴾ إلي بيته ينتظر مجئ الليل . وقد سجل القرآن الكريم هذا المشهد في قوله تعالي : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [2] ﴿ راجع الرحيق المختوم في السيرة للشيخ صفي الرحمن إصدار رابطة العالم الإسلامي ص ١٧٨ ﴾ .

أما أكابر مجرمي قريش فقضوا نهارهم في الإعداد لتنفيذ الخطة المرسومة التى أبرمها إبليس اللعين في ﴿ هيئة شيخ نجدي ﴾ بدار الندوة صباحًا واختار لذلك أحد عشر

(١) رواه الترمذى في كتاب المناقب الباب ٧٤

(٢) سورة الأنفال آية ٣٠

رئيسًا من هؤلاء المتآمرين وهم : أبو جهل بن هشام والحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود وطعيمة بـــن عـــدي وأبو لهب وأبي بن خلف ونبيه بن الحجاج ومنبه بن الحجاج . فلما كانت عتمة الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتي ينام فينقضون عليه ﴿ راجع زاد المعاد الجزء الثـــاني ص ٥٢ ﴾.

مع غاية استعداد قريش لتنفيذ خطتهم التى رسمها لهم إبليس اللعين في ﴿ هيئة شيخ نجدي ﴾ فقد فشلوا فشلاً فاحشًا : ففي هذه الساعة الحرجة قال سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ لسيدنا علي بن ابي طالب عليه السلام :﴿ نَمْ عَلَى فِرَاشِي ، وَتَسَجَّ بِبُرْدِي هَـــذا ٱلْحَضْرَمِيِّ ٱلأَخْضَرِ ، فَنَمْ فِيهِ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تِكْرَهُهُ مِنْهُم﴾(١) ثم خـــرج سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ واخترق صفوفهم ، وأخذ حفنة من البطحاء فجعـــل يذره على رؤوسهم ، وقد أخذ الله بأبصارهم عنه فلا يرونه وهو يتلو : ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾(٢).

وكان ذلك في ليلة ٢٧ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة الموافـــق ٦٢٢/٩/١٢م ﴿راجع مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدي ص ١٦٧ ﴾ وبقي المحاصرون ينتظرون ساعة الصفر ، وقبيل حلولها تجلت لهم الخيبة والفشل ، فقد جاءهم رجـــل ممن لم يكن معهم ورآهم ببابه ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال : ما تنتظرون ؟ قـــالوا : محمـــدًا ، قال: خبتم وخسرتم قد– والله–مر بكم ، وذر على رؤوسكم التـــراب ، وانطلـــق لحاجته ، قالوا : والله ما أبصرناه ، وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم .

ولكنهم تطلعوا من ثقب الباب فرأوا سيدنا عليًا عليه السلام : فقالوا: والله إن هذا لمحمد نائمًا عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتي قام علي عن الفراش ، فسقط في أيـــديهم،

---

(١) وأورده أبو نعيم في دلائل النبوة ٦٤/١ وابن كثير في البداية والنهاية ١٧٦/٣

(٢) سورة يس آية ٩

وسألوا عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال : لا علم لي به . وأنشد سيدنا علي عليه السلام مشيرًا لما من الله تعالى به عليه :

وقيت نفسي خير من وطـئ الحصـي ... ومن طاف بالبيت العتيـق وبـالحجر
رسـول الله خـاف أن يمكـروا بـه ... فنجاه ذو الطول الإلـه مـن المكـر
و بات رسـول الله في الغـار آمنـا ... وقد صار في حفظ الإلـه وفي سـتر
و بـت أراعـيهم و مـا يتمهـونني ... وقد وطدت نفسي على القتل والأسر

﴿ راجع السيرة الحلبية ص ١٨٨ ﴾

الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ يتنبأ بأن نجداً يخرج منها قرن الشيطان ليزلـزل العقيـدة ويثير الفتن :

قال عليه الصلاة وأزكى السلام :﴿ اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا، قال : اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بـارك لنـا في يمننا ، قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا : قال : هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قـرن الشيطان ﴾[١] .أخرجه الإمام البخاري في فتح الباري ج٢ ص ٥٠٦ باب ما قيل في الزلازل والآيات حديث رقم ١٠٣٧.

---

(١) رواه البخاري ٣/٤،٣٠ /٨،٩٩/٤٢ ومسلم في كتاب الحج الحديث رقم ٤٧٦ واحمد في الجزء السادس صفحة ٢٤٠ والجزء الثالث صفحة ٤٧ ، والجزء الثاني صفحة ١١٨ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٥١١٦، ٣٨١٥٨ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٣٥/١، ٣ / ٢٠٩ والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٧/٣ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢٤/١ وأبو نعيم في الحلية ١٣٣/٦ والمنذر في الترغيب والترهيب ٢٢٧/٢ والسيوطي في جمع الجوامع ٩٨٣٦ وابن حجر في فتح الباري ٩٨/٤، ٩٩ والبيقهي في دلائل النبوة ٢٨٣/٢ والطبراني في المعجم الكبير ٨٥/١٢.

وقال﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ الفتنة من قبل المشرق ﴾[1] أخرجه الإمام البخاري في فتح الباري في كتاب الفتن جـ١٣ ص ٤٩ حديث ٧٠٩٢.

وعن سالم عن أبيه عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه قام إلي جنب المنبر فقال : ﴿ الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان أو قال قرن الشمس ﴾ [2] المرجع السابق حديث ٧٠٩٣.

وعن نافع عن ابن عمر أنه سمع النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وهو مستقبل المشرق يقول : ﴿ألا إن الفتنة هاهنا- حيث يطلع قرن الشيطان ﴾[3] المرجع السابق حديث ٧٠٩٤.

أخرج الإمام احمد في مسنده ص٣١٠ حديث رقم ٤٦٧٩ عن ابن عمر عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه كان قائمًا عند باب عائشة فأشار بيده نحو المشرق فقال : ﴿ الفتنة هاهنا حيث يطلع قرن الشيطان ﴾ [4] إسناده صحيح .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الفتن الباب ١٦

(٢) رواة البخاري في كتاب الخمس الباب ٤ وكتاب الاستسقاء الباب ٢٧ وكتاب الفتن الباب ١٦ وكتاب الطلاق الباب ٢٥ وكتاب المغازي الباب ٧٤ وكتاب المناقب الباب ٥، وكتاب بدء الخلق الباب ١١ ، ١٥ ومسلم في كتاب الإيمان الحديث رقم ٨١ وكتاب الفتن الحديث رقم ٤٤ ، ٤٦-٥٠ والترمذي في كتاب المناقب الباب ٧٣ وكتاب الفتن الباب ٧٩ والموطأ في كتاب الاستئذان الحديث رقم ٢٩ ن واحمد في الجزء الثاني صفحة ١٨، ٢٣ ، ٢٦ ، ٥٠ ، ٧٢ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٢١ ،١٢٦ والجزء الرابع صفحة ٢٧٣ .

(٣) ، (٤) رواهما البخاري في كتاب الخمس الباب ٤ وكتاب الاستسقاء الباب ٢٧ وكتاب الفتن الباب ١٦ وكتاب الطلاق الباب ٢٥ وكتاب المغازي الباب ٧٤ وكتاب المناقب الباب ٥ ،وكتاب بدء الخلق الباب ١١، ١٥ ومسلم في كتاب الإيمان الحديث رقم ٨١ وكتاب الفتن الحديث رقم ٤٤ ، ٤٦-٥٠ والترمذي في كتاب المناقب الباب ٧٣ ، وكتاب الفتن الباب ٧٩ والموطأ في كتاب الاستئذان الحديث رقم ٢٩ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١٨ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٥٠ ، ٧٢ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٦ والجزء الرابع صفحة ٢٧٣ .

أخرج الإمام الترمذي في سننه ج٥ . ص ٦٨٩ في كتاب المناقب باب فضل الشام واليمن حديث رقم ٣٩٥٣ ط دار الكتب العلمية سنة ١٩٨٧م محققة عن ابن عمر أن رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾قال : ﴿ اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يماننا قالوا : و نجدنا، قال : اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يماننا قالوا : و نجدنا . قال : هناك الزلازل والفتن وبها_أو قال: ومنهايخرج قرن الشيطان ﴾(1) . هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث أبي عوانه ، وقد روي هذا الحديث سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ اللهم بارك في شامنا ويماننا مرتين فقال رجل : وفي مشرقنا يا رسول الله، فقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : من هنا يطلع قرن الشيطان وبها تسعة أعشار الشر﴾(2) أخرجه الإمام احمد وابن عساكر .

روي لنا الإمام محمد بن منظور صاحب مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١، ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ط دار الفكر سنة ١٩٨٤ م في دعائه ﴿ ﷺ وآله﴾ للشام بالبركة عن ابن عمر سمعت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يقول : ﴿ اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي صاعنا ومدنا وشامنا ثم استقبل مطلع الشمس فقال : من هاهنا يطلع قرن

---

(١) ، (٢) رواهما البخاري ٣٠/٣ ، ٤٢/٤ ، ٩٩/٨ ومسلم في كتاب الحج الحديث رقم ٤٧٦ واحمد في الجزء السادس صفحة ٢٤٠ والجزء الثالث صفحة ٤٧ والجزء الثاني صفحة ١١٨ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٥١١٦ ، ٣٨١٥٨ ، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٣٥/١ ٣٠٩/٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٧/٣ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢٤/١ وأبو نعيم في الحلية ١٣٣/٦ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢٧٧/٢ والسيوطي في جمع الجوامع ٩٨٣٦ وابن حجر في فتح الباري ٩٨/٤ ، ٩٩ والبيهقي في دلائل النبوة ٢٨٣/٢ والطبراني في المعجم الكبير ٨٥/١٢ .

الشيطان من هاهنا الزلازل والفتن ﴾[1]. أخرج الحافظ أبو بكر الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جزء ١٠ ص ٦٠ (باب ما جاء في فضل الشام واليمن) منشورات المعارف ط ١٩٨٦ .

عن ابن عمر أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ اللهم بارك في يمانا فقال رجل : وفي مشرقنا يا رسول الله ، فقال : اللهم بارك في شامنا وفي يمننا ، فقال رجل: وفي مشرقنا يا رسول الله ، فقال: اللهم بارك في شامنا وفي يمننا ، إن من هنالك يطلع قرن الشيطان وبه تسعة أعشار الكفر وبه الداء العضال ﴾ رواه الطبراني في الأوسط وأحمد .

ولفظه أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾قال : ﴿ اللهم بارك في شامنا ويمننا مرتين فقال رجل : وفي مشرقنا يا رسول الله ، فقال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : من هنالك يطلع قرن الشيطان وبه تسعة أعشار الكفر ﴾[2] ورجال أحمد رجال الصحيح .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الحج الحديث رقم ٤٧٤ ، ٤٧٦ وابن ماجة في سننه ٣٣٢٩ والبيهقي في سننه ١٢٨/٤ ، ٢٠١/٥ واحمد في الجزء الثاني صفحة ١٢٤ والزيلعي في نصب الراية ٤٢٨/٢ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢٢٧/٢ والبخاري في الأدب المفرد ٣٩٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٥/٣ وأبو نعيم في الحلية ١٣٣/٦ والدارمي في سننه ١٠٧/٢ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٣٤٠/١ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٨١٢٤ ، ٣٨٢٣٠ ، ٣٨٢٧٥ .

(٢) رواه البخاري ٣٠/٣ ، ٤٢/٤ ، ٩٩/٨ ومسلم في كتاب الحج الحديث رقم ٤٧٦ وأحمد في الجزء السادس صفحة ٢٤٠ والجزء الثالث صفحة ٤٧ والجزء الثاني صفحة ١١٨ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٥١١٦ ، ٣٨١٥٨ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣٥ ٣٠٩/٣ والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٧/٣ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢٤/١ وأبو نعيم في الحلية ١٣٣/٦ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢٢٧/٢ والسيوطي في جمع الجوامع ٩٨٣٦ وابن حجر في فتح الباري ٩٨،٩٩/٤ والبيهقي في دلائل النبوة ٢٨٣/٢ والطبراني في المعجم الكبير ٨٥/١٢ .

أخرج الإمام عبد الله الخطيب التبريزي في مكشاة المصابيح ج٣ باب ذكر اليمن والشام ط المكتب الإسلامي ط ١٩٨٥م . حديث رقم ٦٢٦٢ .

عن ابن عمر قال : قال النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يماننا. قالوا يا رسول الله : وفي نجدنا . قال : اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يماننا قالوا يارسول الله : وفي نجدنا ، فأظنه قال في الثالثة : هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان ﴾ (١) رواه الطبراني بسند صحيح والبخاري .

ولابن عبد البر في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ج ١ ص ٢٧٩ ط مؤسسة قرطبة نفس لفظ الحديث السابق ، وفي كشف الخفاء للإمام العجلوني جزء ١ ص ١٨٨ ط دار الكتب العلمية حديث ٥٥٧ ﴿ اللهم بارك لنا في شامنا وبارك لنا في يماننا ﴾ (٢) رواه الترمذي وحسنه عن ابن عمر وزاد لفظ الحديث السابق .

---

(١) رواهما البخاري ٣/٣٠ ، ٤/٤٢ ، ٨/٩٩ ومسلم في كتاب الحج الحديث رقم ٤٧٦ وأحمد في الجزء السادس صفحة ٢٤٠ والجزء الثالث صفحة ٤٧ والجزء الثاني صفحة ١١٨ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٥١١٦ ، ٣٨١٥٨ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١/٣٥، ٣/٣٠٩ والهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٢٨٧ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١/٢٤ وأبو نعيم في الحلية ٦/١٣٣ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/٢٢٧ والسيوطي في جمع الجوامع ٩٨٣٦ وابن حجر في فتح الباري ٤/٩٨، ٩٩ والبيهقي في دلائل النبوة ٢/٢٨٣ والطبراني في المعجم الكبير ١٢/٨٥ .

(٢) رواهما البخاري ٣/٣٠، ٤/٤٢، ٨/٩٩ و مسلم في كتاب الحج الحديث رقم ٤٧٩ و أحمد في الجزء السادس صفحة ٢٤٠ و الجزء الثالث صفحة ٤٧و الجزء الثاني صفحة ١١٨ و المتقي الهندي في كنز العمال ٣٥١١٦ ، ٣٨١٥٨ و ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١/٣٥ ، ٣/٣٠٩ و الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٢٨٧ و الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١/٢٤ و أبو نعيم في الحلية ٦/١٣٣ و المنذري في الرغيب و الترهيب ٢/٢٢٧ و السيوطي في جمع الجوامع ٩٨٣٦ و ابن حجر في فتح الباري ٤/٩٨ ، ٩٩ و البيهقي في دلائل النبوة ٢/٢٨٣ و الطبراني في المعجم الكبير ١٢ / ٨٥ .

والترغيب والترهيب للحافظ المنذري ج٤ ص ٥٩ حديث رقم ١ ط دار الحديث سنة ١٩٨٧ نفس لفظ الحديث السابق رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب .

من دراسة هذه الأحاديث التى رويناها تبين لنا : أن نجدًا منها يطلع قرن الشيطان وبها الزلازل والفتن، وانها رأس الكفر وأن غلظ القلوب والجفاء في أهلها ، وطلوع قرن الشيطان منها : ظهور مسيلمة الكذاب ، وذو الخويصرة التميمي رأس الخوارج، وابن عبد الوهاب التميمي.

وذو الخويصرة التميمي الذي أشار إليه الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ من قبل في حديثه : ، فعن أبي سعيد الخدري قال : بينما رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يقسم قسما- قال ابن عباس ، كانت غنائم هوازن يوم حنين- إذ جاءه رجل من تميم مقلص الثياب ذو شيماء، بين عينيه أثر السجود فقال : اعدل يارسول الله ، فقال : ﴿ ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟! قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل﴾ ثم قال : ﴿ يوشك أن يأتي قوم مثل هذا يحسنون القيل ويسيئون الفعل ، هم شرار الخلق والخليقة﴾ ثم وصف ﴿ ﷺ وآله﴾ صلتهم بالقرآن فقال : ﴿ يدعون إلي كتاب الله وليسوا منه في شئ يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يحسبونه لهم وهو عليهم ﴾ ثم كشف النقاب ﴿ ﷺ وآله﴾عن عباداتهم المغشوشة فقال : ﴿ ليس قراءتكم إلي قراءتهم بشئ ولا صلاتكم إلي صلاتهم بشئ ولا صيامكم إلي صيامهم بشئ ﴾ثم أزاح النبي ﴿ ﷺ وآله ﴾عن أهدافهم فقال : ﴿يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ﴾ . ثم أعطانا النبي ﴿ ﷺ وآله﴾وصفاً مجسمًا لسيماهم فقال :﴿ محلقين رؤوسهم وشواربهم وأزرهم إلي أنصاف سوقهم ﴾ ثم ذكر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ علامتهم المميزة فقال :﴿ يقتلون أهل الإسلام وَيَدَعُونَ أهل الأوثان ﴾ . ثم طالبنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ إذا لقيناهم أن نقاتلهم فقال : ﴿ فمن لقيهم فليقاتلهم ، فمن قتلهم فله

أفضل الأجر ومن قتلوه فله الشهادة ﴾[1] [رواه البخاري في كتاب بدء الخلق باب علامات النبوة]. وذو الخويصرة من قبيلة تميم وهي أصل ابن عبد الوهاب فكلاهما من أصل واحد وعشيرة واحدة أي كلاهما تميمي . كما أن جملـــة رؤوس الخـــوارج كانوا من تميم : كشبث بن ربعي ، ومسعر بن فدكي وغيرهما . .

من هم القرنيون ؟:

من كل ما تقدم يتبين أن القرنيين : هم أصحاب فكر الخوارج من بلاد نجد ، ففـــي صدر الدعوة الإسلامية كان القرنيون هم مسيلمة الكذاب وشـــرذمته ، وفي عهـــد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كان ذو الخويصرة التميمي رأس الخوارج ، وفي القرن الثاني عشر كان البدعيِّ النجدي ابن عبد الوهاب ومن يحرقون بخور الثنـــاء لفكـــرة الخارجي ، وجميع هؤلاء من بلاد نجد التى تنبأ الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ بأن بهـــا زلازل العقيدة والفتن بين الأمة الإسلامية ، ومنها ﴿ يطلع قرن الشيطان ﴾وفي رواية أخري ﴿ يخرج قرن الشيطان ﴾ بصيغة الفعل المضارع الذي يفيد الاســـتمرار علـــى مـــر العصور والدهور . فخرج من نجد مسيلمة الكذاب ، وخرج من نجد ذو الخويصـــرة التميمي ، وخرج من نجد القرامطة ، وخرج من نجد ابن عبد الوهاب التميمي . ولقد أبي الله أن يخرج من نجد صحابياً ولا تابيعاً ولا ولياً ولا صالحاً .

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق باب علامات النبوة و النسائي في خصائصه صفحة ٤٣ ، ٤٤ و مسلم في صحيحة في كتاب الزكاة باب التحذير من زينة الدنيا و احمد في مسنده في الجزء الأول صفحة ٧٨ ، ٨٨ ، ٩١ و ابن ماجة في صحيحة باب ذكر الخوارج و الحاكم في المستدرك الجزء الثاني صفحة ١٤٥ و قال حديث صحيح علي شرط مسلم و الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد الجزء الأول صفحة ١٥٩ و أبو نعيم في الحلية الجزء الرابع صفحة ١٨٦ و كنز العمال الجزء الأول صفحة ٩٢ .

والآن القرنيون هم سدنة فكر البدعي النجدي ابن عبد الوهاب الذين زلزلوا العقيدة الإسلامية وأثاروا الفتن بين المسلمين ، ولا يزال قرن الشيطان يطلـــع علينـــا تحـــت مسميات كثيرة من ذراريهم الذين أساءوا إلي الله تعالي ، وإلي نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ وإلي أهل البيت الطيبين الطاهرين ، وأولياء الله الصالحين ، وأصحابه ، رضي الله عنـــهم أجمعين ، استناداً إلي شبهات هذا الفكر القرني ، فرأيت لزامًا عليَّ أن أبـــين ضـــعف شبهات هذا الفكر القرني بالأدلة القاطعة من الكتاب والسنة والنقل والإجماع وسيرة السلف الصالح إرشادا للجاهل ، وتنبيهاً للغافل ولئلا يكون للناس على الله حجـــة ، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الفصل الثاني

منهج القرنيين

الاشتغال بالجدل عند السلف الصالح من المنكرات . . وعند القرنيين من أعظم القربات :

جاء الإسلام فكان أهم مقاصده توحيد الإله المعبود ، ثم العناية بجمع شتات الأجناس والأمم في إطار واحد لا فرق بين أبيض وأسود ، ولا بين عربي وأعجمي ، حتي أفرغ جميع أتباعه في قالب واحد ، وهي الأمة الوسط التى جمعت شتات الفضائل ، ونبذت كل عوامل التفرق والتمزق ، وكانت مقومات تلك الوحدة أن أفرادها يعبدون إلهاً واحداً ، ويتجهون في صلاتهم إلى بيت واحد، ويتعبدون بكتاب واحد إلى غير ذلك من مظاهر الوحدة.

ولما كان اختلاف القطار ، وتشعب الآراء بما تقضيه طبيعة الإنسان ، تفضل سبحانه وتعالي رأفة بعباده ، فجعل أصول هذا الدين في عبارات جلية واضحة ، ونصوص بينة لا تقبل صرفاً ولا تأويلاً ، ولا جدلاً ولا مراء ، وجعلها هي أم الكتاب التى يدور حولها كل ما جاء فيه من أحكام ، ولم يعذر أحداً في الخروج عليها ، وحذر من التلاعب بتأويلها وتطويعها للأهواء والشهوات ، وعذر الخلق إذا اختلفوا في غيرها ، ورفع عنهم الحرج ، بل منح المخطئ في اجتهاده أجرًا، والمصيب أجرين ، تشجيعًا للبحث والتأمل ، لاستجلاء ما فيه المصلحة الراجحة للجميع .

السلف الصالح شعاره : الرجوع إلي الحق من أمهات الفضائل :

لقد كان السلف الصالح من العلماء يعذر بعضهم بعضا إذا ما اختلفوا فيها ، ولا يعيب أحد منهم رأياً رآه غيره ، وكانوا بهذا أقرب في الوصول إلي الصواب ،

وأسرع بلوغًا إليه إذا نحوه ، وأقوي تمسكاً به إذا أدركوه ، وكان شعارهم جميعًا في ذلك أن الرجوع إلي الحق من أمهات الفضائل .

وكان من أثر ذلك في علاقة بعضهم ببعض نمو روح التسامح فيما بينهم ، وقوة المحبة والأخوة في الله ، وفي سبيل الحق والتعاون على كل ما يوصل إلي إرضاء الله تعالي وإلي سعادة الأمة ، فبارك الله في أعمارهم ، وحفظها من أن تضيع في جدل عقيم ، ومراء سقيم ليس له من باعث سوي العناد للرأي ، والانتصار للمذهب مهما بعد عن الحق أوظهر خطؤه ، وحفظهم من التخاصم والتحاسد ، ومن كل ما يفسد القلوب ويحبط الأعمال ؛ ونفع بهم الأمة .

كان بعضهم يفهم في الآية أوالحديث فهمًا ، ويفهم غيره فيهما فهمًا آخر ، يناقش كل صاحب صاحبه بالتي هي أحسن ، فإن زانت النتيجة اتفقا ، وإن كانت الأخرى عذر كل صاحبه ، وانصرفا صديقين متحابين .

القرنيون شعارهم التفرق والتمزق للعناد وللرأي العقيم والمراء السقيم :

ثم خلف من بعد السلف الصالح الخلف الطالح من الخوارج والسلفية والتيمية والوهابية ،وهم المعنيون بالقَرْنيين ، الذين زلزلوا العقيدة وأثاروا الفتن بين المسلمين ، فقدسوا أفكار الخوارج، وبالغوا في التعصب لها والطعن فيما سواها ، فإذا وقف في طريقهم نص صريح أعملوا فيه إما معاول التأويل والتصريف حتي ينسفوه من طريقهم، أو جمدوا مع مظاهر النص وألغوا عقولهم ، وجهلوا نص الخطاب وفحواه فتشعبت بهم الطرق ، وتعرجت المسالك على السالك ، وأبعدهم عن الأصل الأول ﴿ الكتاب والسنة﴾ حتي أهملوا النظر فيه ، وتخاصموا وتعادوا كما يتخاصم ويتعادي أتباع الأديان المختلفة .

ولم يكف القرنيين كثرة عوامل التصدع الذي حصل بين المسلمين ، سواء منها ما كان من عمل خصوم الإسلام أو من عمل الملوك والأمراء المسلمين المتنازعين على الحكم والسلطان ، لم يكفهم كل هذا ، حتي أدلوا بدلوهم في هذا الشقاق والتفريق والتخريب ، الذي جعل من أبناء الأمة الواحدة شيعاً وأحزاباً ، يخاصم كل حزب غيره ويعاديه ، وما تفرق المسلمون هذا التفرق البغيض إلا بعد أن ابتعدوا عن منهلهم الأول ﴿ الكتاب والسنة ﴾ .

ومع ذلك فلا يصح لنا اليوم أن نعذر أحدًا إذا سار وراء القرنين أو جمد على آراء أئمتهم من شيوخ الخوراج ، واعتبرها تنزيلاً من حكيم عليم ، خصوصاً إذا دعي لهجر كتب أئمة المذاهب الأربعة وهم السلف الصالح ومن سار على نهجهم . راجع مقالات الشيخ عبد الجليل عيسى – مجلة منبر الإسلام .

أقول : لا يصح هذا الآن من المسلمين ، بعد أن أفزع الأسماع ناقوس خطر الجمود والتعصب لرأي الخوارج ، حتي استغل ذلك بعض سيئى القصد من المستشرقين ورجال التبشير وعملاء الاستعمار – أمثال سلمان رشدي وغيره – في الطعن واللمز في أصل الشريعة نفسها ، نسأل الله أن يقينا شر القرنيين ، حتي نعود إلي ما كان عليه الصلف الصالح ومن تبعهم بإحسان .

جري نهج القرنيين في عروق بعض المتأخرين من أهل المذاهب ، وصور ذلك:

الخلاف بين أئمة المذاهب منه ما هو معقول ومقبول ، أما الخلاف من المتأخرين منهم فهو غير معقول ولا مقبول .

الخلاف المعقول المقبول :

يصح أن يختلف اثنان في شئ ، أحدهما يقول : هو فرض أو واجب . والآخر يقول: لا ، بل هو سنة فقط . أو يقول أحدهما – في أمر واحد- : إنما هو حرام ، ويقول الآخر : كلا ، بل هو مكروه فقط . أو يقول أحدهما في أمر : هو سنة ، ويقول الآخر : لا، بل هو مستحب . إلي أمثال ذلك مما تستسيغ العقول اختلاف الأنظار فيه ، ومن أمثلة ذلك :

١- التسليمة الثانية عند الخروج من الصلاة : فهي واجبة تبطل الصلاة بتركها عند الحنابلة ، سنة عند غيرهم .

٢- البسملة في أول الصلاة : فرض عند الشافعية ، سنة عند الحنفية .

٣- قراءة المأموم للفاتحة في الصلاة السرية : فرض عند الشافعية ، مندوبة عند المالكية .

٤- التشهد الأخير والصلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فيه : فرض عند المالكية ، سنة عند غيرهم .

ما لا يسوغ فيه الخلاف :

فعل أول قول ، سنة أو مستحب عند قوم يثاب فاعله ، مكروه عند آخرين يلام فاعله ، ومن أمثلة ذلك :

١- النداء قبل صلاة العيد بلفظ : ﴿ الصلاة جامعة ﴾ : سنة عند الشافعية ، مكروه عند المالكية.

٢- تسليم الخطيب على المصلين يوم الجمعة بعد صعوده على المنبر وقبل جلوسه : سنه عند الشافعية ويجب على المصلين الرد عليه ، مكروه عند المالكية ولا يطلب من المصلين الرد عليه .

٣- دعاء الاستفتاح : مكروه عند المالكية ، سنة عند الشافعية والحنابلة والحنفية .

٤- رفع اليدين عند كل تكبيرة من تكبيرات الصلاة غير تكبيرة الإحرام : مكـــروه عند المالكية والحنفية ، سنة عند غيرهم .

٥- قراءة المأموم ما تيسر من القرآن بعد الفاتحة : مكروه عند المالكية ، حرام عنـــد الحنفية إلا أن يتابع الإمام سرًا ، سنة عند غيرهما .

أخطر أنواع الخلاف :

عمل يثور الخلاف فيه بين أنه فرض لا تصلح العبادة إلا به ، وبين أنه حرام يعاقـــب على فعله أو مناف للعباد تبطل به ، وهذا أخطر أنواع الخلاف ، ومن أمثلة ذلك :

١- رفع اليدين عند الركوع والرفع منه : واجب عند الأوزاعي وبعض أهل الظاهر، بدعة عند المغاربة ، فليت شعري . . ماذا يفعل المصلي في عمل إن فعله عوقب ،وإن تركه عوقب ؟!!!

٢- قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الأولي : ركن تبطل الصـــلاة بعـــدم قراءها عند الشافعية والحنابلة ، حرام يأثم المصلي إذا قرأها عند الحنفية إلا بنية حمـــد الله والثناء عليه ، مكروه قراءها عند المالكية .

فماذا يفعل المصلي ؟!! هل يقرأ فيرتكب حراماً وهو في مقام يشفع فيه عند الله تعالي لأخيه الميت ؟!!! أو لا يقرأ فتبطل صلاته ؟!!! .

أسباب هذه الخلافات :

١- منها غفلة كثير من المتأخرين عن تحذير النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ من التشدد في الدين، وعن حثه على التيسير على الناس عملاً بقوله تعالي : ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [(١)] وقوله تعالي : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [(٢)] وقـــال

---

(١) سورة البقرة – آية ١٨٥ .

(٢) سورة الحج – آية ٧٨

﴿ﷺ وآله﴾ في ذلك : ﴿ بعثت بالحنيفية السمحة ﴾[1] – جاء في البخاري في باب قول النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :﴿ يسروا ولا تعسروا ﴾ [2] وكان يحب التخفيف واليسر على الناس . عن أبي موسي الأشعري قال : لما بعثني النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أنا ومعاذ بن جبل إلي اليمن قال : ﴿ يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا ﴾[3] وعن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ﴿ ما خير رسول الله ﷺ وآله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ﴾ [4] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن أعرابيا بال في

---

(١) رواه أحمد في الجزء الخامس صفحة ٢٦٦ والجزء السادس صفحة ١١٦،٢٣٣ والقرطبي في تفسيره ٣٩/١٩ وابن كثير في تفسيره ٣١٢/١ ، ٤٨٩/٣ ، ١٧٨/٤ ، ٥٠٩ ، ٤٥٢/٥ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١٤٩/٤ ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢٠٩/٧ والسيوطي في الحاوي للفتاوي ٢٢١/٢ وفي الدر المنثور ١٤٠/١، ٢٤٩ والمتقي الهندي في كنز العمال ٩٠٠ ، ٣٢٠٩٥ وابن سعد في طبقاته ١٢٨/١/١ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٨٤/٩.

(٢) رواه البخاري ٢٧،٨/١/ ٣٦ ومسلم في كتاب الجهاد الحديث رقم ٨،٦ وأبو داود في كتاب الأدب الباب ٢٠وابن حجر في فتح الباري ١٦٣/١ والبغوي في شرح السنة ٦٧/١٠ والمنذري في الترغيب والترهيب ٤١٧/٣ والمتقي الهندي في كنز العمال ٥٣٦٠، ٥٤٢٨ والبيهقي في دلائل النبوة ٤٠٣/٥ والطبراني في المعجم الكبير ٣٣/١١ ، ٣١٢وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ٣٢٢/٢ والبيهقي في سننه ٨٦/١٠ .

(٣) رواه البخاري ٧٩/٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٣٦،٩/٨ /٧٨ ومسلم في كتاب الأشربة الحديث رقم ٥٧١ وكتاب الجهاد الحديث رقم ٧ وأحمد في الجزء الرابع صفحة ٤١٧ والبيهقي في سننه ١٥٥/٨، ٢٩١،١٠/ ٨٦ وعبد الرزاق في مصنفه ٥٩٥٩ و ابن حجر في تغليق التعليق ١١٨٢ و فتح الباري ٦٠/٨ ، ٦٢ ، ٥٢٤/١٠، ١٢ /٢٧٤ والتبريزي في مشكاة المصابيح ٣٧٢٤ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٥٢٦ وابن عبد البر في التمهيد ١٢٥/٧ وابن كثير في تفسيره ٣٥/ ٤٨٧ ، ٤٥٢/٥ ، ٤٣٠/٦

(٤) رواه البخاري في كتاب المناقب الباب ٢٧ و كتاب الأدب الباب ٨٠ و كتاب الحدود الباب ١٠ ومسلم في كتاب الفضائل الحديث رقم ٧٧ ،٧٨ وأبو داود في كتاب الأدب الباب ٤ والموطأ في كتاب حسن الخلق الحديث رقم ٢ وأحمد في الجزء السادس صفحة ٨٥ ، ١١٤ ، ١٣٠ ، ١٦٢، ١٨٢ ، ١٨٩، ١٩١، ٢٠٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٦٢ ، ٢٨١ .

المسجد فثار عليه الناس ليضربوه ، فقال لهم النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :﴿ دعوه وصبوا علي بوله دلوا من الماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ﴾ (١) وعن عبد الله بن عمر بن العاص أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وقف في حجة الوداع ، فجعلوا يسألونه فقال رجل : حلقت قبل أن أذبح ، فقال : ﴿ اذبح ولا حرج ﴾ (٢) فجاء رجل آخر فقال ﴿ نحرتُ قبل أن أرمي ﴾ فقال : ﴿ افعل ولا حرج﴾ (٣) وعد بعضهم الأشياء التى سئل عنها النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ حتي أوصلها إلي أربع وثلاثين صورة .

أليس هذا دليلاً على أن كل فعل طلب من المكلف ولم يرد عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ شئ يحدد كيفيته أو ترتيب بعضه على بعض ، يكون الأمر فيه واسعًا ؟ يفعل كل مكلف ما يغلب على ظنه انه هو المطلوب ، ولا حرج عليه بعد ذلك ، لأنه لو كان غير ذلك لوجب على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أن يبنه للناس .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الوضوء الباب ٥٨ وكتاب الأدب الباب ٨٠ وأبو داود في كتاب الطهارة الباب ١٣٦ والترمذي في كتاب الطهارة الباب ١١٢ والنسائي في كتاب الطهارة الباب ٤٤ وكتاب المياه الباب ٣ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٢٩ ، ٢٨٢ .

(٢) رواه البخاري في كتاب العلم الباب ٢٣ وكتاب الحج الباب ١٣١ ومسلم في كتاب الحج الحديث رقم ٣٢٧ وأبو داود في كتاب المناسك الباب ٧٨ ، ٨٧ والترمذي في سننه ٩١٦ والدارقطني في سننه ٢٥١/٢ والطبراني في المعجم الكبير ١٥١/١ والبغوي في شرح السنة ٢١١/٧ والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٦٥٥ والهيثمي في موارد الظمآن ١٠١٢ والساعاتي في بدائع المنن ١٠٨٥ وابن حجر في فتح الباري ١ /١٨٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ١٢٨٩٢، ١٢٦٦٢ وابن عبد البر في التمهيد ٢٦٤/٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠

(٣) رواه البخاري ٣١/١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٢١٥/٢ ، ١٥٩/٨ ومسلم في كتاب الحج الحديث رقم ٣٢٧ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١٥٩ ، ١٩٢ ، ٢٠٢ ، ٢١٠ ، ٢١٧ والبيهقي في السنن الكبري ١٤١/٥ وابن خزيمة في صحيحه ٢٩٥١ وشرح معاني الآثار ٢٣٧/٢ وابن حجر في فتح الباري ١٨٠/١ ، ٥٤٩/١١ والبغوي في شرح السنة ٢١٢/٧والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤٠٢/٤ والموطأ ٤٢١ وابن عبد البر في التمهيد ٧/ ٢٦٤ ، ٢٧٩ وابن كثير في البداية والنهاية ١٩٩/٥ .

٢- ومن أسباب هذه الخلافات أيضاً عدم عناية المتأخرين بدراسة ظروف كثير من أوامره﴿ ﷺ وآله﴾ وإرشاداته : هل المراد منها أن تكون تشريعًا عامًا دائمًا ، أو خاصا ببعض الناس دون بعض ، أو ببعض الظروف دون بعض ؟ وقد يكون لها قيود وملابسات لا يعمل بها عند عدمها ، من ذلك : ما رواه البخاري عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : أنه نهي عن ادخار شئ من لحوم الأضاحي أكثر من ثلاثة أيام ، فلما جاء العام الثاني ، وتحدث الناس عن عدم الادخار ، قال لهم ﴿ ﷺ وآله﴾ :﴿كلوا وادخروا ما شئتم ، وإنما نهيتكم في العام الماضي لأنه كان بالناس مجاعة فأردت أن تعينوهم فيها ﴾ (١) .

ومن هذا القبيل قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ – كما أخرجه البخاري – لمن أراد الحاجة في الخلاء من أهل المدينة : ﴿ شرقوا أو غربوا ﴾ (٢) قال الحافظ : حمل بعضهم قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ هذا على عمومه لكل الناس في كل الجهات ، وهذا خطأ وغفلة عن حكمة هذا الأمر وظروفه ، وسبب هذا الخطأ هو الجهل عن حكمته ، فلذا وقع في خطأ ظاهر ، لإنه ارتكب المحظور الذي أراد ﴿ ﷺ وآله﴾ تفاديه بتوجيه الخطاب لأهل المدينة ومن كان عن سمتها ليتجنبوا استقبال القبلة أو استدبارها وقت قضاء الحاجة في الخلاء ؛ إشعارًا لهم باحترام الكعبة لأن وضعها- بالنسبة لهم – في الجنوب . فإذا أخذ الأمر على ظاهره من العموم وشرَّقَ من كان بمصر ، أو غرَّب من كان بنجد- مثلاً – فإنه يستقبل الكعبة ، وهذا هو الأمر المنهي عنه .

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣٢٠/١٢وابن جارود في المنتقي ٨٦٣ والنسائي في سننه ٢٣٥/٧ واحمد في الجزء الخامس صفحة ٣٥٦ والجزء السادس صفحة ٥١ ،٣٨٤ والبخاري في الأدب المفرد ٥٦٣ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الوضوء الباب ١١ وكتاب الصلاة الباب ٢٩ ومسلم في كتاب الطهارة الحديث رقم ٥٩ وأبو داود في كتاب الطهارة الباب ٤ والترمزى في كتاب الطهارة الباب ٦ والنسائى في كتاب الطهارة الباب ١٩، ٦٠وابن ماجة في كتاب الطهارة الباب ١٧

٣- ومن أسباب الخلاف أيضًا غفلة كثيرين من العلماء عن أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ كثيرًا ما كان يجيب السائل أو يأمر الرجل بما يناسب حاله هو ، وقد لا يناسب غيره ، ورد في هذا الباب أحاديث كثيرة صحيحة : سأل رجل النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أي الأعمال أفضل ؟ فقال له: ﴿ الجهاد في سبيل الله ﴾ (١) وسأل رجل آخر هذا السؤال نفسه فقال له : ﴿بر الوالدين ﴾ (٢) وسأل ثالث فقال : ﴿كف الأذي ﴾ (٣) وقال لآخر : ﴿ أفضل الأعمال الصدقة على الفقراء﴾ فهو ﴿ ﷺ وآله﴾ كالطبيب الذي يصف لكل مريض الدواء المناسب لمرضه .

ولكن قصيري النظر يأخذون الأمور على عمومها ، فيقعون في ورطة من التناقض لا يستطيعون الخروج منها .

٤- ومن أسباب هذه الخلافات أيضًا اعتزاز كثير من المتأخرين بما نقل إليهم عن بعضهم من دعوى الإجماع ، في مسائل ليست في الواقع – عند التحري – محل أجماع، وكان اغترارهم هذا سبباً في تعصب كُلّ لما نُقل إليه ، وفي تسهيل العيب فيمن خالفه ، بل ربما طعن فيه بدون حق ، من ذلك ما حكاه الحافظ ابن حجر من اختلاف العلماء في وقت المعراج .

٥- ومن أسباب هذا الخلاف تشديد بعض العلماء في المندوبات والمواظبة عليها ، حتي اعتقد العامة أنها واجبة يأثم الإنسان بتركها ، وكثيرًا ما ثاروا على من يتركها ،

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب الباب الأول وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٣٢ .

(٢) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة الباب ٥ وكتاب الجهاد الباب الأول وكتاب الأدب الباب الاول وكتاب التوحيد الباب ٤٨ ومسلم في كتاب الإيمان الحديث رقم ١٣٧-١٤٠ ، وابو داود في كتاب الأدب الباب ١٢٠ والترمذي في كتاب الصلاة الباب ١٣ وكتاب البر الباب ١ ، ٢في كتاب المواقيت الباب ٥١ وابن ماجة في كتاب الأدب الباب الأول وأحمد في الجزء الأول صفحة ١٨١-١٨٦-٤١٠-٤١٨-٤٢١-٤٣٩-٤٤٤-٤٤٨-٥٤١ ، والجزء الخامس صفحة ٣٦٨ .

(٣) رواه أحمد في الجزء الخامس صفحة ١٥٠

وربما ألحقوا به أذي بدون حق . قال الحافظ بن حجر في شرحه على البخاري – في باب ما يقرأ يوم الجمعة – : اختلف العلماء في تعليل كراهة مالك لقــراءة ســورة السجدة في صباح يوم الجمعة بخشية اعتقاد العوام أنها فرض .

٦– ومن أسباب الخلاف أيضًا أن يكون العمل الذي حصل من النبي ﴿ ﷺ وآلــه﴾ حضره جمع من أصحابه ، ولما تفرقوا في البلاد روي كل واحد جانبًا مما حصل وأغفل غيره ، أو نسيه ولم يتبين له ، فيكون كل واحد منهم روي ما أغفله غيره وأغفل مــا رواه غيره .

من الآثار الضارة لفكرة القرنيين :

جري الفكر القرني في عروق بعض المتأخرين من أهل المذاهب ، فأنتج بذلك آثــاره الضارة بين أبناء كل مذهب ومذهب ، مما أكسبهم نفورًا أو إنكارًا مــن بعضــهم لبعض، وذلك لأنهم تعودوا ألا يطلعوا إلا على مذهب واحد ، فأورثهم حــزازة في الاعتقاد في فضل أئمة المذاهب الأخري ومن أمثلة ذلك :

١– سئل بعض المتعصبين من الحنفية : هل يجوز للحنفي أن يتزوج المرأة الشافعية ؟!! فقال إن ذلك لا يجوز ، لأنها يُشَكُّ في إيمانها ، والإيمان لا يصح إلا إذا كان مقطوعًا به (يشير بذلك إلي أن الشافعي يجيز أن يقول المسلم : ((أنا مؤمن إن شــاء الله)) وبدل أن يحمل المفتي الحنفي قول الشافعي ((إن شاء الله)) على قصد التبرك كمــا صرحوا به ، حمله الحنفي على الشك ، وأصدر فتواه بتكفير ملايين المسلمين بــدون حق ، وذلك كله لانتشار فتنة القرنيين وتسرب طرائقهم في تكفير الأمة للجهلة من متأخري المذاهب) .

ويفتي حنفي آخر بأنه يجوز للحنفي أن يتزوج الشافعية – لا على أنها مؤمنة – بــل بقياسها على الكتابية التى تجوز للمسلم .

٢- سئل بعض ضحايا المذهب القَرْني من بعض الشافعية : عن حكم الطعام الــذي وقعت عليه قطرة نبيذ ، فقال القرني – عفــا الله عنــه – : ((يرمــي لكلــب أو حنفي))!! .

ومما يستبين من التمحيص أن هؤلاء المتأخرين لم يكونوا من أئمة مذاهبهم أو من أهل الاجتهاد .

كما وقف أئمة الإسلام ضد فكر السلفية ، وفكر ابن تيميــة ، وفكــر الوهابيــة ، ووقف كذلك أئمة الإسلام ضد تسرب هذا التيار القرني بين بعض المتأخرين من أهل المذاهب ، فنبه أبو اسحاق الشاطبي المسلمين من هذا الخطر القرني وحــذر منــه في كتابه ((الموافقات)) في الجزء الثاني ص ٢٧٣ [راجع كذلك ما جــاء في شــرح البخاري للحافظ بن حجر في باب وجوب القراءة للإمام والمأموم] .

وهذا هو التعصب البغيض الذي لا يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالي : ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُــونَ بِاللّــهِ وَالْيَــوْمِ الآخِرِ﴾(١) أليست هذه الآية هي التى تحكم في الخلاف كتاب الله وسنة رسوله ؟ فما وافقهما فهو الصحيح ، وما خالفهما فهو المردود ، هذا هو الميزان الذي وضــعه الله سبحانه، ولكن التعصب الأعمي إذا ركب الهوي الجامح للفكر القرني قلب موازين القسط ، نسأل الله الهداية إلي الصراط المستقيم .

ولا سبب لذلك إلا ما حشاه بعض المتأخرين من رجال المذاهب في كتبهم مــن روح الفكر القرني المتعصب الجاهل بسنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ولا حول ولا قــوة إلا بالله العلي العظيم ! .

هذا ما كان من بعض أسباب الخلاف ، وبعض آثاره .

---

(١) سورة النساء – آية ٥٩

السبب في انتشار فكر القرنيين في هذه الأيام ما أصاب شبابنا من قحط .. فاستغل ذلك شيوخ النفط :

السبب في بقاء قوة سلطان الخلاف والتراع والتكفير والتشريك والتبديع هو تفشي الجهل بين أتباع الفكر القرني وتعصب معتنقي أئمة هذا الفكر لفكرهم الذي يدينون به ، وبهذا الفكر يعيشون ويكرمون ؛ لأنه مؤيد بالملوك والأمراء الذين هم سلطان على إخضاع العامة، وقطع طريق الاستقلال العقلي على الأمة ، لأن هذا الفكر أعون لهم على الاستبداد ، وأشد تمكينًا لهم مما يحبون من الفساد والإفساد ، ، لأن اتفاق كلمة علماء الأمة واجتماعها على أن الحق كذا بدليل كذا ، فلزم للحاكم الانصياع له ، لأن الخواص إذا اتحدوا إتبعهم العوام ، وهذه هي الوسيلة الوحيدة لمنع استبداد الحكم .

والدين يأمر برفع الشقاق والتنازع ، بالاعتصام بحبل الوحدة ، وهذا معني قوله تعالي: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [(١)] وقوله سبحانه :﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ ﴾ [(٢)] وقول النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم أعناق بعض ﴾ [(٣)] .

وقد خالفنا كل هذه النصوص فتفرقنا وتنازعنا ، وحارب بعضنا بعضًا باسم الدين وحماية التوحيد ، لأننا سلكنا مذاهب متفرقة ، كل فريق يتعصب لمذهبه ، ويعادي سائر إخوانه المسلمين لأجله ، زاعمًا انه بهذا ينصر الدين ، مع انه يخذله بتفريق كلمة

---

(١) سورة آل عمران – آية ١٠٣ .

(٢) سورة الأنفال – آية ٤٦

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان الحديث ١١٨-١٢٠ وكتاب القسامة الحديث رقم ٢٩ والبخاري في كتاب العلم الباب ٤٣ وكتاب الأضاحي الباب ٥ وأبو داود في كتاب السنة الباب ١٥ والترمذي في كتاب الفتن الباب ٢٨ والدرامي في كتاب المناسك الباب ٧٦ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٨٥ ، ٨٧ ، ١٠٤ والجزء الخامس صفحة ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٤، ٤٥، ٤٩، ٦٨.

المسلمين ، هذا سني يقاتل شيعيًا ، وهذا قرني يحارب صوفيًا ، وهذا شافعي يغـــري التتار بحنفي ، وهذا حنفي يقيس الشافعية على الذمية !!.

ثم جاء قَرْنِيُّو هذا الزمان يحاربون أهل السنة والجماعة ، فهل جاءهم بهذا أمر من الله ورسوله ؟! كلا، بل كان التعادي والتنازع عندهم انحرافًا عن الطريـــق المســـتقيم ، واتباعًا لخطوات الشيطان ، فكأنهم لم يقرأو قوله تعـــالي : ﴿وَلاَ تَتَّبِعُـــواْ خُطُـــوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (1) وخطوات الشيطان : هي الفكر النجـــدي القـــرني الذي نبأنا به الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ في قوله : ﴿ .... يخرج قرن الشيطان من هاهنا﴾ (2) وأشار إلي نجد . .

وقرن الشيطان هو خطوات الشيطان ، وهو كل أمر يخالف ســـبيل الحـــق والخـــير والمصلحة، قال تعالي : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (3)

---

(1) سورة البقرة – آية ١٦٨

(2) رواه الترمذي في كتاب المناقب الباب ٧٤

(3) سورة الأنعام – آية ١٥٣

الفصل الثالث

صفات القرنيين

القرنيون يجهلون أحكام الشرع الضروري منها أو النظري :

أحكام الشرع الإسلامي : منها ما هو ضروري : كوجوب الصلاة والصوم ، وحرمة الزنا والكذب ، وهذا لا يحتاج إلي إقامة الدليل عليه ، ولا يجوز الاجتهاد بخلافه بل يخرج منكره عن الإسلام . ومنها ما هو نظري : ككون أفعال العباد مخلوقه لله والكسب للعبد ، وكون صفات الله عين ذاته ، وثبوت الكلام النفسي ورؤية الله تعالي ، وأن الإمامة بالنص أو باختيار الأمة ، وغير ذلك ، هذا من الأصول . وأما في الفروع : فكحكم الشك في الصلاة ، والبناء على القبور ، وحكم ما لانص فيه كالتدخين وغير ذلك .

وهنا يجب أخذه من أدلة الشرع : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس للقادر على ذلك ، وغيره يقلد القادر .

القرنيون لا يفهمون ما هو من ضروريات الدين وما هو أمر اجتهادي :

لا يجوز الحكم بضلالة أحد أو فسقه فضلاً عن شركه وكفره لمخالفته في أمر اجتهادي، أي : ليس من ضروريات الدين . ولايجوز معارضته وممانعته وإجباره على اتباع قول غيره مما يخالف اجتهاده ، بل هو معذور في اجتهاده ما لم يكن مقصرًا ، وللمخطئ أجر واحد وللمصيب أجران . روي البخاري في صحيحة عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران . وإذا حكم فاجتهد ثم

أخطأ فله أجر ﴾ [1] وقال البدعي الحراني ابن تيميه في كتابه منهاج السنة جـزء ٣ ص٢٠ ﴿ قول السلف وأئمة الفتوي كأبي حنيفة والشافعي والثوري وداود بن علي وغيرهم لا يؤثمون مجتهدًا مخطئًا لا في المسائل الأصولية ولا الفرعية ﴾ . فمن اجتهد في إباحة شئ أو استحبابه كالتبرك بروضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وتقبيلها و شد الرحال إلي زيارته ، أو أنه ببدعة ؛ ليس لمن اجتهد على خلافه معارضته وممانعته
ولا تفسيقه وتضليله فضلاً عن تكفيره وتشريكه ، لأن ذلك ليس من ضروريات الدين التي لا يجوز الاجتهاد فيها .

القرنيون لا يعرفون القرآن وأقسام الدلالة فيه وما يحتج به منه :

الكتاب كلام الله تعالي المنزل على نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ وهو قطعي السند لاتفاق المسلمين كافة على أن ما بين الدفتين منزل منه تعالي . أما دلالته ففيه : المحكم ، والمتشابه ، أو المجمل ، والمبين . فالمحكم : ما يكون ظاهر الدلالة ويسمي المبين ، والمتشابه : ما يكون غير ظاهر الدلالة بل المعاني فيه على السواء في الاحتمال ويسمي المجمل .
والمبين أقسام: النص: وهو ما لا يحتمل الخلاف ، والظاهر : وهو الراجح مع احتمال الخلاف ، والمؤول : وهو المقابل للظاهر ويسمي المرجوح .
وفي الكتاب أيضًا : العام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والناسخ والمنسوخ . ولا يجوز الاحتجاج من الكتاب بغير النص والظاهر ما بينته السنة بعد ثبوتها أو الإجماع . كما

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام الباب ٢١ ومسلم في كتاب الأقضية الحديث رقم ١٥ وأبو داود في كتاب الأقضية الباب ٢ والترمذي في كتاب الأحكام الباب ٢ والنسائي في كتاب القضاه الباب ٣ وابن ماجة في كتاب الاحكام البـاب ٣ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١٨٧ والجزء الرابع صفحة ١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٥ .

لا يجوز العمل بالعام أو المطلق إلا بعد الفحص عن الخاص أو المقيد ولا بالدليل إلا بعد العام والفحص عن معارضه أو ناسخه ، لأن الدليل لا يكون دليلاً بدون ذلك .

وبسبب وجود هذه الأقسام الكثيرة في القرآن وغيرها أمكن لكل ذي قول- حقًا كان أو باطلاً – أن يستند في صحة قوله إلي ظاهر آية من القرآن . ولعدم فقه القرنيين ؛ لأنهم سطحيون ، فغالبًا يستندون إلي الحقيقة ويغفلون عن قرينة المجاز أو المطلق أو العام ويغفلون عن المقيد والخاص ، إلي غير ذلك . وقد جمع أحمد بن محمد بن المظفر الرازي- من أعيان القرن السابع ومن علماء أهل السنة والجماعة – كتابًا سماه ﴿ حجج القرآن ﴾ ذكر منه من الآيات ما يمكن أن تحتج به كل فرقة لمذهبها وأقوالها المتباينة المتناقضة ، ولنذكر أمثلة من ذلك من جملة ما ذكره :

١- فالقرنيون المنكرون للعفو الموجبون المؤاخذة على المعاصي يمكنهم الاستدلال بقوله تعالي :﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (١).

٢- والمتمصوفة القائلون برفع المؤاخذة بالكلية ، وأن الله لا يعاقب على المعصية استنادًا إلي قوله

تعالي : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢)

٣- والمثبتون لرؤية الله في الآخرة يستندون إلي قوله تعالي : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٣) والنافون لرؤية الله تعالي في الآخرة يستندون إلي قوله تعالي : ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾(٤)وقوله: ﴿ لَن تَرَانِي﴾ (٥).

---

(١) سورة الزلزلة – آية ٧-٨.

(٢) سورة الزمر – آية ٥٣.

(٣) سورة القيامة – آية ٢٢-٢٣.

(٤) سورة الأنعام – آية ١٠٣.

(٥) سورة الأعراف – آية ١٤٣.

٤- والقرنيون القائلون بالتجسيم على الحقيقة والجهة يتخرصون بالآيات التى فيها اليد والعين والوجه . والمترهون للمولي عن مشابهه مخلوقاته يستندون إلي قوله تعالي : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(١)

٥- القرنيون القائلون بعدم جواز دعاء غير الله والتشفع بغيره والاستغاثة بغيره يحتجون بسقيم وعقيم فهمهم في قوله تعالي : ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (٢) وقوله : ﴿ لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ (٣) أما أهل السنة والجماعة فاستدلوا على جواز دعاء غير الله والتشفع والاستغاثه بالأنبياء والأولياء بقوله تعالي :﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ ﴾ (٤) وقوله : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ ﴾ (٥) وقوله : ﴿يَآ أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا لَنَا ﴾ (٦) وقوله : ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾(٧) وقوله : ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ (٨) وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٩) الْمُؤْمِنِينَ﴾(٩) وقوله تعالي : ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ (١٠) وقوله تعالي : ﴿أَغْنَاهُمُ اللّهُ

(١) سورة الشوري – آية ١١.

(٢) سورة الجن – آية ١٨.

(٣) سورة الزمر – آية ٤٤

(٤) سورة القصص – آية ١٥

(٥) سورة النساء – آية ٦٤

(٦) سورة يوسف – آية ٩٧

(٧) سورة الأنبياء – آية ٢٨

(٨) سورة البقرة – آية ٢٥٥

(٩) سورة الأنفال – آية ٦٤

(١٠) سورة يوسف – آية ٤٢

وَرَسُولُهُ ﴾ [1] وقوله تعالي :﴿آتَاهُمُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ﴾[2] وقوله تعالي: ﴿سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾[3].

القرنيون لا يدركون السنة وأقسامها وما يحتج به من الأخبار :

السنة قول النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وفعله وتقريره ، ولا تثبت السنة لنا إلا بالخبر المتواتر ، وهو أخبار جماعة كثيرة يمتنع عند العقل تواطؤهم على الكذب . و لا تثبت خبر الفاسق ولا مجهول الحال لعدم إفادته العلم وعدم الدليل على حجته ، بل الدليل قائم على عدمها من قوله تعالي : ﴿إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [4] والنهي عن إتباع الظن . أما خبر الثقة العدل مع عدم إفادته العلم فقد اختلف في حجيته : فمنعها قوم وأثبتها آخرون وعلى القول بحجيته لابد من ثبوت العدالة إما بالعلم أو شهادة عدلين ، وفي كفاية العدل الواحد خلاف .

والعدالة : ملكة تبعث على اجتناب الكبائر ، وعدم الإصرار على الصغائر ، وترك منافيات المروءة الكاشفة عن عدم مبالاة فاعلها بالدين . وإثبات عدالة من بعد عنا زمانهم من اصعب الأمور لانحصار الأمر في علمنا بها في إخبار الغير وهو مفقود غالبًا إلا من إخبار البعض المستند على الظنون والاجتهادات التى تخطئ كثيرًا ، لا على الممارسة والمعاشرة مع اختلاف الآراء فيما يوجب الجرح وما لا يوجبه . ولذلك وقع الاختلاف كثيرًا في الجرح والتعديل ، فما عدله واحد جرحه آخر .

وعلم الجرح والتعديل هو الذي يهتم بأحوال الرجال من حيث الحكم عليهم بالقبول أو الرد ، ووصفهم بأوصاف الثقاة العدول ، أو المجروحين المتروكين .

---

(١) سورة التوبة – آية ٧٤
(٢) سورة التوبة – آية ٥٩
(٣) سورة التوبة – آية ٥٩
(٤) سورة الحجرات – آية ٦

والقاعدة أن الجرح مقدم على التعديل لجواز إطلاق الجارح على مالم يطلع عليه المعدل فعلم من هذا أن التسرع إلي القول بمضمون الخبر بمجرد وجوده في أحد كتب الحديث أو بمجرد قول واحد انه صحيح وتخطئة الغير بذلك فضلاً عن الحكم بكفره أو شركه خطأ محض ، ويشترط لجواز العمل بالخبر : عدم مخالفته لدليل قطعي من إجماع المسلمين وسيرتهم أو نص القرآن أو نص خبر آخر متواتر ، بل وعدم مخالفته للمشهور بين علماء المسلمين مع كونه بمرأي منهم ومسمع ، وعدم معارضته بدليل أقوي منه .

ويشترط في العمل بالخبر ما اشترطه في العمل بالكتاب مما مر في الفقرة السابقة ، وبسبب وجود هذه الأقسام في الخبر أمكن لكل ذي قول حق أو باطل الاستناد إلي ظاهر رواية كما يعرفه المتتبع لأقوال العلماء وأدلتهم .

والحاصل أن كل من يريد العناد والعصبية من القرنيين فله مدرك يتشبث به من الكتاب أو السنة ما لم يكن له حاجب من تقوي الله . والمصنف الطالب للحق لا يتمسك بظواهر الآيات والأحاديث ما لم يبحث عن معارضتها من عقل أو نقل أو إجماع وما لم يبحث عن سند الحديث ويستفرغ الوسع في فهم معناه .

القرنيون لا يعلمون الأخبار المتعارضة وسبب التعارض وعلاجه :

الأخبار المتعارضة الواردة عن النبي ﴿ﷺ وآله﴾ وسبب التعارض :

١- إما كون بعضها مكذوبًا ، فقد كثرت الكذابة على النبي ﴿ﷺ وآله﴾ في عصره حتي قال﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ﴾ [(١)] وبعد عصره تقربًا إلي الملوك وترويجًا للأهواء ومحافظة على الدنيا من طريق الدين .

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم الباب ٣٨ وكتاب الجنائز الباب ٣٣ وكتاب الأنبياء الباب ٥٠ وكتاب الأدب الباب ١٠٩ ومسلم في كتاب الزهد الحديث رقم ٧٢ وأبو داود في كتاب العلم الباب ٤ والترمذي في كتاب الفتن الباب ٧٠ وكتاب العلم الباب ٨ ،١٣ وكتاب التفسير الباب الأول وكتاب المناقب الباب ١٩ وابن ماجة في كتاب المقدمة الباب ٤ والدرامي في

ومن أمثلة ذلك ما روي للمهدي العباسي وكان يحب اللعب بالحمام فقال : ﴿ لا سبق إلا في خف أو حافز﴾ [1] (أو جناج) فزاد في حديث الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ (أو جناح) اتباعًا لهوي المهدي فلما خرج من مجلس المهدي قال المهدي : (أشهد أن قفاه قفا كذاب على رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وكم أعطيت الجوائز ووليت الولايات ، وأقطعت الإقطاعات على اختراع الرواية الموافقة للشهوات.

٢- الاشتباه لخطأ في فهم المراد أو سماع اللفظ أو الإطلاع على العام أو المطلق أو المنسوخ وعدم الاطلاع على الخاص أو المقيد أو الناسخ أو غير ذلك .

وللتعارض علاجات وردت بها الأخبار والروايات وقال بها علماء المسلمين وهي :

أ- العرض على كتاب الله والثابت من سنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فيؤخذ بما وافق ويترك ما خالف.

ب- الموافقة للإجماع أو السيرة أو المشهور بين علماء المسلمين أو الموافقة لما عليه الصحابة والتابعون .

ج- الترجيح بحسب السند يكون رواته أو ثق أو أحفظ أو أكثر ، أو الدلالة بكونه أظهر دلالة ، أو العبارة بكونه أفصح أو أحسن سبكا أو غير ذلك .

كتاب المقدمة الباب ٢٥ ، ٤٦ واحمد في الجزء الثاني صفحة ٤٧،٨٣،١٢٣،١٥٠،١٥٩،١٧١،٢٠٢،٢١٤،٤١٠،٤١٣،٤٦٩،٥١٩ والجزء الثالث صفحة ١٣،٣٩،٤٤،٤٦،٥٦،٩٨،١١٣،١١٦،١٦٦،١٦٧،١٧٦،٢٠٣،٢٠٩،٢٢٣،٢٧٨،٢٨٠،٣٠ ٣،٤٢٢ الجزء الرابع صفحة ٤٧،١٠٠،١٥٦،٢٠١،٣٦٧، والجزء الخامس صفحة ٢٤٥،٢٩٢،٤١٢.

(١) رواه أحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٥٦ ، ٣٥٨ والبيهقي في السنن الكبري ٦/١٠ ، ١٦ وابن شيبه في مصنفه ٥٠٢/١٢ والطبراني في المعجم الكبير ٣٨٢/١٠ والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٣/٥ والشافعي في مسنده ٣٤٩ والطبراني في المعجم الصغير ٢٥/١ والبخاري في التاريخ الكبير ٢٧٧/٤ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٢٤/١٢ ، ٤٥٥/١٣ .

القرنيون لا يعقلون وجود الحقيقة والمجاز في الكتاب والسنة :

الكتاب والسنة عربيان وفيهما كسائر كلام العرب الحقيقة والمجاز ، فالحقيقة : هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له كقولك أزيز الطائرة في الجو . والمجاز : هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لمناسبة ما وضعت له مناسبة موافقة للعرف غير مستهجنة ، كقولك : رأيت أسدًا في الحمام . وتريد : رجلاً شجاعًا ، والمناسبة بينهما : الشجاعة .

وقد كثر المجاز في كلام العرب ومنه الكتاب والسنة ومما جاء فيهما :

١- في الكتاب : قوله تعالي : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[(١)] وقوله:﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[(٢)] وقوله : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[(٣)] وقوله : ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[(٤)] وقوله : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ ﴾[(٥)] وقوله : ﴿يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾[(٦)] وقوله : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[(٧)] وقوله : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾[(٨)]وقوله : ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[(٩)] وقوله : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[(١٠)] وقوله : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[(١١)] وقوله : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ

---

(١) سورة الفتح – آية ١٠
(٢) سورة هود – آية ٣٧
(٣) سورة طه – آية ٣٩
(٤) سورة الطور – آية ٤٨
(٥) سورة الأنعام – آية ٣٠
(٦) سورة الزمر – آية ٥٦
(٧) سورة القصص – آية ٨٨
(٨) سورة البقرة – آية ١١٥
(٩) سورة الرحمن – آية ٢٧
(١٠) سورة طه – آية ٥
(١١) سورة النحل – آية ٥٠

أَوْ أَدْنَى﴾[1] وقوله : ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾[2] وقوله : ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ ﴾[3] وقوله : ﴿وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ ﴾[4] وقوله : ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾[5] .
وقوله : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [6] .

والقرينة على المجاز في كل ما سبق : عدم إمكان إرادة المعني الحقيقي المستلزم للتجسيم والتجزئة والوجود في مكان دون غيره ، وكونه تعالي محلاً للحوادث كما يتخرص بذلك القرنيون .

٢- في السنة : قوله ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ إن النار لا تمتلئ حتي يضع الله قدمه فيها ﴾ [7] أو قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلان ﴾ [8]

والقرينة على المجاز في كل ما سبق: عدم إمكان إرادة المعني الحقيقي المستلزم للتجسيم والتشبيه كما يقول القرنيون .

والمجاز قد يكون في الكلمة كما مر ، وقد يكون في الإسناد ، كأنبت الربيع البقل ، وجري النهر ، وبني الأمير المدينة وغير ذلك . فأسند الإنبات إلي الربيع مجازًا باعتبار أنه زمان له وحقه أن يسند إلي الله ، والجري إلي النهر باعتبار أنه مكانه وحقه أن يسند إلي الماء ، والبناء إلي الأمير باعتبار أنه سبب آمر وحقه أن يسند إلي البناء .

---

(١) سورة النجم – آية ٩

(٢) سورة هود – آية ١١٩

(٣) سورة الدخان – آية ٤٢

(٤) سورة النساء – آية ٩٣

(٥) سورة البقرة – آية ١٥

(٦) سورة الفجر – آية ٢٢

(٧) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن (سورة ق) الباب الأول وكتاب ألإيمان الباب ١٢ وكتاب التوحيد الباب ٧ ، ٢٥ ومسلم في كتاب الجنة الحديث رقم ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، والترمذي في كتاب الجنة الباب ٢٠ وتفسير سورة ق واحمد في الجزء الثاني صفحة ٣٦٩ ، ٥٠٧ والجزء الثالث صفحة ١٣

(٨) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن (سورة الحشر) الباب ٦

ومما جاء منه في القرآن الكريم قوله تعالي : ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[1] والذي زادهم هو الله والآيات سبب . وقوله تعالي : ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾[2] والنازع هو الله وإبليس سبب .

وقوله تعالي : ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾[3] والجاعل هو الله واليوم سبب لكثرة أهواله وقوله تعالي : ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾[4] والمخرج هو الله والأرض مكان مكان للإخراج.

ولابد للمجاز من الإسناد أيضاً من قرينة لفظية أو عقلية كقول الموحد : أنبت الربيع البقل ، فإن كونه موحدًا كافيًا في حمل كلامه على المجاز في الإسناد، ومثله لو قال المسلم الموحد : يا رسول الله اغفر لي ، أو اشف ولدي ، أو طول عمري ، أو : ارزقني ، أو: رد غائبي ، أو نحو ذلك، فيحمل

كلامه على المجاز في الإسناد. ، أي : كن سببًا في ذلك لشفاعتك ، ودعاء الله لي ، ويكفي قرينة على ذلك كونه مسلمًا موحدًا ولا يجوز تخطئته في هذا اللفظ فضلاً عن الحكم بكفره وشركه الموجب لحل دمه وماله ، إلا من قرني غبي غير عارف بأساليب كلام العرب ، أو معاند نجدي .

---

(١) سورة الأنفال – آية ٢

(٢) سورة الأعراف – آية ٢٧

(٣) سورة المزمل – آية ١٧

(٤) سورة الزلزلة – آية ٢

الفصل الرابع

الغاية من تكفير أهل القبلة والتبشير المسيحي هو التنصير الصليبي

القرنيون يطلقون الكفر على جميع الذنوب:

ليست جميع المعاصي ولا الكبائر منها كفرًا ؛ إلا في فكر الخوارج والسلفيين ، والبدعي الحراني ابن تيمية ، والبدعي النجدي ابن عبد الوهاب ، لعدم الدليل على ذلك ؛ لأنه متى حكم بالإسلام لا يحكم بغيره إلا بيقين ، ومضت على ذلك سيرة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ والصحابة والتابعين وتابعي التابعين . ولو كانت المعاصي أو الكبائر منها كفرًا لبطلت الحدود والتعزيرات ولم يبق لها ثمرة . فإن المرتد يستتاب وإلا قتل ، فلا معنى لإقامة الحد عليه أو تعزيره ، وللزم الحكم بارتداد جميع الخلق الذين لا يسلمون من المعاصي بل والكبائر ، ولم ينج منه إلا القليل . ولو كان كذلك لبيَّنت العلماء في كتبها ، ونادت به الوعاظ والخطباء ، وعرفه الكل ، وكون المرتد له أحكام خاصة به يلزم على كل مكلف معرفتها ، وصار من ضروريات الدين لشدة الحاجة إليه من عموم المكلفين . وفي الهدية السنية ص٦٦ ، روي عبادة بن الصامت عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قوله : ﴿ خمس صلوات كتبهن الله على العباد ، من أتي بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ﴾[1]. وهذا دليل على أن ترك الصلاة ليس كفرًا ؛ لأن

---

(١) رواه أبو داود في سننه ١٤٢٠ والنسائي في سننه ٢٣٠/١ واحمد في الجزء الخامس صفحة ٣١٥، ٣١٩ والبيهقي في سننه ٣٦١/١ ، ٨/٢، ١٠، ٤٦٧/٢١٧ وابن عبد البر في تجريد التمهيد ٧٢٥ والزيلعي في نصب الراية ١١٤/٢ ، ١١٥ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢٤٢/١ والبغوي في شرح السنة ١٠٤/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٤/١ وابن حجر في فتح الباري ٢٤٢/٢ وابن عبد البر في التمهيد ٢٣٩/٤ وابن حجر في تلخيص الحبير ١٤٧/٢ وعبد الرازق في مصنفه ٤٥٧٥ والمتقي الهندي في كنز العمال ١٨٨٦١

الكفر لا يغفره الله ، لقوله تعالي : ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾(١) هذا إذا لم يكن مستحلاً لما ثبت وجوبه أو تحريمه بضرورة الـدين ، وإلا كان كافرًا .

ما المقصود من إطلاق الكفر والشرك والنفاق على بعض الذنوب؟:

قد يطلق على بعض من الذنوب اسم الكفر أو الشرك أو النفاق أو نحو ذلك تعظيمًا للذنب ، وتحذيرًا منه ، وتشبيهًا لمؤاخذته لعظمها بمؤاخذة الكفر ، وبيانًا لأن مقتضي الإسلام والإيمان ألا يفعل ذلك الذنب ، أو لأنه ربما أنجر بالذنب تلـو الـذنب إلي الكفر كما ورد في الحديث : ﴿ إن في قلب المؤمن نكتة بيضاء فإذا عصي الله اسود منها جانب وهكذا ، إلي أن يتم سوادها ، فذلك الذي طبع الله عليه ﴾ (٢).

كما جاء التهديد بالنار واللعن على ترك بعض المستحبات أو فعل بعض المكروهات ، بيانًا لتأكد الاستحباب حتي كأنها واجبة ، ولشدة الكراهة حتي كأنها محرمة ، أو لأن التهاون بها ربما يجر إلي التهاون بالواجب وفعل المحرم كقول الحديث : ﴿ إن من ترك فرق شعرة فرق بمنشار من نار ﴾ ونظير ذلك اللعن على فعل المكروه كلعن المحلـل والمحلل له .

ومما ورد من إطلاق الكفر ونحو ذلك على الذنب في القرآن قوله تعالي :﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَـالَمِينَ﴾ (٣)

والحميدي في مسنده ٣٨٩ والقرطبي في تفسيره ١٨٣/٢ والبخاري في التاريخ الكبير ٣٨٧/١ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١٤٦/١ وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٣١/٥ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٢٤٠/٢ وابن ابي شيبة في مصنفه ٢٩٦/٢ ، ١٤/ ٢٣٥، ٢٣٦

(١) سورة النساء – آية ٤٨

(٢) رواه ابن ماجة في كتاب الزهد الباب ٢٩ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٩٧

(٣) سورة آل عمران – آية ٩٧

وفي الأحاديث قوله﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ [(١)] وقوله ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ اثنتان في الناس هما بهما كفر ، الطعن في النسب، والنياحة على الميت ﴾[(٢)].

وفي الحديث : ﴿ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ﴾ [(٣)] فهذا الحديث ينفي الإيمان عن المسلم في حالة تلبسة بالمعصية لا مطلقًا ، فدل على أن المراد أن تلبسه بالمعصية خلاف مقتضي الإيمان فنفي الإيمان عنه في تلك الحال مجاز ، تشبيها لمن لا يعمل بمقتضي إيمانه بغير المؤمن، نظير: ﴿ لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد﴾ [(٤)]

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان الحديث ١٨٨-١٢٠وكتاب القسامة الحديث ٢٩ والبخاري في كتاب العلم الباب٤٣ وكتاب الأضاحي الباب ٥ وأبو داود في كتاب السنة الباب ١٥ والترمذي في كتاب الفتن الباب ٢٨ والدارمي في كتاب المناسك الباب ٧٦ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٨٥ ، ٨٧ ، ١٠٤ والجزء الخامس صفحة ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٦٨ .

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار الباب ٢٧ ومسلم في كتاب الإيمان الحديث ١٢١ وكتاب الجنائز الحديث ٢٩ والترمذي في كتاب الجنائز الباب ٢٣ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٩١ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٤١٥ ، ٤٤١ ، ٤٥٥ ، ٤٩٦ ، ٥٣١ والجزء الخامس صفحة ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٣) رواه البخاري في كتاب المظالم الباب ٣٠ وكتاب الحدود الباب ١ ، ٦ ، ١٩ وكتاب الأشربة الباب الأول ومسلم في كتاب الإيمان الحديث ١٠٠، ١٠٤ وأبو داود في كتاب السنة الباب ١٥ والترمذى في كتاب الإيمان الباب١١ والنسائي في كتاب القسامة الباب ٤٩ وكتاب السارق الباب الأول وكتاب الأشربة الباب ٤٢ وابن ماجة في كتاب الفتن الباب الثالث وأحمد الجزء الثاني صفحة ٢٤٣ ، ٣١٧ ، ٣٧٦ ، ٤٧٩ والجزء الثالث صفحة ٣٤٦ والجزء الرابع صفحة ٣٥٣ والجزء السادس صفحة ١٣٩

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبري ٧٥/٣ ، ١١١ والدارقطني في سننه ٤٢٠/١ والحاكم في مستدركه ٢٤٦/١ والسيوطي في الحاوي للفتاوي ٥٣٢/١ وابن حجر في تلخيص الحبير ٣١/٢ وفي مسند الربيع بن حبيب ٥٢/١ والزيلعي في نصب الراية ٤١٢/٤ ، ٤١٣

فمن فعل كل ما سبق عمدًا استحلالاً لها فقد كفر ، وإلا فهو زجر وتهويل .
إن الإسلام قول باللسان وعمل بالأركان فمن كان مشركاً وتشهد الشهادتين ولم يأت بأعمال الإسلام لا يحكم بإسلامه ، بخلاف المسلم الموحد المولود على فطرة الإسلام الملتزم بأحكامه الفاعل لها ، إذا عصي بترك فرض يعتقد بوجوبه ويعلم أنه عاص بتركه .
وإن من تخرص من القرنيين بقوله تعالي : ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ .... فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾(١) فالآية واردة حكمًا في الحالة الأولي ، ولا يرد حكمها في الحالة الثانية حالة ترك بعض شعائر الإسلام فإيجاب القتال لا شاهد فيه على حلية قتل تارك الفرائض كسلاً فضلاً عن كفره ، فإنه إن صح جواز القتال على ترك بعض الشعائر حتي المستحبة كالأذان والجماعة لا ربط له بترك الفرض كسلاً .
ومن ثم فإنه لا يجوز الإقدام والتهجم بتكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم بأخبار غير ظاهرة ، وبأقوال الخوارج أو البدعي الحراني ابن تيمية أو البدعي النجدي ابن عبد الوهاب ، فليتق الله القرنيون المتهجمون والمتهورون .

أدلة توزيع الكفر والشرك بسخاء على المسلمين من كتبهم :

إن حكم القرنيين بكفر وشرك جميع المسلمين هو أساس مذهبهم ومحوره الذي يدور عليه لا يتحاشون منه ، وكتبهم مشحونة بالتصريح به تصريحًا لا يقبل التأويل .
ويعتمد القرنيون في تكفير المسلمين على أقوال ابن تيمية الحراني في رسالته ((الواسطة)) ((ورسالة زيارة القبور)) ، ومنه أخذ القرنيون تكفير المسلمين ، وعلى

والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٢٩/٣ وابن حجر في فتح الباري ٤٣٩/١ والمتقي الهندي في كنز العمال ٢٠٧٣٧ .
(١) سورة التوبة ـ آية ٥

أساسه بنوا وزادوا ، وصرح بذلك القرنيون في عدة مواضع من رسائل الهدية السنية الخمس وغيرها .

١- يهجم ابن تيمية الحراني على قلوب كثير من المسلمين ويحكم عليهم بالشرك ، وتخبط في تعريف العبادة وعطف الأتباع على لفظ الجلالة في قول الله تعالي:﴿حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [1] فهو يظن أن المعني حسبك الله والمؤمنون معه ، وهذا غلط فاحش من ابن تيمية الحراني ، ولكن المعني الصحيح أي : حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين [راجع ص ٣٠٦ من فتاوي ابن تيمية الحراني ((المجلد الثاني))] .

٢- كما يتضح من قول ابن عبد الوهاب في رسالة ((الأربعة قواعد)) ، ورسالة ((كشف الشبهات)) ففيها يقول : إن شرك المسلمين أغلظ من شرك عبدة الأصنام ، لأن أولئك يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة ، وهؤلاء شركهم دائم في الحالتين ، ولأن أولئك يدعون مع الله أناسًا مقربين عنده وأشجارًا وأحجارًا غير عاصية ، وهؤلاء يدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس . وقد أطلق ابن عبد الوهاب في رسالة ((كشف الشبهات)) اسم الشرك والمشركين على عامة المسلمين عدا القرنيين فيما يزيد على أربعة وعشرين موضعًا ، وأطلق عليهم اسم الكفر والكفار ، وعباد الأصنام ، والمرتدين ، والمنافقين ، وجاحدي التوحيد وأعدائه وأعداء الله ، ومدعي الإسلام ، وأهل الباطل ، والذين في قلوبهم زيغ والجهال والجهلة . راجع كتاب كشف الشبهات لابن عبد الوهاب صفحة ٥٧ إلي ٧٢ .

وكان محمد بن عبد الوهاب إذا اتبعه أحد وكان قد حج حجه الإسلام يقول له : حج ثانيا فإن حجتك الأولي فعلتها وأنت مشرك فلا تقبل ولا تسقط عنك الفرض . وإذا أراد أحد الدخول في عقيدته يقول له بعد الشهادتين : أشهد على نفسك أنك

---

(١) سورة الأنفال – آية ٦٤

كنت كافرًا ، وعلى والديك أنهما ماتا كافرين ، وعلى فلان وفلان – ويسمي جماعة من أكابر العلماء الماضيين– أنهم ماتوا كافرين ، فإن شهد قبله وإلا قتلـه ، وكـان يصرح بتكفير الأمة منذ ستمائه سنة ويكفر من لا يتبعـه ، ويسـميهم المشـركين ويستحل دماءهم وأموالهم [راجع كتاب خلاصة الكـلام ص ٢٢٩ ، ٢٣٠] .

٣– وصرح بذلك محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعانى أحد ذيول القـرنيين في كتابه ((رسالة تطهير الاعتقاد)) في عدة مواضع بأن كفر المسلمين كفر أصـلي لا كفر ردة وصرح بالتكفير جملة. وأطلق الصنعاني في كتابه ((تطهير الاعتقاد)) اسم الشرك والمشركين على عامة المسلمين وذلك فيما يزيد عن ثلاثين موضـعًا وأطلـق عليهم اسم الإلحاد والكفر والكفر الأصلي ، وأنهم عبدوا غير الله وزادوا على عبادة الأصنام وأطلق اسم الاله والصنم والوثن والند لله على من يسـتغيثون ويتبركـون بالأنبياء والأولياء في نحو عشرة مواضع راجع ص ٧ ، ٩ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٢ مـن كتاب ((تطهير الاعتقاد)) .

٤– وأطلق أصحاب الهدية السنية على المسلمين اسم الشرك ، والإشراك ، والشرك بالله ، والشرك الأكبر ، وأعظم الشرك ، والشرك الوخيم ، ومتخـذي الشـريك ، والشرك الموجب لحلِّية المال والدم ، والمشركين والمشركات ، وأقبح المشركين ، وأن ما عليه المسلمون هو من الجاهلية ، فيما يزيد عن عشرين موضعًا ، ووصفوهم بعبادة غير الله فيما يزيد عن عشرة مواضع ، وسموا من يتوسل ويتبرك بالأنبياء والأوليـاء بالأصنام والأوثان ، والأنداد لله فيما يزيد عن اثني عشر موضعًا . راجع كتاب الهدية السنية ص ١٠ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ وص ٢٢ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٤ إلي ص ٥٥ ومن ص ٥٧ إلي ص ١٠٧ .

إن البدعي الحراني ابن تيمية والبدعي النجدي ابن عبد الوهاب وذيولهما قد هجموا على قلوب المسلمين في ثرثرتهم السابقة ، فإذا أحب الناس نبيًا من الأنبياء أو وليًا من الأولياء حكموا عليهم بالشرك ، بينما التوحيد والإشراك يكونان في أحوال القلـب

وما في القلوب لا يعلمه إلا علام الغيوب . وبالغوا في حكمهم الفاجر بقول ابن تيمية الحراني : وإن كان يقول إنه يحبه لله ، فهو كافر عنده . لأنه لا يصدق أقوال المسلمين وظواهرهم ولا يكتفي منهم بما اكتفى به رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ منهم في قوله ﴿ﷺ وآله﴾: ﴿ إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشقبطوهم ﴾ (١) وقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ موبخًا مولاه أسامة لما قتل الأعرابي الذي كان من المشركين بعد قوله : ﴿ لا اله إلا الله ﴾ حين رفع السيف عليه ، معتذرًا بأنه قالها خوفًا من السيف ، ﴿ هلا شققت عن قلبه حتي تعلم أنه قالها لذلك ﴾ (٢) .

أما ما أخرجه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ يقول : ﴿ من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك ﴾ فقد قال الحافظ بن حجر في فتحه وفي شرح قوله ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت ﴾ فيه ما نصه بقوله : ﴿فقد كفر أو أشرك ﴾ للمبالغة في الزجر والتغليظ في ذلك . ثم قال : فإن اعتقد في المحلوف به من التعظيم ما يعتقده في الله حرم الحلف به ، وكان بذلك الاعتقاد كافرًا وعليه يترل حكم الحديث المذكور .

المبشرون يزحفون على العالم الإسلامي:

زحف المبشرون على البلاد الإسلامية للتنفيس عن الهزائم التى لحقت بالمسيحية نتيجة الحروب الصليبية ، فرجعوا تحت راية الصليب ليستأنفوا التسرب التبشيري والتمدن المسيحي وليعيدوا باسم الكنيسة مملكة المسيح .

زحف المبشرون ليقوموا بتلك المهمة ، يؤيدهم الاستعمار بماله الوفير ، ونفوذه القوي، فأقاموا المدارس والمعاهد والجامعات الأمريكية ، وشيدوا دور المسنين

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان الحديث رقم ١٥٨ وأبو داود في كتاب الجهاد الباب ٩٥ وابن ماجة في كتاب الفتن الباب الأول وأحمد في الجزء الرابع صفحة ٤٣٩ والجزء الخامس صفحة ٢٠٧

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي الباب ٦١ ومسلم في كتاب الزكاة الحديث رقم ١٤٤ واحمد في الجزء الثالث صفحة ٤

والحضانة والمستشفيات ، وعقدوا الندوات والمؤتمرات بجانب الإذاعة والصحافة ، ودور الطباعة والنشر والفرق الكشفية والرياضية.

راجع كتاب ((التبشير والاستعمار ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، للقسيس كاهون سيمون)) ولا يغرنك ما يتظاهر به المبشرين من خدمة العلم ونشره ، لأن هذه الشعارات ورائها الغايات التى أفصحت عنها الجامعة الأمريكية في بيروت ، حيث قالت في أحد منشوراتها : ((إن الجامعة الأمريكية في بيروت لم تؤسس للتعليم العلماني ، ولا لبث الأخلاق الحميدة ، ولكن أولي غايتها أن تعلم الحقائق الكبري في التوراة ، وأن تكون مركزًا للتنور المسيحي ، والتأثير المسيحي ، وأن تخرج بذلك على الناس)) المرجع السابق ص ١١٧ .

ولقد نجحت هذه الجامعات المعادية للإسلام لتقضي على الإسلام في دياره ، ولتطعنه في مأمنه ، تلك الجامعات التى تمثل مركز الصدارة من مؤسساتنا التعليمية ، وتلحق بها الفئة المختارة من أبنائنا وبناتنا ليتعلموا ما يضرهم ولا ينفعهم ، وليخرجوا منها وقد حملوا أسوأ فكرة عن دينهم وعقيدتهم ، وتنكروا لقيمهم وتقاليدهم . وقد استطاع دعاة التبشير أن يحققوا عن طريق هؤلاء الخريجين عندما يتبوأوا مراكز النفوذ والحكم بالبلاد ما يريدون دون أن يشعر بهم أحد .

المبشرون يعملون لوقف انتشار الإسلام في أفريقيا وآسيا :

أخذ الإسلام يشق طريقه في أفريقيا وآسيا بسبب دعاة الصوفية النازحين لهاتين القارتين ، رغم أنه ليست هناك هيئات ، أو هيئة تحتضن الدعوة إليه ، وقد شهد بدور الصوفية في أفريقيا وآسيا شكيب أرسلان في كتابه : ((حاضر العالم الإسلامى)) كذلك حسين مؤنس في كتابه : ((مرآة الإسلام)) والعقاد وغيرهم ، كل هؤلاء اعترفوا أن الإسلام انتشر بالصوفية .

وهذا هو الفرق بين الصوفية وبين المأجورين من دعاة السلفية ، فالعالم المأجور يأخذ معاشه من دولة يجلس في مكتب وينتظر الراتب ، أما الصوفي فكان يضع سجادته على كتفه ، ويمشي في الغابات ، ويتوكل على الله يريد وجهه ، لا ينتظر الراتب ولا المعاش ولا السيارة فهؤلاء الصوفية هم الذين نشروا الإسلام في القارتين .

أما دعاة السلفية شيوخ المكاتب والسيارات والمرتبات فهم ينتظرون حتي يأتيهم إنسان أسلم على يد الصوفية ثم جاء إلي أحدهم ليشهر إسلامه ، فيقول الشيخ منهم: لقد أسلم على يدي فلان وفلان ، وما أسلم على يديه ، وما بذل جهدًا في تحوله إلي الإسلام ، وإنما جاء الرجل مثلاً ليشهر إسلامه على يده فينسب الأمر إلي نفسه . ويقول : إنه أسلم على يدي ، ابتغاء الشهرة وابتغاء أن يحمد بما لم يعمل .

فشتان بين دعاة الصوفية ودعاة السلفية في نشر الإسلام ، فالصوفية هم الذين نشروا الإسلام على الحقيقة .واليوم ؛ بدأت حملات التبشير المسيحي في جميع أنحاء القارتين ، بعد أن أدهشهم هذا النجاح الذي أحرزه الصوفيون في القارتين ، وأفزعهم ما تلاقيه دعوة الصوفية من كريم الاستجابة ، فجعلوا يعقدون المؤتمرات لتعويق دعوته ، وصرف الأفارقة والآسيويين عن اعتناق الإسلام ، والحياة في ظلال تعاليمه الوارفة ، وأخوته الصادقة .

وانطلق المبشرون في القارتين لينشروا ضلالهم ، وينفثوا سمومهم ، وكان لهم من العون المادي ما جعلهم يخوضون المعركة مستخدمين كل الوسائل للنيل من الإسلام

وتشويه صورته ، وتصوير المسلمين في أنهم غزاة قساة ، يميلون إلي سفك الـــدماء ، وسلب الأموال ، والإنهماك في الشهوات ، إلي غير ذلك من المفتريـــات ، وذلـــك لوقف المسيرة الإسلامية التى بدأها الطرق الصوفية في نشـــر الإســـلام في القـــارتين بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن [راجع قوي الشر المتحالفـــة ، الاستشراق والتبشير والاستعمار وموقف الإسلام منها ص ٩٧ لمحمد محمد الدهان].

القرنيون عملاء للتبشير المسيحي لمعاداة الإسلام :

ومما ينبغي أن ننبه إليه – بجانب النشاط التبشيري في القارتين– التيارات الوافدة من القرنيين الذين يرفعون شعار السلفية ، فيذهبون إلي أفريقيا وآسيا ولا يقولون شـــيئًا عن الإسلام ، ولكن يتصيدون الأفريقي أو الأسيوي الذي هداه الله على يد دعـــاة الصوفية يقولون له : إن التصوف كفر ، فاتركوا هذا الكفر ونحن نزودكم بالمـــال ، ونصلح لكم الأحوال ، فتقتنون الســـيارات ، وتركبـــون الطـــائرات ، وتملكـــون الفيلات، وتغمرون جيوبكم بالريالات ، وليس مطلوبًا مـــنكم ســـوي أن تحـــاربوا الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾في القرابة وتعادوا في الصحابة ولا توقروا الأنبياء ، ولا تقتدوا بالأولياء ، وعليكم بمثلث الكفريات : ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن عبد الوهاب ، دون سائر علماء المسلمين .والقرنيون يتسترون باسم الإسلام ، وهم حـــرب علـــى الإسلام ، بل لا يقل خطرهم عن البعثات التبشرية بما ينشرون من مبادئهم الباطلة ، ومفترياتهم الكاذبة ، ويؤيدها في ذلك الاستعمار بجميع ألـــوان التأكيـــد ((راجـــع مذكرات مستر همفر)) وهو رجل المخابرات البريطانية في حكومة المستعمرات ، وما سجله في هذه المذكرات)) .

ولذلك أخذ القرنيون على أنفسهم عهدًا بتمزيق صفوف المسلمين في الدرجة الأولي ، وإيجاد تصدع عميق فيها ، لتنفذ من خلاله إلي قلوب المسلمين لزعزعة عقائـــدهم

،وغرس الخلافات المذهبية فيما بينهم ، وزرع ألغام ناسفة عن طريق مناهج التعليم والتربية المقررة في المدارس والجامعات لنسف عقيدة الإسلام .

الغاية من التكفير والتبشير هو التنصير :

صيحة إنذار وتحذير نطلقها لشباب العالم الإسلامي : إن تكفير أهل القبلة المسلمين الموحدين ، وإيقاد نار الفتنة بين صفوف الأمة الاسلامية باسم حماية التوحيد وغيرها من الشعارات الكاذبة ، يوقد نارًا بين الأمة الاسلامية ؛ لأن المسلمين– كما يقول لوارنس براون – : ((في كتاب الإسلام والإرساليات)) إذا اتحدوا أمكن أن يسودوا العالم ويصبحوا لعنة وخطرا !!! أو كما يقول القس كالهون سيمون : ((إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية أبيضهم و أسودهم وتساعدهم على التخلص من السيطرة الاستعمارية)) .

فوا أسفاه على التفريق والتمزق ، أرادنا الله أمة واحدة بقوله تعالي : ﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (1) فأصبحنا أممًا متعددة !! وكنا حزبًا واحدًا هو حزب الله فأصبحنا أحزابًا وشيعًا !.

منصرون يعملون في الأراضي المقدسة ، يريدون الزحف إلي مكة ، بقيادة أبرهة الجديد ممثلاً في نيكسون أو كارتر أو ريجان أو بوش أو كلينتون أو من يأتي بعدهم .

هذا من جانب ومن الجانب الآخر التبشير المسيحي ، فهل تعلم أن عدد المسيحيين في العالم ٨٥٠ مليون نسمه ، ونسبة المبشرين المتخصصين للدعوة ضد الإسلام حوالى ١٧ مليون نسمه ، ويعتبرون أن هذه النسبة ضئيلة لا تتناسب البته مع المطلوب منهم ، وبذلك فهم يجندون القرنيين لتكفير أهل القبلة من المسلمين وهذا ما تبتغيه مراكز التبشير في العالم ، والتي تشكل تعاونًا أوربيًا أمريكيًا واسع النطاق .

---

(١) سورة المؤمنون – آية ٥٢

ففي المؤتمر السنوي السادس ((لاتحاد الكنائس للتبشير)) الذي عقد في كاليفورنيا بالولايات المتحدة ١٩٨٠ حيث قال ((واين شاهبار)) : إن أبواب المنطقة العربية والعالم الاسلامي أصبحت مفتوحة على مصراعيها للمبشرين النصاري فهناك ١٥٠ ألف أمريكي يعملون في السعودية البلد الذي يعتبر مغلقًا أمام المبشرين (المنصرين) منهم كثيرون يعملون في ميدان التنصير في الخفاء .

وفي بداية عام ١٩٨٥ نشرت وكالة ((نيدس)) التابعة للفاتيكان تقريرًا عن الحركة التنصرية في الخليج العربي وأشار التقرير إلي أنه لا يصرح لرجال الدين المسيحي بالدخول إلي تلك المنطقة بما في ذلك القاصد الرسولي بأبي ظبي بصفتهم رجال دين ، بل عليهم أن يبرروا وجودهم بصفتهم فنيين لديهم عقود مع الشركات النفطية التى تعمل بوجه تنصيري . وأضاف التقرير أن هناك مؤسسات مسيحية في منطقة الخليج تمارس أعمال التنصير من خلال عمالها الأسيويين المسيحين والذين يصل عددهم في البحرين وقطر وأبو ظبي إلي ألف عامل منصر .

فيا شباب الإسلام : إن الأمن القومي الإسلامي في خطر ، نعم في خطر ، فلسوف نواجه بمائة أندلس جديدة على اتساع العالم الإسلامي كله كفلسطين والفلبين وأفغانستان وتركستان وأزربيجان وكشمير وبلغاريا وألبانيا وقبرص وأرتريا وجنوب السودان ولذلك يقول المنصر الأمريكي ، ((روبرت ماكس)) (إن جهودنا لن تتوقف حتي يرتفع الصليب في سماء مكة ويقام قداس الأحد في المدينة !!!) راجع كتاب الزحف إلي مكة للدكتور عبد الودود شلبي ص ٢٨ .

فيا شباب الإسلام : إن تكفير القرنيين لأهل القبلة والتبشير المسيحي يعد أكبر كارثة تقضي على الإسلام والمسلمين فهذه العصابات ، عصابات التكفير والتبشير التى بدأ خطرها يستفحل ويستشري وينتشر في وطننا الإسلامي ، وراء أي مسلم أو مسلمة في أي بلد في الشرق أو في الغرب ، في آسيا أو أفريقيا ، أو حتي في الأدغال والغابات .

إنها الحرب الخسيسة التى تسنهض الهمم ، وتهيب بالنوام والغافلين ، أن هبوا لمواجهة هذا الخطر قبل أن تعض بنان الندم ، وقبل أن تزل بنا القـــدم ، وقبـــل أن يصـــبح المسلمون أمثولة وأضحوكة بين سائر الأمم ، وقبل أن يتحول المسلمون إلي أرقــاء يضرب بهم المثل في الذل، وتدور الدائرة كما دارت عليهم في الأندلس من قبل .

وحول هذه المعاني يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام :

إِثَارَةُ ٱلْهِمَمِ لإِحْيَاءِ ٱلْقِيَمِ

هيـــا لله يـــا رجـــال الله	نســـــعى لرضـــــاه	بشـــــــــــــــــريعته
لحـــة يـــا إخـــوان	تحيـــي الإيمـــان	بحقيقتـــــــــــــــه
نظـــرًا يـــا كـــرام	تعلـــي الإســـلام	بهدايتـــــــــــــــه
منحـــة يـــا أبـــدال	تقـــوي الأحـــوال	بعنايتـــــــــــــــه
ألفـــة بـــيقين	يـــا أهـــل الـــتمكين	بمحبتـــــــــــــــه
نهضـــة بعـــزم	همـــة بحـــزم	لمودتـــــــــــــــه
عمـــل لا قـــول	جـــدوا الوصـــول	لمعيتـــــــــــــــه
أحيـــوا السنـــة	واحمـــوا المحنـــة	لمعونتـــــــــــــــه
الـــدين يـــا قـــوم	حتـــام النـــوم	عـــن حكمتـــه
يقظـــة يـــا نـــاس	واحمـــوا الوســـواس	لصـــــــــــيانته
صـــافوا واصـــفوا	وافـــوا وأوفـــوا	في نصـــــــــرته
لا تفترقـــــــــوا	أو تحترقـــــــــوا	في رفعتـــــــــه
صـــفوا الأقـــدام	واحيـــوا الإســـلام	بصـــــــــــــداقته
وعـــد الـــرحمن	نـــص القـــرآن	عـــن نصـــرته
لبـــوا بـــيقين	ســـر التعـــيين	لشـــــــــــــريعته

إن المختـــــار   يـــدعو الأخيـــار   ردوا الكفـــــار   عـــن ســـنته

لبيـــك مـــولاي   في ذاك منـــــاي   قلـــبي وعينـــاي   في خدمتـــــــه

مـــولاي اشـــرح   صـــدري وافـــتح   قلـــبي واسمـــح   بشـــــهادته

وانظـــر بصـــفا   إخـــوان صـــفا   وأدم عطفـــــا   بصـــــداقته

الباب الثاني

أمور شذ فيها القرنيون عن إجماع الأمة

الفصل الأول

البدعـــــة

القرنيون يوزعون البدعة بسخاء على عباد الله :

أخذت العصبية العمياء مفهوم القرنيين عن البدعة فملأوا الكتب والمقالات بتهجمات على علماء الإسلام بحجة أنهم شرعوا في الدين المحدثات مخالفين بذلك الحديث الشريف : ﴿ كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة . . . . . ﴾ .

وهؤلاء القرنيون حزب خاسر يضلل مخالفيه ولا يسلك مسالك العلماء الذين جعلوا نصب أعينهم قول النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر ﴾ [1] فقد أجمع علماء المسلمين سلفاً وخلفاً على أن الأمة كلهم على هدى مثابون عند الله تعالي فيما استنبطوه وجاهدوا أنفسهم فيه بحرص على الوصول إلي الحق ، ولهذا اتبعتهم الجماهير من العلماء وتدينوا بمذاهبهم لما علموا من بروزهم في العلم والتقوى والورع .

ولكن هؤلاء القرنيون ظنوا بعلمهم الضحل أنهم أفهم من أئمة السلف الصالح ، وأعرف بدين الله في دعاوى كبيرة . ثم تمخض الجبل فولد فأرًا فإذا علمهم كله

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام الباب ٢١ ومسلم في كتاب الأقضية الحديث رقم ١٥ وأبو داود في كتاب الأقضية الباب ٢ والترمذي في كتاب الأحكام الباب ٢ والنسائي في كتاب القضاة الباب ٣ وابن ماجة في كتاب الأحكام الباب ٣ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١٨٧ والجزء الرابع صفحة ١٩٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

محصور في حديث واحد وهو قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ﴾ ورفض كل أحاديث الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ الدالة على حيازة كل خير ، والتي يستفاد منها حكم جميع الحوادث . فعند القرنيين أن كل شيء حدث بعد عهد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وإن كان من الخير ومن الأمور الدينية الموافقة لدين الله وتشملها أوامر الله ، فالاستكثار من الخير خير . فعند هؤلاء هو بدعة وضلالة .

مفهوم البدعة عند السلف الصالح .

تعريف البدعة :

البدعة إدخال ما ليس من الدين في الدين ، ولا يحتاج تحريمها إلي دليل خاص كحكم العقل بعدم جواز الزيادة على أحكام الله تعالي ولا التنقيص منها، باختصاص ذلك به تعالي وبأنبيائه الذين لا يصدرون إلا عن أمره .

تعيين البدعة هو سبب الاشتباه :

إن تعيين البدعة هو مما يقع فيه الاشتباه ، فكم بدعة عدت سنة ، وبالعكس كم سنة عدت بدعة . فقد أحدث الخلفاء الراشدون بدعا هي عين السنة استنادًا إلى حديث أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة عن جرير بن عبد الله عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينتقص من أجورهم شيئًا ﴾[1].فقد سمى عليه الصلاة والسلام المبتدع للحسن ((مستنا)) فأدخله في السنة وهو المشرع فلا يجوز مخالفته ، ولا الحكم بأن البدعة قسم واحد ، وأنه ضلالة أخذا بعموم كل بدعة ضلالة . مع هذه المخصصات فإن من المقرر ما من عام إلا وخص منه ، والأخذ بكل العموميات من

(١) رواه مسلم في كتاب العلم الحديث رقم ١٥ وكتاب الزكاة الحديث رقم ٦٩ والنسائي في كتاب الزكاة الباب ٦٤ وأحمد في الجزء الرابع صفحة ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ .

الجهل بقواعد العلم والشرع ، كما هو شأن دعاة السلفية مع أنهم متلبسون بالبدع الكثيرة .

وسبب الاشتباه إما خطأ في الدليل المستدل به على أن ذلك من الشرع أو ليس منه ، أو تقليد من سنها لحسن الظن به مع أنه مبتدع ، أو توهم أنه لابد من ورود النص بها بالخصوص مع دخولها في عمومه وإطلاقه كما وقع في زماننا من دعاة السلفية.

الأفعال تتغير أحكامها :

الأفعال تتغير أحكامها: باختلاف القصد الموجب ، واختلاف العنوان ، واختلاف الزمان والمكان

والأحوال والأشخاص الموجب لذلك ، وهذا معني ما اشتهر أن الأحكام تتغير بتغير الزمان .

أ- فاختلاف الأحكام باختلاف القصد . . . كضرب اليتيم ، فإنه محرم بقصد الإيذاء راجح بقصد التأديب . . وكغيبة المسلم فإنها محرمة بقصد الانتقاص واجبة بقصد نهيه عن المنكر .

وكالسجود عند روضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾فإنه راجح مستحب بقصد الشكر لله تعالي على توفيقه لزيارته ﴿ ﷺ وآله﴾ ، محرم بقصد السجود للنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ لعدم جواز السجود لغير الله تعالي ؛ إلي غير ذلك .

ب- اختلاف الأحكام باختلاف عنوان واجب مع عنوان محرم فيتقدم بالأهم ، كلمس بدن الأجنبية فإنه محرم ، ولكن إذا توقف عليه إنقاذها من الغرق أو شفاؤها من المرض فيجوز ويجب .

وتقاضي رسوم الحج ، والحج عبادة من أركان الإسلام فلا تفرض عليه رسوم ، فهو محرم على حسب دعاة السلفية ، ولكن إن تركها المسئول عن ذلك فهو الواجب

عليه ، كما هو الشأن في العمرة ، فلا رسوم فيها ، وإن امتنع فلا يجوز شق عصا الطاعة والخروج عن طاعته ، وذلك لأن جمع كلمة المسلمين وعدم شق عصاهم أهم في نظر الشارع من عدم اقتضاء رسوم الحج ؛ لأن المفسدة التى تترتب على شق عصا المسلمين أعظم من المفسدة المترتبة على أخذ رسوم الحج .

وبناء على هذا ، كان يجب عدم التعرض لهدم مشاهد أئمة المسلمين ، الأمر الذي يسوء ملايين المسلمين الذين تحن قلوبهم إلى هذه المشاهد ويسوءهم هدمها وتدميرها، إنما كانت هذه المفسدة- التى تشتت كلمة المسلمين وتسوءهم وتوقع الخصام والعداوة بينهم في هذه الأيام العصيبة التى تبدد فيها جمعهم ووهن ركنهم وضعف سلطانهم وفتحت بلادهم -أعظم من مفسدة تحريم البناء على مشاهد الأنبياء والأولياء وأهم وأولي بالرعاية . أفلا تقابل هذه المفسدة مفسدة شق عصا المسلمين بالنسبة لرسوم الحج ؟ ! .

بلى والله هي أعظم منها وأفظع وأوجع لقلوب المسلمين ، فهلا أبقيت هذه المشاهد كما أبقى مشهد النبي ﴿ ﷺ وآله﴾.

ج- واختلاف الأحكام باختلاف الزمان والمكان والأحوال كلبس الملابس الحمراء مثلا حيث تعد زينة في بعض الأزمنة والأمكنة ، فيحرم على الزوجة في وقت الحداد ،ويستحب إذا أرادت التزين لزوجها .

وكلباس النساء المحرم على الرجال وبالعكس ، فإنه يختلف باختلاف الزمان والمكان . ودفن المؤمن الجليل قريباً من ((المزبلة)) ، فإنه يعد إهانة له . فيحرم بخلاف دفن الزبال ، وكإنزال الضيف الشريف في مرابط الدواب ، فإنه يعد إهانة مع إمكان غيره بخلاف المكاري .

وقد يكون ترك القيام للشخص في زمان ما أو بلاد ما يعد إهانة له فيحرم ، وهو في زمان آخر أو بلاد أخرى لا يعد فلا يحرم ، وملابس الزهاد ومأكولهم يختلف

باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال ، وكهدم بناء مشاهد الأنبياء والأولياء وقبابهم فهب أنه كان منهيًا عن البناء كراهة أو تحريم ، إلا أن الهدم صار يعني في هذا الزمان إهانة لهم ، فيتعارض عنوان واجب وهو الهدم ، وعنوان محرم وهو الإهانة ، فيتقدم الأهم ، ولا شك أن مراعاة عدم إهانة الأنبياء والأولياء أولى وأهم من كل شئ .

وتغيير الأحكام بهذه الأوجه من الاختلافات يجعل النصوص الشرعية حية متحركة تساير سنن الحياة ، كما يجعلها نامية متطورة ، تتمشى مع نواميس الزمان والمكان فلا تجمد ذلك الجمود الذي يباعد بين الدين والدنيا ، وهو الأمر الذي نشاهده عند ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، الذين يعتبرون أن دين الإسلام محصور في فكرهم فلا يثقون بعالم من علماء المسلمين ولا يقيمون له وزنا . فدين الإسلام الواسع محصور علماؤه في الثلاثة وأمة محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ المنتشرة منذ توسع الفتح الإسلامي إلي عصرنا هذا إن تبعت تعاليم الثلاثة فهي أمة مؤمنة ، وإن خالفت تعاليمهم فهي أمة كافرة مشركة ضالة . فانظر يا أخي المسلم كيف تحقق شذوذ الثلاثة عن السواد الأعظم الذي قال عنه رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ إن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة أبداً وإن يد الله مع الجماعة ، فاتبعوا السواد الأعظم فإن من شذ شذ في النار﴾ (١) .

فكيف يحكم هؤلاء الثلاثة على الملايين من أمة محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ بالكفر والشرك والضلالة وما في قلوب أمة محمد لا يعلمه إلا الله ؟! إن التكفير سمة الخوارج وكل المبتدعة الذين يكفرون مخالفي رأيهم من أهل القبلة . راجع حاشية ابن عابدين [رد المحتار عن الدر المختار] في باب البغاة ، والشيخ الصاوي في حاشيته على الجلالين والشيخ سليمان بن عبد الوهاب في كتابه ((الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية)) ورسالة العلامة شهاب الدين أحمد بن يحي الحلبي في الرد على ابن تيمية ، و((

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الفتن الباب ٧ والدارمي في كتاب المقدمة الباب ٨ وأحمد في الجزء الخامس صفحة ١٤٥.

الاقتصاد في الاعتقاد)) لحجة الإسلام الغزالي ، والعلامة سعد الدين التفتازاني في كتابه ((شرح المقاصد)) و((شفاء السقام في زيارة خير الأنام)) للإمام المحقق أبي الحسن السبكي الذي رد على ابن تيمية فشفى به صدور المؤمنين .

أمثلة للتحجر العقلي في تفسير البدعة :

نصب دعاة السلفية أنفسهم للإرشاد وانتسبوا للعلم ظلما وبهتانا ، متذرعين بحجة أن هذا من الدين وأن هذه نصيحة ، وأن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، ونسى هؤلاء أن هناك من المحدثات في الأمور ما هو بدعة حسنة ، وإليك نماذج منها :

١- استحدث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة التراويح من جمعهم على قارئ واحد وقال رضي الله عنه في ذلك : ((نعمت البدعة هذه)) .

٢- قام سيدنا عمر ببناء مسجد الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ وأبدع فيه وزاد عليه في المساحة عملاً بقول الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ : ((ما أضيف إلي مسجدي فهو مسجدي)) .

٣- أحدث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه الأذان الثاني بين يدي الخطيب في يوم الجمعة .

٤- أحدث معاوية بناء المنابر للأذان ، واستند في ذلك إلي تخصيص رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ المكان المرتفع في الأذان ، حيث كان يؤذن من فوق بيت أم هانيء وهو أعلى بيت بجوار المسجد .

٥- أحدث معاوية رضي الله عنه زيادة المنبر إلي ست درجات مضافة إلي ثلاثة فصارت تسعاً وقد أخذه من فعل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ من انتقاله من الجذع وهو درجة واحدة إلي المنبر الذي صنع من ثلاث درجات ولم يشترط ﴿ ﷺ وآله﴾ تحديد الدرجات والعلة في ذلك أن ارتفاع المنبر على أحوال منها كثرة الناس وسعة المسجد.

٦- كما أحدث معاوية رضي الله عنه تجويف المحراب في الحائط أخذا من التزام حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ مكانا مخصصا في المسجد يصلي فيه ، ولم يغير الصحابة رضوان الله عليهم المكان بعدانتقاله ﴿ ﷺ وآله﴾ إلي الرفيق الأعلى ، والمحراب مذكور في الكتاب في قوله تعالي : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾ (١) . وقوله تعالي : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾(٢). وقوله تعالى : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴾ (٣) . وقوله تعالى : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (٤) . على أن المحراب هو أخص مكان للإمام ولم يعرف هذا من ذلك الحين إلا بتجويفه في الحائط ليكون أدعى أنه هو المكان المخصص للإمام .

٧- ومن الأمور المستحدثة الصلاة والسلام على رسول الله بعد الأذان بأمر من المولى سبحانه وتعالى في قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥) .من غير تقييد بعمل ولا بوقت ولا بحال ولا بشأن .

والمؤذن وسامعوه أولى الناس بشكر رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد الأذان سر قوله :﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾(٦) .

ونعمة الله علينا هي رسول الله . وقد طلب ﴿ ﷺ وآله﴾ من سمع المؤذن أن يقول مثلما يقول وأن يصلي ويسلم عليه وأن يسأل الله تعالى له الوسيلة ، وإذا كان هذا مطلوباً ممن سمع المؤذن فكيف بالمطلوب من المؤذن نفسه ؟ ! .

---

(١) سورة آل عمران – آية ٣٧.

(٢) سورة آل عمران – آية ٣٩.

(٣) سورة مريم – آية ١١.

(٤) سورة ص – آية ٢١.

(٥) سورة الأحزاب – آية ٥٦.

(٦) سورة آل عمران – آية ١٠٣.

٨- وقد استحدث السلف الصالح القيام عند ذكر ولادة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وعدها دعاة السلفية بدعة لعدم ورود النص به ، والحال أنه يكفي فيه عموم ما فهم من الشرع من لزوم احترام النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ، ورجحان تعظيمه حيا ومنتقلا إلى الرفيق الأعلى بكل أنواع الاحترام التي لم ينص الشرع على تحريمها .

كما شنع دعاة السلفية على الاحتفال بمولد النبي ﴿ ﷺ وآله﴾، وما يستتبعه من حلقات الذكر ومجالس الصلوات والابتهالات ، وقالوا : إن هذه الأمور المستحدثة بدعة ، مع أننا إذا فعلنا ذلك ولم نقصد أن هذا مأمور به بخصوصه لم نكن مبتدعين في الدين ، بعد دلالة الأدلة الشرعية بعمومها وإطلاقها على استحباب ذكر الله والصلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ . أما ما يحدث في الموالد من بعض أدعياء التصوف فنحن نوافق دعاة السلفية أنه من تسويلات الشيطان .

٩- قال دعاة السلفية : إن ترك الأعمال يوم الجمعة بدعة لأنه لم ينص المشرع على ذلك بل أمر

بالعمل بعد قضاء صلاة الجمعة لقوله تعالي : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾(١).

وهذا اشتباه ، لأن ترك العمل يوم الجمعة هنا بعنوان الراحة أو بعنوان مصلحة أخرى دينية أو دنيوية ، كإظهار حرمة يوم الجمعة وغير ذلك ، لا بعنوان أنه في نفسه عبادة وطاعة .

١٠- قال دعاة السلفية : إنه يلزم فعل العبادات بجميع الخصوصيات التي كان يفعلها النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بها ولا يجوز فعلها بدونها بل تكون بدعة . على هذا الفهم السقيم العقيم : كانت الصلاة بالطربوش ، أو الشال الهندي ، أو البنطلون أو العقال، أو الغترة ، والطاقية المخرمة ، واللباس الهندي بدعة ، ولكانت الخطبة في

---

(١) سورة الجمعة – آية ١٠.

الجمعة والعيدين بدون قلنسوة بدعة، إذا فرض أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ كان يفعلها بقلنسوة بيضاء وهكذا. وهذا لا يقول به من عنده أدنى معرفة بأدلة الشرع .

١١- قال دعاة السلفية : إن قراءة الفواتح للمشايخ بعد الصلوات بدعة وهذا تحجر عقلي لأن المراد بها إهداء الثواب إليهم فيعمها ما دل على جواز إهداء الثواب للميت واختيار أوقات الصلاة لأنها أفضل فيزداد الثواب .

اختلاف دعاة السلفية بعضهم عن بعض :

دعاة السلفية : هي الفرق الخارجة عن السواد الأعظم من المسلمين الذين حث سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ على اتباعهم وعدم مخالفتهم فقال : ﴿ إن أمتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم ﴾ (١) . وقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من فارق الجماعة قيد شعره فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ﴾ (٢) .

فياليت دعاة السلفية يجمعون على رأي واحد بل كل فرقة منهم تختلف عن الأخرى:

١- فدعاة السلفية بالجزيرة العربية : نجد في مساجدهم جميعا منابر ومحاريب ، ومحاريب هذه المساجد مجوفة ومنابرهم مكونة من تسع درجات لا ثلاث ، ويؤذنون للصلاة بصوت ندي ويؤذنون يوم الجمعة أذانين ، ويستمعون إلي قارئ للقرآن بعد صلاة الجمعة لا قبلها.

٢- أما دعاة السلفية بمصر : فمساجدهم بلا منائر وبلا محاريب مجوفة ، ويؤذنون

---

(١) رواه بن ماجة في كتاب الفتن الباب ٨ والبيهقي في السنن الكبري ٣٩٥٠ وابن أبي عاصم في السنة ١ /٤١ وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ٢ / ٢٠٨ .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الأدب الباب ٧٨ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ٣٣٢ والجزء الرابع صفحة ١٣٠ ، ٢٢٠ والجزء الخامس صفحة ١٦٥ ، ١٨٠ ، ٣٤٤ وأبو داود في كتاب السنة الباب ٢٧ والنسائي في كتاب قطع السارق الباب الأول وابن ماجة في كتاب الفتن الباب ٢٧ .

بصوت غير ندي ، ومنابرهم ثلاث درجات فقط ، ويؤذنون يوم الجمعة أذانا واحدا ولا يجتمعون على قارئ للقرآن لا قبل صلاة الجمعة ولا بعدها .

وقد جعل الله دعاة السلفية كذلك ، ليعلم كل مؤمن أنهم فرق من المسلمين ، وليسوا السواد الأعظم من المسلمين الذين حث النبي ﴿ ﷺ وآله﴾على اتباعهم ، ونشكر دعاة سلفية الجزيرة العربية على تساهلهم وعدم عد هذه المسائل السابق الإشارة إليها بدعة ، مخالفين بذلك امتدادهم الموجود بمصر .

مع أنهم يطلقون ألسنتهم بالتبديع على أي نوع من أنواع الخير ، ويقولون إن الذين يقسمون البدعة إلي محمودة ومذمومة يحادون الله ورسوله ، ومع هذا الاتهام الخطير ينقلون عن الإمام الشافعي أنه قال : البدعة بدعتان محمودة ومذمومة فما وافق السنة فهو محمود وما خالفها فهو مذموم ، فهل الشافعي معنى بهذه المحادة والمشاقة ؟ !

وهناك جمهور من العلماء قرروا هذا التقسيم : منهم النووي ، وابن عبد السلام والقرافي ، وابن العربي ، وخاصة – الحافظ ابن حجر فهل هؤلاء كلهم لا يفهمون كلام الله وكلام رسوله ؟؟! .

الفصل الثاني

الشفاعة

إذا كانت الشفاعة للأنبياء والأولياء حقا فكيف يكون سؤالها منهم شركا ؟!
:

ما كان حقا لا يكون سؤاله   شركاً تعجب للجهالة وازدد

الشفاعة هي طلب الدعاء :

إن طلب الشفاعة من النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وأولياء الله الصالحين ، في دار الدنيا أحياء وأمواتا ليتشفعوا في الدنيا في أمور الدنيا والآخرة ، جائز لا محظور ، لأنها من قبيل الدعاء ......

فالشفاعة : عبارة عن اجتماع الشفيع مع المشفوع له في الدعاء ، إذن الشفاعة مشتقة من الشفع وهو أن يصير الإنسان نفسه مشفعا لصاحب الحاجة- كي يجتمع معه على المسألة من الله تعالي ، فهي دعاء وطلب من الله لغفران الذنب وقضاء الحوائج ، فيجوز طلب الشفاعة إلى الله تعالى من كل مؤمن ، فضلاً عن الأولياء والأنبياء ، وفضلاً عن سيد المرسلين ؛ لأن الشفيع له قدر وجاه وحرمة عند الله يرجى بها قبول شفاعته واستجابة دعائه .

الكتاب والسنة يؤيدان شفاعة الأنبياء والأولياء :

إن الشفاعة ثابتة للأنبياء والأولياء والملائكة المقربين بنص آيات الله في كتابه ، وبنص أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه في سننه .

أولاً: — فمن آيات القرآن التى تجوز الاستشفاع بالأنبياء والأولياء والملائكة المقربين :

١– قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [(١)] .

فلو كان الاستشفاع من النبي ﴿ﷺ وآله﴾ شركاً بالله– كما يزعم القرنيون – لما وجدوا الله توابا رحيما ، لأن الله سبحانه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك . وقد عدل المولى سبحانه وتعالى في هذه الآية من الخطاب الموجه للحاضر إلى الخطاب الموجه للغائب ، فلم يقل : واستغفرت لهم ، بل قال : ((واستغفر لهم الرسول)) إجلالا للرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وأهم إذا جاءوه فقد جاءوا من خصه الله برسالته ، وأكرمه بوحيه ، وجعله سفيراً بينه وبين خلقه ، ومن كان كذلك فالله لا يرد شفاعته .

وكون الرسول سفيرا بين الله تعالى وبين العباد ، فهذه هي الواسطة التي قال بها المسلمون جميعًا ، ما عدا القرنيين .

٢– قول أولاد يعقوب لأبيهم ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾[(٢)].

وقول يعقوب عليه السلام ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ﴾[(٣)]. فإن هذا الطلب من

---

(١) سورة النساء – آية ٦٤ .

(٢) سورة يوسف – آية ٩٧.

(٣) سورة يوسف – آية ٩٨.

أولاد يعقوب يعد توسلاً بأبيهم إلى الله في الاستغفار ، وطلب العفو ونزول الرحمة في الدنيا قبل الآخرة .

٣- إن المولى سبحانه وتعالى أمر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بالاستغفار للمؤمنين في قوله تعالي: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ (١) . وقوله سبحانه : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (٢) . ومن المعلوم أن ذلك دليل على الاستشفاع بالنبي لأنه سبحانه لا يأمر بالشرك والكفر كما يتخرص بذلك القرنيون .

٤- ويجوز وقوع الشفاعة الحسنة من المؤمنين بعضهم في صور بعض ، قال تعالي : ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ (٣) . فهذه الآية تدل على الإذن بالشفاعة لسائر المؤمنين ، وأن شفاعة هؤلاء مرغب فيها لقول المولى سبحانه وتعالى : ﴿يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾.

٥- وقد ورد ثبوت الشفاعة للملائكة وأنها ليست من خواص الأنبياء والأولياء فقط، فأخبر الله تعالى بقوله : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٤) . فهذه تدل على وقوع الشفاعة للمؤمنين كما وقعت الشفاعة من النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وأولياء الله الصالحين .

ثانياً – ومن أحاديث الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ التي تجوز الاستشفاع بالأنبياء والأولياء :

(١) سورة آل عمران – آية ١٥٩.

(٢)) سورة التوبة – آية ١٠٣.

(٣) سورة النساء – آية ٨٥.

(٤) سورة غافر – آية ٧.

١- قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر ﴾ (١). رواه الترمذي وابن ماجة .

٢- قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ،ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض مسجدا وترابها طهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأعطيت الشفاعة ، وكل نبي بعث إلي قومه خاصة وبعثت إلي الناس عامة ﴾ (٢). متفق عليه .

٣- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا أول من تنشق الأرض عنه وأنا أول شافع وأول مشفع بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه ﴾ (٣) . رواه الترمذي .

٤- وقال﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر ﴾ (٤).

٥- ومن أدلة شفاعته لنا ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد انتقاله قوله : ﴿ حياتي خير لكم ومماتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم تعرض علي أعمالكم فإن وجدت خيرًا حمدت الله وإن وجدت شرًا استغفرت الله لكم ﴾ (١) .

---

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب الباب الأول وابن ماجة في كتاب الزهد الباب ٣٧ وأحمد في الجزء الخامس صفحة ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢) رواه البخاري في كتاب التيمم الباب الأول وكتاب الصلاة الباب ٥٦ ومسلم في كتاب المساجد الحديث رقم ٣ والنسائي في كتاب الغسل الباب ٢٦ والدارمي في كتاب الصلاة الباب ١١١ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٣٠١ والجزء الخامس صفحة ١٦٢ .

(٣) رواه مسلم في كتاب الفضائل الحديث رقم ٣ وأبو داود في كتاب السنة الباب ١٣ والترمذي في كتاب المناقب الباب الأول وابن ماجة في كتاب الزهد الباب ٣٧ والدارمي في كتاب المقدمة الباب ٨ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٥٤٠ والجزء الثالث صفحة ٢ .

(٤) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٧٩،١٧١ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٠/٤٨٩ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٤/٥١٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٩٠٦٤ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٢ / ٣٣٠ .

وهنا نقول : إن الشفاعة لا تزيد عن الدعاء والاستغفار ، فإذا كان صلوات الله وسلامه عليه يستغفر لنا بعد انتقاله إلي الرفيق الأعلى جاز لنا أن نطلب منه الاستغفار الذي هو الشفاعة بعينها .

٦- الحجر الأسعد شافع مشفع : وقد روى أن الحجر الأسعد شافع مشفع وفي الجامع الصغير للسيوطي (ص ٢٢٥) ما نصه : ﴿ أشهدوا هذا الحجر خيرًا فإنه يوم القيامة شافع مشفع له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه ﴾ [٢] فإشهاد الحجر الأسعد الخير ليشفع فيه معنى طلب الشفاعة منه مع أنه جماد لا يعقل ولا ينطق ، وقد أمرنا بإشهاده الخير كما أمرنا بتقبيله أو استلامه أو الإشارة إليه ، ولم يكن ذلك شركا . فظهر أن الشفاعة والدعاء من واد واحد وكذا طلبها من الغير .
وليس حتما على الله قبول الشفاعة ولا إجابة الدعاء ، وإنما ذلك من ألطفه ومننه ورأفته بعباده، فجعل لهم وسائل كثيرة إلي نيل رضاه وعفوه وخيره وبره وهذا منها ، ولا شفاعة إلا بإذنه ورضاه كما قال تعالي : ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾[٣] وقوله تعالي : ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى ﴾[٤] وغيره . .

٧- فعن صحيح مسلم عن عبد الله بن عباس عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه

---

(١) أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٩ / ١٧٦ ، ١٧٧ وابن حجر في المطالب العالية ٣٨٥٣ والسيوطي في الحاوي للفتاوي ٣/٢ وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/٢/٢ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣١٩٠٣ ، ٣١٩٠٤ ، ٣٥٤٧٠ ، وابن كثير في البداية والنهاية ٢٧٥/٥ وفي مناهل الصفا ٣ والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤/٩ .
(٢) أورده المتقي الهندي في كنز العمال ٣٤٧٣٩ والمنذري في كتاب الترغيب والترهيب ١٩٤/٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ٣ / ٢٤٢ والسيوطي في الدر المنثور ١ / ١٣٦ .
(٣) سورة البقرة آية_ ٢٥٥
(٤) سورة الأنبياء آية _٢٨

﴾ [1] وعن صحيح مسلم عن عائشة عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ ما من ميت يموت يصلي عليه أمة من الناس يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه ﴾ [2] .

وهذان الخبران يدلان على جواز الشفاعة في الدنيا من أحاد المؤمنين ، وأنها لا تختص بالآخرة ولا بالأنبياء فهل إذا أوصى رجل جماعة من إخوانه أربعين أو مائة أن يقوموا على جنازته ويشفعوا فيه أو يصلوا عليه ويشفعوا فيه يكون مشركًا دائمًا مخطئًا عند ابن عبد الوهاب وأتباعه،لأنه طلب منهم الشفاعة وخالف قوله تعالي : ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [3] كما يكون طلبها من النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ كذلك ، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم .

٨- وعن الترمذي عن أنس ، سألت النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أن يشفع لي يوم القيامة فقال (أنا فاعل) [4] قلت : فأين أطلبك ؟ قال : أولاً على الصراط ، فإن لم ألقك ؟ قال : عند الميزان ؟ قلت : فإن لم ألقك ؟ قال عند الحوض فإني لا أخطيء هذه المواضع (فهذا) أنس قد طلب الشفاعة من النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ في دار الدنيا ولم يطلبها من الله كما يريد ابن عبد الوهاب وأقره النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ على ذلك ، فهل كان أنس بذلك آثمًا ومشركاً ؟ والنبي ﴿ ﷺ وآله﴾أقره على معصيته وشركه ؟ وابن عبد الوهاب وحده موحدا ؟ أم أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ لم يسمع بقوله تعالي : ﴿لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[5] ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [6]. ولذلك لم ينه أنسا عن طلب

(١) رواه مسلم في كتاب الجنائز الحديث رقم ٥٨ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنائز الحديث رقم ٥٩ وابن ماجة في كتاب الجنائز الباب ١٩ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٢٧٨

(٣) ، (٤) سورة الجن آية_ ١٨

(٤) رواه الترمذي في كتاب القيامة الباب التاسع . .

(٥) سورة الزمر آية _٤٤ .

الشفاعة منه، أو سمعه النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ولم يفهم معناه وفهمه ابن عبـــد الوهـــاب وأتباعه ، لأنهم أعلم بكتاب الله تعالى من رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وأصحابه ؟ !!! .

٩- وفي السيرة الحلبية (ص ٨٨ ج ٢) عن ابن اسحاق في كتاب المبـــدأ أن تبعًـــا الحميري آمن بالنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قبل مولده ، وكتب كتابًا فوصل إلي الـــنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد مبعثه وفيه : وإن لم أدركك فاشفع لي يوم القيامة ولا تنسني ، وأن الـــنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ((مرحبا بتبع الأخ الصالح)) ثلاث مرات .

ولو كان هذا شركا وكفرا لوجب أن ينكره لا أن يرحب بصاحبه ويســـميه (الأخ الصالح) ولو أنكره لنقل عنه .

١٠- وقال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور ما لفظه في الحديث أن أعرابيا قال للنبي ﴿ ﷺ وآله﴾جهدت الأنفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله لنا فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله ، فسبح رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ حتى عرف ذلـــك في وجـــوه الصحابة وقال : ﴿ ويحك إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك ﴾[1] قال فأقر على قوله : ((إنا نستشفع بك على الله)) وأنكـــر عليـــه نستشفع بالله عليك لأن الشافع يسأل المشفوع إليه ، والعبـــد يسأل ربه ويستشفع إليه ، والرب تعالى لا يسأل العبد ولا يستشفع به ، فـــإقرار الـــنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ له على قوله: إنا نستشفع بك على الله دليل على جواز طلب الشفاعة مـــن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ في دار الدنيا وأنه ليس فيه شائبه منه .

تأويلات القرنيين في الشفاعة :

يزعم القرنيون أن شفاعة الأنبياء والأولياء منقطعة في الدنيا ، ثابتة لهم في الآخـــرة، وحجتهم في ذلك الزعم أنه لو جعل العبد بينه وبين الله تعالي وســـائط مـــن عبـــاده يسألهم الشفاعة ، كان ذلك شركًا وعبادة لغير الله .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب السنة الباب ١٨

ويحتج هؤلاء بفهم خاص في بعض آيات الكتاب ، يقوم على هوى جامح وطيش بين. هذه الآيات هي قوله تعالي : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾(١). وقوله تعالي : ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾(٢). وقوله تعالي :﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (٣). وقوله تعالي : ﴿لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٤) .

الرد على تأويلات القرنيين :

١- يقول القرنيون : إن الله حكم بكفر عبدة الأوثان وشركهم لأجل قولهم : ﴿هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾(٥) .

نقول : نعم إن الله حكم بكفر هؤلاء لأن منشأ كفرهم أحد أمرين :

أ- إما بغيهم وعتوهم على الله بجعل من لا أهلية له من جانب الله شفيعًا ووسيلة يتوسلون بها إلى الله .

ب- وإما عبادهم لذلك الشفيع حيث قالوا : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (٦). وأين هذا من جعل الأنبياء والأولياء شفعاء لا شركاء معه في الدعاء ؟ فالشفيع ليس شريكا مع الله في المغفرة ، إنما هو شريك مع المشفوع له في طلب المغفرة من الله .

---

(١) سورة الجن – آية ١٨.
(٢) سورة البقرة – آية ٢٥٥.
(٣) سورة الأنبياء – آية ٢٨.
(٤) سورة مريم – آية ٨٧ .
(٥) سورة يونس – آية ١٨.
(٦) سورة الزمر – آية ٣.

٢- يقول القرنينون : إذا كانت الشفاعة جائزة من الأحياء أنبياء وأولياء ، فإنها غير جائزة بالنسبة للأموات من الأنبياء والأولياء . وهذا القول مردود بما يأتي :

أ- بالنسبة للنبي ﴿ﷺ وآله﴾ فهو وسائر الأنبياء أحياء بعد الموت ، وقد روى عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه يسمع الكلام ، ويرد الجواب ، ويبلغه صلاة وتسليم من يصلي ويسلم عليه ، وأن علمه بعد انتقاله كعلمه في حياته ، وأن أعمال أمته تعرض عليه ، وأنه يستغفر لهم ، فأي مانع أن يطلب منه الاستغفار بعد انتقاله إلي الرفيق الأعلى وكذلك الدعاء بخيري الدنيا والآخرة ؟ ! .

ب- بالنسبة لغير النبي ﴿ﷺ وآله﴾ من الأولياء فقد بين الإمام أبو العزائم عليه السلام بقوله : ((إن أولياء الله ليسوا موتى بل هم أحياء عند ربهم يرزقون لأنهم ماتوا بالله ولله قبل موتة عزرائيل ، قال الله تعالى : ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ﴾(١) . فهل مثل هذا ميت ؟! ومن ظن ذلك فقد جهل ،هذا حي عند ربه يرزق،ومن زراه فاز من الله بخير ، وسمع الله دعاءه واستجاب له)) .

٣- نقول للقرنيين في تأملهم عند قوله تعالي : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾(٢).

فالمعني كما يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام : إن المساجد لله فلا تعبدوا مع الله غيره ، كما في قوله : ﴿وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾(٣). وهذا يقوله كل مخلص في عبادته ولكنه لا دخل له بمسألة الاستشفاع ، فإن الاستشفاع نظير طلبك من المقرب عند الملك أن يشارك في طلب مسألتك من الملك .

---

(١) سورة الأنعام – آية ١٢٢.

(٢) سورة الجن – آية ١٨.

(٣) سورة القصص – آية ٨٨.

٤- نقول للقرنيين في تأويلهم لقوله تعالى : ﴿لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (١) . إن مقتضى هذا القول هو ثبوت الشفاعة لمن اتخذ عند الرحمن عهدًا ، أي : إيمانا، وبذلك فالمؤمنون يملكون الشفاعة .

٥- نقول للقرنيين في تأولهم لقوله تعالى : ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (٢) . إن مقتضى هذا ثبوت الشفاعة بعد الإذن والرضا من الله تعالي ، وهذا جائز في حق الأنبياء والأولياء ولو كان شركا لما جاز الإذن والرضا بالشفاعة .

٦- يذكر القرنيون جملة الآيات التي يستدلون بها على إبطال طلب الشفاعة من غير الله مثل قوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَ يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾(٣). والرد على ذلك أن هذه الآية لا ربط لها بطلب الشفاعة ، إنما تدل على عدم قبول عذر أو توبة بعد الموت من الظالمين ، ولكن القرنيون يظنون تكثيرهم لسرد الآيات يدل على أنهم شديدوا التمسك بالقرآن .

٧- يقول القرنيون : إن المولي سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ويستدلون بذلك بقوله تعالي : ﴿يَوْمَئِذٍ لاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ (٤) فنعم هو، والله لا يرضى إلا التوحيد ، ولا تكون الشفاعة إلا لأهل التوحيد ، كما أنه لا يرضى بنسبة الشرك إلى أهل التوحيد لطلبهم الشفاعة ممن جعل الله لهم الشفاعة ، ولا ينفع الناسبين بتسمية أنفسهم بالموحدين.

أما قول القرنيين إن الشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله ، فإذا كانت حقًا فما المانع من طلبها ؟ أفيجعل الله طلب الحق باطلاً وشركًا ؟ تعالى الله عن ذلك.

---

(١) سورة مريم – آية ٨٧.
(٢) سورة الأنبياء – آية ٢٨.
(٣) سورة الروم – آية ٥٧.
(٤) سورة طه – آية ١٠٩.

فطلب الحق لا يكون إلا حقا وطلب الباطل لا يكون إلا باطلاً ، والتقيد بقول القرنيين في دار الدنيا دال على جواز طلبها في الآخرة ، كما يدل عليه حديث تشفع الناس بالأنبياء واعتزال كل منهم ، ثم تشفعهم بسيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ السابق الإشارة إليه ، فإذا كان طلبها شركا لم يجز في الدنيا ولا في الآخرة ، وهل منع الناس من الشرك في الدنيا وأبيح لهم الشرك في الآخرة ؟!.

رأي الإمام أبي العزائم عليه السلام في الشفاعة :

((اختلاف العلماء في الشفاعة لفظي ، فإن كل واحد منهم حكم بقدر ما فهم ، فمن فهم قوله تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (١) . أنكر الشفاعة لما يعلمه من عظمة الله وكبريائه وجلاله ، ومن رهبة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بقدر علمهم به ، ولكن الآية خاصة بمخصوصين لأن الله تعالى يخاطب قوماً بأعيانهم ، وهؤلاء أعداء الله وأعداء رسله عليهم السلام وهذه الآية في سياق قوله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٢) .

ومن فهم معنى قوله تعالى : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (٣) – وكلنا نعلم أن رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ يرضيه أن يرحم كل من مات على الإسلام ونعلم أن الله تعالى أخبر عن نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ بقوله :﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤) . وبقوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٥)– ومن تصور معنى تلك الآية اطمأن قلبه إلى الإيقان بشفاعة سيد المرسلين .

---

(١) سورة المدثر – آية ٤٨.
(٢) سورة المدثر – آية ٣٨.
(٣) سورة الضحى – آية ٥.
(٤) سورة التوبة – آية ١٢٨.
(٥) سورة الأنبياء – آية ١٠٧.

ومن فهم قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ (١) تحقق أن الله تعالى يقبل شفاعة الشافعين في أهل النار إذا أذن لهم بالشفاعة ، ومن يرى إنكار الشفاعة مطلقاً أخطأ .

والحجة بعد ما بيناه عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ من الأحاديث الصحيحة على شرط الشيخين أو شرط غيرهما ممن ثبتت عدالتهم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله تعالي من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً ﴾ (٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿" إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لِذُرِيَتِكَ. فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَإِنَّهُ خَلِيلُ الله،فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ تعالى فَيَأْتُونَ مُوسَى عليه السلام فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ. فَيَأْتُون عِيسَى عليه السلام فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسل فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا.فأنطلق فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي فأقوم بين يديه فأحمد بمحامد لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها الله ثم أخر لربي ساجدا فيقول: يَا مُحَمَّدُ ارْفَع رَأْسَكَ وَقُلْ

(١) سورة البقرة – آية ٢٥٥.

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد الباب ٣١ وكتاب الدعوات الباب الأول ومسلم في كتاب الإيمان الحديث ٣٣٤-٣٤٥ والترمذي في كتاب الدعوات الباب ١٣٠ وابن ماجة في كتاب الزهد الباب ٣٧ والدارمي في كتاب السير الباب ٢٨ وكتاب الرقاق الباب ٨٥ والموطأ في كتاب القرآن الحديث ٢٦ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٢٨١ ، ٢٩٥ ، والجزء الثاني صفحة ٢٧٥ ، ٣٨١ ، ٣٩٦ ، ٤٢٦ والجزء الثالث صفحة ١٣٤ ، ٢٠٨ ، ٢١٩ ، ٢٥٨ ، ٢٧٦ ، ٢٩٢ ، ٣٨٤ ، ٣٩٦ ، والجزء الخامس صفحة ١٤٥ ، ١٤٨ .

يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطه، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ،فَأَقُولُ:يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقول: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حبةِ مِنْ برة شعيرة من إيمان فأخرجه فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَرْجَعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي مِثْلَ لأُولَى فَأَقُولُ يَارَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ لِيَ:اَنْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حبة من خَرْدَلَ مِنْ إِيمَانٍ. فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لي : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطه، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال :ليس ذلك لك ، ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله» [1] .

ووردت أحاديث أخرى كثيرة في الشفاعة ، ولكننا أحببنا أن نورد الأحاديث التي تقوم بها الحجة مما ورد بصحيح البخاري ومسلم أو بصحيح غيرهم على شرطهما.

وختاماً :

فانظر –رعاك الله – بعين البصيرة والإنصاف إلى هذه الاستدلالات الواهية التي بها استحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، هل يسوغ التمسك بها والتهجم على الدماء والأموال والأعراض بمثلها ؟! .

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد الباب ١٩ ، ٢٤ ، ٣٦ وكتاب الرقاق الباب ٥١ وكتاب الأنبياء الباب الثالث وكتاب تفسير القرآن (سورة البقرة) الباب الأول و(سورة الإسراء) الباب الخامس ومسلم في كتاب الإيمان الحديث رقم ٣٢٢ ، ٣٢٧ والترمذي في كتاب تفسير القرآن (سورة الإسراء) الباب ١٩ وكتاب القيامة الباب ١٥ وابن ماجة في كتاب الزهد الباب ٣٧ والدرامي في كتاب المقدمة الباب ٨ واحمد في الجزء الأول صفحة ٥ ، ٢٨٢ ، ٢٩٦ والجزء الثاني صفحة ٤٣٦ والجزء الثالث صفحة ١١٦ ، ١٤٤ ، ١٧٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ .

وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من العلماء المسلمين وأجمع عليه السلف الصالح من الأصحاب والتابعين والأئمة الأربعة وأتباعهم .

فياليت شعرى! من هوالذي قال وأفتى من علماء المسلمين- سوي مثلث الكفريات ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب - بأن طلب الشفاعة من سيدنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ كفر وشرك ؟! .

ومتي اجمع على ذلك علماء المسلمين ؟ وفي أي عصر من العصور وقع ذلك ؟ وفي أي كتاب وجدوه منقولا ؟ وهل أحد أتى بمثل هذه المسائل قبل الخارجي ابن عبد الوهاب أو الخارجي ابن القيم والخارجي ابن تيمية ؟ حتي يدعي هؤلاء الإجماع أو عدم الخلاف ؟ ومن هو الذي أفتى بها من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أو التابعين ؟! .

ومن الذي أفتي بها من الأئمة الأربعة ؟! وأين موضعها من كتب الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة غير الوهابية والجوزية والتيمية ليدلوا على مكانها إن كانوا صادقين؟!.

وكيف خالف أتباع الأئمة الأربعة أئمتهم فيها واتبعهم التيميون والوهابيون خاصة ؟! فدعواهم فيها افتراء منهم على علماء المسلمين وعلى صحابة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ والتابعين ، وعلى الأئمة الأربعة وأتباعهم .

بل إن الإجماع حاصل من الأنبياء والمرسلين ومن الصحابة والتابعين على خلاف ما يقوله مثلث الكفريات ، فقد تشفع وتوسل آدم عليه السلام برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ قبل خلقه ، وتشفع وتوسل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بمن قبله من الأنبياء ، وتشفع الأصحاب بالنبي ﴿ﷺ وآله﴾ وبفتح كوة بين روضته الشريفه وبين السماء، وتشفع عمر بالعباس .

الفصل الثالث

النظـــرة والمـــدد

حكم النداء بطلب النظرة والمدد لا يزيد عن دعاء وسؤال نجدة للمستنجد :

طلـــب الحـــوائج لـــيس شـــركًا إنمـــا تلـــك الشـــفاعة فاتَّخِـــذْها تســـعد

هـــذا الـــتحكم لا تحكـــم مثلـــه هـــذا مقـــال الجاحـــد المتعنـــد

الأنبياء والأولياء أحياء في قبورهم :

يقول القرنيون : إنه لا يجوز التوسل بالموتى ممن تثبتت مكانتهم عند الله ورفع الحوائج إليهم ، محتجين تارة بقول البدعي النجدي ابن عبد الوهاب . . بأن التوسل بـــالموتى من الأنبياء والأولياء إنما هو خطاب لمعدوم لعدم قدرة الميت على الإجابة [راجـــع الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية لابن عبد الوهاب وكذلك كشف الشـــبهات ص ٦٢] . وتارة بقول الخارجي الأزراقي ابن تيمية الذي يزعم فيه بـــأن التوســـل بالموتى من الأنبياء والأولياء شرك [راجع رسالة الواسطة الباب الثاني ورسالة زيارة القبور ص ١٥٢ لابن تيمية] . ولكنا نقول بجواز سؤال النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وأولياء الله الصالحين لقضاء الحوائج وتفريج الكرب بعد انتقالهم إلى الرفيق الأعلى ، كمـــا يجوز ذلك في حال حياهم ، لعدم كون ذلك من خطاب المعدوم كما يتخرص ابـــن عبد الوهاب ، ولا يكون شركا كما يزعم ابن تيمية .

أدلة حياة الأنبياء والأولياء في قبورهم :

الملحدون هم الذين يظنون أن الموت هو العدم وهذا يعارض معنى ما يقال : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا . فقول ابن تيمية وابن عبد الوهاب مردود بالإجماع السابق عليهم واللاحق لهم بأن الموت ليس من العدم للأدلة الآتية :

أولاً : من الكتاب :

(أ) ما نزل في حق الشهداء من قوله تعالى : ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ ﴾(١) وقوله تعالى : ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِنْدَ رَبِّهِمِ يُرْزَقُونَ﴾(٢). وما نزل في حق المؤمنين من قوله تعالى : ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾(٣). وقوله تعالي : ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾(٤).وقوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ (٥).

ومنها ما اشتمل على خطاب الله تعالي للمؤمنين في قوله تعالى : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (٦) فلو كانت النفوس البشرية بعد مفارقة الأرواح عن الأبدان معدمة لا يجوز الخطاب معها !! فكيف وقع الخطاب لهم من الله تعالى؟ . ومن ذلك قول المؤمن لقومه في سورة يس : ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾(٧) .

---

(١) سورة البقرة – آية ١٥٤.
(٢) سورة آل عمران – آية ١٦٩.
(٣) سورة مريم – آية ٦٢.
(٤) سورة الانفطار – آية ١٣.
(٥) سورة إبراهيم – آية ٢٧.
(٦) سورة الفجر – آية ٢٧-٢٨.
(٧) سورة يس – آية ٢٦-٢٧.

(ب) ما نزل في حق عامة الناس من قوله تعالى : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [(١)]. وقوله سبحانه : ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[(٢)] .

(ج) ما نزل في حق العصاة من خطابهم لله تعالى بقولهم : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [(٣)]. أو ما نزل في حق الكفار من قوله تعالى : ﴿ٱلنَّارُ يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [(٤)] . وقوله سبحانه : ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾[(٥)] .

ففي البخاري : أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أتى قليب بدر وخاطب المشركين بهذه الآية السابقة فقال له الصحابة : إنك تدعو أمواتاً ، فقال : ﴿ ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون ﴾ [(٦)] .

ثانيا : من السنة :

(أ) حسبك في ذلك أبواب الصحاح والسنن فمن ذلك باب : إن الميت يسمع فق النعال وباب : إن الميت يتكلم في القبر ، وباب : إن الميت يرى مكانه من الجنة

(١) سورة ق – آية ٢٢.
(٢) سورة الإسراء – آية ١٤.
(٣) سورة المؤمنون – آية ٩٩-١٠٠.
(٤) سورة غافر – آية ٤٦.
(٥) سورة الأعراف – آية ٤٤.
(٦) رواه أحمد في الجزء الثالث صفحة ٢٨٧ والسيوطي في الدر المنثور ١٥٧/٥ ، ٢٤٩ وابن كثير في تفسيره ٤١٣/٣ ، ٣٣٠/٦ والقرطبي في تفسيرة ٧ / ٢٤٢ ، ٣٧٧ ، ١٣ / ٢٣٢ .

والنار ، وباب كيفية السلام على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾وعلى سائر المـؤمنين إذا أتـى الرجل المقابر .

(ب) ما في صحيح البخاري في باب كيفية فرض الصـلاة وملاقـاة الـنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ليلة الإسراء بالأنبياء من آدم وإدريس وموسي وعيسي وإبراهيم ، وتكلمـه معهم سلام الله عليهم من حديث ابن حزم وأنس بن مالك .

(ج) وفي سنن النسائي وإحياء العلوم قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ أكثـروا علـي مـن الصلاة فإن صلاتكم معروضه علي ، قالوا : يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا وقد أرمت ؟ ! قال إن الله تعالى قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، فـنبي الله حي يرزق ﴾ (1) .

فإذا كان الأنبياء والشهداء والأولياء أحياء يرزقون ويشهدون الصلاة ممـن يصـلي ويسلم عليهم من قريب أو بعيد فكيف لا يشهدون نداء من يناديهم واستغاثة مـن يستغيث بهم ؟! .

فقد روى البيهقي وابن أبي شبيه بإسناد صحيح : أن الناس أصابهم قحط في خلافـة عمر رضي الله عنه ، فجاء بلال بن الحرث رضي الله عنه إلي روضـة الـنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وقال : ((يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم هلكوا ؟ فأتاه رسـول الله﴿ ﷺ وآله﴾ في المنام وأخبره أنهم يسقون)) .

واستدلا لنا هذا ليس بالرؤيا للنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فإن رؤياه وإن كانت حقاً لا تثبـت بها الأحكام لإمكان اشتباه الكلام على الرائي ، وإنما الاستدلال بفعل أحد أصـحابه ﴿ ﷺ وآله﴾ في اليقظة وهو بلال بن الحرث فإنه أتى روضة الـنبي ﴿ ﷺ وآلـه﴾ وناداه وطلب منه أن يستسقي لأمته .

---

(1) رواه بن ماجة في كتاب الإقامة الباب ٧٩ وأبو داود في كتاب الصلاة الباب ٢٠١ وكتاب الوتر الباب ٢٦ والنسائي في كتاب الجمعة الباب الخامس والدارمي في كتاب الصلاة الباب ٢٠٦ وأحمد في الجزء الرابع صفحة ٨.

ولا فرق في التوسل بالأنبياء وغيرهم من الأولياء بين كونهم أحياء أو أمواتا ، لأنهم في كلتي الحالتين لا يخلقون شيئًا وليس لهم تأثير في شيء ، وإنما الخلق والإيجاد والتأثير لله وحده لا شريك له في كل ذلك .

أما نحن الصوفية فنقول : إن الله هو الخالق لكل شئ مصداقًا لقوله تعالي : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [(١)] . فالقرنيون الذين يتظاهرون بالدفاع عن التوحيد وجواز التوسل بالأحياء دون الأموات ، وقد دخل الشرك في توحيدهم من حيث لا يدرون لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء مع أنه

لا تأثير في الحقيقة إلا لله تعالى .

والتوسل والتشفع والاستغاثة بمآل واحد فإنما المقصود منها التبرك بذكر أحباء الله الذين قد يرحم الله العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا ، فالموجد الحقيقي هو الله تعالي ، وإنما هؤلاء أسباب عاديه لا تأثير لهم في ذلك .

النداء بطلب المدد والنظرة :

إن الدعاء والاستغاثة بغير الله تعالي يكون على وجوه ثلاثة :

(أ) أن يهتف باسمه مجردًا مثل أن يقول (يا حسين أدركني) ، (يا بدوي مدد) ، (يا رفاعي نظرة) ، (يا فلان أغثني) ونحو ذلك .

(ب) أن يقول : يا حسين . . . إلخ (كن شفيعي إلي الله في قضاء حاجتي) ، أو (ادع الله أن يقضيها) أو ما شابه ذلك .

(ج) أن يقول : يا حسين . . . إلخ (اقض ديني) أو (اشف مريضي) أو (انصرني على عدوي) وغير ذلك .

فليس في شيء من هذه الوجوه الثلاثة مانع ولا محذور فضلاً عما يوجب الإشراك والتكفير ، لأن المقصود منها طلب الشفاعة وسؤال الدعاء سواء صرح بذلك كما

---

(١) سورة الصافات – آية ٩٦.

في الوجه الثاني أو لا كما في الوجهين الباقيين للعلم بحال المسلم الموحد المعتقد أن من عبد الله تعالي لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا ، فبسبب ذلك نعلم أنه لم يقصد سوى طلب الشفاعة والدعاء ، ولو فرض أننا جهلنا قصده لوجب حمله على ذلك سواء صدر من عارف أو عامي لوجوب حمل أفعال المسلمين وأقوالهم على الصحة مهما أمكن حتى يعلم الفساد ، وعدم جواز تكفير المقر بالشهادتين إلا بما يوجب كفره على اليقين ، وعدم جواز التهجم على الدماء والأموال والأعراض بغير اليقين.

إن قول المسلمين : (يا حسين أدركني) ، (ويا بدوي مدد) ، (ويا رفاعي نظرة) يحمل على المجاز العقلي كما يحمل عليه قول القائل : (هذا الطعام أشبعني) ، (وهذا الماء أرواني) ، (وهذا الدواء شفاني) . فإن الطعام لا يشبع ، والماء لا يروي ، والدواء لا يشفي ، بل المشبع والمروي والشافي الحقيقي هو الله تعالى وحده ، وإنما تلك أسباب عادية ينسب لها الفعل لما يرى من حصوله بعدها في الظاهر وهو المسمى عند علماء البيان بالمجاز العقلي ، وهو إسناد الفعل إلي غير ما هو له ، من سبب أو غيره ، والقرينة عليه هنا ظاهر حال المسلم ، فإن كون المنادي مسلمًا ويعتقد ويقر بأن من عدا الله تعالي لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا إلا بأقدار الله تعالي يكفي قرينة على ذلك .

ولهذا ذكر علماء البيان أن مثل (أنبت الربيع البقل) إذا صدر من الماركسي كان حقيقة ، وإذا صدر من المسلم كان مجازًا عقليًا [راجع وفاء الوفا بأخبار المصطفى لعالم المدينة السمهودي الشافعي ص ٤٢١ ج٢] كإسناد الرزق إلى غير الله تعالى في قوله : ﴿فَارْزُقُوهُم مِنْهُ﴾(١). وقوله : ﴿وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ﴾ (٢) . والإغناء لا يقدر عليه إلا الله فكيف نسبه إلى الرسول وجعله شريكا لله في ذلك وهل هو إلا كالرزق الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى ؟

---

(١) سورة النساء – آية ٨.

(٢) سورة التوبة – آية ٧٤.

وهم قد جعلوا قول : (يا حسين ارزقني) شركا وكفرا ، وقد نسب الله تعالى إلى عيسى عليه السلام الخلق وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى بقوله حكاية عنه : ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِيءُ ٱلأَكْمَهَ ٱلأَبْرَصَ وَأُحْيِي ٱلْمَوْتَى بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(١) فكيف جاء نسبة ذلك إليه ولم يكن كفرًا ولا شركًا ولم يجز نسبة شفاء المريض وقضاء الدين والرزق ونحو ذلك إلى النبي أو الولي بإذن الله ؟! .

فإن كان المانع أنه لا يقدر عليه إلا الله فالكل كذلك ، وإن كان عدم القدرة بعد الموت فهي حاصلة بما دل على حياة الأنبياء بل وغيرهم في عالم البرزخ .

ومعظم الأمة أجمعوا على جواز التوسل بطلب المدد والنظرة والعون من النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ومن غيره من الصحابة والصالحين .

وأنه وإن جاز القرنيون التوسل بالحي فقط وسؤاله قضاء الحوائج بواسطة دعائه من الله تعالى ، جاز كذلك التوسل بالميت وسؤاله قضاء الحوائج بواسطة دعائه من الله تعالى . إذ لا وجه لتوهم كونه مشركاً إلا كونه دعاء لغير الله تعالى ، فإذا جاز بالمسبة للأحياء جاز مطلقاً لسببين :

(أ) لكونه من التعاون المأمور به شرعًا في قوله تعالي : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (٢) ففي البخاري قال النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ فكوا العاني وأجيبوا الداعي ﴾ (٣) .

ولم يقل ﴿ ﷺ وآله﴾ ارفضوه لأنه شرك !! .

---

(١) سورة آل عمران – آية ٤٩.

(٢) سورة المائدة – آية ٢.

(٣) رواه البخاري في كتاب الأحكام الباب ٢٣ وكتاب الجهاد الباب ١٧١ وكتاب النكاح الباب ٧١ وكتاب الأطعمة الباب الأول وكتاب المرضى الباب ٤ والدارمي في كتاب السير الباب ٢٦ وأحمد في الجزء الرابع صفحة ٣٩٤ ، ٤٠٦ .

(ب) لوقوع نداء المخلوق والدعاء له والالتماس منه في الكتاب لقوله سبحانه : ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ (1).وقال سبحانه حكاية عن يوسف:﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾(2) فلو جاز ليوسف أن يقول للكافر : ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ أعني الملك ، جاز لنا بطريق أولى أن نقف أمام روضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ونقول له : اذكرني يا رسول الله عند ربك ، ونطلب منه الحاجة ولو بواسطة دعائه لله .

وقد صدر من كثير من الصحابة والعلماء والسلف الصالح والخلف جواز التوسل بالأنبياء والأولياء سواء كانوا أحياء أو أمواتا ، ومن ثم فلا تجتمع كل هذه الأمة أو أكثرها على ضلالة بعد قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ لا تجتمع أمتي على ضلالة ﴾ (3) وقوله تعالي : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (4) .

أدلة جواز طلب المدد والنظرة :

١– ما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ذكر في قصة هاجر أم إسماعيل عليه السلام أنها لما أدركها وولدها العطش جعلت تسعى في طلب الماء فسمعت صوتًا ولا ترى شخصًا فقالت : أغث إن كان عندك غوث . فلو كانت الاستغاثة بغير الله شركًا لما طلبت الغوث ، ولما ذكر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ذلك لأصحابه ولم ينكره ولما نقلته الصحابة بعده وذكره المحدثون .

(١) سورة القصص – آية ١٥.
(٢) سورة يوسف – آية ٤٢.
(٣) رواه ابن ماجة في كتاب الفتن الباب الثامن.
(٤) سورة آل عمران – آية ١١٠ .

٢- ما رواه البخاري في حديث الشفاعة أن الخلق بينما هم في هول القيامة استغاثوا بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى وكلهم يعتــذرون ويقــول عيســى : اذهبــوا إلى محمد ، فيأتون إليه

﴿ ﷺ وآله﴾ فيقول : ﴿ أنا لها ﴾ [1] الحديث . فلو كانت الاستغاثة بالمخلوق ممنوعة لما ذكرها النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ لأصحابه رضي الله عنهم .

ولو قال القرنيون : إن هذا يكون يوم القيامة حيث يكون النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قدرة ، فإنا نرد عليهم : إن الأنبياء والأولياء في حياتهم الدنيوية لا قــدرة لهــم إلا بنــوع التسبب وكذلك بعد الموت على أنهم أحياء في قبورهم يرزقون .

٣- ما رواه الطبراني وزيد بن عقبة بن غدوان عن النبي ﴿ ﷺ وآلــه﴾قال : ﴿ إذا ضل أحدكم شيئًا أو أراد عونا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل : يا عباد الله أعينوني فإن لله عبادًا لا يراهم ﴾ [2] .

يقول القرنيون : إن المقصود بعباد الله هم الملائكة أو مسلموا الجن أو رجال الغيب ، وهؤلاء على حد زعمهم أحياء ، ومن ثم فلا يستدل بهذا الحديث علــى الاســتغاثه بالأموات والرد على ذلك ينحصر في النقاط الآتية :

(أ) لا صراحة في الحديث المذكور بأن المقصود بعباد الله هم من ذكرهم القرنيون لا غير ، بل إن النص عام غير مقيد بفئة من عباد الله دون فئة .

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد الباب ١٩ ، ٢٤ ، ٣٦ وكتاب الرقاق الباب ٥١ وكتاب الأنبياء الباب الثالث وكتاب تفسير القرآن (سورة البقرة) الباب الأول و(سورة الإسراء) الباب الخامس ومسلم في كتاب الإيمان الحديث رقم ٣٢٢ ، ٣٢٧ والترمذي في كتاب تفسير القرآن (سورة الإسراء) الباب ١٩ وكتاب القيامة الباب ١٥ وابن ماجة في كتاب الزهد الباب ٣٧ والدارمي في كتاب المقدمة الباب ٨ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٥ ، ٢٨٢ ، ٢٩٦ والجزء الثاني صفحة ٤٣٦ والجزء الثالث صفحة ١١٦ ، ١٤٤ ، ١٧٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ .

(٢) أورده المتقي الهندي في كنز العمال ١٧٤٩٨.

(ب) إن هذا الحديث يفيد نداء الغائب غير المرئي الذي لم يجوزه القرنيون كنداء الميت تماما بتمام .

٤- روى الحاكم في صحيحه وأبو عوانه والبزار بسند صحيح عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه قال : ﴿ إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا ﴾ [١] وقد ذكر هذا الحديث ابن تيمية في كتابه (الكلم الطيب) والنووي في الأذكار والجذري في الحصن الحصين وغيرهم ممن لا يحصى من المحدثين .

٥- ونقل عن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال : سمعت أبي يقول : حججت خمس حجج ،

فضللت في إحداهن عن الطريق وكنت ماشيًا فجعلت أقول : يا عباد الله دلونا على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق .

وهنا نقول للقرنين الذين يدعون الانتساب للإمام ابن حنبل كيف جاز به أن يطلب الدلالة على الطريق من غير الله وهو غائب من غير أن يراه ؟! .

شبهات القرنيين حول النداء بالمدد أو النظرة :

الشبهة الأولي :

يقول القرنيون في تكفير من طلب المدد أو النظرة من نبي أو ولي قد انتقل إلي الرفيق الأعلى : إن الذين ينادون نبيًا أو وليًا مستغيثين به ، قد يكون نداؤهم في أماكن متعددة في زمان واحد يكون عددهم كثيرًا جدًا مما يبلغ مئات الألوف ، وهم يعتقدون أن المستغاث به يحضر حين ندائه في ذلك الآن ، وهذا بصرف النظر عن كونه كفرًا أو شركًا لما فيه من جعل ذلك المنادي موصوفًا بما هو من صفات الرب

---

(١) أورده النووي في الأذكار النووية ٢٠١.

عزّ وجل الذي لا يحده زمان أو مكان ، ممتنع عقلاً ، فمن البديهي أن الجسم الواحد لا يكون في زمان واحد موجودًا في أماكن متعددة .

الرد على هذه الشبهة :

إن من نادى غير الله تعالي بقوله : يا رسول الله أدركني ، أو يا حسين أغثني ، أو يا رفاعي مدد ، أو يا بدوي نظرة ، من هذا القبيل فلا يخلو حاله من أمرين :

(أ) إن اعتقد أن من ناداه يحضر بنفسه حين ندائه أو يسمع نداءه ، ويقضي بنفسه له حاجته ، وينجيه من الورطة التي ناداه من أجلها فهذا باطل على حد رأينا ، لأن من اعتقد أن أحدًا غير الله تعالى يقضي الحاجة وينجي من الورطة فقد كفر سواء نادي ذلك لأحد أو لم يناده ، فلا وجه لتخصص كفر بحالة النداء ، ولا يوجد في المسلمين أحد يعتقد هذا المعتقد .

(ب) إن الذي يعتقد أن قضاء الحوائج والنجاة من المهالك إنما هو من اختصاص المولى سبحانه وتعالي لا غيره ، لا يجوز أن يكون كافرًا بمجرد نداء غائب معتقدًا أن الذي يناديه يسمع نداءه بإسماع الله إياه بمحض قدرته ، وأن الله تعالى لا غيره يقضي حاجته ببركة ذلك المنادي وأن الله تعالى ينجيه من الورطة التي هو فيها بجاه ذلك النبي أو الولي .

فليس من معتقد المسلمين حضور المنادي بشخصه حين ندائه في الأماكن المتعددة ، فإن ذلك المعتقد كفر ، وذلك الحضور الحال محال ، وإنما المعتقد حضور البركة بخلق الله إياه في تلك الأماكن المتعددة لطفًا من الله ورحمة بالمستغيث لكرامة المستغاث به ، وليس في ذلك محال ، فإن رحمة الله تعالى واسعة ليس لها حد .

الشبهة الثانية :

يقول ابن تيمية تعليلاً لمنع رفع الحوائج إلى قبور الأنبياء والأولياء : إن الله تعالى نهى عن ذلك في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (١) .

الرد على هذه الشبهة :

اتفق المفسرون أن هذه الآية واردة بخصوص الكفار والمشركين العاكفين على أصنامهم ، بزعمهم أن البدائع السماوية مفوضة إلى الكواكب التي على صورها تلك الأصنام حسب تخيلهم ، فأبطل الله دعواهم بأن تلك الأصنام جماد ليس من شأنها السماع ، ولا تتمكن من إجابة الدعوة فكيف تتمكن من الأفاعيل الخارقة للعادة ؟!.

ثم إنه سبحانه حكم بشركهم لاتخاذهم تلك الأصنام شريكًا لله في الخلق وتدبير العالم ، وجوزوا عبادتها خلافًا لله تعالى فيما نهاهم عنه على لسان أنبيائه بقوله تعالى : ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً﴾ (٢) وقوله سبحانه : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ (٣) وأن هذا مما لا يعتقده مسلم في الأنبياء والأولياء من القدرة على الخلق والتدبير كما لا يعتقد مسلم عبادتهم ، ولم يقف المسلمون أمامهم إلا بغرض الاستشفاع الذي نطق به الكتاب والسنة كما بينا آنفا .

من كل ما تقدم يتضح لنا أن الأنبياء والأولياء قادرون ومتمكنون من إجابة دعوة المضطر بعد مماتهم ، كحال حياتهم ، فلا يكون طلب المدد والنظرة منهم لغوًا وعبثًا كما لا يكون شركًا .

---

(١) سورة فاطر – آية ١٣-١٤.

(٢) سورة البقرة – آية ٢٢.

(٣) سورة الصافات – آية ٩٥.

الفصل الرابع

التوسل

السفهاء – لا الفقهاء- هم الذين يمنعون التوسل بالأنبياء والأولياء لأن تدينهم ممسوخ مطبوخ :

قالوا : التوسل بالعباد محرم ... كذبوا وقد ضلوا سبيل المهتدي
هذا الكتاب كتاب ربك ناطق ... إن التوسل من نجاح المقصد
لو أنهم جاءوك إذ ظلموا كفت ... عن كل نص أو حديث مسند
فازوا بمغفرة الإله هم وما ... ردوا وأنت لدى الدعا لم تردد
أبدًا إلى الله الوسيلة فابتغوا ... في الذكر جاءت حجة لم تردد

معني الوسيلة لغة :

الوسيلة لغة كل ما يتقرب به إلى الغير ، توسل إلى الله تعالى توسلا : عمل عملا تقرب به إليه ، فتحقق منه أن التوسل لا يسمى عبادة قطعًا ، ولا يقال فيه عبادة إنما هو وسيلة إليها . . . .

التوسل لا تقرب فيه للمتوسل به ، ولا تعظيمه غاية التعظيم حتى يكون عبادة ، وقد درج الناس من قديم الزمان إلي تحية الرؤساء والملوك وتعظيمهم ، فلا يعد ذلك قربة ولا يطلق عليه اسم العبادة ، وإنما يرى ذلك من باب الأدب ، وما ذلك إلا لكون ذلك الخضوع لم يبلغ نهايته ، والتعظيم الناشيء عنه لم يبلغ غايته .

التوسل بالأنبياء والأولياء :

يجوز ويحسن التوسل بالأنبياء والأولياء ، وهو من الأمور المعلومة لكل ذي دين ، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالح ، والعلماء من المسلمين . ولم ينكر أحد ذلك حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء

وابتدع فيه ما لم يسبق إليه . وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل لم يقله عالم قبله ، ولا سار به بين أهل الإسلام مثله .

أدلة جواز التوسل من القرآن :

١- قوله تعالي : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (١) والوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى ، والقرنيون جعلوا الوسيلة خاصة بالأفعال ، ولكن ظاهر الآية تخصيصها بالذوات ، فإن الله تعالى قال في هذه الآية ﴿ اتَّقُواْ اللّـهَ ....﴾ والتقوى عبارة عن فعل المأمور به وترك المنهي عنه . فإذا فسرنا الوسيلة بالأعمال كان الأمر بابتغاء الوسيلة تأكيدًا للأمر بالتقوى بخلاف ما إذا أريد بها الذوات ، فإن الأمر حينئذ يكون تأسيسًا وهو خير من التأكيد ، ويؤيد ذلك أن واو العطف في ﴿وَابْتَغُواْ ﴾ تفيد المغايرة عما سبقها من قوله : ﴿ اتَّقُواْ اللّهَ . . . .﴾ .

٢- قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾(٢) قال ابن عباس : هم عيسى وأمه وعزير والملائكة . وتفسير الآية : أن الكفار يعبدون الأنبياء والملائكة على أنهم أربابهم ، فيقول الله لهم : أولئك الذين تعبدونهم هم يتوسلون إلى الله بمن هو أقرب ، فكيف تجعلونهم أربابا؟ ! وهم عبيد مفتقرون إلى ربهم متوسلون إليه بمن هو أعلى مقامًا منهم .

٣- قوله تعالي : ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ (٣) فنسب الله تعالى الاستغاثة إلي غيره من المخلوق وكفى به دليلاً على جوازها . فإن قال السفهاء من القرنين إن المستغاث به في هذه الآية حي وله قدرة وإنما كلامنا في الميت .

---

(١) سورة المائدة – آية ٣٥.

(٢) سورة الإسراء – آية ٥٧.

(٣) سورة القصص – آية ١٥.

نرد عليهم بأن نسبة القدرة إليه إن كانت استقلالا فهي كفر ، وإن كانت بقدرته تعالى على أن يكون هو السبب والوسيلة ليس إلا ، فلا فرق بين الحي والميت .

٤- قوله تعالى : ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (١) وقد اتفق المفسرون على أنها نزلت في يهود خيبر .

قال ابن عباس : كان يهود خيبر يقاتلون غطفان كلما التقوا هزمت غطفان اليهود فعاذت اليهود بهذا الدعاء : اللهم إنا نسألك بحق هذا النبي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم . . فصاروا بعد إذا التقوا دعوا به فيهزمون غطفان .فلما بعث الله تعالى محمدًا ﴿ ﷺ وآله﴾ كفروا به ، فأنزل الله تعالى الآية السابقة ، فليتدبر السفهاء من أهل القرنيين هذه المكانة له ﴿ ﷺ وآله﴾عند ربه ، كيف كان يستجيب لمن هو كافر به ؟! ويعلم تعالى أنه سيكون من أشد الناس عداوة له وإيذاء ، وكان ذلك قبل بروزه ﴿ ﷺ وآله﴾ إلى الوجود . فكيف وقد بعث رحمة للعالمين ؟! فمن منع التوسل به من أهل القرنيين فقد أعلم الناس كافة أنه أسوأ حالاً من اليهود .

٥- قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٢) فقد طلب نبي الله سليمان من الملأ وهم الجن والإنس وهو طلب المخلوق الذي لا يقدر عليه إلا الله ، إلا إذا كان في مقام الكرامة للأولياء ، فأتى به الذي عنده علم من الكتاب . . ولم يعتب المولى سبحانه وتعالى على سليمان ، ولم يقل له لم دعوت غيري وأنا أقرب إليك من حبل الوريد ، وعبيدي غير قادرين على هذا الأمر الذي لا يقدر عليه غيري ؟ .

---

(١) سورة البقر – آية ٨٩.

(٢) سورة النمل – آية ٣٨.

وذلك لأن نبي الله سليمان يعلم أن ذلك من التماس الأسباب والكرامة ، والفاعل الحقيقي في ذلك هو الله تعالى ، فكرامات الأولياء داخلة في معجزات الأنبياء ، لأنها بواسطتهم تكون للأولياء بسبب متابعتهم للأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

٦- قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (١) فقد علق تعالى قبول استغفارهم باستغفاره عليه الصلاة والسلام ، واستغفاره ﴿ ﷺ وآله﴾ لأمته لا يتقيد بحال حياته .

أدلة جواز التوسل من السنة :

١- روى الحاكم أبو عبد الله عن البيع في المستدرك على الصحيحين أو أحدهما وساق إسناده إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ لما اقترف آدم عليه السلام الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال الله تعالي : يا آدم وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه ؟ قال : يارب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله ألا الله محمد رسول الله ، فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله تعالى : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلى وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك ﴾ (٢) رواه البيهقي أيضًا في دلائل النبوة، وقال تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وذكره الطبراني وزاد فيه ﴿ وهو آخر الأنبياء من ذريتك ﴾ .

٢-وما رواه البخاري في صحيحه في حديث ابن عباس أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴿ ذكر قصة هاجر أم إسماعيل عليه السلام أنها لما أدركها وولدها العطش جعلت تسعى

---

(١) سورة النساء – آية ٦٤.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٦١٥/٢ والبيهقي في دلائل النبوة ٤٨٩/٥ وفي الإتحافات السنية ٢٥٦ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٢١٣٨ وابن كثير في البداية والنهاية ٨١/١ ، ٢ / ٣٢٢ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١٤٧/٢ .

في طلب الماء فسمعت صوتًا ولا يرى شخصًا فقالت : أغث إن كان عندك غوث ﴾ فلو كانت الاستغاثة بغير الله شركا لما طلبت الغوث .

٣- ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ حكى عن الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة ، فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز ، أو كان شركًا لم تحصل الإجابة من الله لهم ولما سكت النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم .

٤- روى أبو عيسى الترمذي في جامعه في كتاب الدعوات وساق إسناده إلى عثمان بن حنيف رضي الله تعالى عنه : أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال : ﴿ أدع الله أن يعافني قال : إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك ، قال فادعه . قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلي ربي في حاجتي لتقضي لي ، اللهم شفعه في ﴾ (١) .

قال المحقق أبو الحسن السبكي : روا النسائي في اليوم والليلة ، وابن ماجة في الصلاة وفي دلائل النبوة للحافظ أبي بكر البيهقي ، قال هذا وزاد عليه محمد بن يونس في روايته ﴿ فقام وأبصر﴾.

٥- ما رواه الطبراني عن زيد بن عقبة عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ إذا ضل أحدكم شيئًا أو أراد عونًا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل : يا عباد الله أعينوني ، فإن لله عبادًا لا يراهم ﴾ (٢) .

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٨).

(٢) أورده المتقي الهندي في كنز العمال ١٧٤٩٨.

وقد روى بطرق شتى فقد رواه الحاكم في صحيحه وأبو عوانه والبزار بسند صحيح عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال : ﴿ إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا ﴾ (١) .

وقد ذكر هذا الحديث ابن تيمية في كتابه (الكلم الطيب) والنووي في الأذكار والجزيري في الحصن الحصين .

٦- ما ذكر في صحيح البخاري عن رواية أنس بن مالك رضي الله عنه عن استسقاء عمر ابن الخطاب في زمن خلافته بالعباس عم النبي لما اشتد القحط عام الرمادة (٢) ، وإنما خص عمر العباس من بين الصحابة لإظهار شرف أهل البيت ولبيان جواز التوسل بالمفضول من أهل البيت مع وجود الفاضل ، فإن سيدنا عليا عليه السلام كان موجودًا وهو أفضل من العباس .

٧- روى الطبراني في المعجم الكبير ، وساق إسناده إلى عثمان بن حنيف رضي الله عنه : أنه رأى رجلا يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له ، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته ، فلقى ابن حنيف فشكى ذلك إليه ، فقال له ابن حنيف : ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيقضي حاجتي ، وتذكر حاجتك)) (٣) .

---

(١) أورده النووي في الأذكار النووية ٢٠١ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الاستسقاء الباب الثالث وكتاب فضائل أصحاب النبي الباب ١١ .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٨/٩ والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٩/٢ والبيهقي في دلائل النبوة ١٦٧/٦ ، ١٦٨ وأحمد في الجزء الرابع صفحة ١٣٨ والحاكم في المستدرك ٣١٣/١ ، ٥١٩ ، ٥٢٦ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٢ /٩٨ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٦٤٠، ١٦٨١٦ والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٤٩٥ والسيوطي في جمع الجوامع ٩٨٥٢ والنووي في الأذكار النووية ١٦٧ والترمذي ٣٥٧٨ وابن ماجة ١٣٨٥

فانطلق الرجل فصنع ما قاله له ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاءه البواب فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه وقضي حاجته . وخرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له : جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في ، فقال عثمان بن حنيف : والله ما كلمته ولكني شهدت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وقد جاءه رجل فشكى إليه ذهاب بصره ، فقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير ، فقال : فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلي ربي في حاجتي لتقضي ، اللهم شفعه في فعاد وقد أبصر ﴾ وفي رواية قال ابن حنيف:﴿ فو الله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضرقط ﴾ ففي هذا الحديث التوسل والنداء أيضًا ، وخرج هذا الحديث الصحيح البخاري في تاريخه والترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني وابن ماجة والحاكم وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير والصغير.

٨- ما رواه ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من خرج من بيته إلي الصلاة فقال : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسالك بحق ممشاي هذا إليك فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك ﴾ [(١)] فقد توسل

وابن السني في عمل اليوم والليلة والمنذري في الترغيب والترهيب ٤٧٣/١ والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٩/٢ .

(١) رواه ابن ماجة في كتاب المساجد الباب ١٤ وأحمد الجزء الثالث صفحة ٢١ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٩٧٧ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٨٩/٥ ، ٩٠ وابن السني في عمل اليوم والليلة ٨٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٦/٢ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٣٢٦/١ والمنذري في الترغيب والترهيب ٤٥٨/٢.

النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ في هذا الحديث بكل عبد مؤمن وأمر أصحابه أن يدعوا بهذا الدعاء ويتوسلوا مثل توسله .

الفرق بين العبادة والتوسل :

السجود لا يكون عبادة ولا كفرًا إلا تبعا للنية ، فسجود الملائكة لآدم عبادة لله لا لآدم ، لأنه امتثال لأمره وتقرب وتعظيم له ، والسجود للتحية قد كان سائغًا في الشرائع السابقة على الإسلام بدليل سجود يعقوب وبنيه ليوسف ، قال تعالى : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا ﴾ [(١)] فالعبادة لغة وشرعًا غاية التذلل والتعظيم للمعبود ، وعليه فليس كل تعظيم عبادة . والتفرقة بين الحي والميت في جواز التوسل بالأول فيما يقدر عليه دون الثاني ، لا وجه لها ، لأن الحكم الشرعي منوط في هذه المسألة ببلوغ حد العبادة وعدمه ، فإن بلغ الفعل إذا وقع لغير الله ذلك الحد كان كفرًا وإلا فلا . . سواء كان المتوسل به حيًا أو ميتًا .

يقول القرنيون : إن التوسل والاستغاثة بالأنبياء والأولياء عبادة لغير الله في زعمهم قياسا على عبادة الأوثان وهو قياس فاسد للأدلة الآتية :

١- جهل القرنيون حقيقة العبادة ، والعبادة كما سبق أن بينا أنها أقصى نهاية الخضوع والتذلل بشرط نية التقرب ولا يكون ذلك إلا لمن له غاية التعظيم ، ولذلك يقول السلف الصالح : من عبد الله طمعا في الجنة أو خوفًا من النار لم يعبده ، لأنه جعل حظه مقصدا والعمل وسيلة . والوسائل غير مقصودة لذاتها ، إذا لو أسقطت المقاصد أو توصل إليها بغيرها سقطت ، وما كان هذا شأنه لا يستقيم أن يكون عبادة .

٢- الفرق بين العبادة والتوسل أن العبادة لغير الله تشتمل على الإعراض عن الله وإطلاق الألوهية على غيره وإقامته مقامة وخدمته بما لا يستحق أن يخدم .

---

(١) سورة يوسف – آية ١٠٠.

٣- جهل القرنيون حقيقة العبادة أداهم إلى قياس فاسد هو قياسهم ما لا عبادة فيه من نذر وذبح وطلب دعاء على ما فيه عبادة غير الله بجامع مع العبادة في كل .

٤- اشترط العلماء قاطبة ما عدا القرنيين في صحة القياس كون المقيس غير منصوص عليه في الكتاب والسنة والمقيس هنا ((التوسل)) وهو منصوص عليه في الكتاب والسنة والقياس في مقابلة النص باطل بالإجماع .

تأولات القرنيين في التوسل :

التوسل بالأنبياء والأولياء في نظر القرنيين يعد شركا كعبادة الأوثان متذرعين في ذلك بالآيات القرآنية التي وردت في حق المشركين وإنزالها على الموحدين من أمة محمد ﴿ﷺ وآله﴾ منها : قوله تعالي : ﴿ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [١] وقوله تعالي : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يوم الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [٢]وقوله تعالي : ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٣] وقوله تعالي : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [٤] وقوله : ﴿ فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [٥] وقوله تعالي : ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ [٦] وقوله تعالي : ﴿ قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا

---

(١) سورة الجن – آية ١٨.

(٢) سورة الأحقاف – آية ٥.

(٣) سورة يونس – آية ١٠٦.

(٤) سورة فاطر – آية ١٣-١٤.

(٥) سورة الشعراء – آية ٢١٣.

(٦) سورة الرعد – آية ١٤.

يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (١).

إلي غير ذلك من الآيات النازلة في المشركين ، زعم القرنيون أن كل من توسل واستغاث بالنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أو بغيره من الأنبياء والأولياء يكون معدودا في عداد هؤلاء المشركين ، وشبهتهم في ذلك أن هذه الآيات وإن كانت نازلة في المشركين إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

الرد على تأولات القرنيين :

عليه السلام

١- ليست من أحوال الكفار الذين نزلت هذه الآيات فيهم شيء عند المتوسلين فإن الدعاء يأتي لمعان شتي منها : النسبة أي انسبوهم إليهم كقوله تعالي : ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ ﴾ (٢) ومنها النداء أي نادوهم كقوله تعالى : ﴿وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم ﴾(٣) ومنها السؤال أي أسألوني:﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٤) ومنها الدعوة إلى الشيء كقوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ (٥) ومنها التمني كقوله تعالي : ﴿ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ (٦) وقوله :﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ﴾ (٧) وليس في اللغة أن ((دعا)) تأتي بمعني التوسل .

(١) سورة الإسراء – آية ٥٦-٥٧.
(٢) سورة الأحزاب – آية ٥.
(٣) سورة البقرة – آية ٢٣.
(٤) سورة غافر – آية ٦٠.
(٥) سورة النحل – آية ١٢٥.
(٦) سورة يس – آية ٥٧.
(٧) سورة يونس – آية ١٠.

٢- أما بالنسبة للآيات التي أوردها القرنيون والتي تعتبر كلها بمعنى العبادة ، فإن المسلمين لا يعبدون إلا الله تعالى وليس فيهم من اتخذ الأنبياء والأولياء آلهة وجعلهم شركاء لله تعالى حتى تعمهم هذه الآيات ، ولا يعتقد مسلم أنهم يستحقون العبادة ، ولا أنهم يخلقون شيئًا ، ولا أنهم يملكون ضرا ولا نفعا ، بل إنما هم عبيد الله وما قصدوا بالتوسل بهم إلى الله تعالى إلا التبرك بهم لكونهم أحباب الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم ، فببركتهم يرحم عباده ، ويقول القرنيون إن اعتذار المتوسلين هو عين اعتذار المشركين الذين قال الله في اعتذارهم عن عبادة الأصنام : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (١) والرد على هذه الفرية سهل ميسور :

أ – إن المشركين جعلوا الأصنام آلهة ، والمسلمون ما اعتقدوا إلا إلهًا واحدًا ، فعندهم أن الأنبياء أنبياء ، والأولياء أولياء ، ليس إلا، فلم يتخذوهم آلهة مثل المشركين .

ب- إن المشركين اعتقدوا أن تلك الآلهة مستحقة للعبادة ، بخلاف المسلمين ، فإنهم لم يعتقدوا أن أحدا من المتوسل بهم مستحق لأقل عبادة وليس عندهم المستحق للعبادة إلا الله وحده .

ج- إن المشركين عبدوا تلك الآلهه بالفعل كما قال تعالى حكاية عنهم : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا ﴾ (٢) والمسلمون ما عبدوا الأنبياء والأولياء في توسلهم بهم إلى الله تعالى.

د- إن المشركين قصدوا بعبادة أصنامهم التقرب إلى الله أما المسلمون فلم يقصدوا بتوسلهم بالأنبياء والأولياء التقرب إلى الله ، بل إن المسلمين قصدوا التبرك والاستشفاع بهم والتبرك بالشيء غير التقرب به كما لا يخفي .

فكيف يجوز للقرنيين أن يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين ؟ !

---

(١) ، (٢) سورة الزمر – آية ٣ .

رأي الإمام أبي العزائم عليه السلام في منكر الوسيلة :

وهنا يكون الحكم على منكر الوسيلة بالغلظة والفظاظة وإلقاء الشحناء والبغضاء بين المسلمين أنه أوقع نفسه في كبائر حكم القرآن على مرتكبيها بالخلود في النار :

١- أنه كذب على الله بإنكار الوسيلة وقد أثبتها الله تعالى في القرآن بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [(١)] وقوله تعالي : ﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[(٢)] والكذب على الله تعالى من أكبر الكبائر.

٢- مخالفته لقوله تعالي : ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [(٣)] إذ الواجب على الداعي إلى الله تعالى أن يعمل بمقتضى هذه الآية ، فإذا نزعت به نفسه إلى العناد والشر فتح أبواب الفتن العمياء على من يدعوهم ، وارتكب كبيرة في دفع بدعة على ظنه ، وأوقع نفسه وغيره في كبائر توعد الله عليها بنار جنهم ، قال تعالى : ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [(٤)] .

٣- أنه فتح على العامة أبواب الشر باعتقادهم فيه فإنهم أهانوا جانب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وحكموا بأن السنة بدعة مضلة لجهلهم حتى تركوا العمل بالسنن - وإهانة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ من الكبائر - قال تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [(٥)] .

---

(١) سورة المائدة – آية ٣٥.

(٢) سورة الإسراء – آية ٥٧.

(٣) سورة النحل – آية ١٢٥.

(٤) سورة الأنفال – آية ٤٦.

(٥) سورة النساء – آية ٦٥.

٤- أنهم حكموا لأنفسهم بالكمال وبلوغ درجة الدعوة والإرشاد وفي ذلك من الغرور والكبر والكذب على الحقيقة ما فيه مما يكرهه الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (١) وقد ابتلى الله تعالى هؤلاء بسبب وبلعن غيرهم ولو كان ممن سبقهم بالإيمان وهذه من الكبائر قال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾(٢) إلى قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ (٣) أقول ذلك لاعتقادي أن القوم ما بلغوا درجة الاجتهاد حتى يكون لهم أجر ولو أخطأوا .

وكيف لا ؟ والمجتهد أكمل الناس أدبا مع رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وأوسعهم علما بالحقائق والمقتضيات التي تجعل الرجل يتوسل بالرجال في مقام ، وبالعبادات في آخر، وبالتصورات في حال ، والمجاهدات في آخر وكلها وسائل للقرب من الله تعالى ، ومن جهل وحكم لجهله بالكفر أو بالشرك أو بالمعصية على قوم هم في مقامهم أهل إسلام وإيمان كان من أهل لعنة الله تعالى ، لأنه كذب على الله جل جلاله ، قال سبحانه : ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٤) والواجب علينا سد باب الفتن والتسليم للعاملين ، حتى نعلم وجه الحق أو وجه الباطل فيما نعمل ، فإذا علمنا عالجنا المرض بما نعلم من طب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، من هذا تعلم أن الوسيلة هي القربة إلى الله تعالى بما يحب من العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق التي لا تصل إليها إلا بمن يحبه الله تعالى ، وهو الذي بعثه تعالى بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

ونحن لابد أن نتوسل إلى الله تعالى بعمله ﴿ ﷺ وآله﴾ وقوله وحاله وإقراراته ، وتلك المعاني لا تتحقق إلا بذاته ﴿ ﷺ وآله﴾ ، فمنكر الوسيلة برسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾

---

(١) سورة الكهف – آية ١٠٣-١٠٤.

(٢) سورة الأعراف – آية ٣٧.

(٣) سورة الأعراف – آية ٣٨.

(٤) سورة آل عمران – آية ٦١.

منكر للأسباب التي وضعها الله تعالى ليتعرف بها إلى عباده ، وكفى منكـر الوسـيلة جهلا أنه أشبه اليهود فعلاً وقولاً .

وقد ثبت أن الله أخبرنا سبحانه وتعالى عن الملائكة بقوله جل جلاله : ﴿ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾(١) ورحمته التى يرجونها معلومة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) الذين منهم الملائكة .

(١) سورة الإسراء – آية ٥٧.

(٢) سورة الأنبياء – آية ١٠٧.

الفصل الخامس

بناء المساجد على المشاهد

الإسلام يرغب العابد في اتخاذ المساجد على المشاهد :

الأولى بالقرنيين أن يتمسكوا بالعروة الوثقى وأن يعالجوا مجتمعنا الإسلامي مما يعانيه من شتى أنواع المحن والمشكلات ومختلف أنواع البؤس والتخلف . الأولى بهؤلاء أن يعملوا أقلامهم ضد الخطر الإلحادي المحدق بعالمنا الإسلامي من الماركسية الملحدة ، ورفض الحياة الغربية حياة التحلل والانحلال .

إن شبابنا المسلم في حاجة إلي يقظة ضد هذه الأخطار ، لأن هذه الأخطار لا تهدد كيان طائفة من المسلمين كالصوفية أو السلفية فحسب بل تهدد كيان المسلمين جميعًا ، وتهدم الشخصية المسلمة وتقضي على الأمة الإسلامية جمعاء .

الأولى بهؤلاء أن ينبهوا الأمة الإسلامية من الخطر الداهم المتزايد من جانب الاستعمار ومن جهة التبشير الصليبي ومن الإلحاد الشيوعي والمبادئ الهدامة الأخرى كالعلمانية والماسونية والبهائية والقديانية .

الأولى بهؤلاء أن يكفروا ويشركوا ويحقروا القادة والكتاب الذين يقدسون ماركس ولينين وماوتس تونج من دعاة الشيوعية وسارتر وغيره من دعاة الوجودية والانحلال، لا أن يتركوا هؤلاء وأولئك ويقصرون هجومهم وأقلامهم وألسنتهم على الأئمة الأعلام أحمد البدوي وإبراهيم الدسوقي وأحمد الرفاعي وغيرهم من الهداة إلى الله .

الأولى بهؤلاء أن يهدموا من نفوس شبابنا العربي ارتياد الملاهي الليلية وأماكن الفسق والفجور لا أن يهدموا أضرحة الأنبياء والأولياء التي يذكر فيها اسم الله .

فيا أخوة الإسلام علينا توحيد الصفوف ورفض العصبيات الطائفيـة ومـا يوجـب التناقض والتباعد ، فقد جربنا مرارة الاختلاف والتفرقة وسوء الظن ورمي بعضنا بعضاً بالكفر والشرك .

ولا أطيل عليك يا أخي المسلم وقفتك على هذا الباب بل أدخل بك في موضوعه .

بناء المساجد على المشاهد لامتياز أصحابها ، وأدلة ذلك :

أولاً : من الكتاب :

الدليل الأول من الكتاب :

قال الله تعالى في قصة أصحاب الكهف : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [1] .

والذين غلبوا على أمرهم هم المؤمنون لأن المسجد إنما يبينه المؤمن ، أما الكافرون فقالوا ﴿ ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ﴾ ولقد أيد الله المؤمنين على اتخاذهم عليهم مسجدا بعدم الرد عليهم .

كما يذكر المولي ذلك في كتابه عن القوم الذين يفعلون ما لا يرضاه منهم فيعقب سبحانه وتعالى بما يدل على فساده أو بطلانه إما قبل العمل أو بعده ، فإذا لم ينبه على فساد ذلك العمل أو بطلانه دل ذلك على رضاء الله تعالى وعلى صحته إذا كان عملا أو خبرا ، وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة ، نذكر منها قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾[2] فرد الله على الذين

---

(١) سورة الكهف – آية ٢١.

(٢) سورة الفرقان – آية ٤.

كفروا بقوله تعالى : ﴿ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ (١) وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا ﴾ (٢) فعقبه تعالى بقوله : ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا ﴾ (٣) إلى غير ذلك من الآيات .

فإن من تابع القرآن قراءة وجدة لا يقر على باطل يحكيه قولا كان أو عملا ، إذ القرآن كله حق ونور وهدى وبيان وحجة فلا يحكي ما ليس بحق ثم يقره ولا ينبه على بطلانه ، فإذا ذكر نبأ وأقره دل ذلك على صحته وصدقه . فلما حكى الله تعالى عن هؤلاء القوم أنهم قالوا ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ لم يرده ولا تعقبه بذم ، دل ذلك على أنه جائز لا خطر فيه .

ففي تفسير الكشاف للزمخشري قال : [إن الذين غلبوا على أمرهم من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم ، لنتخذن على باب الكهف مسجدًا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم] انتهى . ونحو ذلك المعنى في تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين السيوطي،وجلال الدين المحلي .

وفي تفسير معالم التنزيل للبغوي : [قال المسلمون نبني عليهم مسجدًا يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : (قال المسلمون نبني عليهم مسجدًا يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا) وعن النيسابوري في غرائب القرآن: ﴿ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ ﴾ (٤) . وملكهم المسلم لأنهم بنوا عليهم مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم حفظًا لتربتهم .

وفي مجمع البيان : ﴿ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ ﴾ يعني الملك المؤمن وأصحابه ، وقيل : أولياء أصحاب الكهف من المؤمنين .

---

(١) سورة الفرقان – آية ٤.
(٢) سورة الفرقان – آية ٨.
(٣) سورة الفرقان – آية ٩.
(٤) سورة الكهف – آية ٢١.

وعن الجبائي : ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [(١)] متعبدًا وموضعا للعبادة . والسجود يتعبد الناس فيه تبركا بهم ودل على أن الغلبة كانت للمؤمنين .

فقد حكى الله قصة أهل الكهف ومقالة المسلمين من غير رد عليهم ولا إنكار ، بل لعله ذكرها في معرض المدح فيكون بذلك تقريرًا لها . وإنما حكى الله تعالى قصص الماضين لتعتبر بها هذه الأمة وتقتدي بالحسن منها وتتجنب القبيح .

شبهات وأباطيل القرنيين في الدليل الأول :

إن قوله تعالى : ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ وإن لم يعقب سبحانه وتعالى بما يدل على فساده أو بطلانه من آيات القرآن إلا أن هناك أحاديث كثيرة تدل على فساده وبطلانه ، كقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ قاتل الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . . .لا يبقي دينان بأرض العرب ﴾ وقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ لأم سلمة رضي الله عنها حين ذكرت له كنيسة رأتها بأرض الحبشة ، وما رأت فيها من الصور : ﴿أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله ﴾ .

وقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجدا ألا فلا يتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك ﴾ .

الرد على شبهات وأباطيل القرنيين :

والرد على شبهات القرنين في استنادهم للأحاديث السابقة يقوم على ركائز كثيرة :

١- إن الله تعالى حكى في هذه الآية أن المؤمنين هم الذين قالوا : ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ بينما الأحاديث التي ذكرت قالها ﴿ ﷺ وآله﴾ حكاية عن اليهود والنصارى وفرق بين حال الفريقين ، فإن المؤمنين فعلوا ذلك للتبرك بالصالحين الذين أكرمهم الله تعالى بهذه الآية وحفظ أرواحهم وأجسامهم تلك القرون الطويلة ،

---

(١) سورة الكهف – آية ٢١.

واليهود والنصارى في الأحاديث السابق ذكرها يفعلون ذلك بقصد العبادة والإشراك مع الله تعالى . والدليل على ذلك قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ في نفس الحديث : ﴿ لا يبقي دينان بأرض العرب ﴾ أي لا تفعلوا مثله فتكفروا فيكون بأرض العرب دينان ، وقد حكم الله تعالى وأمر ألا يبقى بأرض العرب إلا دين واحد هو دين الإسلام ، وعبادة الله تعالى وحده .

والكفر لا يكون بمجرد اتخاذ المساجد على القبور ولو للتبرك وإنما يكون باتخاذها للعبادة والإشراك بالله تعالى هذا مما لا يشك فيه مسلم وإلا كانت الأمة كلها كافرة ولم يصدقه خبر الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ بأنه لا يبقي دينان بأرض العرب . فإن المساجد اتخذت على القبور بعده بقليل بل وفي حياته ﴿ ﷺ وآله﴾ كما سيأتي بعد بشهادته ، وأما الآية فأشارت إلى جواز اتخاذ المساجد على قبور الصالحين للتبرك بهم وزيارتهم وحفظ مآثرهم كما ذكره جمع من المفسرين فدليل الكتاب في واد ودليل السنة في واد آخر يؤيده .

٢- وهو أنه لو كان كل من بنى على القبر مسجدًا ولو للتبرك والزيارة ملعونا كما في الحديث لكان هؤلاء المؤمنون الذين حكى الله تعالى عنهم ملعونين أيضا داخلين في لعنة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ على من فعل الذي حكاه الله عنهم ولو كانوا كذلك لما سكت الله تعالى عن ذمهم ولعنهم والإشارة إلى ضلالهم وخروجهم عن الصراط المستقيم فيما أتوا ، كما عرف عن الله تعالى في كتابه الكريم حكاية المحرم الملعون فاعله ، فدل ذلك على أن ما فعله هؤلاء القوم هو غير ما يفعله اليهود والنصارى الذين لعنهم الله تعالى على لسان نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ .

٣- وهو أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ أولئك كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح اتخذوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تماثيل ﴾ ، فاتخاذهم الصور والتماثيل فيه دليل على أنهم يفعلون ذلك لأجل عبادتهم ، وقد شهد العيان بذلك وأثبت التاريخ مثله

وأنهم ابتدأوا عبادة الأصنام بعبادة صور الصالحين وقبورهم ، وهذا لا يوجد منه شيء عند المسلمين .

٤- إن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾قال في الذين يتخذون من القبور مساجد ﴿ أولئك شرار الخلق ﴾ وثبت بالكتاب أن أمته ﴿ ﷺ وآله﴾ خير أمه أخرجت للناس قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(١) وأن الله متخذهم شهودًا على الأمم السابقة بقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ ﴾ (٢) وثبت بالسنة أن الأنبياء والمرسلين تمنوا أن يكونوا من أمته﴿ ﷺ وآله﴾ وأن أمته ﴿ ﷺ وآله﴾ لا تجتمع على ضلالة . وقد علم الله تعالى في سابق علمه بقضائه وقدره في أزله أن هذه الأمة ستتفق ويجمع أولها وآخرها على بناء المساجد على قبر نبيها أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى قبور الأولياء والصالحين ، بل ومن هؤلاء الأولياء من يتخذ المساجد على من قبله من شيوخه ويزوره في حالة بناء المساجد والقباب عليهم ، ويشد الرحال من بلاد بعيدة لزيارتهم وقد شد الإمام النووي الرحال من الشام إلى مصر لزيارة قبر الإمام الشافعي الذي عليه مسجد وقبة . وكم لاتخاذ المساجد على المشاهد من ألف نظير في المشرق والمغرب .

فهل هناك تناقض بين خبر الله تعالى وخبر الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ وأن تكون هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وفي الوقت ذاته تكون أمة ملعونة باتخاذها المسجد على قبر نبيها وعلى قبور الأولياء والصالحين وهذا أمر محال؟! .

٥- إن الأحاديث في النهي عن اتخاذ المساجد على قبور الأنبياء معللة بخشية العبادة فلا يكون تشريعًا عامًا في كل زمان بل هو من التشريع المؤقت بزمن وجود العلة ، وهو زمن قرب عهد الناس فيه بالإشراك ، دون الزمان الذي نشأ أهله على الإيمان

(١) سورة آل عمران – آية ١١٠.

(٢) سورة البقرة – آية ١٤٣.

والتوحيد ، فهو غير معارض لدليل الكتاب العام في كل زمان بل هو مخصص لعمومه بزمن ارتفاع خشية العبادة وهو زمن استقرار الإيمان وانتشار التوحيد . ومثل هذا في الشريعة كثير جدًا ، وهو التشريع المؤقت الذي يشرع لعله ثم يزول بزوال علته كما في الناسخ والمنسوخ ، وتارة لا ينص الشارع على الحكم ونسخه لاحتمال وجود العلة في كل وقت ، وحكم ذلك أنه غير لازم على الدوام وإنما يلزم عند وجود علته. ومثال ذلك : كالنهي عن زيارة القبور أولا لما كانوا قريبي عهد بالشرك ، فلما استقر الإيمان في قلوبهم أباح لهم زيارتها للاعتبار والتذكير والزهد في الدنيا .قال ﴿ﷺ وآله﴾ : ﴿ كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة ﴾ [1] وكذلك نهيه ﴿ ﷺ وآله﴾ عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث من ادخارها لأجل مجاعة ألمت بالناس ، فلما ذهبت قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث ، فكلوا وادخروا فإنما نهيتكم من أجل الدأفة ﴾ [2] .

من كل ما تقدم يتضح أن اتخاذ المساجد على مشاهد الأنبياء والأولياء جائز ومطلوب ، ومن اعتقد بخلاف ذلك فهو قرين ممقوت لم يذق للإيمان طعما ولا عرف

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنائز الحديث ١٠٦ وكتاب الأضاحي الحديث ٣٧ وأبو داود في كتاب الجنائز الباب ٧٧ وكتاب الأشربة الباب ٧ والترمذي في كتاب الجنائز الباب ٧ والنسائي في كتاب الجنائز الباب١٠٠ وكتاب الضحايا الباب ١١ وكتاب الأشربة ٤٠ وابن ماجة في كتاب الجنائز الباب ٤٧ وأحمد في الجزء الأول صفحة ١٤٥ ، ٤٥٢ ، والجزء الثالث ٣٨ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٢٣٧ ، ٢٥٠ والجزء الخامس صفحة ٣٥٠ ، ٣٥٥-٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ .

(٢) رواه أحمد في الجزء الثالث صفحة ٤٨ والجزء الرابع صفحة ١٥ والجزء السادس صفحة ٣٨٤ ومسلم في كتاب الجنائز الحديث ١٠٦ وابو داود في كتاب الأشربة الباب ٧ والترمذي في كتاب الأضاحي الباب ١٤ والنسائي في كتاب الجنائز الباب ١٠٠ وكتاب الضحايا الباب ٣٦ وكتاب الأشربة الباب ٤٠ وابن ماجة في كتابة الأضاحي ١٦ والدارمي في كتاب الأضاحي الباب ١٦ والدارمي في كتاب الأضاحي الباب ٦ والموطأ في كتاب الضحايا الحديث رقم٦- ٨

من منزلة النبي ﴿ﷺ وآله﴾ العصماء ومكانته السامية عند ربه شيئًا فهو مـــدخول العقيدة مختل الإيمان [راجع كتاب ((إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المســـاجد والقباب على القبور)) للحافظ أبي الفيض السيد أحمد أبي عبـــد الله الســـيد محمـــد الصديق] .

الدليل الثاني من الكتاب :

إن القرآن صرح عمومًا بالبناء على قبور الأنبياء والأولياء في قوله سبحانه : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ ﴾ [3] .

فالأضرحة المتضمنة أجساد النبيين وأئمة المسلمين تعتبر من معالم الدين ، وقد جعـــل الله الصفا والمروة من الشعائر والحرمات التي يجب احترامها ، وهي مسعى هـــاجر ، فكيف بالبقاع المتضمنة لأجساد الأنبياء والأولياء ، فإنها أولى أن تكون شعارًا للدين، كيف لا ؟ وهي من البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، إن المـــراد مـــن البيت في الآية هو بيت الطاعة وكل محل أعد للعبادة ، فيعم ذلك المساجد والأضرحة لكونها من المعابد . ومثل المسجد في جهة التعمير والتعظيم ، والأضرحة التي هي من مشاعر الإسلام والدين ، ولذا نجد إصرار المسلمين على إبقاء روضـــة الـــنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وصاحبيه رضي الله عنهما ، وكذلك روضات أهل بيته الطيبين الطـــاهرين . فحفظ تلك الأضرحة عن الاندراس طيلة أربعة عشر قرنا من الزمان قبـــل وجـــود

---

(١) سورة الحج – آية ٣٢.
(٢) سورة الحج – آية ٣٠.
(٣) سورة المائدة – آية ٢.

مثلث الكفريات – ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب – وبعد وجـــود هـــؤلاء الثلاثة ، مما يؤكد أن حفظ هذه الأضرحة تشييد للدين وتقوية لشوكة المؤمنين .

فأضرحة الأنبياء وأهل البيت والصحابة وأولياء الله الصالحين عند جمهور المسلمين لها مزية وزيادة فضيلة من بين المساجد لاشتمالها على جهتين ، جهة المسجدية ، وجهـــة المشعرية ، كحرم النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ الذي هو حرم الله وحرم رسوله ، وأضرحة أهل البيت والصحابة وأولياء الله تعتبر كذلك مساجد ومشاعر .

ولأجل اشتمال هذه الأضرحة على زيادة الفضيلة ، نرى المسلمين يزدلفـــون إليهـــا ويزدحمون فيها ، بل يعمروها حفظا لمراقدهم رضـــي الله عنـــهم عـــن الأنـــدراس والانطماس حيث يكون الحفظ عندهم شعارا للدين .

ثانياً : من السنة

الدليل الأول من السنة :

١– قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ ما قبر نبي إلا حيث يموت ﴾ [١] وصدق بهذا سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين اختلف الصحابة رضي الله عنهم في موضع دفنـــه ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال قوم :في البقيع ، وقال آخرون في المسجد ، وقال آخرون يحمل إلى أبيه إبراهيم فيدفن معه .

فلما حدثهم الصديق رضي الله عنه بما عنده في هذا أجمعوا رأيهم واتفقوا عليه ودفنوه ﴿ ﷺ وآله﴾ في بيت عائشة رضي الله عنها وهو دليل صريح على وجود البناء حول القبر ، فإذا جوز الشارع ذلك أي وجود الميت داخل البناء فقد جوز البنـــاء ، إذ لا فرق بين أن يوجد بعد الدفن أو قبله لأن الغاية واحدة والصورة متفقة وجود القـــبر داخل البناء . وإذا جاز ذلك فلا فرق بين أن يكون البناء بيتاً أو قبة .

(١) رواه أحمد في الجزء الأول صفحة ٧ .

٢- قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من زار قبري وجبت له شفاعتي ﴾ [(١)] وقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ﴾ [(٢)] ومسجده ﴿ ﷺ وآله﴾ كان في عصره صغير لا يسع من يقصده من أمته ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد ذلك وروضته الشريفة واقعة في بيت السيدة عائشة رضي الله عنها الذي تسكنه وهو يعلم ﴿ ﷺ وآله﴾ مسبقًا ضرورة أنه يتعذر على الأمة زيارته وهو في بيت مملوك لا مرأة ساكنة فيه يجب تعظيمها واحترامها ، كما يجب ذلك في حق من يملكه ويسكنه من بعدها ، كما أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ يعلم أن أمته ستدوم إلى قيام الساعة وأن قصدهم لزيارته فيه سيدوم بدوام الأمة ، وأن البيت الذي سيدفن فيه لا يمكن أن يدوم عادة أكثر من مائة سنة ، فهو يعلم ﴿ ﷺ وآله﴾ علم اليقين أن بيته المذكور سيؤول إلى أن يدخل في المسجد الذي ستصير الأمة به متخذة على قبره مسجدا كما هو الواقع الآن ، ومن المحال المقطوع به أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ رضي بما هو محرم ملعون فاعله لا سيما فيما يتعلق بجسده الشريف . فدل على أن اتخاذ المسجد على قبره الشريف غير محرم ولا مكروه ، وإذا جاز في حقه ﴿ ﷺ وآله﴾جاز في غيره من باب أولى ، لأن ما يخشى من الفتنة بقبره أعظم مما يخشى من الفتنة بقبر غيره لأن

---

(١) أورده الدارقطني في سننه ٢٧٨/٢ والدولابي في الكنى والأسماء ٦٤/٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ٤-٢ وابن حجر في تلخيص الخبير ٢٦٧/٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٧/١ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤١٧/٤ ، ٣٦٣/١٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٢٥٨٣ .

(٢) رواه البخاري في كتاب مسجد مكة الباب الأول ومسلم في كتاب الحج الحديث ٥٠٥-٥١٠ والنسائي في كتاب المناسك الباب ١٢٤ والترمذي في كتاب المواقيت الباب ١٢٦ وكتاب المناقب الباب ٦٧ وابن ماجة في كتاب الإقامة الباب ١٩٥، ١٨٩ والموطأ في كتاب القبلة الحديث ٩ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١٦ ، ٢٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ١٠٢ ، ٢٣٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٩٩ ، والجزء الرابع صفحة ٥ .

الفتنة إنما تتوقع من جهة التعظيم ولا يوجد من الأمة من يعظم قبرا أكثر من قبره ﴿ ﷺ وآله﴾.

٣- قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ﴾ [1] فهذا الحديث إخبار من النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بأن قبره الشريف سيكون من داخل مسجده وهذا منه ﴿ ﷺ وآله﴾إشارة إلى استحباب إدخال قبره الشريف في المسجد ، لأنه ترغيب يدعو إلى ذلك إذ المراد فضيلة الصلاة ما بين القبر والمنبر والترغيب فيها في ذلك الموضع وإذا لم يكن القبر الشريف داخل المسجد لا يتصور الصلاة بين القبر والمنبر ، ولا يأتي التعبير بقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ﴾ إلا وهو ﴿ ﷺ وآله﴾ يريد أن القبر سيكون داخل المسجد ليس بينه وبين المنبر حاجز البيت.

فإن قال القرنيون إن لفظ الحديث في أكثر طرقه إنما هو ((ما بين بيتي ومنبري ، فنرد عليهم بأن إيراد الحديث بلفظ البيت معناه القبر ، لأن القبر صار في البيت ، لأنه ﴿ ﷺ وآله﴾ دفن في بيت سكناه فالمنبر والبيت لم يكن لهما هذا الفضل لمجرد أعواد المنبر وحجارة البيت وطينه . فإنه لا فضل لخشب على خشب ولا حجارة

---

(١) رواه البخاري ٢٩/٣ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ٦٤ والبيهقي في السنن الكبرى ٢٤٦/٥ وابن أبي شيبه في مصنفه ١١ / ٤٣٩ والطبراني في المعجم الكبير ٢ / ٢٩٤ والبغوي في تفسيره ١٤٩/٣ والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٤ وابن حجر في تلخيص الخبير ٢٣٠/٣ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤ / ٤٢٢ وابن أبي عاصم في السنة ٢ / ٣٣٩ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٧/١ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٤٩٤٧ ، ٣٤٩٤٩ ، ٣٤٩٥٦ ، وابن حجر في فتح الباري ٤ / ١٠٠ وابن عبد البر في التمهيد ٢٨٧/٢ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٢٤٥/٦ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢٦٠/١ ، ٥١٣/٤ والبخاري في التاريخ الكبير ٣٩٢/١ وأبو نعيم في الحلية ٩ / ٣٢٤ والنووي في الأذكار النووية ١٨٤ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٤ / ٤٠٣ ، ١١ / ٢٢٨، ٢٩٠ ، ١٢/ ١٦٠.

على حجارة ولا دخل لهما في وجود فضيلة في الدين وإنما ذلك لتشريف المنبر بوقوفه ﴿ﷺ وآله﴾ عليه في الوعظ والتذكير وتبليغ أمر ربه لوجود قبره الشريف في البيت لأن الفضل راجع إليه ﴿ﷺ وآله﴾لا إلى البيت ، فمن يحاول من القرنيين أن ينكر وجود رواية قبري للتوصل إلى نفي ما يتعلق به من فضيلة قبره ﴿ﷺ وآله﴾ إنما يحاول عبثا ويخبط عشواء ، فالحديث سواء ورد بلفظ قبري أو بلفظ بيتي فمعنى اللفظين واحد ، وكلاهما راجع إلى القبر الشريف ، وعلى هذا نص أكثر المحدثين ، بل جل من تكلم على الحديث أو شرحه .

٤- إن النبي ﴿ﷺ وآله﴾ أخبر أصحابه بفتح بيت المقدس وأقطع تميما الداري أرضا بالخليل تحقيقًا لوعد الله وخبره بالفتح وهو يعلم ﴿ﷺ وآله﴾ أن بالخليل قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام وعلى تلك القبور بناء وقباب فلم يأمر أصحابه بأن يدفعوا لتميم الداري الأرض التي أقطعه إياها وأن يهدموا البناء الذي هو على قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء الموجودين بفلسطين . إنما قصر الأمر فقط على إقطاع تميم الداري أرضا بالخليل فدل ذلك على أن المراد من تخرص القرنيين بحديث النهي عن اتخاذ المساجد على مشاهد الأنبياء والصالحين هو علة العبادة لبناء المسجد أو القبة .

إن الصحابة رضي الله عنهم لما فتحوا البلاد في زمان الخلفاء الراشدين لم يهدموا البناء الذي كان على الأنبياء بالشام وغيرها من أرض العرب مع قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ كل ما أمرت به الشريعة ولا أدل على ذلك من قبر سيدنا يحيي في وسط المسجد الأموي بدمشق.

٥- إنه جاء في عدة أحاديث وآثار أن جماعة من الأنبياء والمرسلين مدفنون في المسجد الحرام ما بين زمزم والمقام وأخبر النبي ﴿ﷺ وآله﴾ أن منهم نوحا وهودا وصالحا وشعيبا وأن قبورهم بين زمزم والحطيم والحجر وكذلك ورد في قبر إسماعيل وأمه هاجر أنه بالمسجد الحرام وهو أشرف مسجد على وجه الأرض وهو مسجد

النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فلو كان وجود القبر في المسجد محرما لذاته لنبش النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وأخرجهم فدفنهم خارج المسجد ، فإنه أخبر ﴿ ﷺ وآله﴾ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنهم أحياء في قبورهم ، كما أخبر الله تعالى بمثل ذلك عن الشهداء وأمرنا بألا نسميهم أمواتا فنكون كاذبين في ذلك ، وحيث لم يفعل النبي ﴿ﷺ وآله﴾ ذلك دل على أن وجود القبر في المسجد أو بناء المسجد على القبر ليس محرما لذاته وإنما ذلك لعلته التي بانتفائها ينتفي حكمها .

وبناء على ما تقدم فإن أفضل المساجد على وجه الأرض المسجد الحرام والمسجد النبوي وهما الحرمان الشريفان وقد شاء الله وحكم أن يكون في كل منها قبور متعددة ، ففي البيت الحرام قبور جماعة من الأنبياء وفي مسجد النبي الشريف قبر النبي﴿ ﷺ وآله﴾ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما ، ومعهما قبر رابع سيدفن فيه عيسى عليه السلام حين نزوله كما ورد في بعض الأخبار ، من أجل هذا فإن الدفن في المسجد أو اتخاذ المسجد على القبر من الأعمال تأسيا بالحرمين الشريفين فكل مسجد ليس فيه روضة لنبي أو ولي فهو ناقص الفضل قليل البركة عديم الأسوة بأفضل المساجد وأشرفها المسجد الحرام والمسجد النبوي .

٦- إن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وضع على قبر عثمان بن مظعون رضي الله عنه صخرة عظيمة وقال﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ أعلم بها أخي وأدفن إليه من مات من أهلي ﴾ .

رواه أبو داود وابن ماجة ، فهذا تأسيس لوضع العلامة على القبر وتشريع لها وللمحافظة على القبر لا سيما قبور الصالحين فإن جازت العلامة على القبر لحفظه من الاندراس فلا فرق بين أن تكون بصخرة أو بغيرها ، وكونه ﴿ ﷺ وآله﴾ نهى عن البناء فقد برهنا على أن المراد بالبناء الذي يكون فوق القبر لطمسه لا البناء الذي يكون حول القبر .

ثالثاً – إجماع الصحابة على اتخاذ مسجد على قبر الصحابي أبي بصير عتبة بن أسيد في عهد النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ المدينة بعد الصلح أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد ، وكان ممن حبس بمكة من المسلمين ، فلما قدم على رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، كتب فيه أزهر ابن عبد عوف ، والأخنس بن شريق بن عمرو إلى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وبعثا رجلا من بني عامر ابن لؤي ومعه مولى لهما فقدما على رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، بكتاب الأزهر والأخنس ، فقال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ يا أبا بصير ، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، فانطلق إلي قومك ﴾ . قال : يا رسول الله أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ قال : ﴿ يا أبا بصير ، انطلق ، فإن الله تعالي سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا﴾، فانطلق أبو بصير معهما ، حتى إذا كان بذي الحليفة جلس إلى جدار وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بصير أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟ فقال نعم ، قال : آنظر إليه ؟ قال : أنظر إن شئت ، قال : فاستله أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وفر المولى سريعًا حتى أتى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وهو جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ إن هذا الرجل قد رأى فزعا ﴾ فلما انتهى إلى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ ويحك ! مالك ؟ ﴾ قال : قتل صاحبكم صاحبي ، فو الله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا بالسيف حتى وقف على رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال : يا رسول الله ، وفت ذمتك وأدى الله عنك ، أسلمتني بيد القوم ، وقد امتنعت بديني أن أفتن فيه أو يعبث بي . قال : فقال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴿ ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال ﴾ . ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام وبلغ المسلمون الذين كانوا حبسوا بمكة ومن بينهم أبو جندل بن سهيل ، قول رسول الله

﴿ ﷺ وآله﴾ لأبي بصير ، ﴿ ويل أمة مسعر حرب لو كان معه رجال ﴾ فخرجوا ومعهم أبو جندل إلى أبي بصير بالعيص فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا ، وكانوا قد ضيقوا على قريش : لا يظفرون بأحد من قريش إلا قتلوه ، ولا تمر بهم عير لقريش إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يسألونه بأرحامهم أن يؤوى هؤلاء إليه فلا حاجة بهم ، فكتب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ إلى أبي بصير أن أقدم علينا أنت ومن معك ، فلما وصل كتاب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ كان أبو بصير مريضا فأخذ الكتاب أبو الجندل وبينما هو يقرأ فاضت روح أبي بصير إلى ربها ، فقام أبو جندل ومن معه بتجهيزة والصلاة عليه ثم بنى أبو جندل علي قبره مسجدا [راجع أسد الغابة المجلد الخامس ص٣٥ ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر] .

فمن كل ما تقدم يتضح أن الصحابة وعلى رأسهم أبو جندل سهل بن عمرو اتخذوا على قبر أبي بصير مسجدا في حياة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ولم يأمرهم بهدمه بل أقرهم على ذلك ويستحيل أن يقر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ على باطل .

أيها القرنيون : إن من يعرف سيرة الصحابة مع الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ يعلم أنه لا يمكن إحداث أمر عظيم مثل هذا- وهو اتخاذ مسجد على قبر أبي بصير- ولا يذكرونه للنبي ﴿ ﷺ وآله﴾وهو رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وخليفته في خلقه والأمر أمره والحكم حكمه والصحابه كلهم جنده ونوابه ومنفذوا أمره ، وكذلك يستحيل أن يحدث مثل هذا من الصحابة الذين هم تحت حكمه وأمره ويكون ذلك حراما ملعونا فاعله يجر إلى كفر وضلال ثم لا يعلمه الله تعالى به ولا يوحي إليه في شأنه كما أعلمه بمسجد الضرار وقصد أصحابه من بنائه ، وأمر ﴿ ﷺ وآله﴾ بهدمه ، فإذن لا شك أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ اطلع على بنائهم المسجد على قبر أبي بصير ولم يأمرهم بهدمه إذ لو أمر بذلك لنقل في نفس الخبر أو غيره ، لأنه شرع لا يمكن ان يضيع بل

يستحيل ذلك ، لخبر الله تعالى أنه حفظ الدين من أن يضيع منه شيء ولا يصل إلى آخر هذه الأمة ما وصل إلى أولها ، فلما لم يأمر بهدمه دل ذلك على جوازه .

رابعاً : إن قبور الشهداء والصحابي عثمان بن مظعون كانت مرتفعه في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه :

١- جاء في صحيح البخاري عن خارجه بن زيد قال : رأيتني ونحن شبان في زمن عثمان رضي الله عنه وأن أشدنا وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه ، وقد سبق أن النبي ﴿ﷺ وآله﴾ إنما وضع عليه صخرة ، وكون الشاب لا يستطيع أن يثب عليه إلا إذا كان قويًا شديدًا يدل على عظم ارتفاعه وتباعد جنبيه ، وذلك لا يمكن أن يتحقق إذا كان القبر من التراب وحده ولا بالصخرة وحدها للأسباب الآتية :

أ- إنه لا يمكن في العادة أن يبقى التراب الكثير مرتفعًا مجموعًا فوق القبر أزيد من سنة أو أقل .

ب- إن التراب المجلوب على القبر لا يمكن أن يرتفع هذا الاتفاع المشار إليه دون أن يخالطه حجارة أو طين كما لا يمكن أن يدوم هذه المدة من عهد النبي ﴿ﷺ وآله﴾ إلى عهد عثمان رضي الله عنه فإنا نرى التراب الذي يجعل على القبر لا يمر عليه سنة حتى يذهب وتذروه الرياح ويبقى القبر مستوي بالأرض .

ج- إن هذا لا يمكن أيضًا بالنسبة للصخرة التي وضعها رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ عند قبره لأنها وإن كانت كبيرة فهي لا تصل إلى هذا الحد الذي لا يستطيع أن يثب عليها إلا الشاب القوي ، لأن النبي ﴿ﷺ وآله﴾ حملها بيده الشريفة ووضعها عند القبر . وأيضًا لو كان ذلك بالنسبة لها لقال : وإن أشدنا الذي يثب الصخرة التي على قبر عثمان بن مظعون مع أنه عبر بالقبر دون الصخرة فدل على أنه كان مبنيا في زمن الخلفاء الراشيدين الذين فهموا أن وضع العلامة على قبره هي الأذن في البناء عليه .

٢- وقال ابن أبي شيبه في المصنف : حدثنا وكيع عن أسامة بن زيد عند عبد الله بن أبي بكر قال : رأيت قبر عثمان بن مظعون مرتفعا . فهذا صريح في أنه كان مبنيا بناء مرتفعا ، وقال ابن أبي شيبه أيضًا : حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن عن الشعبي قال : أتيت على قبور الشهداء بأحد فإذا هي شاخصة من الأرض ، والقبور المشخصة بالتراب لا يمكن عادة أن تبقى من وقت غزوة أحد إلى زمن التابعين .

خامسا البناء على قبور الصحابة وأهل البيت رضي الله عنهم قبل القرن الخامس الهجري :

يقول عبد الله بن سليمان بن بلهيد قاضي قضاة السلفية الهمفرية أن بناء القبور حدث بعد القرن الخامس الهجري وذلك في مقالته التي نشرها جريدة أم القري في عدد جمادي الثانية ١٢٤٥هـ واتبعت السلفية الهمفرية في ذلك الخارجي ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ،فقاموا بهدم قبة أئمة البقيع من أهل البيت الطاهر عند استيلائهم على المدينة المنورة ومكة المكرمة وهدموا قبورهم الشريفة وسووها بالأرض وشوهوا محاسنها وتركوها معرضة لوطء الأقدام ودوس الكلاب ، وكذلك سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه بأحد وقبته والمسجد الذي عنده ، وقبور سائر الصحابة والتابعين وغيرهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة .

وهذا الزعم من القرنين يبين منه : أنه كلام مرسل على عواهنه ، وكيل جزافي يدل على مبلغ القرنيين من العلم " الهمفري " وجهلهم بالعلم الإسلامي أو التاريخ ، ولا أدل على ذلك مما ورد في أمهات كتب التاريخ والسير .

١- ذكر السمهودي في (وفاء الوفاء) أن عقيلاً لما حفر بئرًا في داره وجد حجرًا مكتوبا عليه هذا قبر أم حبيبة فدفن البئر وبني عليه بيتًا . وإن ابن السائب قال : دخلت البيت فرأيت القبر .

٢- ورد في (عمدة الطالب) وغيره أن هارون الرشيد بنى قبة على قبر أمير المؤمنين على عليه السلام وكان هارون الرشيد قد قام ببناء القبة في القرن الثاني الهجري ثم

تتابع الباقون في بنائها إلى اليوم وفيها يقول الحسين بن الحجاج الشاعر المتوفي سنة ٢٩١ هـ في مطلع قصيدته :

يا صاحب القبة البيضا على النجف   من زار قبرك واستشفى لديك شفى

٣- وعن الخطيب البغدادي المولود سنة ٣٩٢ هـ ((في تاريخ بغداد)) أن موسى الكاظم عليه السلام دفن في بغداد وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه القناديل وأنواع الآلات والفرش ويدل على وجود قبة عند دفن الكاظم عليه السلام سنة ١٨٣ هـ .

٤- ذكر المؤرخون وعلماء الأثر وجل من كتب التراجم أن الأئمة زين العابدين ، والباقر والصادق عليهم السلام دفنوا في قبة الحسن عليه السلام والعباس رضوان الله عليهم بالبقيع وكانت وفاة زين العابدين سنة ٩٥ هـ ووفاة الباقر عليه السلام سنة ١١٢هـ ووفاة الصادق عليه السلام سنة ١٢٨هـ

٥- وعن تاريخ الخلفاء للسيوطي أن المتوكل العباسي سنة ٢٣٦ هـ أمر بهدم قبر الحسين عليه السلام وذلك لعداوته لأهل البيت النبوي ، ومنع الناس من زيارته ، فتألم المسلمون من ذلك وكتب أهل بغداد باستنكار ذلك منه وشتموه على الحيطان والمساجد ، وهجاه أحد الشعراء ، فمما قيل في ذلك :

تا الله إن كانت أمية قد أتت   قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله   فغدا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على ألا يكونوا شاركوا   في قتله فتتبعوه رميما

فالسلفية الهمفرية اقتدت- في أعمالها بهدم القباب التي كانت علي أمهات المؤمنين وأهل البيت والصحابة بالبقيع والمعلى- بالمتوكل العباسي الذي أساء جميع المسلمين بعمله في زمنه كما أساءت السلفية الهمفرية جميع المسلمين من بعده بعملهم ، ثم أخذ الله المتوكل العباسي أخذ عزيز مقتدر ، فسلط عليه ولده المنتصر من قتله شر قتلة ،

فكان هذا مصير كل من يعتدي بالقول او بالفعل على الصحابة وأهل البيت وأولياء الله الصالحين رضي الله عنهم أجمعين .

سادساً : البناء على قبور الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء في فقه المذاهب الأربعة :

فقه الحنفية :

أفتى القدوري– من أئمة الحنفية – ونحوه بهدم أبنية القرافة في الأرض الموقوفة إلا مشاهد الصالحين ، أما في الأرض المملوكة فنقول : فيه الجواز مطلقا قياسًا على أمر الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ بسد كل خوخة في المسجد النبوي إلا خوخة أبي بكر . وهذا الاستنباط دقيق لا يدركه إلا الأئمة المجتهدون كالقدوري .

فقه المالكية :

أفتى العز بن عبد السلام بهدم القباب والأبينية الكثيرة الواقعة في قرافة مصر لأنها واقعة في أرض موقوفه على دفن المسلمين واستثني من ذلك قبة الإمام الشافعي وقال : لأنها مبنية في دار ابن الحكم . وهذا منه ذهاب إلى جواز بناء القباب على مثل قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه ، إذا كان ذلك في الملك ولم يكن في أرض الحبس .

فقه الشافعية :

البناء على القبر جائز بلا كراهة ، بهذا أفتى البجيري – وهو من أئمة الشافعية – في حاشيته على شرح الخطيب على متن أبي شجاع . وقال البرماوي – وهو من أئمة الشافعية : يجوز بناء قبور الأنبياء والشهداء والصالحين ونحوهم . وقال الرحماني : يجوز بناء قبور الصالحين ولو بقية لإحياء الزيارة بالتبرك ، قال الحلبي : ولو في أرض مسبلة . وأفتى بذلك وقال : أمر به الشيخ الزيادي . وأفتى الحافظ السيوطي باستثناء قبور الأنبياء والأولياء ولو كانت في الأرض المحبسة (راجع بذل المجهود في خزانة محمود) .

فقه الحنابلة :

يقول ابن مفلح في ((المستوعب والمحرر والفصول))– وهو الذي يقول فيه الخارجي ابن القيم : ما أعلم تحت أديم السماء أعلم في الفقه على مذهب أحمد بن حنبل من ابن مفلح– القبة والبيت والحوش على القبر إن كان في ملكه فعل ما شاء ، وإن كان في أرض موقوفة كره للتضيق بلا فائدة ، أي أنه إذا تحققت الفائدة انتفت الكراهة في مذهب ابن حنبل .

فقه الظاهرية :

وصرح ابن حزم في (المحلي) بجواز بناء البيت بدون كراهة ، وهو مذهب الظاهرية.

فقه الزيدية :

وفي المنتزع المختار من الغيث المدار المفتح لكمائم الأزهار في فقه الأئمة الأطهار – من كتب الزيدية – يكره البناء على القبر زائدا على قدر شبر– إذا كان الميت غير فاضل مشهور الفضل ، ولا بأس بما يكون تعظيما لمن يستحقه كالمشاهد والقباب التي تستمر للأئمة الفضلاء . راجع كذلك " البحر الزخاري " من الكتب المعتمدة عند الزيدية . كما جاء في (نوادر الفصول) وغيره من أن السيدة فاطمة عليها السلام كانت تأتي قبر عمها حمزة رضي الله عنه فترمه لئلا يندرس كما هو ثابت في كتب الحديث والسيرة .

ثبوت الاحترام لقبور الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء :

من ذلك كله يعلم أن البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها لاحقًا وسابقًا راجح إذا كان على قبر نبي أو ولي أو عابد أو صالح وغيرهم ممن يكون تعظيمه من تعظيم

شعائر الله تعالى . وهذا الوجه مما يهدم كل أساس بنى عليه السلفية الهمفرية شبهاتهم ولا يرتاب فيه إلا مكابر معاند، فإنك إذا أحطت علمًا بما سردناه في هـذا البـاب والباب السابق من تاريخ بناء الحجرة الشريفة النبوية من مبتدأ يومنا هذا،وما بـنى على قبور الصالحين من الصحابة والأئمة الأولياء والصلحاء علمـت أن المسـلمين عمومًا من الصدر الأول إلى اليوم من جميع النحل ولا المذاهب الإسـلامية متفقـون على جواز البناء على القبور وعقد القباب عليها ، عدا القـرنيين أبنـاء السـلفية الهمفرية، فإنهم مخالفون لما عليه الأمة الإسلامية جمعاء ولمذهب السلف الصالح الذين يتغنون دائمًا بأنهم متبعون له- كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كـذبا- حيث علمت أن الصحابة جميعًا ومنهم الخلفاء الأربعة اتفقـوا علـى دفنـه ﴿ﷺ وآله﴾في بيته وحجرته التي كان يسكنها مع زوجته أم المؤمنين السيدة عائشة رضـي الله عنها وهي مبنية مسقفة ، ولو كان البناء على القبور غير جائز لما خفـى علـى الصحابة عموما ولو حرم ابتداء لحرم استدامة ، ثم دفن أبو بكر وعمر مع النبي ﴿ﷺ وآله﴾ في تلك الحجرة وعد ذلك أعظم منقبة لأبي بكر وعمر .

وتتابع ابن الزبير وعمر بن عبد العزيز وملوك الإسلام وأمراؤهم في بنـاء الحجـرة الشريفة والقبة المنيفة ، جيلاً بعد جيل وقرنا بعد قرن وخلفا عن السلف ، متقـربين بذلك إلى الله راجين ثوابه ، ولم يسمع من أحد أنه لا مهم علـى هـذا الفعـل ، أو خطأهم فيه أو منعهم منه من العلماء الذين كانت لهم الكلمة النافذة عنـد الملـوك والأمراء ، وليس ترك ذلك شيئًا مخلاً بسلطتهم وسياستهم للملك حـتى يخـالفهم العلماء فيه ، بل هو أمر ديني محض لا يخالفهم فيه ملك ولا أمير . ولا يخرج قصـد الملوك والأمراء في ذلك عن أحد أمرين : طلب الثواب منه تعالى ، والفخـر عنـد الناس ، كل ذلك لا يتم لهم مع نهي العلماء عنه وتحريمه ، فإذا كان هذا الأمر الذي اتفق عليه الصحابة من صدر الإسلام والتابعون وتابعوا التابعين وعلمـاء المسـلمين وعامتهم وملوكهم وصعاليكهم خلفًا عن سلف ، وجيلاً بعد جيل ، قطعيًا وجماعيًا ،

ففي أي حكم في الشريعة يمكن دعوى القطع والإجماع ؟ وإذا لم يكن السلف قـــدوة في مثل هذا ففي أي شيء يقتدي بهم ؟!

ويقول مثلث الكفريات : (ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب) عن أنفســهم أنهم سلفيون . . نعم . . هم سلفيون همفريون لا سلفيون صالحون .

مقبرة المعلي بمكة المكرمة وقد ظلت من القرن الأول حتى القرن الثالث عشر قبل أن يهدمها الوهابيون سنة ١٣٤٣ هـ وفيها روضة أم المؤمنين السيدة خديجــة عليهــا السلام ، وأم النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ السيدة آمنة عليها السلام ، وجــدي الــنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ سيدنا عبد مناف وعبد المطلب عليهماالسلام .

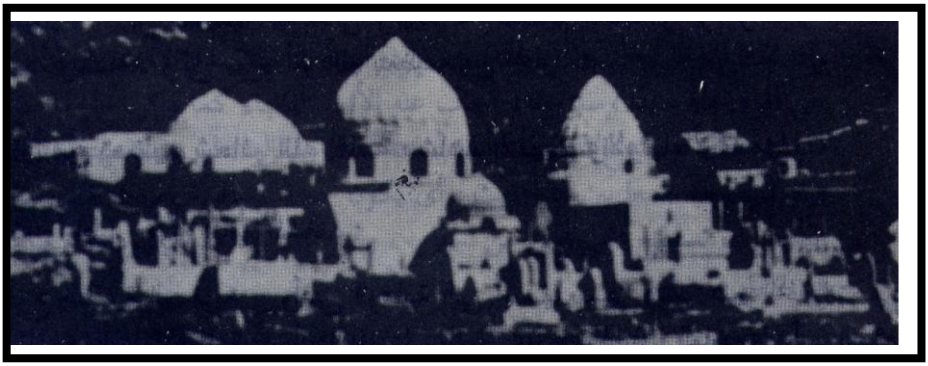

الفصل السادس

تعظيم شعائر الله تعالي

احترام الأنبياء والأولياء موجب لاحترام مشاهدهم :

إن حرمة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء ، وفضلها وشرفها وبركتها ضروري عند الصحابة والتابعين وتابعيهم وجميع المسلمين ، لا يرتاب في ذلك أحد إلا السلفيون الهمفريون ، فيجب على كل مسلم احترامها وتعظيمها بزيارتها والبناء عليها وحفظها عن دوس الأقدام ، وروث الدواب والكلاب وغير ذلك ، لأن ذلك من تعظيم شعائر الله وحرماته .

وحرم على المسلم كل ما يوجب إهانتها واحتقارها وامتهانها بهدمها أو هدم قبابها وجعلها معرضة لوطء الأقدام وروث الدواب والكلاب ووقوع القاذورات فإن ذلك كله لاشك أنه إهانة لها ولأهلها ، وقد دل العقل والنقل على حرمة إهانتهم ووجوب تعظيمها أحياء وأمواتا ، فلا يكون تعظيمها عبادة لها ولا كفرًا ولا شركًا،كما يقول ((السلفيون الهمفريون البريطانيون)) بل تعظيمها لله تعالى وعبادة له كتعظيم الكعبة والحرم والحجر الأسعد والمساجد والمشاهد وكل شيء أمر الله بتعظيمه من المخلوقات.

أولاً : إن من تعظيم شعائر الله إقامة مشاهد الأنبياء والأولياء لا هدمها :

شبهات وأباطيل حول إقامة المشاهد :

تتذرع السلفية الهمفرية – وأعني الوهابية التي أسسها مستر همفر مدير المخابرات في وزارة المستعمرات البريطانية – بأن البناء على القبور ممنوع بالحديث الوارد عن أبي الهياج الأسدي قال : ((ألا أبعثك على ما بعث عليه رسول الله ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبرًا مشرفا إلا سويته)) .

الرد علي شبهات وأباطيل منع إقامة المشاهد :

١- **ضعف هذا الحديث** : وهذا الحديث مقدوح في سنده ، ففي سنده ((وكيع)) الذي قال في حقه أحمد بن حنبل إنه أخطأ في خمسمائة حديث ، حكاه الحافظ بن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب الجزء ١١ ص ٢١٥ .

٢- **اضطراب متن هذا الحديث** : إن هذا الحديث شاذ انفرد به أبو الهياج الأسدي ، وفي هذا يقول السيوطي في شرح سنن النسائي : إنه ليس لأبي الهياج في الكتب إلا هذا الحديث الواحد . راجع السيوطي في شرح سنن النسائي ص ٢٨٦ .

٣- **التسوية ليس معناها الهدم** : إن رواية أبي الهياج الأسدي لا دلالة فيها على أن المراد بالتسوية جعل المدفن مساويًا للأرض من غير تعليته ، بل اللفظ في هذا الخبر كاللفظ في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ (١) وقوله تعالي : ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴾ (٢) والمراد من التسوية في الآيتين التعديل في رفع السماء وخلقة البشر كما قال عز شأنه: ﴿ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾(٣) .

٤- إنه خبر متروك الظاهر بالاتفاق ، لأن الأئمة متفقون على كراهية تسوية القبر ، وعلى استحباب رفعه ، بل عند الحنفية قول بوجوب ذلك .

٥- إنه مخالف للسنة الثابتة عند رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ والصحابة بعده من رفع القبور وتسنيمها ، ومخالف لروضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وصاحبيه رضي الله عنهما ، وحينئذ فلا بد من أحد أمرين : إما أن يكون غير ثابت في نفسه أو محمول على غير ظاهره .

٦- وإذا ثبت أنه علي غير ظاهره وأنه يجب رده أو تأويله ليتفق مع الأحاديث الأخرى التي هي أقوى منه سندًا ومتنا ، فقد أجاب عنه الأئمة الفقهاء كما ذكره

---

(١) سورة الحجر – آية ٢٩.
(٢) سورة النازعات- آية ٢٨.
(٣) سورة الانفطار – آية ٧.

غير واحد ، منهم النووي فقال في شرح المهذب : أجاب عنه أصحابنا قالوا : لم يرد تسويته بالأرض وإنما أراد تسطيحه جمعا بين الأحاديث ، أي يكون حجه للشافعية ومن وافقهم فيما ذهبوا إليه من أن تسطيح القبر أولى من تسنيمه ، ولئن كان هذا المراد فهو حجة ظاهرة قوية في تأييد مذهبهم .

٧- إن هذا الحديث يراد به قبور المشركين التى كانوا يقدسونها في الجاهلية وفي بلاد الكفار التي افتتحها الصحابة رضي الله عنهم بدليل ذكر التماثيل معها ، وإلا فالسنة وعمل الصحابة على خلافه بالنسبة لقبور المسلمين ، وقد مر أن قبور الشهداء كانت مرتفعة ،ومن فعل بها ذلك سيدنا

علي بن أبي طالب عليه السلام نفسه ، لأنه كان وقتئذ بالمدينة ، وهو من أهل الحل والعقد في الأمور .

ولو كان عنده أمر من النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بتسوية القبور لما وافق على رفع قبره ﴿ ﷺ وآله﴾ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما ، فكيف يجوز مع هذا أن يأمر أبو الهياج بتسوية القبور ؟ ! .

٨- إن الحكيم الترمذي روى عن سيدتنا فاطمة عليها السلام أنها كانت تأتي قبر سيدنا حمزة رضي الله عنه فترمه وتصلحه ، وكذلك رواه أحمد في مسنده ونقله عنه ابن عبد البر في التمهيد أنها كانت تتعاهد قبر سيدنا حمزة رضي الله عنه كل سنة وترمه وهذا في حياة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ لأنها لم تعيش بعده إلا ستة شهور ، كما أنها ما كانت تخرج لذلك إلا بإذن من زوجها وموافقته ، فلو كان عنده أمر من النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بتسوية القبور كما يقول أبو الهياج لما وافق زوجته على ذلك .

ولو كان عنده أمر بذلك من النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ لما تأخر عن تنفيذه لاسيما في زمن خلافته وإفضاء الأمر إليه .

٩- ثبت في الآثار السابقة أن قبور الصحابة والشهداء كانت مرتفعة في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في زمان التابعين ، فوجب أن يكون مراد سيدنا علي عليه السلام قبور المشركين أو يكون الخبر مردودًا ، وغير هذا لا يكون أصلاً .

ثانياً : إن من تعظيم شعائر الله الكتابة على مشاهد الأنبياء والأولياء :

شبهات وأباطيل حول الكتابة على المشاهد :

منعت السلفية الهمفرية الكتابة على مشاهد الأنبياء والأولياء بما رواه ابن ماجة عن عبد الله بن سعيد عن حفص بن غياث عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن جابر : نهى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أن يكتب على القبور شيء .

الرد على شبهات وأباطيل منع الكتابة على المشاهد :

١- إن هذا الحديث ضعيف في السند ، فحديث ابن ماجة في سنده حفص بن غياث الذي قدحوا في حفظه وقالوا : إنه مدلس ففي ((تهذيب التهذيب)) لابن حجر قال يعقوب : يتقي بعض حفظه وقال ابن عمار : كان لا يحفظ فكيف يكون ثقة مأمونا من يدلس ؟ ! .

وفي سنده كذلك ابن جريج فقد قدحوا في روايته وحفظه وقالوا : إنه مدلس ، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب في حقه قال الدارقطني : تجنب تدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس ، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح ، وقال ابن حيان : كان يدلس فكيف يكون ثقة مأمونًا من يدلس ؟ ! .

وفي سنده سليمان بن موسى قال ابن حجر في : ((تهذيب التهذيب)) قال أبو حاتم : في حديثه بعض الاضطراب ، وقال البخاري : عنده مناكير ، وقال النسائي : ليس بالقوى في الحديث فكيف يكون مأمونًا من يكون في حديثه اضطراب ؟ ! .

فهذا حال الأحاديث التي يعتمد عليها السلفية الهمفرية في مخالفة سيرة المسلمين .

٢- إن الكتابة على القبور عامة مستحبة عند الشافعية ولا سيما قبور الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين ، فإنها لا تعرف إلا بذلك عند تطاول السنين . كما أن الكتابة على القبور جائزة عند الحنفية لئلا يذهب الأثر ولا يمتهن ، أما حكمها عند المالكية فهي جائزة مطلقًا عند أبي الحسن بن القصار البغدادي المتوفى سنة ٣٩٨ هـ. أما حكمها عند الحنابلة فيقول ابن مفلح الذي قال له ابن تيمية ((أنت مفلح لا ابن مفلح)) فانظر ماذا يقول ابن مفلح ؟ يقول : القبة والحظيرة والتربة إن كان في ملكه فعل ما شاء ، وإن كان في مسبلة- وهي الأرض الموقوفة- كره للتضيق بلا فائدة ، ويكون استعمالاً للمسبلة فيما لم توضع له (راجع كتاب الجنائز ص ٦٨١- ٦٨٢) .

٣- استمرار الكتابة علي القبور من عهد بعيد كما في ((وفاء الوفاء)) عن المسعودي في مروج الذهب أن أبا عبد الله جعفر بن محمد الحسن توفى سنة ١٤٨ هـ ودفن بالبقيع مع أبيه وجده قال : وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة مكتوب عليها ((بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن علي وابن الحسين بن علي وقبر محمد ابن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام ، وذكر أن هذا كان في سنة ٣٢٢ هـ .

ثم قال السمهودي : روى ابن أبي شيبه عن محمد بن يحيي قال : سمعت من يذكر أن قبر أم سلمة رضي الله عنها بالبقيع حيث دفن محمد بن زيد بن علي ، وأنه كان حضر فوجد على ثمانية أذرع حجرًا مكسورًا مكتوبًا في بعضه : أم سلمة زوج النبي ﴿ ﷺ وآله﴾، فبذلك عرف أنه قبرها وأمر محمد بن زيد بن علي أهله أن يدفنوه في ذلك القبر بعينه . ويتضح من كل ما تقدم أن الكتابة على قبور الأنبياء والأولياء سيرة المسلمين من عهد الصحابة وما بعدهم .

ثالثاً : إن من تعظيم شعائر الله الصلاة والدعاء عند مشاهد الأنبياء والأولياء:

شبهات وأباطيل ابن تيمية في الصلاة والدعاء عند مشاهد الأنبياء والأولياء :

يقول ابن تيمية في كتابة رسالة زيارة القبـــور ص ١٥٩ ، ١٦٠ : ((إن الصـــحابة كانوا إذا جاءوا عند قبر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ يسلمون عليه فـــإذا أرادوا الـــدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر ، بل ينحرفون ويستقبلون القبلة ويدعون الله وحده كما في سائر البقاع ، ولهذا لم يذكر أحد من أئمة السلف– عفوا يقصد السلف الهمفري – أن الصلاة عند القبور وفي مشاهدها مستحبة ولا أن الصلاة والدعاء هناك أفضـــل منها في غيرها بل أن الصلاة في المساجد والبيوت أفضل منها عنـــد قبـــور الأنبيـــاء والصالحين ، ثم ذكر ابن تيمية بعض الآيات والأخبار الواردة في المســـاجد كقولـــه تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ ﴾ (١) وقوله﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة ﴾ (٢) وقال ابن تيمية إنه لم يرد مثل هذه الآيات والأحاديـــث في المشاهد .

الرد علي شـبهات وأباطيـل ابـن تيميـة وذيولـه في منـع الصـلاة والـدعاء عنـد المشاهد :

(١) سورة التوبة – آية ١٨.

(٢) رواه مسلم في كتاب المساجد الحديث رقم ٢٤ ، ٢٥ وكتاب الزهد الحديث رقم ٤٣ ، ٤٤ والبخاري في كتاب الصلاة الباب ٦٥ وأبو داود في كتاب السنة الباب ٢٤ والترمذي في كتاب الصلاة الباب ١٢٠ ، ١٨٩ ، ٢٠٤ والنسائي في كتاب المساجد الباب الأول وابن ماجة في كتاب المساجد الباب الأول والتاسع وكتاب الإقامة الباب ١٨٥وكتاب التجارات الباب ٤٠

١- إن الشرع يجوز الصلاة والدعاء في كل مكان ، والأرض كلها لله تعالى ، وقد قال النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ﴾ (١) والصلاة والدعاء جائز في كل بقاع الأرض،ويرجح الصلاة والدعاء في الأماكن التي ثبت شرفها شرعاً ، لتشرف المكان بالمكين الموجب لتشرف روضة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بحلول جسده الشريف فيه ، ويدل عليه عمل المسلمين خلفا عن سلف .

٢- ويدل علي رجحان الدعاء عند قبر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٢) . وإن حرمته ﴿ ﷺ وآله﴾ ميتا كحرمته حيا كما سبق أن ذكرت في الباب السابق عندما قال الإمام مالك للخليفة العباسي المنصور . وقد استشهد بالآية المذكورة أهل المذاهب وشمس الدين الجزري في الحصن الحصين الذي قال : إن لم يستجيب الدعاء عند روضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ففي أي موضع يستجاب ؟ ! ولا ينافي ذلك ما دل على أن أفضل الجهات جهة القبلة لأن العام يخصص والمطلق يقيد .

وفي قول الخليفة المنصور للإمام مالك : أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ؟ دلالة واضحة على أن الدعاء عند الروضة الشريفة كان مشهورًا معروفًا لا يشك أحد في رجحانه، وإنما الذي توقف فيه المنصور أن استقبال القبلة حال الدعاء أفضل أم استقبال القبر . أما كون الصلاة والدعاء عند القبور وفي مشاهدها

---

(١) رواه البخاري في كتاب التيمم الباب الأول وكتاب الصلاة الباب ٥٦ ومسلم في كتاب المساجد الحديث ٣ ، ٤ ، ٥ وأبو داود في كتاب الصلاة الباب ٢٤ والترمذي في كتاب المواقيت الباب ١١٩ وكتاب السير الباب ٥ والنسائي في كتاب الغسل الباب ٢٦ وابن ماجة في كتاب الطهارة الباب ٩٠ والدارمي في كتاب الصلاة ١١١ وكتاب السير الباب ٢٨ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٢٥٠ ، ٣٠١ والجزء الثاني صفحة ٢٢٢ ، ٢٤٠ ، ٢٥٠ ، ٤١٢ ، ٤٤٢ ، ٥٠٢ والجزء الثالث صفحة ٣٠٤ والجزء الرابع صفحة ٤١٦ والجزء الخامس صفحة ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٦١ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ ، ٣٨٣

(٢) سورة النساء – آية ٦٤.

أفضل منها في غيرها فيكفي ما دل على شرف تلك البقاع بشرف من دفـــن فيهـــا الذي صار ملحقًا بالضروريات في شرع الإسلام كما شرف جلد الشاة بكونه جلدا للمصحف .

٣- أن الصلاة لله في المسجد طلبا لشرف المكان مستحبة وليست عبادة للمسجد ، فالمسلمون يصلون عند قبور شرفت بمن دفن فيها لتنالهم بركة أصحابها الذين جعلهم الله مباركين ، كما يصلون عند المقام الذي هو حجر شرف بملامسته رجـــل ســـيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام لقوله تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (١) . الذي يفهم منه أن سبب اتخاذ المصلى عنده تبرك الحجر بقيام سيدنا إبراهيم عليـــه ، ويدعون الله عندها لشرفها أيضًا بمن دفن فيها ، فيكون دعـــاؤهم عنـــدها أرجـــى للإجابة.

ومما تقدم يتضح أن قول ابن تيمية وذيوله على أن الصلاة في البيوت أفضل منها عند قبور الأنبياء والصالحين دعوى مجردة عن الدليل ، فمن هو الذي صرح بذلك مـــن أئمة السلف فضلاً عن كلهم ؟؟ فليأتنا ابن تيمية بواحد منـــهم – ســـوى مثلـــث الكفريات : هو ، وابن عبد الوهاب

الهمفري ، وابن القيم الخارجي – إن كان من الصادقين ؟!.

٤- وفي رحلة الإسراء والمعراج عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ فركبـــت ومعـــي جبريل فسرت فقال : انزل فصل ، ففعلت . فقال : أتدري أين صليت ؟ صـــليت بطيبة وإليها المهاجرة ، ثم قال : انزل فصل ، ففعلت ، فقال : أتدري أين صـــليت ؟ بطور سيناء حيث كلم الله تعالى موسي ، ثم قال : انزل فصل ، ففعلـــت ، فقـــال : أتدري أين صليت ؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيســـى ﴾ [راجـــع الخصـــائص الكبري للإمام السيوطي] .

---

(١) سورة البقرة – آية ١٢٥.

ومن رحلة الإسراء والمعراج يفهم أن محل ولادة عيسى ينبغي الصلاة فيه كطيبة وطور سيناء لفضله وبركته بولادة عيسى فيه ، أفلا يكون المكان الذي بورك بوجود جسد النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فيه مباركا مستحقًا لاستحباب الصلاة وعبادة الله تعالى فيه؟ !! .

٥- يقول الخارجي ابن القيم في كتابه زاد المعاد : ((إن عاقبة صبر سيدتنا هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام على البعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد آلت إلى ما آلت إليه من جعل أثارهما ومواطئ أقدامهما مناسك لعبادة المؤمنين وتعبدات لهم إلى يوم القيامة)) .

فإذا كانت آثار إسماعيل وهاجر عليهما السلام لأجل ما مسها من الأذى – على حد قول الخارجي ابن القيم- مستحقة لجعلها مناسك وتعبدات ، فأثار أفضل المرسلين الذي قال : ﴿ ما أوذي نبي قط كما أوذيت ﴾ [1] ألا تستحق أن يعبد الله فيها ، وهل تكون عبادة الله عندها والتبرك بها شركا وكفرا ؟ !! .

٦- كانت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ساكنة في الحجرة التي دفن فيها النبي ﴿ ﷺ وآله﴾وبقيت ساكنة فيها بعد دفنة ﴿ ﷺ وآله﴾ ودفن صاحبيه رضي الله عنهما ، وكانت تصلي رضي الله عنها فيها ، وذلك دليل عملي يبطل قول ابن تيمية بعدم جواز الصلاة والدعاء عند القبور كما سبق أن فندنا مزاعمه في الباب السابق .

---

(١) أورده ابن حجر في فتح الباري ٧ / ١٦٦ والمتقي الهندي في كنز العمال ٢٢٦١ ، ٥٨٧١ ، ٣٢١٦٠ ونعيم في حلية الأولياء ٦ / ٣٣٣.

رابعاً : إن من تعظيم شعائر الله إنارة مشاهد الأنبياء والأولياء :

شبهات وأباطيل حول إنارة المشاهد :

منعت السلفية الهمفرية إنارة روضة النبي ﴿ﷺ وآله﴾ بعدما كانت منارة حتى عام ١٣٤٦هـ ،

مستندين في ذلك بالحديث الذي سبق أن بينا ضعف سنده وهو : ﴿ لعن الله زوارات القبور – أو زائرات القبور – والمتخذين عليها المساجد والسرج ﴾ . ومع تسليم السند فالمنع عند السلفية الهمفرية محمول على صورة عدم المنفعة ، لانصرافه إلى ذلك فيكون تضييعاً للمال .

الرد علي شبهات وأباطيل منع إنارة المشاهد :

إن هذا الحديث ضعيف السند كما سبق أن بينا في الأبواب السابقة ، ومع ذلك فهو محمول على صورة عدم المنفعة لانصرافه إلى ذلك فيكون تضييعًا للمال . والرد علىذلك : أن إنارة مشاهد الأنبياء والأولياء لقراءة القرآن والأدعية والصلاة ، وانتفاع البائتين فيها ليس بمكروه أو محرم للنفع الظاهر في ذلك ، فيكون من التعاون على البر والتقوي المأمور به في الكتاب المجيد ، ويكون نظير ما حكىعن الترمذي أنه روي عن ابن عباس أن النبي ﴿ﷺ وآله﴾ دخل قبرا ليلا فأسرج له سراج ، قال المقريزي في شرح الجامع الصغير ص ١٩٨ الجزء الثاني في شرح قوله والسرج : محل ذلك حيث لا ينتفع بها الأحياء إلى أن قال : فإن كان هناك من ينتفع به صح ذلك ، وقال السندي في حاشية سنن النسائي : والنهي عنه لا تضييع مال بلا نفع ، فدل على أنه لا نهي حيث يكون هناك نفع . وقال الشيخ الحفني في حاشية الجامع الصغير : يحرم إسراج القناديل على قبر الولى ونحوه حيث لم يكن ثم من ينتفع لما فيه من إضاعة المال لا لغرض شرعي .

خامساً : إن من تعظيم شعائر الله تزيين مشاهد الأنبياء والأولياء بالكسوة وغيرها :

شبهات وأباطيل حول تزيين المشاهد :

يقولون إن تزيين أضرحة الأنبياء والأولياء بالكسوة والعمائم وإيقاد السراج فيها وتظليلها حرام لأنها مما لا ينتفع بها ، ويستندون في ذلك إلى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، رأى قبة علي قبر ميت فنحاها ، وقال رضي الله عنه : دعوة يظله عمله . ويتعلل هؤلاء بحديث ابن عباس الذي يقول فيه : ﴿ لعن رسول الله ﴾ ﷺ وآله﴾ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجدوالسرج ﴾.

الرد علي شبهات وأباطيل منع تزيين المشاهد :

ونقول ردا على هؤلاء :

١- إن من القواعد المعروفة شرعًا أصالة الإباحة في الأفعال والأقوال : ما لم ينه عنه الشارع خصوصًا أو عمومًا من غير معارض ، وعليها الأدلة من الإجماع وحكم العقل والنقل .

وقد اعترف بها ابن تيمية قائلاً في منهاج السنة في الرد علي الأشاعرة القائلين بتعذيب من لا ذنب له : ((بأن هذا مخالف للكتاب والسنة والعقل أيضًا)) .

وبالبناء على ما تقدم يكون إنكار هؤلاء تزين أضرحة الأنبياء والأولياء بالكسوة والإسراج وغيرها ، إنكارًا فيما لم يرد من الشرع فيه نهي وزجر ، لأصالة الإباحة الدالة عليها في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ (١) وأن الحكم فيها بالانتهاء والارتداع جزما وحتما خلاف ما عليه كتاب الله وسنة رسوله ، بل يكون قول هؤلاء بدعة لأنه إدخال ما ليس من الدين في الدين .

(١) سورة التوبة – آية ١١٥.

٢- قياس تزيين أضرحة الأنبياء والأولياء بالكسوة والإسراج وغيرها ، بتزين الكعبة وكسوتها والإسراج وغيرها ، فإن الجهة واحدة والإسراج وعدم الاستفادة بها علة مشتركة على حد زعم السلفية الهمفرية . والحال أن سيرة الخلفاء الراشدين على تعظيم الكعبة بذلك ، بل وسيرة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ كما يشهد بذلك التاريخ وكتب الحديث وقد ذكر ذلك ابن خلدون في مقدمته .

٣- (أ) إن ما نقل عن سيدنا عمر من قوله رضي الله عنه : دعوه يظله عمله ، غايته – إن صح- كراهة التظليل دون الحرمة ، كيف وروضته ﴿ ﷺ وآله﴾ وروضة أبي بكر وعمر تحت السقف بمرأي المسلمين والصحابة والتابعين إلى يومنا هذا؟؟ !! .

(ب) ما في البخاري والعقد الفريد من أنه لما مات سيدنا الحسن بن علي عليه السلام ضربت امرأته القبة على قبره ، ومعلوم أن القبة تظل القبر ، ولأجل ذلك يتضح المصير إلى الكراهة – إن صحت – ترتفع ببعض المصالح العامة ، مثل حفظ الزائر والقاريء عند القبر من الحر والبرد ، وهي مصلحة راجحة عند المسلمين ، وإن لم ينتفع بها الميت .

٤- إن رواية ابن عباس : ﴿ لعن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ﴾ :

(أ) : إن هذا الحديث خبر واحد ظني ، لا يقاوم الأخبار المتواترة المفيدة للقطع ، فلا ترتفع اليد عن القطع بالظن .

(ب) : إن اللعنة قبل النسخ كما تدل عليه رواية ابن مليكه عن عائشة رضي الله عنها حين أقبلت من المقابر قلت : أليس كان رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ نهى عنها ؟ قالت : نعم ثم أمر بها .

وقال محمد بن ابن عبد الهادي في حاشية النسائي في شرح قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ ((نهيتكم)) جمع بين الناسخ والمنسوخ والنهي والإذن .

(ج) : إن النهي موجه إلى النساء لحرمة خروجهن من بيوتهن بغير الإذن ، أولما في الخروج من لزوم الفساد .

ولو صح قول هؤلاء في حرمة ذلك ، لخالفتها السنة وعمل المسلمين ، فإن الإسراج في روضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ عليه المسلمون من زمن الخلفاء إلى يومنا هذا ، كما أن الإسراج ليس لغوا وعبثا كما يزعم هؤلاء ، فبالضياء يسترشد الزائرون والقارئون للقرآن عند روضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وأهل بيته وروضات أولياء الله الصالحين ، ومن ثم فلا يكون لغوًا ولا عبثًا ولا إسرافًا .

٥- إن القصد من تزيين أضرحة الأنبياء والأولياء بكسوها والإسراج وغيرها ، هو تعظيمها في أعين الناس ولجلب الخشوع والأدب ، هذا بالإضافة إلى حضور روحانيتهم المباركة عند قبورهم. وعليه فإن تزيين الأضرحة وكسوها وإسراجها وغيرها أمر جائز لا ينبغي النهي عنه ، والأعمال بالنيات ولكل امريء ما نوى ، فإنه – وإن كان بدعة حسنة– ولكنه هو من قبيل قول الفقهاء في كتاب الحج : إنه بعد طواف الوداع يرجع الحاج القهقري حتى يخرج من البيت ، لأن في ذلك إجلالا للبيت ، حتى قال في منهاج السالكين : ما يفعله الناس من الرجوع القهقري بعد الوداع، ليس فيه سنة ولا أثر محكي ، وقد فعله أصحابنا .

[راجع : كشف النور عن أصحاب القبور ، للشيخ عبد الغني النابلسي] .

هذا فضلاً عن أن تزيين أضرحة الأنبياء والأولياء وأئمة المسلمين بالكسوة والإسراج وغيرها فيه تعظيم لحرمات الله ، واجتلاب لمصلحة عباد الله ، لانتفاعهم بزيارة الأنبياء والأولياء وأئمة المسلمين ، ودفع مضرة المشي والحفر وغير ذلك ، والمحافظة على تعيين قبورهم وعدم اندثارها ، ولو وقعت المحافظة من الأمم السابقة على قبور أنبيائها لم تندثر ، فإن كثيرًا من قبور الأنبياء اندثرت لعدم الاهتمام بها وقلة الاعتناء بأمرها .

سادساً : إن تعظيم شعائر الله التبرك بمشاهد الأنبياء و الأولياء بلمس أو تقبيل أو طواف:

شبهات وأباطيل التبرك بالمشاهد :

يقولون إن التبرك بأضرحة الأنبياء والأولياء بلمس أو تقبيل أو طواف يعد عبادة لهذه الأضرحة ومن ثم يكون حرامًا .

الرد على شبهات وأباطيل منع التبرك بالمشاهد :

وهذا القول مردود بأدلة كثيرة نذكر منها :

١- إن التبرك بأضرحة الأنبياء بلمس أو تقبيل أو طواف أو غيرها لا يكون من الأفعال العبادية حتى يكون محرمًا ، وإنما هو من الأفعال العادية والحركات البدنية التي لا يتوقف الإتيان بها حتى صدور الأمر من الشارع ، فلو أتى به الإنسان لا يقصد العبادة لم يفعل محرمًا ، كما لو نظر إلى الضريح أو جلس عنده أو لمسه أو قبله أو غير ذلك مما لا يتوقف على اتباع الشارع .

فنحن- الصوفية- نقول : إن الإنسان لو أتى بهذه الأفعال من لمس أو تقبيل أو طواف قاصدًا بها العبادة فهو كافر مشرك لاعلى حد قول غيرنا فحسب بل على إجماع المسلمين كافة ، أما لو أتى حبا وشوقًا وتبركًا بصاحب الضريح إن كان نبيًا أو وليًا فلا يكون عبادة حتى يكون حرامًا . وقد روى الطبري في الكبير والأوسط تمريغ- الصحابي الجليل بلال رضي الله عنه-وجهه على قبر سيدنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ لما جاء لزيارته صلوات الله وسلامه عليه ، فلو كان تقبيل قبر سيدنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ عبادة له لما فعله الصحابي الجليل بلال رضي الله عنه .

٢- إن التمسح بروضة النبي ﴿ﷺ وآله﴾ واستلامها ، نظير التمسح بالحجر الأسود وتقبيله واستلامه ، واستلام الركن اليماني المسنون شرعا .

و إنك يا أخي المسلم لتعجب حينما يقولون إن الناس أمروا أن يصلوا عند مقام إبراهيم ولم يؤمروا أن يمسحوا ، فإنه إن كان المسح به حراما وكان شركًا خفيًا ، فالصلاة أولى بعدم الجواز شأنها شان المسح ولأنها عادة فتكون مفسدة الشرك فيها أعظم من مضرة المسح على حد مفهومهم . . وقال الحافظ بن حجر : استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود ، جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره ، ونقل عن ابن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف ، وأجزاء المصحف ، وأجزاء الحديث وأضرحة الأنبياء والأولياء .

٣- يقول قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن السبكي في كتابه ((شفاء السقام في زيارة خير الأنام)) الذي يرد على ابن تيمية ما يأتي : ((نحن نقطع ببطلان كلامه – أي ابن تيمية – وإن المعلوم من الدين وسيرة السلف الصالح التبرك ببعض الموتى من الصالحين ، فكيف بالأنبياء والمرسلين ؟ ومن ادعى أن قبور الأنبياء وغيرهم من الموتى المسلمين سواء فقد أتى أمرًا عظيمًا نقطع ببطلانه ، بل حط لرتبة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ إلى درجة غيره من المؤمنين ، وذلك كفر يقين ، فإن من حط رتبة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ عما يجب له فقد كفر ، فإن قال : هذا ليس بحط لكنه منع من التعظيم فوق ما يجب له ، قلت : هذا جهل وسوء أدب ، ونحن نقطع بأن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ يستحق التعظيم أكثر من هذا المقدار في حياته وبعد انتقاله ، ولا يرتاب في ذلك من في قلبه شيء من الإيمان)) .

٤- أما الطواف بأضرحة الأنبياء والأولياء فإن أريد به أنه مأمور به بخصوصه وأنه عبادة خاصة كالطواف بالكعبة فهو تشريعًا محرم ، لكن هذا لا يقصده أحد ، إنما يقصد الطائف حصول البركة ، حتى لا يبقي جانب من الضريح إلا وتناله بركته ، وكونه شبيهًا بالطواف بالكعبة لا يوجب حرمته فإنما الأعمال بالنيات ولكل امريء ما نوى ، وليس كل شبه بالعبادة يكون ممنوعًا وإلا لحرم تقبيل آدمي رحمة وتقبيل الميت لمشابهته تقبيل الحجر الأسود وهذا لا يقول به أحد .

وفي تاريخ مكة المكرمة المسمى بالإعلام بأعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفي ص ١٤ بالهامش خلاصة الكلام عن قصص الأنبياء ما يأتي حرفيًا ((إن إبراهيم عليه السلام لما جاء لزيارة ولده إسماعيل بمكة ، جاءته زوجة إسماعيل بحجر وهو حجر المقام الذي بنى عليه الكعبة فجلس عليه فغاصت رجلاه في الحجر وانصرف ، فلما جاء إسماعيل وجد رائحة أبيه فسأل زوجته فأخبرته وقالت : هذا موضع قدميه ، فقبل موضوع قدم أبيه من الحجر وحفظه تبركا به إلى أن بنى عليه فيما بعد إبراهيم عليه السلام الكعبة .

فهل كفر إسماعيل عليه السلام بتقبيله موضع قدم أبيه وتبركه بحجر وقف عليه أبوه؟!.

وهل هذا الحجر بوقوف إبراهيم عليه السلام صار أشرف من بقعة ضمت جسد سيد الأنبياء سيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ التي جعلتم تقبيلها والتبرك بها كفرًا وشركًا ؟! .

وفي البخاري في باب الإقتداء بسنن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قوله تعالى: ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (١)

وقال : أئمة نقتدي بمن قبلنا ويقتدي بنا من بعدنا . اللهم اجعلنا نقتدي بمن قبلنا ولا نشذ عن سيرة نبينا وسيرة أصحابه والتابعين .

وختامًا نبين خطأ من يتمسك بشبهات وأباطيل الذين قاموا بهدم قبور أهل البيت عليهم السلام وقبور الصحابة رضي الله عنهم والأولياء الصالحين بمكة والمدينة وغيرها مما احتلوه من البلاد لأن بلادهم ((نجد)) لم يجعل الله فيها نبيًا ولا صحابيًا ولا وليًا ولا عالمًا ولا صالحًا ولا عابدا منذ ظهور الإسلام إلى وقتنا هذا ، وإنما جعل بها قرن الشيطان وأتباعه خوارج القرن الثاني عشر والثالث عشر وما بعده ، فليتق الله من يتبع أذيال السلفية الهمفرية الفاسدة وضلالها المنصوص عليه من النبي ﴿ﷺ وآله﴾ الذي سماهم كلاب النار وأخبر أنهم شر من تحت أديم السماء .

---

(١) سورة الفرقان – آية ٧٤ .

الفصل السابع

زيارة روضات الأنبياء والأولياء

زيارة روضات الأنبياء والأولياء وشد الرحال إليها منصوص عليه في الكتاب والسنة وقد فعله النبي ﴿ﷺ وآله﴾ والصحابة رضي الله عنهم وندبه أئمة المذاهب الأربعة في كتبهم .

شبهات وأباطيل حول منع زيارة القبور وشد الرحال إليها :

١- منع مثلث الكفريات الخارجي ابن تيمية الحراني ، وابن عبد الوهاب النجدي ، وثالث الأثافي ابن القيم زيارة سيدنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وحرموها مطلقًا مع شد الرحال إليها فضلاً عن زيارة غيره ، حكى ذلك القسطلاني في إرشاد الساري ، وابن حجر الهيثمي في الجوهر المنظم . وزعم ثالوث الكفريات أنه محرم السفر لمشاهد الأنبياء والأولياء وأن شد الرحال إليها لا تقصر فيه الصلاة لأنه سفر معصية .

ففي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية أن الأحاديث التي رواها الدارقطني في زيارة روضة النبي ﴿ﷺ وآله﴾ كلها مكذوبة موضوعة باتفاق أهل المعرفة- ((يقصد بذلك المعرفة التيمية والوهابية)) – وكذلك تفرد بها الدارقطني عن بقية أهل السنن والأئمة كلهم يرون بخلافه .

٢- يقول الخارجي ابن تيمية الحراني في مقام تشنيعه علي المسلمين : إن شد الرحال لزيارة مشاهد الأنبياء والأولياء معناه أنهم يحجون إلى المشاهد كما يحج الحاج إلى البيت العتيق وما هو حجهم إلا قصدهم زيارتها فسماه حجا إرادة لزيادة التهويل والتشنيع كما هي عادته .

وفي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية لعبد الله بن الخارجي النجدي محمد بن عبد الوهاب ((وتسن زيارة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ إلا أنه لا يشد الرحال إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه)) واحتج السلفيون الهمفريون لذلك برواية البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ والمسجد الأقصى﴾ .

٣- إن زيارة القبور مخصوص بالرجال دون النساء لورود بعض الروايات في لعن زائرات القبور أو زوارات القبور ولتخصيص اللعن فيها بالزائرات أو الزوارات دون الزائرين .

وتستند الوهابية لعدم جواز النساء زيارة القبور لظاهر هذا النص . وبناء عليه منعت النساء من دخول البقيع .

أولا : مشروعية زيارة روضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ والرد على شبهات وأباطيل منع الزيارة :

إن زيارة روضة النبي ﷺ وآله تدل على مشروعيتها أدلة الشرع الآتية :

١ـ أدلة الكتاب :

قال تعالي : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [(١)] . إن المجيء إليه ﷺ وآله معناه الزيارة والحضور سواء أكان لطلب الاستغفار أو التسليم في حياته أو بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى لما دل عليه من حياته ﴿ ﷺ وآله﴾ الحياة البرزخية وسماعه تسليم من يسلم عليه وعرض الأعمال عليه ويقول شيخ الإسلام والمسلمين تقي الدين أبو الحسن

(١) سورة النساء – آية ٦٤.

علي السبكي المعاصر للخارجي الأزارقي ابن تيمية الحراني في كتابه ((شفاء السقام لزيارة خير الأنام)) فيما حكاه عنه السمهودي في وفاء الوفاء ص ٤١١ جزء ٢ والعلماء فهموا من الآية العموم لحالتي الموت والحياة واستحبوا لمن أتى روضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أن يتلوها .

ولا أدل علي ذلك من حكاية الأعرابي التى نقلها جماعة من الأئمة عن العتبي واسمه محمد بن عبد الله عمر وهي مشهورة حكاها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب وذكرها البدعي النجدي ابن عبد الوهاب في كتابه (أحكام تمني الموت) صفحة ٦٨ هذه القصة رواها الإمام النووي في كتابه الإيضاح الباب السادس ص ٤٩٨ تفسير القرطبي ج٥ ص ٣٦٥ وابن قدامة في كتابه المغني ج ٣ ص ٤٩٥ .

وذكرها ابن عساكر في تاريخة وابن الجوزي في ((مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن)) وغيرها بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي . ثم ذكر السمهودي هذه القصة بطريقتين آخرتين عن علي عليه السلام .

٢ـ أدلة السنة :

نقل السمهودي في وفاء الوفاء الجزء الثاني من صفحة ٢٩٤ حتى ص٤٠٢ أحاديث كثيرة عن زيارة روضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ونحن ننقلها عنه بيانا لأسانيد الزيارة في السنة .

أ– ما ورد من الأحاديث بلفظ الزيارة :

١– الدارقطني في السنن وغيرها والبيهقي وغيرهما بالأسانيد من طريق موسى بن هلال العبدي عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من زار قبري وجبت له شفاعتي ﴾ [١] .

---

(١) أورده الدارقطني في سننه ٢٧٨/٢ والدولابي في الكني والأسماء ٢ / ٦٤ والهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٤ وابن حجر في تلخيص الخبير ٢٦٧/٢ والسيوطي في الدر المنثور ١ /

٢- البزار عن طريق عبد الله بن إبراهيم الغفاري عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴿ من زار قبري حلت له شفاعتي ﴾ (١) .

٣- الطبراني في الكبير والأوسط والدارقطني في أماليه وأبو بكر المقريء في معجمه من رواية مسلمة بن سالم الجهني عن عبيد الله بن عمر بن نافع عن سالم عن ابن عمر قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ من جاءني زائراً لا تحمله حاجة إلي زيارتي كان حقًا علي أن أكون له شفيعًا يوم القيامة﴾ (٢) وأورد الحافظ ابن السكن هذا الحديث في باب ثواب من زار قبر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ من كتابه السنن الصحاح المأثورة .

٤- الدارقطني والطبراني في الكبير والأوسط وغيرهما من طريق حفص بن داود القاري عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي ﴾ (٣) .

٥- ابن عدي في الكامل من طريق محمد بن محمد النعمان عن جده عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني ﴾ (١) .

---

٢٣٧ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤ / ٤١٧ ، ٣٦٣/١٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٢٥٨٣.

(١)أورده الدارقطني في سننه ٢ / ٢٧٨ والدولابي في الكني والأسماء ٦٤/٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٤ وابن حجر في تلخيص الخبير ٢٦٧/٢ والسيوطي في الدر المنثور ١ / ٢٣٧ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤ / ٤١٧ ، ٣٦٣/١٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٢٥٨٣.

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٤ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤١٦/٤ والسيوطي في الدر المنثور ١ /
٢٣٧ والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٢٩١ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٤٩٢٨ .

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبري ٢٤٦/٥ والدارقطني في سننه ٢٧٨/٢ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤١٦/٤ والمتقي الهندي في كنز العمال ١٢٣٦٨ ، ٤٢٥٨٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٤ وابن حجر في المطالب العاليه ٤٠٧/١٢.

٦- الدارقطني في السنن من طريق موسى بن هارون عن محمد بن الحسن الجيلي عن عبد الرحمن بن المبارك عن عون بن موسى عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من زارني إلى المدينة كنت له شهيدًا وشفيعًا ﴾ (٢) .

٧- أبو داود الطيالسي عن سوار بن ميمون الجراح العبد عن رجل من آل عمر عن عمر سمعت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يقول : ﴿ من زار قبري أو قال : من زارني كنت له شفيعًا أو شهيدًا ﴾ (٣) .

٨- أبو جعفر العقيلي من رواية سوار بن ميمون عن رجل من آل الخطاب عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : ((من زراني متعمدًا كان جواري في يوم القيامة)) (٤) .

٩- الدارقطني وغيره من طريق هارون بن قزعه عن رجل من آل حاطب عن حاطب قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ﴾ (٥) .

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٢٣٧/١ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢٥٩/١ وابن عدي في الكامل ٢٤٨٠/٧ .

(٢) أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤١٦/٤ ، ٣٦٤/١٠ والسهمي في تاريخ جرجان ٢٢٠ ، ٤٣٤ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٢٥/١٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٧/١ ، ٥٥/٢ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢٢٤/٢ .

(٣)رواه البيهقي في السنن الكبرى ٢٤٥/٥ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢٢٤/٢ والمتقي الهندي في كنز العمال ١٢٣٧١ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٧/١ .

(٤) أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤١٦/٤ والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٧٥٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٧/١والمتقي الهندي في كنز العمال ١٢٣٧٣ والسيوطي في اللآليء المصنوعة ٧٢/٢ .

(٥) أورده الدارقطني في سننه ٢٧٨/٢ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤١٦/٤ وابن حجر في تلخيص الحبير ٢٦٦/٢ والمتقي الهندي في كنز العمال ١٢٣٧٢ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢٢٤/٢ والطبراني في المعجم الكبير ٤٠٦/١٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٤ .

١٠- أبو الفتوح بسنده من طريق خالد بن يزيد عن عبد الله بن عمر العمري عـــن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ((من زارني بعد مـــوتي فكأنما زارني وأنا حي ومن زارني كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة)) .

١١- ابن أبي الدنيا من طريق إسماعيل عن أبي فديك عن سليمان عن يـــزيد الكعبي عـــن أنس بن

مالك أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ من زارني بالمدينة كنت له شفيعًا وشهيدًا يوم القيامة ﴾ (١) رواه البيهقي بهذا الطريق ولفظه : ﴿ من زارني محتسبًا إلى المدينـــة كان في جواري يوم القيامة ﴾ (٢) .

١٢- ابن النجار في أخبار المدينة بسنده عن أنس قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من زارني ميتا فكأنما زارني حيا ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة وما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر ﴾ .

١٣- أبو جعفر العقيلي عن ابن عباس قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ مـــن زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيدًا أو قال شفيعًا﴾

١٤- بعض الحفاظ في زمن ابن منده بسنده عن ابن عباس قـــال رســـول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان ﴾ قال والحديث مسند في الفردوس.

---

(١) أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤١٦/٤ ، ٣٦٤/١٠والسهمي في تاريخ جرجان ٢٢٠ ، ٤٣٤ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٢٥٨٤ والسيوطي في الدر المنثور ١ / ٢٣٧.

(٢) أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤ / ٤١٦ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢ / ٢٢٤ ، والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٧/١ .

١٥- يحيي بن الحسن عن جعفر الحسيني في أخبار المدينة بسنده عن سيدنا علي عليه السلام قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرنيفقد جفاني ﴾ (١) .

بـ ما ورد من والأحاديث بغير لفظ الزيارة :

وفيما ورد من الأخبار والأحاديث دالا على فضل الزيارة وإن لم يكن فيه لفظ زيارة قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ ما من أحد سلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام﴾(٢) .

ويسند هذا الحديث إلى الحافظ زين الدين الحسيني الدمياطي وإلى أبي داود في سننه واعتمد جماعة من الأمة على هذا الحديث في مسألة الزيارة وصدر به أبو بكر البيهقي باب زيارة روضة النبي﴿ ﷺ وآله﴾ وهو اعتماد صحيح واستدلال مستقيم وذكره ابن قدامة عن رواية أحمد ولفظه : ﴿ ما من أحد يسلم علي عند قبري ﴾ ثم ذكر أحاديث في الصلاة والسلام عليه ، وفي علمه ﴿ ﷺ وآله﴾ بمن يسلم عليه .

معنى قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : (إلا رد علي روحي فأرد عليه السلام) .

المعنى في هذا الحديث كما أخبر بذلك الحافظ أبو بكر البيهقي وغيره علي وجهين .

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٢ / ٤٠٦ والهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٤ والبيهقي في السنن الكبري ٥/ ٢٤٥ وابن حجر في المطالب العاليه ١٢٣٥ .

(٢) رواه أبو داود في كتاب المناسك الباب ٩٩ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٥٢٧ والبيهقي في السنن الكبري ٢٤٥/٥ والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ / ١٦٢ وابن حجر في تلخيص الحبير ٢ / ٢٦٧ والتبريزي في مشكاة المصابيح ٩٢٥ والمنذري في الترغيب والترهيب ٤٩٩/٢ والمتقي الهندي في كنز العمال ٢٢٠٠ وابن كثير في تفسيره ٤٦٤/٦ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤١٩/٤ ، ١٠ /٣٦٥ والسيوطي في الحاوي للفتاوى ٢٦٤/٢ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ والنووي في الأذكار النووية ١٠٧ والسيوطي في اللآليء المصنوعة ١ / ١٤٧ .

١- الوجه الأول : يعني أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ بعدما مات ودفن رد الله عليه روحه لأجل من يسلم عليه واستقرت في جسده ﴿ ﷺ وآله﴾ .

٢- أن يكون ردا معنويًا وأن تكون روحه الشريفة مشتغلة بشهود الحضرة الإلهية والملأ الأعلى من هذا العالم فإذا سلم عليه أقبلت روحه الشريفة ﴿ ﷺ وآله﴾ على هذا العالم فيدرك سلام من يسلم عليه ويرد عليه .

حجية أحاديث الزيارة :

١- إن هذه الأحاديث مع كثرتها يعضد بعضها بعضا ، كما أنه لا حاجة لنا إلي الاستدلال بها للسيرة القطعية وعمل المسلمين البالغ حد الضرورة .

٢- إن دعوى هذه الأحاديث على كثرتها مكذوبة دعوى كاذبة لا يعضدها دليل وابن الجوزي وإن أورد بعضها في الموضوعات فقد أورد البعض الآخر في كتابه مثير الغرام الساكن واعتمد عليه كما روى في الحديث الرابع مع أن الحديث الخامس الذي جعله موضوعًا تعقبه- شيخ الإسلام والمسلمين الإمام تقي الدين أبو الحسن علي السبكي – فيه وقال : إن ذكره له في الموضوعات سرف منه كما مر ، كما تعقبه غيره في جملة من الأحاديث التي عدها في الموضوعات وباقي من نقل عنهم لعلهم كابن الجوزي إن صح نقله .

٣- أما قدوة هؤلاء الخارجي الأزارقي ابن تيمية الحراني- فحاله معلوم في التعصب لآرائه وأهوائه في تكذيب الأحاديث المشهورة التي يعضدها العقل والنقل تبعًا لشهوة نفسه وأوضح برهان ذلك تكذيبه حديث ضربة سيدنا علي عليه السلام يوم الخندق بالاستعبادات والدعاوي الباطلة حتى رد عليه صاحب السيرة الحلبية .

٤- إن قول أهل الشبهات والأباطيل أن هذه الأحاديث تفرد بها الدارقطني عن بقية أهل السنن يكذبه أنه روي جملة منها غير الدارقطني من أهل السنن وغيرهم كالبيهقي والبزار والطبراني وأبو بكر محمد المقري والحافظ بن السكن وابن عدي وأبو معلي

والإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن الجوزي والعقيلي والأزدي وأبو الفتوح وابن أبي الدنيا وابن النجار ويحيي بن الحسن كما سبق أن أوردنا وابن عساكر باعتراف السلفية الهمفرية- أعني الوهابية-.

٥- إذا كان الراوي بالرواية تفرد بها يوجب طرحها فما بال السلفية الهمفرية - أعني الوهابية- لم يطرحوا حديث أبي الهياج وقد تفرد به راويه على ما عرفته في الباب السابق الخاص بالبناء على القبور . ولكن السلفية الهمفرية تستند إلى الحديث الذي تفرد به أبو الهياج دون غيره لأن مؤداه استحلال دماء المسلمين وأموالهم ولا تطرحه ، أما الأحاديث الكثيرة الدالة على تعظيم النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ واستحباب زيارته الثابته بالفعل والنقل وإجماع المسلمين البالغ حد الضرورة فتستحق في مذهبهم الطرح ، بدعوى تفرد الدارقطني بها ويلتمس لها الوجوه والتأويلات لطرحها عند السلفية الهمفرية لأنهم يعظم عليهم تعظيم من عظمه الله . كما يعظم عليهم الخروج على قول مثلث الكفريات الخارجي الأزارقي ابن تيمية الحراني والخارجي النجدي ابن عبد الوهاب وثالثهم الخارجي ابن القيم .

٦- يردد مثلث الكفريات في كتبهم أن الأئمة كلهم يردون بخلاف هذه الأحاديث التي تدل علي استحباب زيارة روضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وهذه من مثلث الكفريات دعوى كاذبة فمن هم الأئمة الذين ردوا أن زيارة روضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ لا تستحب أو لا يستحب شد الرحال إليها غير ما توهمه مثلث الكفريات بعقولهم السقيمة العقيمة ؟؟ التي يتضح منها سخافة توهمهم فيها .

وقد رويت في ذلك أحاديث كثيرة تكاد تبلغ حد التواتر عن أئمة أهل البيت رواها عنهم الأصحاب بأسانيد متصلة صحيحة موجودة في مكانها وتدل عليها أيضًا الأحاديث التي رويت عنه ﴿ ﷺ وآله﴾ بأنه يرد سلام من يسلم عليه التي اعترفت بها السلفية الهمفرية- أعني الوهابية- وقدوتهم ابن تيمية .

٣ـ الإجماع :

أجمع المسلمون خلفا عن السلف من عهد النبي ﴿ﷺ وآله﴾ والصحابة إلي يومنا هذا قولاً وعملاً علي استحباب زيارة قبور الأنبياء والأولياء بل وسائر المؤمنين ومشروعيتها ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا ابن تيمية والسلفية الهمفرية– الوهابية– بل إن سيرة المسلمين مستمرة عليها من عهد النبي ﴿ﷺ وآله﴾ والصحابة والتابعين وتابعيهم في كل عصر وفي كل بلد ما عدا بلدة قرن الشيطان نجد وما حولها أهل الرعوية الإبليسية .

أـ رد العلماء على الخارجي ابن تيمية الحراني :

١– رد شيخ الإسلام والمسلمين الإمام تقي الدين أبو الحسن علي السبكي قال السمهودي في وفاء الوفاء ص ٤١٢ حتي ٤١٧ الجزء الثاني نقلاً عن شيخ الإسلام والمسلمين تقي الدين أبو الحسن علي السبكي قال عياض : زيارة روضة النبي ﴿ﷺ وآله﴾ سنة بين المسلمين مجمع عليها ، وفضيلة مرغوب فيها . واجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووي بل قال بعض الظاهرية بوجوبها واختلفوا في النساء وامتازت الروضة الشريفة بالأدلة الخاصة بها ، ولهذا أقول إنه لا فرق بين الرجال والنساء ، وقال الجمال الريمي يستثني أي من محل الخلاف روضة النبي ﴿ﷺ وآله﴾ وصاحبيه فإن زيارتهم مستحبة للنساء بلا نزاع كما اقتضاه قولهم في الحج ، يستحب لمن حج أن يزور روضة النبي ﴿ﷺ وآله﴾ وقد ذكر ذلك بعض المتأخرين وهو الدمنهوري الكبير وأضاف إليه قبور الأنبياء والأولياء .

لقد تصدى لابن تيمية شيخ الإسلام والمسلمين تقي الدين أبو الحسن علي السبكي قدس الله روحه في كتابه ((شفاء السقام في زيارة خير الأنام)) حيث قال : إن عثرة ابن تيمية– في زيارة روضة النبي ﴿ﷺ وآله﴾ وغيرها – لا تقال أبدًا، ومصيبة يستمر شؤمها سرمدا ليس بعجيب فإنه سولت له نفسه وهواه وشيطانه أنه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب وما دري المحروم أنه بأقبح المعائب إذ خالف إجماعهم في

مسائل كثيرة وتجاسر على أئمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شـــهير حتى تجاوز الجناب الأقدس المتره سبحانه عن كل نقص والمستحق لكل كمال أنفس ، فنسب إليه الكبائر والعظائم وخرق سياج عظمته بما أظهر للعامة علي المنـــابر مـــن دعوي الجهة والتجسيم وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين حتى قـــام عليه علماء عصره وألزموا السلطان بقتله أو حبسه وقهـــره فحبســـه إلى أن مـــات وخمدت تلك البدع وزالت تلك الضلالات ثم انتصر له أتباع لم يرفع الله لهم رأسا ولم يظهر لهم جاها ولا بأسا ، بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله بما عصوا وكانوا يعتدون .

٢- وسند المحدثين الشيخ محمد البرلسي في كتابه إتحاف أهل القرآن برؤية الأنبيـــاء والملائكة والجان.

٣- وشهاب الدين أحمد الخفاجي المصري في كتابه نسيم الرياض شرح شفاء القاضي عياض فقالوا جميعًا عنه أن ما تجاسر به ابن تيمية في السفر لزيارة روضة الـــنبي﴿ ﷺ وآله﴾ وشد الرحال إليها يعد ما تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع ، وقد عـــاد شـــؤم كلامه عليه بمخالفة الأئمة المجتهدين في مسائل كثيرة واستدرك على الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة حقيرة فسقط من أعين علماء الأمة ، وصار مثله بين العوام فضلاً عن الأئمة وتعقب العلماء كلماته الفاسدة وزيفوا حججـــه الداحضـــة الكاســـدة وأظهروا عوار سقطاته وقبائح أوهامه .

٤- الملا على القارئ في المجلد الثاني من كتابه شرح الشفاء أنه قال : ((قد فرط ابن تيمية حيث حرم السفر لزيارة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ كما أفرط غيره ، حيـــث قـــال : كون الزيارة قربة معلوم من الدين، وجاحده محكوم عليه بالكفر ، ولعل الثاني أقرب إلى الصواب ، لأن تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرا لأنه فوق تحريم المباح .

٥- وقال ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي صاحب الصواعق في كتابه ((الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم)) مشروعية زيارة روضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بعدة أدلة منها الإجماع راجع كذلك كشف الظنون ص ١٢ طبعة عام ١٢٧٩ هـ .

٦- وقال العز بن جماعة عن قول ابن تيمية أنه عبد أضله الله تعالى وأغواه وألبسه رداء الخزي وأرداه وبوأه من قوة الافتراء والكذب ما أعقبه الهوان وأوجب له الحرمان .

ب- المنقول من فعل الصحابة والمسلمين في زيارة روضة النبي ﴿ﷺ وآله﴾ :

١- المنقول من فعل الصحابة:

١- إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قدم المدينة المنورة من فتوح الشام كان أول ما بدأ بالمسجد وسلم على سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ .

٢- روى عبد الرازق بإسناد صحيح أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر أتى روضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾فقال : ((السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه)) .

راجع وفاء الوفاء للسمهودي ص ٤٠٩ الجزء الثاني .

٣- وفي الموطإ من رواية يحي بن يحي أن ابن عمر كان يقف عند روضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فيصلي ويسلم على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وعلى أبي بكر وعمر .

٤- وعن ابن عون سأل رجل نافعا هل كان ابن عمر يسلم على القبر ؟ قال : نعم لقد رأيته مائة مرة أو أكثر من مائة كان يأتي القبر عنده فيقول السلام على النبي وعلى أبي بكر وعلي أبي

٥- وفي مسند أبي حنيفة عن ابن عمر : من السنة أن تأتي قبر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ من قبل القبلة وتجعل ظهرك إلى القبلة وتستقبل القبر بوجهك ثم تقول السلام عليك أيها

النبي ورحمة الله وبركاته ، أخرجه الحافظ بن محمد في مسنده وعن صالح بن أحمد عن عثمان بن سعيد عن أبي عبد الأضحى المقري عن أبي حنيفة عن نافع عن ابن عمر .

٢ـ المنقول من فعل المسلمين :

ذكر المؤرخون والمحدثون منهم ابن عبد البر والبلاذري وابن عبد ربه : ((إن زياد ابن أبيه أراد الحج فأتاه أبو بكر أخوه وهو لا يكلمه فأخذ ابنه فأجلسه في حجرة ليخاطبه ويسمع زيادا فقال : إن أباك فعل وفعل وأنه يريد الحج وأم حبيبة زوج النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ هناك فإن أذنت له فأعظم بها مصيبة لرسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ وإن حجبته فأعظم بها حجة عليه ، فقال زياد : ما تدع النصيحة لأخيك ، وترك الحج)).

راجع وفاء الوفاء ص ٤١٠ الجزء الثاني .

والقصة تشهد على أن زيارة الحاج كانت معهودة من ذلك الوقت وإلا فكان يمكن الحج من غير طريق المدينة بل هي أقرب إليه لأنه كان بالعراق . ولكن كان إتيان المدينة عندهم أمر لا يترك .

ثانياً – مشروعية زيارة سائر القبور :

ثبت أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ كان يزور أهل البقيع وشهداء أحد وروى ابن ماجة بسنده عنه ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة ﴾ [(١)] .

وفي حاشية السندي عن الزوائد : إن رجال إسناده ثقات وبسنده عنه ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة ﴾ [(١)]

رواه مسلم ص ٣٢٥ ، بهامش إرشاد الساري .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنائز الحديث رقم ١٠٨ والترمذي في كتاب الجنائز الباب ٦٠ والنسائي في كتاب الجنائز الباب ١٠١ وابن ماجة في كتاب الجنائز الباب ٤٧ ، ٤٨ .

قال النووي في شرح صحيح مسلم وهو حديث صحيح بلا شك ، روى مسلم : ﴿ أنه كلما كانت ليلة عائشة من رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يخرج من آخر الليل إلى البقيع ، فيقول : ﴿ السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون ﴾ وعلم ﴿ ﷺ وآله﴾ عائشة حين قالت له : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : ﴿ السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ﴾ (٢) ص ٣١٨ الجزء الرابع بهامش إرشاد الساري .

وحكى السمهودي في ((وفاء الوفاء)) عن الحافظ زين الدين الحسيني الدمياطي أن زيارة قبور الأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء والأولياء وسائر المؤمنين للبركة أثر معروف . وقد قال حجة الإسلام الغزالي : كل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد موته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض .

وقد روى عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه قال : ﴿ آنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا ﴾ .

وعن ابن عباس : ﴿ ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام ﴾ (٣) .

وروي : ﴿ من زار قبر أبويه في كل يوم جمعة أو أحدهما يحتسب بارا وإن كان في الدنيا قبل ذلك بهما عاقا ﴾ (١) .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنائز الحديث ١٠٦ وكتاب الأضاحي الحديث ٣٧ والموطأ في كتاب الضحايا الحديث ٨ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ٣٨ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنائز ١٠٣ والنسائي في كتاب الجنائز الباب ١٠٣ وابن ماجة في كتاب الجنائز الباب ٣٦ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٣٠٠ ، ٣٧٥ ، ٤٠٨ والجزء السادس صفحة ٧١ ، ٧٦ ، ١١١ ، ١٨٠ ، ٢٢١ .

(٣) أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣٩٥/١٠ والسيوطي في الحاوي للفتاوى ٣٠٢/٢ وابن كثير في تفسيره ٦ / ٣٣٠ .

وروى عن السيدة فاطمة عليها السلام أنها كانت تزور قبر سيدنا حمزة رضي الله عنه وشهداء أحد

كل يوم جمعة أو بين اليومين والثلاثة وكفى بفعلها دليلا وحجة .

ثالثاً : منع الخارجي ابن تيمية الحراني شد الرحال لزيارة روضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

منع الخارجي الأزارقي ابن تيمية والخارجي النجدي ابن عبد الوهاب شد الرحال إلى زيارة النبي ﴿ ﷺ وآله ﴾فضلاً عن غيره وفي مقام التشنيع يقول الخارجي الأزارقي ابن تيمية : إن الذي يزور روضة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ إنما يحج إلى مشهده كما يحج الحاج إلى البيت العتيق كما هي عادته في إرادته زيادة التهويل وفي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية لعبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب وتسن زيارة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ إلا أنه لا يشد الرحال إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه واحتجت السلفية الهمفرية- الوهابية- لذلك برواية البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجد الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ والمسجد الأقصى ﴾ .

الرد علي منع الخارجي ابن تيمية الحراني شد الرحال لزيارة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

١- إن الحصر في هذا الحديث وغيره إضافي لا حقيقي أي لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد إلا هذه الثلاثة لأن هذا الاستثناء مفرغ قد حذف منه المستثني منه وكما

---

(١) أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٠ / ٣٦٣ والهيثمي في مجمع الزوائد ٥٩/٣ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٥٤٨٦ ، ٤٥٤٨٧ ، ٤٥٥٤٣ ، ٤٥٥٤٤ والتبريزي في مشكاة المصابيح ١٧٦٨ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٤٧٤/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٧٤ ، ٥ / ٢٧٥ وفي اللآليء المصنوعة ٢ / ٢٣٤ .

يمكن تقديره لا تشد الرحال إلي مكان يمكن تقديره إلى مسجد لكن الثاني هو المتعين لأن ذلك هو المفهوم عرفا من أمثال هذه العبارة .

٢- يجوز السفر وشد الرحال إلى أي مكان سواء للتجارة أو طلب العلم والجهاد أو زيارة العلماء والصلحاء والتداوي والنزهة والولاء والقضاء وغير ذلك مما لا يحصى ولقد قيل إن هذا خصص بالدليل للزم تخصيص الأكثر وهو غير جائز كما تقـــرر في الأصول .

٣- لا يشك من عنده أدنى معرفة في أن المراد بقوله لا تشد الرحال إلا إلى ثـــلاث مساجد أنه لا يسافر إلى غيرها من المساجد لا أنه لا يسافر إلى مكان مطلقا ، على أنه لا يفهم من هذه الأحاديث حرمة السفر إلى باقي المساجد بل هي ظاهرة في أفضـــلية هذه المساجد على ما عداها بحيث بلغ من فضلها أن تستحق شد الرحـــال والســـفر إليها .

٤- إن من سافر للصلاة في مسجد طلبا لإجراء فضيلة الصلاة فيهـــا غـــير هـــذه المساجد الثلاثة كمسجد الإمام الحسين ومسجد السيدة زينب عليهـــا الســـلام أو مسجد الإمام أبي حنيفة النعمان والإمام الشافعي وسيدي أحمد البـــدوي وســـيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنهم أجمعين- كيف يكون سفره للصلاة بها إثما ومعصية . فالسفر للطاعة لا يكون إلا طاعة كما أن السفر للمعصية لا يكـــون إلا معصـــية وكيف تكون مقدمة المستحب محرمة ؟ ! .

أـ زيارة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ إلي مسجد قباء كل يوم سبت :

إن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ والصحابة كانوا يذهبون كل سبت إلى مسجد قباء بينه وبـــين المدينة ثلاثة أميال ركبانا ومشاة لقصد الصلاة فيه ، ولا فرق في السفر بين الطويـــل والقصير لعموم النهي وقد روى البخاري في صحيحه : ﴿ أن الـــنبي ﴿ ﷺ وآلـــه﴾

كان يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا وأن ابن عمر كان يفعل ذلك ﴾ راجع ص ٣٢٢ الجزء الثاني من إرشاد الساري .

وروى النسائي في سننه : ﴿ أنه كان رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يـأتي قبـاء راكبًـا وماشيًا﴾ وأنه قال : ﴿ من خرج حتي يأتي هذا المسجد مسجد قباء فصلى فيه كـان له عدل عمره ﴾ (1) .

بـ شجرة تستأذن المولى سبحانه في أن تسلم علي رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ :

روى أحمد بإسنادين أحدهما برجال الصحيح عن يعلي بن مرة من حديث قال فيـه : ثم سرنا فنزلنا منزلا فنام النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فجاءت شجرة تشق الأرض حتي غشيته ﴿ ﷺ وآله﴾ ثم رجعت إلى مكانها فلما استيقظ ذكرت له فقال ﴿ ﷺ وآلـه﴾ : ﴿ هي شجرة استأذنت ربها عز وجل أن تسلم على رسول الله فأذن لها ﴾ (2) فإذا كان هذا حال شجرة فكيف بالمؤمن المأمور بتعظيم هذا النبي الكريم المتحلي بالشوق إليه وحديث حنين الجذع يؤكد ذلك وقد سبق أن قلنا : إن الإمام الغزالي يجـوز شـد الرحال لزيارة من يتبرك به بعد موته من الأنبياء والأولياء .

جـ زيارة سيدنا بلال لروضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

(١) رواه الحاكم في المستدرك ١٢/٣ والطبراني في المعجم الكبير ٦ / ٩٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٤٩٧٢ ، والبخاري في التاريخ الكبير ١ /٩٦ والنسائي في سننه ٣٧/٢ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ٤٨٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣ / ٢٧٨ .

(٢) رواه احمد في الجزء الرابع صفحة ١٧٣ والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٩ وأبو نعيم في دلائل النبوة ١٣٩ والتبريزي في مشكاة المصابيح ٥٩٢٢ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٧ / ١٩٣ وابن كثير في البداية والنهاية ٦ / ١٨٥.

لما رحل عمر بن الخطاب من فتح بيت المقدس إلى جابية سأل بلال بن رباح– مؤذن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ – أن يقره بالشام ففعل .
فرأى بلال في منامه النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وهو يقول له : ما هذه الجفوة يا بلال أما آن لك أن تزورني يا بلال ؟ فانتبه حزينا وجلا خائفا ، فركب راحلته ، وقصد المدينة المنورة ، فأتى روضةالنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ، فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه ، فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمها ويقبلهما ، فقالا له : يا بلال نشتهي أن نسمع أذانك فلما قال : الله أكبر ارتجت المدينة فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، ازدادت رجتها فلما قال : أشهد أن محمدًا رسول الله خرجت العواتق من خدورهن وقالوا : بعث رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فما رئى بالمدينة بعده ﴿ ﷺ وآله﴾أكثر باكيا وباكية من ذلك اليوم [راجع إرشاد الساري ض ٤٠٨ الجزء الثاني كما رواه ابن عساكر بسند جيد عن أبي الدرداء] .
وقد قال شيخ الإسلام تقي الدين أبو الحسن علي السبكي : في كتابه شفاء السقام لزيارة خير الأنام : ليس اعتمادنا على رؤية المنام فقط بل على فعل بلال سيما في خلافة عمر والصحابة متوافرون ولا تخفي عنهم هذه القصة ورؤيا بلال للنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ مؤكدة لذلك .

د- زيارة كعب الأحبار لروضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾

قال الإمام أبو بكر بن عمرو بن عصام النبيل ووفاته في المائة الثالثة في فتوح الشام : ((إن عمر لما صالح أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم وفرح بإسلامه قال له : هل لك أن تسير معي إلى المدينة المنورة وتزور روضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وتتمتع بزيارته ؟ قال : نعم . ولما قدم عمر المدينة المنورة كان أول ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾)) [راجع كتاب إرشاد الساري ص ٤١٧ الجزء الثاني] .

هـ- إرسال عمر بن العزيز بريد من الشام للسلام على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يبرد البريد من الشام يقول : سلم لي على رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وذلك في زمن صدر التابعين ومما ذكر ذلك الإمام أبو بكر بن عمرو بن عاصم النبيل في مناسكه : ((وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصدا من الشام إلى المدينة المنورة ليقريء النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ السلام ثم يرجع)) .

رابعاً : عدم اختصاص زيارة القبور بالرجال

منع ابن تيمية وابن عبد الوهاب من زيارة النساء للقبور :

يتخرص الخارجي الأزارقي ابن تيمية والخارجي النجدي ابن عبد الوهاب بحديث لعن زائرات القبور أو زوارت القبور ، ويذكرون هذا الوضر في كتبهم مع علمهم بالقدح في سند هذه الأحاديث بالضعف وفي متنها بالاضطراب ، وبخصوص اللعن بالزائرات أو الزوارات دون الزائرين لكن إذا شد الرجال الرحال لزيارة القبور قيرد عليهم اللعن كالنساء . .

وهذا اللعن الوارد على النساء من الخوارج علته في فهمهم السقيم والعقيم منافاة ذلك لكمال الستر المطلوب للمرأة .

الرد على منع ابن تيمية وابن عبد الوهاب من زيارة النساء للقبور :

يدل على جواز زيارة النساء للقبور بل استحباب زيارتهن مشاهد الأنبياء والأولياء ما في ((وفاء الوفاء)) أن سيدتنا فاطمة بنت سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ كانت تزور روضة سيدنا حمزة وترمه وتصلحه وقد تعلمته بحجر ، وأنها عليها السلام كانت تزور قبور شهداء أحد بين اليومين والثلاثة.

روى ذلك ابن أبي شيبه عن أبي جعفر ورذين ورواه يحيي بنحوه عن أبي جعفر عـــن أبيه علي بن الحسين وزاد ((فتصلي هناك وتدعو وتبكي حتي انتقلـــت إلى الرفيـــق الأعلى)) راجع ص ١١٢ الجزء الثاني بهامش إرشاد الساري .

الفصل الثامن

التـــــبرك

مفهوم حقيقة التبرك :

يخطئ القرنيون في فهم حقيقة التبرك بالنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وآثاره وبأهل بيته الطيـــبين الطاهرين عليهم السلام ، وبورثته من العلماء رضي الله عنهم . فهم يصفون كل من تبرك بهم بالكفر والشرك كما هي عادتهم في كل جديد يضيق عنه نظرهم ويقصر عن إدراكه فهمهم . وقبل أن نبين أدلة مشروعية ذلك التبرك ، يتعين علينا أن نعلـــم أن التبرك ليس إلا توسل إلى الله سبحانه وتعالى بذلك المتبرك به سواء كان شخصًـــا أو أثرًا أو مكانًا .

أما الأشخاص فلاعتقاد فضلهم وقربهم من الله سبحانه وتعالى مع اعتقاد عجزهم عن جلب خير أو دفع شر إلا بإذنه سبحانه وتعالى . أما الآثار فلأنها منسوبة إلى هـــؤلاء الأشخاص فهي مشرفة بشرفهم ، ومكرمة ومعظمة محبوبة لأجلهم .

أما الأمكنة فلا فضل لها لذاتها من حيث هي أمكنة ، وإنما لما يحل فيها ويقع من خـــير وبر كالصلاة والصيام وجميع العبادات مما يقوم به عباد الله الصالحون . إذ تتنزل فيها الرحمات وتحضرها الملائكة وتغشاها السكينة ، وهذه هي البركة التي تطلب من الله في الأماكن المقصودة لذلك .

وهذه البركة تطلب للتعرض لها في أماكنها بالتوجه إلى الله تعالى ودعائه واســـتغفاره وتذكر ما وقع في تلك الأماكن من حوادث عظيمة ومناسبات كريمة ، تحرك النفوس، وتبعث فيها الهمة النشاط للتشبه بأهلها أهل الفلاح والصلاح .

مظاهر تشريف الله تعالى لنبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ :

١- بذكر اسمه ﷺ وآله في الأذان :

إن الله تعالى أكرم نبيه محمدًا ﴿ ﷺ وآله﴾ بأن قرن اسمه باسمه في الأذان وعلى ألسنة الناس ، فكلما قال الناس : لا إله إلا الله قالوا : محمد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وقد فسر العلماء قول الله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [(١)] بأنه تعالى قرن اسم نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ في الأذان باسمه الكريم .

قال الإمام الشافعي في الرسالة في قوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ لا أذكر إلا ذكرت معي . وفي الدر المنثور للسيوطي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ أتاني جبريل فقال : إن ربك يقول : أتدري كيف رفعت ذكرك ؟ قلت : الله أعلم ، قال : إذا ذكرتذكرت معي ﴾ [(٢)] .

٢- بذكر اسمه ﴿ ﷺ وآله﴾ في القرآن :

إن الله تعالى عطف اسم نبيه الكريم على اسمه عز وجل في غير ما آية من كلامه العزيز ، فكان في ذلك أعلى مقامات الكرامة والإجلال ، ومع ذلك فلم يتوهم في عهده النبوة ولا فيما بعدها أن ذلك إشراكًا بالله تعالى ، ولا رفعًا لسيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ فوق رتبة المخلوق المصطفى والعبد المكرم ومن هذه الآيات القرآنية التي نذكرها علي سبيل المثال لا الحصر قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ، قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [(٣)] فقرن حبه تعالى ومغفرته باتباع رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، قال تعالى : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ

---

(١) سورة الشرح – آية ٤.

(٢) أورده الهيثمي في موارد الظمآن ١٧٧٢ وفي مجمع الزوائد ٨ / ٢٥٤ والطبري في تفسيرة ٣٠ / ١٥١ وابن كثير في تفسيرة ٨ / ٤٥٢ .

(٣) سورة آل عمران – آية ٣١-٣٢.

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (١) .

فرتب دخول الجنة والفوز العظيم على طاعة الله ورسوله ، وجعل الخلود في النار والعذاب المهين جزاء المعصية لله ورسوله .

وقال تعالي : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

فقد جعل الله ورسوله علامة الإيمان كما جعل طاعة رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ طاعة له جل وعلا فقال : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾(٣) .

وكما قرن جل شأنه طاعته بطاعة رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ فقد قرن الإيمان به تعالى بالإيمان برسوله في آيات كثيرة ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ (٤) وقال تعالي : ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ (٥) وقال جل ذكره وعلا شأنه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٦) وقد جعل تعالى حربه حرب رسوله فقال : ﴿ فَأْذَنُواْ

(١) سورة النساء – آية ١٣- ١٤.
(٢) سورة الأنفال – آية ١.
(٣) سورة النساء – آية ٨٠.
(٤) سورة النساء – آية ١٣٦.
(٥) سورة الحديد – آية ٧.
(٦) سورة الصف – آية ١٠-١١.

بحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [1] وجعل تعالى براءته براءة رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ ومحاددته محاددته ، ومشاققته مشاققته فقال جل من قائل : ﴿ بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [2] وقال جل ذكره : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ [3] .

وجعل تعالى ولايته ولاية رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال جل شأنه : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ومَنْ يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [4].

وجعل علا شأنه الهجرة إلى الله ورسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ واحدة فقال : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ ﴾ [5] .وأمرنا تعالى برد ما تنازعنا فيه إلى الله ورسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [6] .

وجعل عز وجل تحريم رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ تحريمه قال جل ذكره وعلا شأنه : ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[7] .

---

(١) سورة البقرة – آية ٢٧٩.

(٢) سورة التوبة – آية ١.

(٣) سورة التوبة – آية ٦٣.

(٤) سورة المائدة – آية ٥٥-٥٦.

(٥) سورة النساء – آية ١٠٠.

(٦) سورة النساء – آية ٥٩ .

(٧) سورة التوبة – آية ٢٩.

وعطف تعالى إيتاء رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ على إيتائه ورضاه علي رضائه فقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

وجعل تعالى وعد رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ وعده فقال جل ذكره وتعاظم شأنه : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ (٣)

وعطف تعالى قضاء رسوله ﷺ وآله على قضائه ونفي الحيف والظلم عن رسوله كما نفاه عن نفسه فقال جل شأنه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (٤) .

أمر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بالتبرك وإذنه في ذلك :

١- الأحاديث التي أمر فيها ﴿ ﷺ وآله﴾ بالتبرك به بلغت حد التواتر ، وقد أقر عليها ﴿ ﷺ وآله﴾ أصحابه ، وقد انعقد الإجماع على أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ لا يقر على باطل . فمن هذه الأحاديث التي أمر فيها بالتبرك به :

عَنْ طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ خَرَجْنَا وَفْدًا إِلَى رَسُولِ ٱلنَّبِيِّ ﴿ ﷺ وآله﴾ فَبَايَعْنَاهُ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ وَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّ بِأَرْضِنَا بِيعَةً لَنَا فَاسْتَوْهَبْنَاهُ مِنْ فَضْلِ طَهُورِهِ فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ وَتَمَضْمَضَ ثُمَّ صَبَّهُ فِي إِدَاوَةٍ وَأَمَرَنَا فَقَالَ :" اخْرُجُوا فَإِذَا أَتَيْتُمْ أَرْضَكُمْ فَاكْسِرُوا بِيعَتَكُمْ وَانْضَحُوا مَكَانَهَا بِهَذَا الْمَاءِ وَاتَّخِذُوهَا مَسْجِدًا " .قُلْنَا إِنَّ الْبَلَدَ بَعِيدٌ وَالْحَرَّ شَدِيدٌ

---

(١) سورة التوبة – آية ٥٩.
(٢) سورة التوبة – آية ٦٢.
(٣) سورة الأحزاب – آية ٢٢.
(٤) سورة الأحزاب – آية ٣٦.

وَالْمَاءَ يَنْشَفُ قَالَ: " مُدُّوهُ مِنَ الْمَاءِ فَإِنَّهُ لاَ يَزِيدُهُ إِلاَّ طِيبًا " [1] . رواه النسائي كذا في المشكاة (رقم ٧١٦) وهذا الحديث من الأصول

المعتبرة المشتهرة الدالة على مشروعية التبرك به وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه فإنه ﴿ ﷺ وآله﴾ أخذ وضوءه ثم جعله في إناء ثم أمرهم أن يأخذوه معهم إجابة لطلبهم وتحقيقًا لمرادهم فلابد أن هناك سرًا قويًا متمكنًا في نفوسهم دفعهم إلى طلب هذا الماء بخصوصة والمدينة مملوءة بالمياه .

بل وبلادهم مملوءة بالماء فلم هذا العتب والتكلف في حمل قليل من الماء من بلد إلى بلد مع بعد المسافة وطول السفر وحرارة الشمس ؟! [راجع كذلك مفاهيم يجب أن تصحح للدكتور السيد محمد علوي المالكي ص ١٣٥] .

نعم كل ذلك لم يهمهم لأن المعنى الذي يحمله هذا الماء يهون عليهم كل مشقة ألا وهو التبرك به وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه وهو لا يوجد في بلدهم ولا يتوافر على كل حال عندهم ، بل ويتأكد لهم ﴿ ﷺ وآله﴾ ورضاه عن فعلهم بجوابه لهم لما قالوا إن الماء ينشف لشدة الحر إذ قال لهم ، (مدوه من الماء) فبين لهم أن بركته التي حلت في الماء لا تزال باقية مهما زادوا فيه فهي مستمرة متصلة .

٢- ومن الأحاديث التي أذن فيها ﴿ ﷺ وآله﴾ بالتبرك به بما رواه مسلم في كتاب الفضائل في باب طيب عرقه ﴿ ﷺ وآله﴾ بالتبرك به عن أنس بن مالك قال : كان النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه ، قال : فجاء ذات يوم فنام على فراشها وأتت فقيل لها : هذا النبي نائم في بيتك على فراشك ، قال : فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدها- الصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها- فجعلت تنشف ذلك

(١) رواه النسائي في كتاب المساجد الباب ١١ والتبريزي في مكشاة المصابيح ٧١٦ والطبراني في المعجم الكبير ٢٩٩/٨

العرق وتعتصره في قواريرها ففزع النبي﴿ ﷺ وآله﴾ فقال : ما تصنعين يا أم سليم ؟ فقالت : يا رسول الله ، نرجو بركته لصبياننا قال : أصبت .

التبرك بتقبيل يدي النبي ﷺ وآله ورجليه :

روى أبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان في سرية من سرايا رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ قال : فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص قال : فلما برزنا قلنا :كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ؟ فقلنا ندخل المدينة فنتثبت فيها ونذهب لا يرانا أحد قال: فدخلنا فقلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، فإن كانت لنا توبة أقمنا ، وإن كان غير ذلك ذهبنا ، قال فجلسنا لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قبل صلاة الفجر فلما خرج قمنا إليه فقلنا نحن الفرارون ، فأقبل إلينا فقال : (بل أنتم العكارون) قال : فدنونا فقبلنا يده ، فقال: (أنا فئة المسلمين) [(١)] رواه البخاري في الأدب المفرد ٢٥٣ باب التقبيل اليد وروى ابن ماجة – ١٢٢١.

وروى أبو داود ج٢ ص ٦٤٧ عن أم أبان بنت الوازع بن زارع عن جدها زارع – وكان في وفد عبد القيس – قال : لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحنا فنقبل يد رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ ورجليه ، قال : وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيبته فلبس ثوبه ثم أتى النبي ﴿ ﷺ وآله﴾، فقال له : ﴿ إن فيك خلتين يحبهما الله الحلم والأناه قال : يا رسول الله ، أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما ؟ قال : بل الله جبلك عليهما ، قال الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله ﴾ [(٢)]

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الجهاد الباب ٩٦ والترمذي في كتاب الجهاد الباب ٣٦ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٧٠ ، ٨٦ ، ١٠٠ ، ١١١ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان الحديث رقم ٢٥ ، ٢٦ والترمذي ٢٠١١ وأبو داود ٥٢٢٥ وابن ماجة ٤١٨٧ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ٢٣ ، ٥٠ والجزء الرابع صفحة ٢٠٦ والبيهقي ٤ / ١٠٢ والهيثمي في موارد الظمآن ١٣٩٣ ، ٢٢٦٧ وفي مجمع الزوائد ٩ /

رواه الطبراني وأبو يعلي برجال ثقات وفي بعضهم خلاف بزيادة (وبقى الأشج وهو أصغر القوم فأناخ الإبل وعقلها ، ثم أقبل يمشي على تؤدة حتى أتى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فأخذ بيده فقبلها كما في مجمع الزوائد ٩ ص ٣٨٨ وروى البخاري في الأدب المفرد جزءا منه عن الوازع بن عامر قال : (فأخذنا يديه ورجليه نقبلهما) وذكر في الإصابة عن أبي بزة قال : دخلت مع مولاي عبد الله بن السائب على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فقمت إلى النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فقبلت يده ورأسه ورجليه . رواه أبو الشيخ وابن قانع وأخرجه أبو بكر بن المقري في جزء الرخصة في تقبيل اليد . (واعتمده الحافظ في عد أبي بزة في الصحابة) .

وذكر في الخصائص عن البزار وأبي نعيم أنهما رويا عن بريدة أن أعرابيًا أسلم فقال : ائذن لي يا رسول الله أن أقبل رأسك ورجليك ففعل ، ثم قال ائذن لي أن أسجد لك فقال : " لا يسجد أحد لأحد " (١)

التبرك بسؤر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾

روى الشيخان والإمام مالك في الموطأ واللفظ للبخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : أتى النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بقدح فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم والأشياخ عن يساره فقال :" يا غلام أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ " (٢) قال : ما كنت لأوثر بنصيبي منك أحدًا يا رسول الله فأعطاه إياه .

---

٣٨٨ وابن حجر في فتح الباري ٨ / ٨٥ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣ / ١٩٦ ، ٥ / ٢٧٩ والمتقي الهندي في كنز العمال ٥٨١١ والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٩٩ والطبراني في المعجم الكبير ١٢ / ٢٣٠ وابن كثير في البداية والنهاية ٥ / ٤٨

(١) أورده أبو نعيم في دلائل النبوة ١٣٨ .

(٢) رواه البخاري في كتاب المظالم الباب ١٢ وكتاب الأشربة الباب ١٩ وكتاب المساقاة الباب ١ ، ١٠ ومسلم في كتاب الأشربة الحديث رقم ١٢٧ والموطأ في كتاب صفة النبي (ﷺ وآله) الحديث رقم ١٨ وأحمد في الجزء الخامس صفحة ٣٣٣ ، ٣٣٨ .

وروى أبو داود ١ ص ٥٧٢ عن أم هانيء قالت : لما كان يوم فتح مكة جاءت فاطمة فجلست عن يسار رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وأم هانيء عن يمينه ، قالت: فجاءت الوليدة بإناء فيه شراب فناولته ، فشرب منه ثم ناوله أم هانيء فشربت منه فقالت : يا رسول الله لقد أفطرت وكنت صائمه فقال لها : ﴿ أكنت تقضين شيئا؟﴾[1] قالت لا ، قال : ﴿ فلا يضرك إن كان تطوعا ﴾ . رواه الترمذي ورواه الطيالسي في مسنده عن شعبة وحماد بن سلمة وفيه : أما أني كنت صائمة ولكن كرهت أن أرد سؤرك . ورواه الإمام أحمد بهذه الزيادة أيضا ، ورواه الدارمي نحو ما روى أبو داود . ورواه الطبراني كما في المجمع ٣ ص ١٥٩ .

التبرك بموضع لامسه فم النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

روى الإمام أحمد وغيره عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ دخل على أم سليم وفي البيت قربة معلقة فشرب من فيها– أي من فم القربة– وهو نائم ، قال : أنس : فقطعت أم سليم فم القربة فهو عندنا "[2] .

والمعني : أن أم سليم قطعت فم القربة الذي هو موضع شربه ﴿ ﷺ وآله﴾ واحتفظت به في بيتها للتبرك بأثر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾. رواه الطبراني وفيه البراء بن زيد ولم يضعفه أحمد وبقية رجاله رجال الصحيح .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصوم الباب ٧٢ والدارمي في كتاب الصوم الباب ٣٠ ومسلم في كتاب الصيام الحديث رقم ١٥٤والترمذي في كتاب الصوم الباب ٢٢ والنسائي في كتاب المناسك الباب ١١ وابن ماجة في كتاب الصيام الباب ٥١ والدرامي في كتاب المناسك الباب ٢٣ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠ ، ٢٥٨ ، ٣٤٥ ، ٣٦٢ والجزء السادس صفحة ٤٢٤ .

(٢) رواه أحمد في الجزء الثالث صفحة ١١٩ والجزء السادس صفحة ٣٦٧ ، ٤٣١ والترمذي في كتاب الأشربة الباب ١٨ والدارمي في كتاب الأشربة الباب ٢٣ .

وروى الطيالسي في مسندة ٢ ص ١٢٥ عن أم سليم قالت : رأيت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾شرب من في قربة فقطعتها وقلت : لا يشرب منها أحد بعده .
ورواه الترمذي أيضا في الشمائل . ورواه ابن ماجة ص ١١٣٢ .

التبرك بفضل وضوئه ﴿ ﷺ وآله﴾ :

روى الستة واللفظ للبخاري في الصلاة في الثوب الأحمر ، عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال :﴿ رأيت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ في قبة حمراء أدم ، ورأيت بلالاً أخذ وضوء رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، ورأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء ، فمن أصاب منه شيئًا تمسح به ، ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه ﴾ [(١)] ، وروى البخاري في كتاب الأشربة في باب البركة والماء المبارك عند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قد رأيتني مع النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة ، فجعل في إناء ، فأتي النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ به وأدخل يده فيه وفرج أصابعه ثم قال : ﴿ حي على الوضوء البركة من الله ﴾ [(٢)] فلقد رأيت الماء ينفجر من بين أصابعه فتوضأ الناس وشربوا ، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه ، فأيقنت أنه بركة قلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : ألف وأربعمائة .
وروى الإمام أحمد والطبراني عن عائذ بن عمرو قال ﴿ كان في الماء قلة فتوضأ رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فنضحنا ، قال : والسعيد في أنفسنا من أصابه ، ولا نراه إلا قد أصاب القوم كلهم قال : ثم صلى بنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ الضحى ﴾ [(٣)] .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلاة الباب ١٧ وكتاب اللباس الباب ٤٢ ومسلم في كتاب الصلاة الحديث رقم ٢٥٠ .
(٢) رواه الترمذي في كتاب المناقب الباب السادس والدرامي في كتابه المقدمة الباب الخامس وأحمد في الجزء الأول صفحة ٤٠٢ ، ٤٦٠ والنسائي في كتاب الطهارة الباب ٦٠ والبخاري في كتاب المناقب الباب ٢٥.
(٣) رواه أحمد في الجزء الخامس صفحة ٦٤.

وروى الطبراني عن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي مرداس السلمي قال : كنا عند النبي ﴿ ﷺ وآله﴾فدعا بطهور فغمس يده فتوضأ فتتبعنا ، فحسوناه ، فقال النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴿ ما حملكم على ما فعلتم ؟) قلنا : حب الله ورسوله ، قال : (فإن أحببتم أن يحبكم الله ورسوله فأدوا إذا ائتمنتم ، واصدقوا إذا حدثتم ، وأحسنوا جوار من جاوركم ﴾ (١) .

التبرك بشعر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

روى مسلم عن أنس قال : ﴿ لقد رأيت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل ﴾ (٢) .

وروى الشيخان وغيرهما واللفظ للبخاري عن أنس أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره .

وروى البخاري عن ابن سيرين قال : قلت لعبيدة بن عمر أحد كبار التابعين المخضرمين أسلم قبل وفاته ﴿ ﷺ وآله﴾ ولم يره وعندنا من شعر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ما أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس فقال : لئن تكن عندي شعره منه أحب إلي من الدنيا وما فيها (٣) .

التبرك بلباس النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ والاستشفاء به :

عن أسماء بنت أبي بكر : أنها أخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج ، وقالت : هذه جبة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ كانت عند عائشة

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٤ / ١٤٥ ، ٨ / ٢٧١ .
(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل الحديث رقم ٧٥.
(٣) رواه البخاري في كتاب الوضوء الباب ٣٣.

فلما قبضتها قبضتها ، وكان النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ يلبسها ، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها [1] رواه مسلم كتاب اللباس والزينة ص٣ .

وذكر الحافظ بن عبد البر في الاستيعاب أن سعدان بن الوليد السامري روى عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب ألبسها رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾قميصه واضطجع في قبرها ، فقالوا : ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه ، فقال : ﴿ إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها ، إنما ألبستها قميصي لتكسي من حلل الجنة واضجعت ليهون عليها﴾ .

وذكر الحافظ بن حجر في الإصابة أن ابن أبي عاصم روى أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾كفنها قميصه وقال : ﴿ لم نلق بعد أبي طالب أبر بي منها ﴾

من مظاهر التبرك بآثار النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

١- التبرك بآنية النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

عن أبي بردة قال قدمت المدينة فليقيني عبد الله بن سلام فقال لي : انطلق إلى المترل فأسقيك في قدح شرب فيه رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وتصلي في مسجد صلى فيه النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فانطلقت معه فسقاني وأطعمني تمرًا وصليت في مسجده رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

٢- التبرك بموضع قدم النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

جاء في الحديث عن أبي مجلز أن أبا موسي كان بين مكة والمدينة فصلى العشاء ركعتين ثم قام فصلى ركعة أوتر بها فقرأ فيها بمائة آية من النساء ثم قال : ما ألوت أن

(١) رواه أحمد في الجزء السادس صفحة ٣٤٨ ومسلم في كتاب اللباس والزينة الحديث رقم ١٠.

أضع قدمي حيث وضع رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ قدميه وأنا أقرأ بما قرأ به رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ . (رواه النسائي ٣/٢٤٣) .

٣- التبرك بمنبر النبي ﴿ﷺ وآله﴾:

قال القاضي عياض ، روى عن ابن عمر رضي الله عنهما واضعًا يده على مقعد النبي ﴿ﷺ وآله﴾ من المنبر ثم وضعها على وجهه .

وعن أبي قسيط والعتبي كان أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ إذا خلا المسجد حسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامينهم ثم يستقبلون القبلة يدعون . (أ. هـ) من الشفا للقاضي عياض .

قال الملا علي قاري شارح الشفا رواه ابن أسعد عن عبد الرحمن ابن عبد القاري (جـ ٣ ص ٥١٨) .

وروى ذلك ابن تيمية أيضا عن الإمام أحمد وأنه رخص في التمسح بالمنبر والرمانة وذكر أن ابن عمر وسعيد بن المسيب ويحيي بن سعيد من فقهاء المدينة كانوا يفعلون ذلك (أ . هـ اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٦٧) .

٤- التبرك بقطيفة وبثوب النبي ﴿ﷺ وآله﴾ :

وروى ابن أبي شيبه في مسنده قال : حدثنا محمد بن بشر أخبرنا أيوب بن النجار أخبرنا أبو عبد الله الجنيبي عن جده المزني أنه كانت عنده قطيفة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ، فلما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إليه فأتاه بها في أديم ، فجعل يمسح بها وجهه لبركتها .

وروي الإمام الحافظ عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد ج١ ص ٢٦٤ – عن ابن لهيعة عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل أنه حدثه عن عروة بن الزبير أن ثوب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ الذي كان خرج فيه للوفد رداؤه ثوب حضرمي طوله أربعة أذرع

وعرضه ذراعان وشبر ، وهو عند الخلفاء قد أخلق فطووه بثوب يلبسونه يوم الفطر والأضحى .

٥- التبرك بنعل النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

قال الحافظ بن حجر في الإصابة ج٢ ص ٧٢ : كانت قلادة نعل النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ عند أحفاد الصحابي سليمان السلمي ، ومات آخرهم دون وارث سنة خمس وعشرين وستمائة ، وأخذ الأشرف بن العادل موجوده فجعله في أوقاف المدرسة الأشرفية بدمشق ، قلت : ومن جملتها النعل المذكور . وقد ذكرها الذهبي وغيره ويعبرون عنها بالأثر الشريف . انتهى كلامه .

فأنت ترى حرص أهل المدينة قديمًا على الاحتفاظ بنعل النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ واحتذاء حذوها، واحتفاظ أبناء ذلك الصحابي بقلادة النعل الشريفة مدة تزيد على ستة قرون، وارتضاء علماء الأمة لذلك ونقلهم له في مصنفاتهم وتعظيمهم لها إذ كانوا يسموها الأثر الشريف .

وقد أعتنى العلماء منذ القديم بنعل المصطفى ﴿ ﷺ وآله﴾ فألف فيها منهم الجم الغفير ، وذكر منهم العلامة الكردي جملة في كتابه في تبرك الصحابة بالنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وأعتنى العلماء كذلك وقالوا فيه الشعر وتبركوا به .

٦- التبرك بروضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

لما حضرت الوفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لابنه عبد الله : انطلق إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل : يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم بأمير المؤمنين ، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه قال : فاستأذن وسلم ثم دخل عليها وهي تبكي فقال : يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسي ولأوثرنه اليوم

على نفسي فلما أقبل قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال : ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال : ما لديك ؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت فقال : الحمد لله ما كان شيء أهم إلي من ذلك فإذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل : يستأذن عمر فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني فردوني إلي مقابر المسلمين .

أخرجه بطوله البخاري في كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي﴿ ﷺ وآله﴾ وفي كتاب فضائل الصحابة باب قصة البيعة .

٧- التبرك بتقبيل قبر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

وقال الحافظ العراقي أخبرني الحافظ أبو سعيد العلائي قال : رأيت في كلام ولد أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وتقبيل غيره فقال : لا بأس بذلك ، فأريناه ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول : عندي أحمد جليل ، يقول هذا ؟ قال : وأي عجب في ذلك .

وفي كتاب العلل والسؤلات لعبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبي عن الرجل يمس منبر النبي﴿ ﷺ وآله﴾ يتبرك بمسه ويقبله ، ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى ، قال : لا بأس به .

٨- تبرك السيدة فاطمة الزهراء بتراب قبر النبي﴿ ﷺ وآله﴾ :

وفي وفاء الوفاء للعلامة السمهودي ص ١٤٠٥ أن ابن عساكر روى في تحفته من طريق طاهر بن يحي الحسيني بسنده إلى علي عليه السلام قال : لما رمس رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ جاءت فاطمة رضي الله عنها فوقفت على قبره ﴿ ﷺ وآله﴾ وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينها وبكت وأنشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمد   ألا يشم مدى الزمان غواليا

٩- التبرك بتراب المدينة المنورة :

ورده في التبرك بترابها ما رواه ابن البحار وابن الجوزي في كتابه : (غبار المدينة شفاء من الجذام) (١)

وفي الصحيحين حديث ﴿ كان النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح قال بأصبعة هكذا ، وضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها وقال : (بسم الله تربة أرضنا بريق بعضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا ﴾ (٢)

التبرك بالصالحين وآثارهم :

روى مسلم في صحيحه عن مصعب بن سعد قال : رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلاً على من دونه فقال النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم ﴾ (٣) .

وروى الإمام أحمد عن شريح بن عبيد قال : ذكر أهل الشام عند علي وهو بالعراق فقالوا : ألعنتهم يا أمير المؤمنين . قال : لا ، إني سمعت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يقول: ﴿ البدلاء بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله رجلاً مكانه ، يستسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب﴾(٤) .

ومن أردا استقصاء أحاديث الأبدال فعليه بالحاوي للفتاوي للحافظ السيوطي .

---

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال ٣٤٨٢٨ ، ٣٤٨٢٩ ، ٣٤٨٣٠

(٢) رواه البخاري في كتاب الطب الباب ٣٨ ومسلم في كتاب السلام الحديث رقم ٥٤ وأبو داود في كتاب الطب الباب ١٩ وابن ماجة في كتاب الطب الباب ٣٦ وأحمد في الجزء السادس صفحة ٩٣ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد الباب ٧٦ وأحمد في الجزء الأول صفحة ١٧٣ والجزء الخامس صفحة ٣٢٥ وأبو داود في كتاب الجهاد الباب ٧٠ والترمذي في كتاب الجهاد الباب ٢٤ والنسائي في كتاب الجهاد الباب ٤٣ .

(٤) رواه أحمد في الجزء الأول صفحة ١١٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ٦٢/١٠ .

وروى الإمام مالك في الموطأ في باب (ما جاء في دفن الميت) والبخاري ومسلم وغيرهم أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره ﴾ (١).

وروي الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك ﴾ (٢) .

وروى البخاري في باب التواضع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ :﴿ إن الله قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشي أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ﴾ (٣) ..

وروى مسلم في صحيحة عن أسير بن جابر قال : كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه إمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى علي أو يس فقال : أنت أويس بن عامر ؟ قال : نعم ، قال : من مراد ثم من قرن ؟ قال : نعم قال : فكان

---

(١) ، (٣) رواه البخاري في كتاب الصلح الباب ٨ وكتاب الجهاد الباب ١٢ وكتاب تفسير القرآن (سورة البقرة) الباب ٢٣ وسورة المائدة الباب ٦ وسورة القلم الباب ٦ وكتاب الأدب الباب ٦ وكتاب الإيمان الباب ٩ ومسلم في كتاب القسامة الحديث رقم ٢٤ وكتاب فضائل الصحابة الحديث رقم ٢٢٥ وكتاب البر الحديث رقم ١٣٨ وكتاب الجنة الحديث رقم ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، وأبو داود في كتاب الديات الباب ٢٨ والترمذي في كتاب جهنم الباب ١٣ وكتاب المناقب الباب ٥٤ والنسائي في كتاب القسامة الباب ١٧ ، ١٨ وابن ماجة في كتاب الديات الباب ١٦ وكتاب الزهد الباب ١٤ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ١٢٨ ، ١٤٥ ، ١٦٧ ، ٢٨٤ والجزء الرابع صفحة ٣٠٦ والجزء الخامس صفحة ٤٠٧ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الرقاق الباب ٣٨ رواه أحمد في الجزء السادس صفحة ٢٥٦ .

بك برص فبرأت منه إلا موضوع درهم ؟ قال : نعم ، قال : لك والدة ؟ قال : نعم – قال : سمعت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يقول : يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمراء أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل ، فاستغفر لي ، فاستغفر له [1] .

التبرك بتقبيل يد ورجل الصالحين :

وقال القاضي عياض في الشفا ص ٤٩ : عن الشعبي قال : صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه ثم قربت له بغلته ليركبها ، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه ، فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ فقال : هكذا نفعل بالعلماء ، فقبل زيد يد ابن عباس وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

وأورده الحافظ في الإصابة بصيغة الجزم .

وروى أحمد والطبراني عن عمير بن إسحاق قال : رأيت أبا هريرة لقى الحسن بن علي فقال له : اكشف عن بطنك حيث رأيت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يقبل منه فكشف عن بطنه فقبله . وروى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن رزين أنه نزل المدينة هو وأصحابه يريدون الحج ، قيل لهم : ها هنا سلمة بن الأكوع صاحب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فأتيناه فسلمنا عليه ثم سألناه ، فقال بايعت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بيدي هذه وأخرج لنا كفه وقال : قمنا إليه فقبلنا كفيه جميعا .

ورواه البخاري في الأدب المفرد في باب تقبيل اليد ، وفي مجمع الزوائد ٨ ص ٤٢ أنه رواه الطبراني بسند رجال ثقات .

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة الحديث رقم ٢٢٥ وابن سعد في الطبقات الكبرى ٦ / ١١٣ والحاكم في المستدرك ٣ / ٤٠٣ والبيهقي في دلائل النبوة ٦ / ٣٧٧ .

وروى عبد الرزاق في الجامع والخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عساكر في التاريخ والبيهقي في السنن : عن تميم بن سلمة قال : لما قدم عمر الشام استقبله أبو عبيده بن الجراح فصافحه وقبل يده ثم خلوا يبكيان ، فكان تميم يقول : تقبيل اليد سنة .

التبرك بثياب الصالحين :

وقال مالك في من أوصته أمه أن يكفنها في ثوب معين : أحب إلى أن يكفن أمه في الثوب الذي أوصت أن تكفن فيه ، قال ابن رشد : قول مالك (أحب إلي) ليس على ظاهره ، بل هو الواجب عليه إذا أوصت بذلك تبركا لأنها حجت فيه أو كانت تشهد به الصلوات ، لأن من أوصى بقربة وجب أن تنفذ وصيته . وقال ابن بطال : ينبغي التبرك بثياب الصالحين .

التبرك بصحيح البخاري :

وقال الحافظ بن حجر في مقدمة فتح الباري ج١ ص ٢٤ : ذكر الإمام القدوة أبو محمد ابن أبي جمرة في اختصاره للبخاري قال : قال لي من لقيته من العارفين عمن لقى من السادة المقر بالفضل أن صحيح البخاري ما قريء في شدة إلا فرجت ولا ركب به في مركب فغرق .

وقال الشيخ اللكنوي في مقدمة تحفة الأحوذي ص ١١٦ : قال الحافظ بن كثير : وكتاب البخاري الصحيح يستسقي بقراءته الغمام وأجمع على قبوله وصحته أهل الإسلام .

التبرك بمس قبر الإمام أحمد بن حنبل :

وذكر العلامة المحدث زاهد الكوثري في مقالاته ص ٣٧٦ أنه قرأ في كتاب الحكايات المنثورة للحافظ الضياء المقدسي الحنبلي أنه سمع الحافظ عبد الغني المقدسي يقول : إنه خرج في عضده شيء يشبه الدمل فأعيته مداواته فمسح به قبر الإمام أحمد فبرئ ولم

يعد إليه . والكتاب المذكور بخط الحافظ المذكور ومن خطه نقلت ، وهو بظاهرية دمشق برقم ٩٨ .

حكم من حكم بالكفر على من مس وقبل آثار الأنبياء والأولياء:

فأنت ترى أن أجلاء العلماء قد أباحوا مس قبور الأنبياء والأولياء وتقبيلها ، فأين هذا من الكفر الذي تدعيه السلفية والشرك الذي يصفون به الناس ؟ إن في ذلك خروجهم عن نهج الشريعة الإسلامية ، وخرقا لقواعدها التي أجمع عليها المسلمون من عهد الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ إلى اليوم ، فمن المعلوم أن للمنهيات درجات كما أن للمأمورات درجات ، فالخروج بمنهي من درجته إلى درجة أخرى خرق للشريعة وقلة فهم مقاصدها الأساسية ، فلو لم ير العلماء أن المس والتقبيل أمر سهل قريب لما اختلفوا فيه بين الكراهة والجواز ، بل والاستحباب كما يفهم من كلام الإمام أحمد ، فإذا جاء من جاء وقال : إن هذا الأمر الذي كرهه البعض وأجازه البعض ، ليس مكروها ولا حراما وإنما هو كفر ومن جنس الشرك ، فإنا نرد عليه قوله ونقول : إنه قد خرق الإجماع وهدم الشريعة ، لأنه جعل كماليات الشريعة وتحسيناتها وآدابها أساسا من أسسها فقلب الوضع وشذ عن الجماعة .

لا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك ، والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم للأنبياء والأولياء ، والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته ﴿ ﷺ وآله﴾ ، فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم بل يبادرون إليه ﴿ ﷺ وآله﴾، وأناس فيهم أناة يتأخرون ، والكل محل خير .

وختاماً نقول : إن قبور الأنبياء والأولياء وأحبابهم روضات جنان يتبرك بها ، أما قبور ثالوث التكفير وذيولهم فهي حفائر نيران يصطلي بها

الفصل التاسع

النـــــذر

تعريف النذر

ومعنى النذر لغة الوعد ، وشرعًا إلزام إنسان بالغ عاقل نفسه بفعل شيء أو تركـــه لوجه الله ، على أن يكون الفعل أو الترك لله فيه رضا وألا يكون الكلام هذرا لا نذرا عند أهل التحقيق ولا ينفذ النذر إطلاقا إذا تعلق لمحرم أو مكروه . . فقد نذر شخص في عهد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أن يقوم ولا يقعد ، ولا يستظل ولا يتكلم ، ويصوم . . فقال الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ مروه فليـــتكلم ويســـتظل ، ويقعـــد وليـــتم صومه﴾[1] . أخرجه البخاري ومالك وأبو داود .

أدلة النذر من الكتاب :

ومن أدلة الكتاب في النذر ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّـــذْرٍ فَإِنَّ اللّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[2] . وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُـــوا تَفَـــثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْـــرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ، يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ، وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[4] .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان الباب ٣١ وأبو داود في كتاب الإيمان الباب ١٩ وابن ماجة في كتاب الكفارات الباب ٢١ والموطأ في كتاب النذور الحديث رقم ٦

(٢) سورة البقرة – آية ٢٧٠.

(٣) سورة الحج – آية ٢٩.

(٤) سورة الإنسان - آية ٥-٨ .

إن الله تبارك وتعالي وصف ثواب الأبرار في الآخرة ، ومدح أعمالهم التي كـانوا في الدنيا يعلموها ، فاستوجبوا بها ذلك النعيم بصفات ثلاث :

١- يوفون بالنذر ، فهي مستأنفة مسوقة لبيان ما لأجله رزقوا ما ذكر من النعيم ، مشتملة على نوع تفصيل لما ينبيء عنه اسم الأبرار إجمالاً ، كأنه قيل : ماذا فعلوا في الدنيا حتى نالوا الرتبة العالية؟ فقيل : يوفون بما أوجبوه على أنفسهم ، فكيف بما أوجبه الله تعالى عليهم ؟! فإن من وفى بما أوجبه على نفسه ، كان لما أوجبه الله تعالى عليه أوفي .

٢- ويخافون يومًا كان شره مستطيرا .

٣- ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا .

أدلة النذر من السنة :

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ : ﴿ إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئًا لم يكن الله قدره له ، ولكن النذر يوافق القدر ، فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج ﴾ [(١)] – أخرجه الخمسة واللفظ لمسلم .

٢- عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يقول : ﴿ من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه ﴾ [(٢)] – أخرجه الستة إلا مسلما .

---

(١) رواه مسلم في كتاب النذر الحديث ٣ ، ٥ ، ٧ والبخاري في كتاب الإيمان الباب ٢٦ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١١٨ ، ٣٧٣ ، ٤١٢ ، ٤٦٣ والترمذي في كتاب النذور الباب ١١ والنسائي في كتاب الإيمان الباب ٢٦ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان الباب ٢٨ ، ٣١ وأبو داود في كتاب الإيمان الباب ١٩ والترمذي في كتاب النذور الباب الثاني والنسائي في كتاب الإيمان ٢٧ ، ٢٨ وابن ماجة في كتاب الكفارات الباب ١٦ والموطأ في كتاب النذور الباب الثامن وأحمد في الجزء السادس صفحة ٣٦ ، ٤١ ، ٢٢٤ .

٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف يومًا . وفي رواية : ليلة في المسجد الحرام قال : ﴿ أوف نذرك ﴾ [١] - أخرجه الخمسة .

٤- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، قال : نذرت أختي أن تمشي إلي بيت الله الحرام حافية فأمرتني أن أستفتي لها رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال : ﴿ فلتمش ولتركب ﴾ [٢] - أخرجه الخمسة وزارد في رواية الترمذي ، حافية غير مختمرة . فقال : ﴿ مروها فلتختمر ولتركب ولتصم ثلاثة أيام ﴾

٥- عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين ﴾ [٣] - أخرجه أصحاب السنن .

٦- عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ :

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتكاف الباب ٥ ، ١٥ ، ١٦ ومسلم في كتاب الإيمان الحديث رقم ٢٧ وأبو داود في كتاب الإيمان الباب ٢٢ ، ٢٥ والترمذي في كتاب النذور الباب ١٢ وابن ماجة في كتاب الطلاق الباب ٣٦ وكتاب الكفارات الباب ١٨ والدارمي في كتاب النذور الباب الأول وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٠ والجزء الثالث صفحة٤١٤ ، ٤١٩ ، والجزء الخامس صفحة ١٩٦ والجزء السادس صفحة ٣٦٦ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الصيد الباب ٢٧ ومسلم في كتاب النذر الحديث رقم ١١ وأبو داود في كتاب الإيمان الباب ١٩ والترمذي في كتاب النذور الباب ١٠ والنسائي في كتاب الإيمان الباب ٣٢ ، ٣٣ والدرامي في كتاب النذور الباب الثاني والموطأ في كتاب النذور الحديث رقم ٤

(٣) رواه مسلم في كتاب النذر الحديث رقم ٨ والترمذي في كتاب النذور الباب الأول وأبو داود في كتاب الإيمان الباب ١٢ ، ١٩ والنسائي في كتاب الإيمان الباب١٧ ، ٣١ ، ٤١ وابن ماجة في كتاب الكفارات الباب ١٦ والدارمي في كتاب النذور الباب الثالث وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٠٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ والجزء الرابع صفحة ٤٣٣ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ ، والجزء السادس صفحة ٢٤٧ .

﴿ لا نذر إلا فيما يبتغي به وجه الله تعالى ولا يمين في قطيعة رحم ﴾ [(١)] – أخرجه أبو داود .

٧- عن عمران ابن حصين رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم ﴾ [(٢)] – أخرجه النسائي .

٨- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ كفارة النذر إذا لم يسم شيئاً كفارة يمين ﴾ [(٣)] – أخرجه الخمسة إلا مسلما .

النذر عند المذاهب الأربعة

النذر عند الحنفية :

قالوا : من نذر نذرًا مطلقًا أو معلقًا بشرط وكان من جنسه فرض ، ووجد الشرط المعلق به لزمه الوفاء بما سمي كصلاة وصوم صدقة واعتكاف وإعتاق رقبة وحج ولو ماشيًا .

النذر عند المالكية :

إلتزام المسلم المكلف بنذره إلا في عصيان ، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله تعالى فلا

(١) رواه أبو داود في كتاب الطلاق الباب السابع وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١٨٥ .

(٢) رواه مسلم في كتاب النذر الحديث رقم ٨ وأبو داود في كتاب الإيمان الباب ٢١ ، ٢٢ والنسائي في كتاب الإيمان الباب ٣١ ، ٤١ والدارمي في كتاب السير الباب ٦٢ وكتاب النذور الباب الثالث وأحمد في الجزء الرابع صفحة ٤٣٠ .

(٣) رواه مسلم في كتاب النذر الحديث رقم ١٢ وأبو داود في كتاب الإيمان الباب ٢٥ والترمذي في كتاب النذور الباب الرابع والنسائي في كتاب الإيمان الباب ٤١ وابن ماجة في كتاب الكفارات الباب ١٧ وأحمد في الجزء الرابع صفحة ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .

يعصه﴾ [1] وينعقد نذر المعصية كشرب خمر عندهم على الأصح وإن حرم الوفاء به ويكفر من لم يفعله كفارة يمين ويقضي الصوم غير صوم يوم حيض .

والنذر لنبي أو ولي عند المالكية صحيح ، فإن قصد الناذر الفقراء الملازمين للمحل أو الخدمة وجب عليه بعثه إليهم ، وإن قصد به نفع الميت تصدق به حيث شاء وإن لم يكن له قصد حمل على عادة موضع ذلك الولي .

النذر عند الشافعية :

وحده بالمعنى الخاص عند الشافعية ، إيجاب العبد على نفسه قربة لم يوجبها الله تعالى ، والنذر للولي الحي عند الشافعية صحيح يجب صرفه إليه ، ولا يجوز صرف شيء منه لغيره ، والنذر لولي إن قصد الناذر الميت ، بطل نذره لأن الميت لا يملك ، وإن قصد قربة أخرى كأولاده وخلفائه أو إطعام الفقراء الذين عند قبره أو غير ذلك من القرب ، صح النذر ووجب صرفه فيما قصده الناذر ، وإن لم يقصد شيئًا لم يصح نذره ، إلا إن كانت عادة الناس في زمن الناذر ينذرون للميت ويريدون جهة مخصوصة وعلمها الناذر ينزل نذره عليها .

النذر عند الحنابلة :

يقول صاحب الروض البديع من الحنابلة : إلزام مكلف مختار نفسه لله تعالى شيئًا غير محال بكل قول يدل عليه ، وتقسيم الحنابلة للنذر إلى ستة أقسام دليل على أنه ليس بقربة لذاته .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان الباب ٢٨ ، ٣١ وأبو داود في كتاب الإيمان الباب ١٩ والترمذي في كتاب النذور الباب الثاني والنسائي في كتاب الإيمان ٢٧ ، ٢٨ وابن ماجة في كتاب الكفارات الباب ١٦ والموطأ في كتاب النذور الباب الثامن وأحمد في الجزء السادس صفحة ٣٦ ، ٤١ ، ٢٢٤ .

النذر ليس بقربة لذاته ولا عبادة :

النذر ليس بقربة لذاته ، وقد تحقق بهذا اتفاق المذاهب الأربعة عليه ، وتحققت مباينته للعبادة تمام

المباينة بمقتضى تعريف كل منهما لغة وشرعًا .

فالعبادة لغة : أقصى نهاية الخضوع والتذلل ، ولا يكون ذلك إلا لمن له غاية التعظيم.

والعبادة شرعًا : امتثال أمر الله تعالى كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنه أمر مع المبادرة بغاية الحب والخضوع والتعظيم .

الأدلة على أن النذر ليس بعبادة للمنذور :

١- الحديث الذي رواه أبو داود قال : نذر رجل على عهد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أن ينحر إبلاً ببوانة- هضبة وراء ينبع- فأتى النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فأخبره فقال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ لأصحابه : ﴿ هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ فقالوا : لا ، قال : هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قالوا : لا- خشية أن يكون النذر جارياً على عادة أهل الجاهلية لقرب العهد بهم وإن كان السائل مسلماً - فقال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية ﴾ [1].

يدل هذا الحديث على أن النذر في مكان لا وثن فيه ولا عيد من أعياد الجاهلية جائز وليس بعبادة للمنذور وهو النذر ، ولا للمنذور فيه وهو المكان .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الإيمان الباب ٢٢ وابن ماجة في كتاب الكفارات الباب ١٨ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٩٠ والجزء الرابع صفحة ٦٤ والجزء الخامس صفحة ٣٧٦ والجزء السادس صفحة ٣٢٦ .

٢- الحديث الذي رواه أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امـرأة قالت : يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالـدف ، قـال : ﴿ أوف بنذرك ﴾ [(١)] .

يدل على أن النذر ليس بقربة لذاته ولا عبادة ، لأن حكم الضرب بالدف دائر عند الفقهاء بين الجواز والكراهية والتحريم ، وقد صار قربة بكونه على رأس النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فرحًا بقدومه من الغزو سالمًا والفرح بسلامته ﴿ ﷺ وآلـه﴾ واجـب مـن الإيمان، فلذلك أمرها ﴿ ﷺ وآله﴾ بالوفاء بنذرها .

تلبيس في أحاديث ذكر النهي عن النذر :

يتذرع ثالوث التكفير بحديث ابن عمر رضي الله عنهما وقوله : لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر شيئا ، وفي رواية : لا يأتي بخير ، وفي رواية أخرى : إنما يستخرج به من البخيل ، فهذا الحديث محمول على من علم من نفسه عدم الوفاء بما التزمـه ، ومعنى : لا يأتي بالخير ، أنه لا يرد شيئًا من القدر كما في الرواية الأخرى ومعنى : إنما يستخرج به من البخيل ، أن البخيل لا يأتي بالنذر تطوعًا محضًا مبتدئًا ، وإنما يأتي به في مقابلة غرضه نذره الذي علق عليه .

قال ابن الأثير وقد تكرر في أحاديث النذر ذكر النهي عنه ، وهو تأكيد لأمره وتحذير عن التهاون به بعد إيجابه ، لأن الأمر بعد النهي يقتضي الوجوب .

فلو كان معنى هذا الحديث الزجر حتى لا يفعل لكان في ذلـك إبطـال حكمـه ، وإسقاط لزوم الوفاء به ، إذ كان بالنهي يصير معصية فلا يلزم ، وإنما وجه الحـديث أنه قد أعلمهم أن ذلك أمر لا يجر لهم في العاجل نفعًا ولا يصرف عنهم ضـررًا ولا يرد قضاء فقال : لا تنذروا ، على أنكم تدركون بالنذر شيئًا لم يقدره الله لكـم أو

(١) رواه أبو داود في كتاب الإيمان الباب ٢٢ والترمذي في كتاب المناقب الباب ١٧ وأحمد في الجزء الخامس صفحة ٣٥٣ ، ٣٥٦ .

تصرفون به عنكم ما جرى به القضاء عليكم ، فإذا نذرتم ولم تعتقدوا هذا فأخرجوا عنه بالوفاء فإن الذي نذرتموه لازم لكم .

فلو كان النذر لغير الله عبادة لذاته ما حل في مكان أبدًا ولو خاليًا من أوثان الجاهلية وأعيادها ، ولو كان عبادة لغير الله لكان أمره ﴿ ﷺ وآله﴾ لذلك الرجل بالنحر في بوانه ، ولتلك المرأة بالضرب بالدف على رأسه ﴿ ﷺ وآله﴾ أمرًا لها بعبادته ﴿ ﷺ وآله﴾ . برأه الله من ذلك ﴿ ﷺ وآله﴾ .

شبهات وأباطيل حول النذر للأنبياء والأولياء :

صرح ثالوث التكفير ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب . أن النذر لمساجد الأنبياء والأولياء أو مشاهدهم أو موالدهم لا يجوز وأنه موجب للشرك للأسباب الآتية :

١- إن التقرب إلى الأنبياء والأولياء بالنذور يعد نوعًا من العبادة ، وصرف شيء من العبادة بغير الله كصرف جميعها ، ومن فعل ذلك لمخلوق فهذا شرك في العبادة وصار من يفعل له ذلك إلها .

٢- إن اعتقاد النفع والضر في المخلوق أو الشفاعة شرك بعينه كالذي كان عليه عباد الأصنام والنذر بالمال على الميت هو بعينه الذي كان تفعله الجاهلية .

٣- وإن قلت هذه النذور عزيزة على أهلها ، والناذر ما أخرج من ماله إلا معتقدًا لجلب نفع أكثر منه أو دفع ضرر . ولو عرف بطلان ما أراده ما أخرج درهمًا فالواجب تعريفه بأنه إضاعة لماله ولا ينفعه ما يخرجه ولا يدفع عنه ضررًا .

ويستند ثالوث التكفير في ذلك إلى أن الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ يقول : ﴿ إن النذر لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل ويجب رده إليه ويحرم قبضه ﴾ ولأنه تقرير للناذر على شركه وأنه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم .

٤- ويقول ثالوث التكفير : النذر للقبور أو لأهلها كالنذر لإبراهيم الخليل عليه السلام والشيخ فلان نذر معصية لا يجوز الوفاء به ، وإن تصدق بما نذره من ذلك على من يستحقة من الفقراء والصالحين كان خيرًا له عند الله وأنفع - راجع شرح دليل الطالب لابن تيمية .

وقال ثالوث التكفير : من نذر إسراج مقبرة أو قبر أو جبل أو شجرة أو نذر له أو لسكانه أو المضافين إلى ذلك المكان لم يجز ، ولا يجوز الوفاء به إجماعًا ويصرف في المصالح ما لم يعرف ربه ومن الحسن صرفه في نظيره من المشروع وفي لزوم الكفارة خلاف .

١- الرد على شبهات وأباطيل النذر للأنبياء والأولياء :

١- إن من ينذر لنبي أو ولي أو رجل صالح - لا يقصد إلا نذر الصدقة وإهداء ثوابها إلى النبي أو الولي أو الصالح ، ولا يقصد التقرب إليه بالنذر بل التقرب إلى الله تعالى ، وكيف يقصد التقرب إليه وهو يعلم أنه ميت لا يمكنه الانتفاع بالمنذور : لا يأكله إن كان طعامًا ولا يصرفه إن كان نقودًا ، ولا يلبسه إن كان ثيابًا ، ولا بشيء ينتفع به مهما كان المنذور . ولو فرض صدور ما يوهم خلاف ذلك فهو محمول عليه حملاً لحمل أفعال المسلمين وأقوالهم على الصحة مهما أمكن ، وعدم جواز التهجم على الدماء ، والأموال والأعراض لمجرد الظنون والأوهام ، فلا يزيد هذا النذر على من نذر لأبيه وأمه أو حلف أو عاهد أن يتصدق عنهما كما روى عنه ﴿ ﷺ وآله﴾أنه قال للبنت التي نذرت لأبيها عملاً : ﴿ أوف بنذرك ﴾ فإن كان النذر للآباء والأمهات كفرًا لم يأمر به الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ .

٢- اختيار بعض الأمكنة للنذر ما هو إلا طلب لشرف المكان حتى يتضاعف ثواب العبادة كما تختار بعض الأزمنة لبعض العبادات لا بأس به بتخصيص الأمكنة كما

يستفاد مما روى عن ثابت عن الضحاك عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : أن رجلاً نذر أن يذبح ببوانة- هضبة وراء ينبع - فقال﴿ ﷺوآله﴾: ﴿ هل فيها وثن يعبد ؟ فقال : لا ، قال : فهل فيها عيد من أعياد الجاهلية ؟ فقال : لا ، خشية أن يكون النذر جاريًا على عادة أهل الجاهلية لقرب العهد بهم ، وإن كان السائل مسلمًا فقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : أوف نذرك ﴾ .

٣- النذر للمجاورين لمشاهد الأنبياء والأولياء لا مانع منه شرعًا فالمجاورة لمشاهد الأنبياء والأولياء راجحة طلباً لشرف البقعة التي تشرفت بصاحب الروضة ، وإنكار شرف روضة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أو الولي مصادمة للضروة ، ويكفي ردًا على ذلك دفن الصاحبين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند سيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ حتى عد ذلك منقبة عظيمة لهما .

ومنع بني أمية من دفن سيدنا الحسن عليه السلام عند جده قائلين : أيدفن عثمان في أقصى البقيع ويدفن الحسن عند جده ، وإصرار بني هاشم على ذلك حتى كاد يؤدي إلى إراقة الدماء .

والمجارون لروضات الأنبياء والأولياء عباد لله يجوز التصدق عليهم كالتصدق على غيرهم إن لم يكن هم أولى ، ولم يخرجوا بمجاورته عن استحقاق الصدقة ، وليست المجاورة عند القبر عبادة له حتى تكون محرمة .

٤- إنه ليس كل تعظيم وإحترام عبادة ، وقياس ثالوث التكفير ، ودًا وسواعًا ويغوث ويعوق الأمد ونسرا - وهي أسماء قوم صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الأمد فاتخذوا تماثيلهم أصنامًا - قياس فاسد ، فإن أولئك صوروا صورهم في المساجد وكانوا يصلون إليها ، ثم اتخذوها أوثانا وعبدوها، فسبب عبادهم لها تصورهم تلك الصور وصلاقم إليها لا احترام قبورهم ، وليس في المسلمين من يفعل مثل فعلهم ، ومجرد احتمال أن يؤدي الشيء إلى محرم لا يوجب تحريمه وإلا لم يبق في الدنيا حلال .

٥- لو كان الناذر كافرًا عند ثالوث التكفير لم يأمرونه بالصدقة ؟! لأن الصـــدقة لا تقبل من الكافر ، بل يأمرونه بتجديد إسلامة ويقولون : خرجت من الإسلام بالنذر لغير الله – راجع الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية للشيخ ســـليمان بـــن عبـــد الوهاب في أول رسالته–ردًا على أخيه بكلام شيخه ابن تيمية هذا .

٦- لو نهى الله عن النذر لغيره بصريح النهي لم يلزم منه كفر من نذر لغيره إجماعًا ، فكيف مع عدم نهيه ؟! وقد نهى الله في كتابه العزيز : عن الربا ، والزنا ،وأكل أموال الناس بالباطل وحرمتها في دين الإسلام معلومة بالضرورة ، وقد أجمع أهل الحق على عدم تكفير مرتكب واحد منها ما لم يكن مستحلاً له .

من كل ما تقدم يتضح أن النذر لا يزيد عن نذر الصدقة عن الميت الثابت جـــوازه ، وأنه لا يحرم أخذه ، وأنه ليس فيه شيء من الشرك حتى يكون أخذه تقريرًا للشرك ، وأن النفع حاصل به وهو الثواب منه تعالى ، والضرر يندفع به كما يندفع بالصدقة إذ هو لا يخرج عنها .

الفصل العاشر

النحـر والذبـح

دلالة النحر والذبح من الكتاب :

١– يقول الله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ (١) أي : قدم علي الصلاة لربك ، الذي أفاض عليك ما أفاض من الخير خالصًا لوجهه عز وجل – خلاف الساهين عنها والمتصوفة أو المرائين فيها من السلفية – أداء لحق شكره تعالى على ذلك ، فإن الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر ، ولذا قيل : فصل دون : فاشكر ، وانحر البدن التي هي خيار أموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحتاجين ، وقيل : المراد بها صلاة العيد وبالنحر الأضحية .

٢– والدليل الثاني قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) .والراجح في معنى النسك خمسة أقوال للمفسرين : كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من صلاة وحج وذبح وغيرها ، وقيل : هو العبادة ، وقيل : هو أعمال الحج ، وقال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والسدي : المراد به الذبيحة في الحج والعمرة ، وقيل : هو الذبح ، وهذا والثلاثة قبله داخلة في الأول ، لأن ذبح الأضاحي والهدايا مما يتقرب به إلى الله تعالى ، فالآية دالة على أن العبد مطلوب منه الإخلاص لله في جميع الطاعات . ويؤكده قوله تعالى : ﴿ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ ﴾ والإخلاص محله القلب ، ولا يعلم كون العبد أخلص في طاعته أم لا إلا عالم الأسرار والنجوى ، وقصر النسك فيها

---

(١) سورة الكوثر – آية ٢.

(٢) سورة الأنعام – آية ١٦٢ – ١٦٣.

على مطلق الذبح الذي هو خامس الأقوال فيها وهجمه على قلوب الذابحين ومقاصدهم وحكمه عليهم بالكفر تورط في وحل الجهل دفعات .

دلالة النحر والذبح من السنة :

١- روى أبو داود : نذر رجل على عهد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أن ينحر إبلاً ببوانة- هضبة وراء ينبع - فأتى النبي ﴿ﷺ وآله﴾ فأخبره ، فقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ لأصحابه : ﴿هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ فقالوا : لا ، قال : هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قالوا : لا- خشية أن يكون النذر جاريًا على عادة أهل الجاهلية لقرب العهد بهم وإن كان السائل مسلمًا - فقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ : أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية﴾ [(١)] .

٢- الحديث الذي رواه أبو داود أيضًا عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة قالت : يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف ، قال : ﴿أوف بنذرك﴾ [(٢)] .

وزاد رزين في جامعه قالت : ونذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا - وكان يذبح فيه أهل الجاهلية - فقال ﴿ﷺ وآله﴾ : ﴿هل كان بذلك المكان وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قالت : لا ، قال : هل كان فيه عيد من أعيادهم ؟ قالت : لا ، قال ﴿ﷺ وآله﴾ :﴿أوف بنذرك﴾ [(٣)] فأمرها بوفاء نذرها حيث كان في مكان لا وثن فيه ولا عيد من أعياد الجاهلية .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الإيمان الباب ٢٢ وابن ماجة في كتاب الكفارات الباب ١٨ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٩٠ والجزء الرابع صفحة ٦٤ والجزء الخامس صفحة ٣٧٦ والجزء السادس صفحة ٣٢٦ .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الإيمان الباب ٢٢ والترمذي في كتاب المناقب الباب ١٧ وأحمد في الجزء الخامس صفحة ٣٥٣ ، ٣٥٦ .

(٣) رواه أبو داود في كتاب الإيمان الباب ٢٢.

شبهات وأباطيل حول النحر والذبح للأنبياء والأولياء :

١- يزعم ثالوث التكفير- ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب - أن المسلمين يذبحون وينحرون للأموات والقبور ، ويقربون لها القرابين ، وأن ذلك كالذبح والنحر للأصنام الذي كانت تفعله أهل الجاهلية الموجب للشرك ، صرح بذلك البدعي النجدي ابن عبد الوهاب في الباب الثاني المنقول عن رسالته ((كشف الشبهات)) حيث قال : إن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قاتل المشركين لتكون جملة أشياء الله تعالى وعد منه الذبح ، وقال في الرسالة المذكورة - في أثناء كلام له علم به أصحابه كيف يحتجون على غيرهم - قال : هل الصلاة والنحر لله عبادة إذ يقول ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ ؟ فلابد أن يقول : نعم ، فقل : إذا نحرت لمخلوق نبي أو ولي أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟

فلابد أن يقول : نعم ، فقل : المشركون هل كانوا يعبدون الأنبياء والأولياء ؟ فلابد أن يقول : نعم ، فقل : وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ، وإلا فهم يشعرون أنهم عبيد الله تحت قهره .

٢- يقول الصنعاني - أحد ذيول ثالوث التكفير - في عدة مواضع في كتابه ((تطهير الاعتقاد)) : إن إفراد الله بتوحيد العبادة لا يتم إلا أن تكون أشياء الله وعد منها النحر ، وأن تعظيم الأولياء ونحرهم لهم النحائر شرك ، والله تعالى يقول : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [1] أي لا لغيره ، وأن النحر على القبر بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية لما يسمونه وثنا وصنما ، ويفعله القبوريون لما يسمونه وليا وضريحا وقبرا .

٣- ويقول ثالث الأثافي - ابن عبد الوهاب : إن نحر النحائر للأنبياء والأولياء شرك، فإن قال قائل : إنما نحرت لله وذكر اسم الله عليه ، فقل إن كان النحر لله فلأي شيء قربت ما تنحره بأي ضريح ممن تفضله وتعتقد فيه ؟ هل أردت بذلك تعظيمه ؟ إن قال : نعم ، فقل له : هذا النحر لغير الله ، بل أشركت مع الله تعالى

غيره ، وإن لم ترد تعظيمه فهل أردت توسيخ باب الضريح وتنجيس الداخلين إليه ؟ أنت تعلم يقينًا أنك ما أردت ذلك أصلاً ، ولا أردت إلا الأول ، ولا خرجت من بيتك إلا قصده ، فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب .

٤- وقد يضاف النحر والذبح إلى المخلوق بقصد التقرب إليه - كما تتقرب إلى الله تعالى - طلبًا للخير منه مع كونه حجرًا وصنما لا يضر ولا ينفع ولا يفعل ولا يسمع سواء أكان تمثالا لنبي أو صالح أو غير ذلك ، ومع نهي الله تعالي عن ذلك ، يذكر اسمه على المنحور والمذبوح ويعرض عن اسم الله تعالى فيجعل نظيرًا لله تعالى وندًا له ، ويطلي بدم المنحور أو المذبوح قصد التقرب إليه ، مع كون ذلك عبثًا ولغوًا فهي عند الله تعالى كما كان يفعل المشركون مع أصنامهم ، وهذا قبيح مستنكر بل شرك وكفر سواء سمي عبادة أو لا . وهذا ماتوهم ثالوث التكفير أن المسلمين يفعلون مثله للأنبياء والأولياء والعلماء ،فينحرون ويذبحون لهم عند مشاهدهم أو غيرها ، ويقربون لهم القرابين كما كان عبدة الأصنام والأوثان يفعلون ذلك بأصنامهم وأوثانهم.

٥- يقول ثالوث التكفير : إن الذبح لغير الله عبادة للمذبوح له ومن عبد غير الله فقد كفر ، ويقولون من ذبح لغير الله فقد كفر وأشرك ، ويستندون في ذلك لقوله﴿ ﷺ وآله﴾ في الحديث : ((لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله . .))

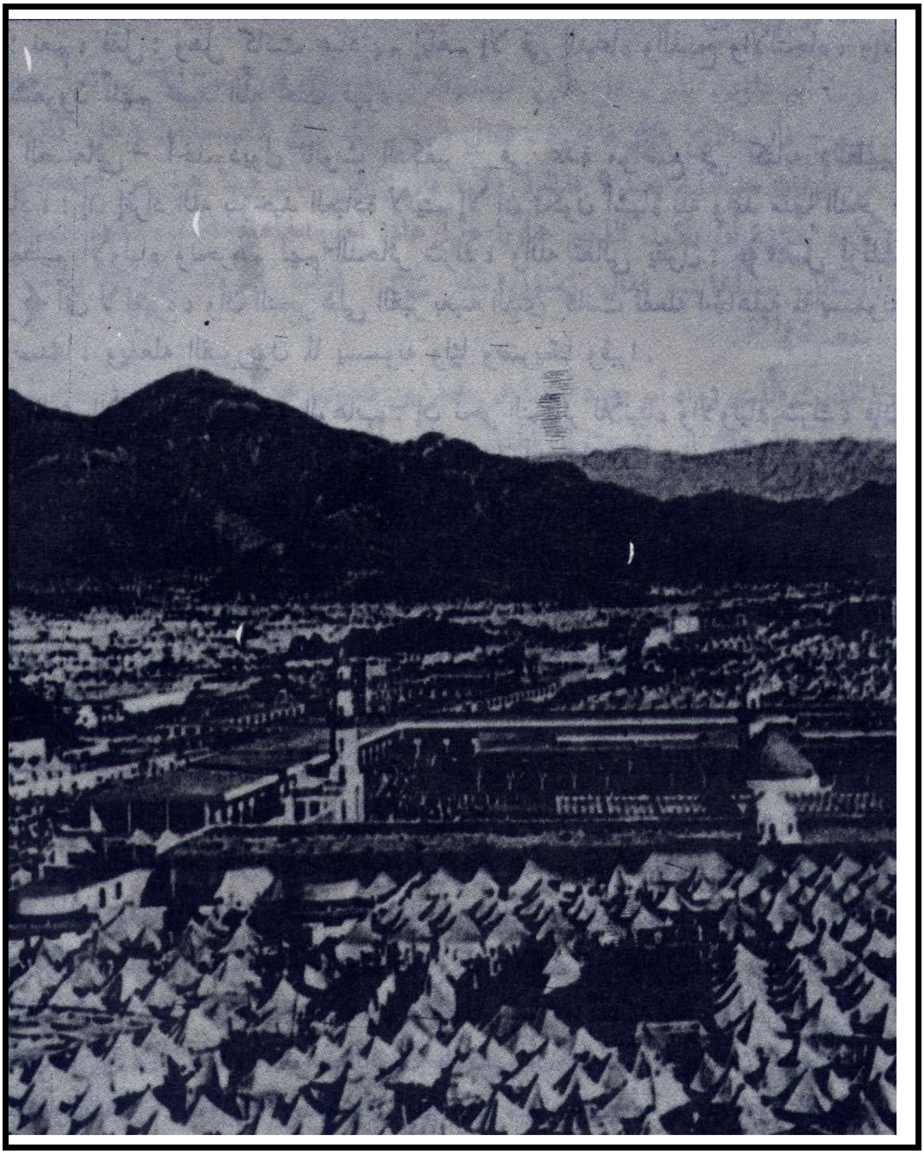

منى حيث مكان الذبح والنحر

١- النحر والذبح قد يضاف لله تعالى فيقال : ذبح لله ، ونحر لله ، ومعناها أنه نحـر لوجهه تعالى امتثالاً لأمره وتقربًا إليه ، كما في الأضحية بمني وغيرها ، والفـداء في الإحرام والعقيقة وغير ذلك ، وهذا يدخل في عبادته تعالى ، أو نحر باسمـه تعـالى ، فذكر اسمه على المنحور لا ربط له بالعبادة إنما هو شرط في حلية الذبيحة مع التفطن لقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ ﴾ (١) .

٢- وقد يضاف النحر والذبح إلى المخلوق ، فيقال : ذبحت الدجاجـة للمـريض ، ونحرت البعير أو ذبحت الشاة للأضياف ، أو ذبحت كذا لسمو الأمير فلان ، تريـد بذلك الذي أمرك بالذبح ، وهذا لا محذور فيه ، أليس النبي أو الولي أهلاً للتعظـيم ومحلاً لإهداء الثواب . وبناء عليه فليس كل تعظيم لمخلوق شركًا وكفرًا كما تقتضيه حجج ثالوث التكفير فيعمهم الشرك ، أترى لو أن جلالة الملـك خـادم الحـرمين الشريفين ، أو أحد السادة أصحاب السمو الأمراء ، أو أحد أصحاب المعالي الوزراء – زار كلا منهم شخصية من الشخصيات فأتى بالإبل والغنم ونحر وذبـح لضـيافة زائره وإكرامه وإظهار تعظيمه ، وذكر اسم الله على الذبيحة ، يكون كافرًا ومشركًا لأنه ذبح لغير الله وقصد بالذبح تعظيم المذبوح له ، حتى لو كان هذا الزائر هو الظالم صدام حسين ، أو البعثي حافظ الأسد ، أو الكافر بوش أو بيكر ؟ لم يكن الذبح له- قصدًا لتعظيمه – كفرا ولا شرك ، مع أنه ليس أهلاً للتعظيم ، فكيف بمن هو أهـل للتعظيم من نبي أو ولي حيًا أو ميتًا ؟! فقول ثالوث التكفير : إن هذا شـرك – بـلا ريب – إفك أو إفتراء بلا ريب .

٣- إن ما يفعله المسلمون لا يخرج عن الذبح والنحر لله تعالى ، لأنه يقصد أني أذبح هنا ، في سبيل الله لأتصدق بلحمه وجلده على الفقراء أو مطلق عباد الله ، وأهـدي

---

(١) سورة الأنعام – آية ١٢١.

ثواب ذلك لرب المشهد ، والذبح الذي يقصد به هنا يكون راجحًا وطاعة لله تعالى وعبادة ، سواء اهدى ثواب ذلك لنبي أو ولي أو أب أو أم أو أي شخص من سائر الناس . ونظيره من يقصد أني اطحن هذه الحنطة لأعجنها وأخبزها وأتصدق بخبزها على الفقراء وأهدي ثواب ذلك لأبوي ، فأفعاله هذه كلها طاعة وعبادة وعبادة لله تعالى لا لأبوية ، ولايقصد أحد من المسلمين بالذبح لنبي أو لولي أو غيره ما كانت تقصده عبدة الأوثان من التقرب إليها بالذبح لها ، ولا يفعل ما كانت تفعله من ذكر اسمها على الذبيحة والإهلال بها لغير الله ، وطليها بدمها مع نهى الله تعالى لهم عن ذلك .

و لو ذكر أحد من المسلمين اسم نبي أو ولي على الذبيحة لكان ذلك عندهم منكرًا وحرمت الذبيحة ، فليس الذبح لهم بل عنهم ، بمعني أنه عمل يهدي ثوابه إليهم كسائر أعمال الخير ، أو لهم باعتبار ثوابه ، ولذلك لا ينفعه قولهم : ذبحت لفلان ، أو أريد أن أذبح لفلان ، أو عندي ذبيحة لفلان لو فرض وقوعه ، فالمقصود في الكل كونها له باعتبار الثواب . وهذا كما يقال : ذبحت للضيف أو للمريض أو لسمو الأمير أو جلالة الملك الآمر بالذبح أو نحو ذلك ، بل قصد بالذبح امتثال أمر الآمر به من المخلوقين وطلب رضاه ، وأتى به على وجهه من شرائط الذبح الشرعية لم يكن بذلك آثمًا ولا عابدًا للآمر ولا شركا ، مع أنه لو وقع مثل ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى كما في الأضحية ونحوها لكان عبادة له تعالي كما مر ، وكل من يأمرهم سمو الأمير أو جلالة الملك بالذبح أو النحر من الخدم أو العبيد أو الأتباع حالهم كذلك مع أنهم يزعمون أنهم الموحدون الوحيدون .

٤- إن المسلمين لا يقصدون من الذبح للنبي أو الولي غير إهداء الثواب ، وعلى ذلك لا يكون حالهم إلا على أنواع ثلاثة :

أ- فالعارفون منهم حالهم واضح في أنهم لا يقصدون غير ذلك .

ب- أما العامة فإنما يقصدون ما يقصد العارفون منهم ولو إجمالاً ، حتى لو فرض وقوع إضافة الذبح إلى النبي أو الولي كما مر ، فليس المقصود إلا كون ثوابها له لا يشك في ذلك إلا معاند .

ولو سألنا عارفاً أو عاميًا أيًا كان ، هل مرادك الذبح لصاحب المشهد تقربًا إليه كما كان المشركون يذبحون لأصنامهم ؟ أو مرادك إهداء الثواب له ؟ لقال : معاذ الله أن أقصد غير إهداء الثواب .

ج- لو فرضنا أننا شككنا في قصده أو خفي علينا وجه نعلمه ، لما جاز لنا أن نحمله إلا على الوجه الصحيح لوجوب حمل أفعال المسلمين وأقوالهم علي الصحة حتى يعلم الفساد ، ولم يجز لنا أن ننسبه إلى الشرك ، ونستبيح دمه وماله وعرضه لمجرد ظننا أن قصده الذبح لها كالذبح للأصنام لما عرفت في المقدمات من وجوب الحمل على الصحة ما أمكن .

٥- يتهجم ثالوث التكفير مستندين بقول الحديث : ﴿ لعن الله من لعن والديه ولعن من ذبح لغير الله . . . ﴾ ويحتجون به على كفر من ذبح لغير الله . فالتكفير سهل عند ثالوث التكفير ولا ارتباط لهم في تكفيرهم بكتاب الله ولا بسنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فضلاً عن درجة الحديث فيها ولا بما عليه السواد الأعظم وإنما ارتباطهم بفهمهم السقيم العقيم ، ويرد على ذلك بالأدلة الآتية :

أ- لا إرشاد لكفر من ذبح لغير الله في منطوق هذا الحديث ولا في مفهومه فإن منطوقه : ﴿ لعن الله من ذبح لغبر الله ﴾ ومفهومه عدم لعن من ذبح لله تعالى .

ب- يلزم على حد زعم ثالوث التكفير تكفير كل من لعنه النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وهو في السنة كثير فمنه ﴿ لعن الله الراشي والمرتشي والرائش ﴾ [1] و﴿ لعن الله النائحة

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الأحكام الباب ٩ وأبو داود في كتاب الأقضية الباب الرابع وابن ماجة في كتاب الأحكام الباب الثاني وأحمد في الجزءالثاني صفحة ١٦٤، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٢١٢ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ والجزء الخامس صفحة ٢٧٩ .

والمستمعه ﴾ (١) و﴿ لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النســاء ﴾ (٢) و﴿ لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصــرها ومعتصــرها وحاملــها والمحمولة إليه وآكل ثمنها ﴾ (٣) . و﴿ لعن الله الربا وآكله وموكله وكاتبه وشــاهده وهم يعلمون ﴾ (٤) .

ولم يقل ذو عقل ودين بكفر أحد من المكلفين الذين لعنهم رسول الله ﴿ ﷺ وآلــه﴾ في هذه الأحاديث وغيرها ، غير الجاحد والمستحل لما هو معلوم من الدين بالضرورة.

ج- يلزم على فهم ثالوث التكفير ، تكفير جميع المسلمين من أول الإسلام إلى قيــام الساعة فالآلاف المؤلفة من الغنم والبقر والإبل المذبوحة والمنحورة في المدن والقــرى يوميًا للأكل ، علاوة على ما يذبح في الولائم والحفلات وللضيوف فرحًــا بقــدوم جلالة الملك أو سمو الأمير أو أصحاب المعالي الوزراء وغير ذلك من المقتضيات فكلها مذبوحة لغير الله تعالى قطعًا .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الجنائز الباب ٢٥ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ٦٥ .

(٢) رواه البخاري في كتاب اللباس الباب ٦٢ وكتاب الحدود الباب ٣٣ وأبو داود في كتاب الأدب الباب ٥٣ والدارمي في كتاب الاستئذان الباب ٢١ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٥٤ ، ٣٣٩ ، ٣٦٥ والجزء الثاني صفحة ٩١ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩.

(٣) رواه أبو داود في كتاب الأشربة الباب الثاني وأحمد في الجزء الأول صفحة ٣١٦ والجزء الثاني صفحة ٩٧ .

(٤) رواه البخاري في كتاب اللباس الباب ٨٦ ، ٩٨ ومسلم في كتاب المساقاة الحديث رقم ١٠٦ وأبو داود في كتاب البيوع الباب الرابع والترمذي في كتاب البيوع الباب الثاني والنسائي في كتاب الزينة الباب ٢٥ وابن ماجة في كتاب التجارات الباب ٥٨ والدارمي في كتاب البيوع الباب الرابع وأحمد في الجزء الأول صفحة ٨٣ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ١٢١ ، ١٣٣ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ، ٣٩٣، ٣٩٤ ، ٤٠٢ ، ٤٠٩ ، ٤٥٣ .

رأى الشيخ محمد عبده يرد دعوى ثالوث التكفير :

ولقد أيد ذلك الشيخ محمد عبده في كتابه الإسلام والنصرانية ص ٥٥ إذ يقول : (إن من أصول الأحكام في الدين الإسلامي البعد عن التكفير ، وأن مما اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد أحكام دينهم إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ، ويحتمل الإيمان من وجه واحد ، حمل على الإيمان ، ولا يجوز حمله على الكفر .

فما رأى القرنيين في الجمع بين هذا الكلام الصادر ممن يلقبونه (الأستاذ الإمام حكيم الإسلام) . . وبين أقوال أسيادهم الوهابين ؟ . . الذين ينتشرون كتب فكرهم التي يكفرون بها المسلمين ، ويستحلون دماءهم وأموالهم بقولهم : يا رسول الله اشفع لي .. اقض حاجتي ، مع أنه لو احتمل الكفر من وجه واحد فهو الإيمان من مائة وجه كما تعلمه من تضاعيف هذا الكتاب .

أسانيد إهداء الثواب إلي الأموات :

أما إهداء ثواب الخيرات والعبادات إلى الأموات فأمر راجح مشروع ، ولم يمنع منه كتاب ولا سنة ، بل وردت به السنة في صحاح الأخبار ، وقامت عليه سيرة المسلمين وعملهم في كل عصر وزمان ، ومن عهد النبي ﴿ﷺ وآله﴾ والصحابة إلى اليوم ، ومن أولي بالهدايا من أنبياء الله وأوليائه.

١- روى مسلم في صحيحه في باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه بعدة أسانيد عن السيدة عائشة رضي الله عنها : أن رجلاً أتى النبي ﴿ﷺ وآله﴾ فقال يا

رسول الله إن أمي افتلتت نفسها ولم توص وأظنها لو تكلمت لتصدقت ، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : (نعم)[1].

قال النووي في الشرح : (افتلتت نفسها) نائب فاعل أو مفعول به ، أي ماتت فجأة، ثم قال : وفي الحديث إن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو كذلك بإجماع العلماء .

٢- روى أحمد بن حنبل في مسنده عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قال للنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : (إن أمي افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت لتصدقت فلها أجر إن أتصدق عنها قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿نعم ﴾[2] .

٣- روى أحمد بن حنبل أيضًا عن ابن عباس أن بكرًا أخا بني ساعدة توفيت أمه وهو غائب عنها فقال : يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها ، فهل ينفعها إن تصدقت بشيء عنها ؟ قال : ﴿ نعم ﴾ ، فقال : أشهدك أن حائط المخرف صدقة عليها [3] .

٤- وعن أحمد وأبي داود والترمذي : ﴿ أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ذبح بيده وقال : اللهم عني وعمن لم يضح من أمتي ﴾ [4]

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز الباب ٩٥ وكتاب الوصايا الباب ١٩ ومسلم في كتاب الزكاة الحديث رقم ٥١ وكتاب الوصية الحديث ١٢ ، ١٣ وأبو داود في كتاب الوصايا الباب ١٥ والنسائي في كتاب الوصايا الباب السابع وابن ماجة في كتاب الوصايا الباب الثامن .

(٢) نفس التخريج السابق

(٣)) رواه البخاري في كتاب الوصايا الباب ١٥ ، ٢٠ ، ٢٦ ومسلم في كتاب الزكاة الحديث رقم ٥٢ والترمذي في كتاب الزكاة الباب ٣٣ وأبو داود في كتاب الوصايا الباب ١٥ والنسائي في كتاب الوصايا الباب الثامن وأحمد في الجزء الأول صفحة ٣٣٠ ، ٣٧٠

(٤) رواه أحمد في الجزء الثالث صفحة ٨ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ وأبو داود في كتاب الأضاحي الباب الثامن والترمذي في كتاب الأضاحي الباب ١٠ ، ٢٠ .

٥- وعن سيف وأبي داود : ﴿ أن عليا كان يضحي عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بكبش وكان يقول أوصاني أن أضحي عنه دائماً ﴾ (١)

٦- وعن الإمام علي عليه السلام : ﴿ أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أوصاني أن أضحي عنه﴾ (٢)

٧- وعن بريدة : أن امرأة سألت النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ هل تصوم عن أمها بعد موتها ؟ وهل تحج عنها ؟ قال (نعم)

٨- وعن ابن عباس أنه قال : ﴿ تفي البنت نذر امها ﴾

٩- وروى أن العاص بن وائل أوصى بالعتق ، فسأل ابنه النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ عن العتق له فأمر به .

١٠- عن السيدة عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قال عند الذبح : ﴿ اللهم تقبل من محمد وآل محمد وأمته﴾ (٣).

ومما تقدم أن إهداء ثواب الخيرات والعبادات إلى الأموات أمر لا يشك أحد من المسلمين في جوازه وعليه جرت سيرهم خلفاً عن سلف . وقد ذكر النووي إجماع العلماء عليه ، فهذا حال الذبح والنحر للأنبياء والأولياء – الذي أعظم ثالوث التكفير أمره واستحلوا لأجله الدماء والأموال والأعراض – هذا الأمر الذي لا يخرج عن مندوبات الشرع ومستحباته . ومن ذلك يظهر فساد قول ثالوث التكفير .

حكمة اختيار النحر أو الذبح بجوار مشهد النبي أو الولي :

إن اختيار النحر والذبح في جوار مشهد النبي أو الولي يرجع للأسباب الآتية :

(١) ، ٠(٥) رواه أبو داود في كتاب الأضاحي الباب الأول وأحمد في الجزء الأول صفحة ١٠٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠.

(٣) رواه مسلم في كتاب الأضاحي الحديث رقم ١٩ وأبو داود في كتاب الأضاحي الباب الرابع وأحمد في الجزء السادس صفحة ٧٨ .

١- لطلب زيادة الثواب لتشريف البقعة بمن فيها إن كان نبيًا أو وليًا ، فيزاد ثواب العمل بذلك لما ورد أن الأعمال يتضاعف أجرها لشرف الزمان والمكان ، وإنكار شرف المكان بشرف المكين إنكار للضروري .

٢- لما كان المراد إهداء الثواب إليه ناسب كون هذا العمل الذي هو عبادة وصدقة لله في المكان الذي فيه قبره ، لأن الهدية يؤتى بها عادة للمهدى إليه نظير قراءة القرآن عند قبره ، وإهداء ثواب القراءة إليه ، وليس في ذلك منافاة للدين ولا محذور لأن ذلك إن لم يكن راجحًا فلا أقل من كونه مباحًا .

٣- إن مريد النحر أو الذبح يأتي غالبًا للزيارة التي هي راجحة ومشروعة سواء بعدت المسافة أو قربت ، فيحضر الزائر ما يريد ذبحه وإهداء ثوابه إلى المزور معه .

وليس في واحد من هذه الوجوه الثلاثة محذور ولا مانع ولا منافاه للحنفية السهلة السمحاء التي تشدد فيها ثالوث التكفير تشدد سلفهم الخوارج ، فما يفعله المسلمون بذكر اسم الله تعالى وبنحر للصدقة وإهداء الثواب ، بخلاف ما ينحر للأوثان الذي يذكر اسمها عليه ، ويقصد التقرب إليها لا إلى الله تعالى .

الباب الثالث

حول توقير النبي ﷺ وآله ﴿ و إحياء ذكري الأنبياء و الأولياء و السيادة لهم والقسم بغير الله تعالي

الفصل الأول

توقير النبي (ﷺ وآله)

القرنيون لا يوقرون النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

التوقير والتعظيم لسيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ من الإيمان فمن لم يعظمه﴿ ﷺ وآله﴾ بما يليق بمقامه فهو كافر ، ومن رفعه في التعظيم إلي مقام الألوهية فهو كافر ..

و قد أشاع ثالوث التكفير– ابن تيمية و ابن القيم و ابن عبد الوهاب– وأمثالهم عدم توقير النبي ﷺ﴿ وآله﴾ ، لاعتقادهم أن كل ما فيه إجلاله ﴿ ﷺ وآله﴾ من قول أو فعل فهو شرك و عبادة له ، من قائله و فاعله ، فسجل ثالوث التكفير على أنفسهم للعالم الإسلامي أنهم موتورون منه﴿ ﷺ وآله﴾ يسوءهم ما فيه توقيره﴿ ﷺ وآله﴾ ، و يسرهم ما فيه انتهاك حرمته ﴿ ﷺ وآله﴾.

و هذا يدل على أنه قام في أدمغة ثالوث التكفير الفاسدة أن كل من عظم النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فهو عابد له ، فهم بذلك منتهكون حرمته﴿ ﷺ وآله﴾ .

و لقد زاد البدعي النجدي ابن عبد الوهاب الطين بله حيث يقول : إن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ (طارش) أدي الرسالة و ذهب فلا حرمة ولا قيمة له . و هكذا أهل بيت النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ الطيبون الطاهرون و أصحابه رضوان الله عليهم الهداة المهديون وأولياء الله الصالحون، يقولون في الواحد منهم : قال فلان بدون صيغة تدل على احترامه كالسلام أو الترضية ، لأن كل ما يدل على تبجيله ﴿ ﷺ وآله﴾ وتبجيل أهل بيته وأصحابه وأئمة دينه والأولياء – من الألفاظ التي تدعو احترامهم – غلو عندهم ينافي التوحيد ، ولا يكون غلوًا منافيًا للتوحيد إذا كان في ثالوث التكفير ، فيقولون في كل منهم : قال شيخ الإسلام قدس الله روحه ونور قبره تأليها لهم .

أما إذا كان في الأسرة المالكة السعودية فيقولون : صاحب الجلالة سيدنا ومولانا الملك فلان المعظم أو المفدى ، وصاحب السمو الملكي الأمير فلان ولي العهد الأمين ، وصاحب السمو الأمير فلان ، وصاحب المعالي الوزير فلان ، وصاحب السعادة الوجيه فلان .

ولا تكون هذه الألقاب غلوا ولا منافية للتوحيد ، نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان !!

تعظيم القرآن للرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ :

اعلم أن هذه العجالة لا تتسع لتتبع الآيات الواردة في التنويه بعظم قدر رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ والحض على توقيره وتعظيمه ، وإنما المراد منها التنبيه إلي أمثلة من تلك الآيات الكريمة .

١- آيات أشارت بعظيم قدره وعدَّدت نعم الله عليه و هي :

أ- قوله تعالي : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾

وقد قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ لما نزلت عليه هذه الآية : ﴿ لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة أحب إلي من الدنيا وما فيها ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا. . . ﴾ رواه البخاري و أحمد وغيرهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم كما في الدر المنثور .

ب- و مثل قوله تعالي :﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾.

فهو ﴿ ﷺ وآله﴾ شاهد على أمته التى هي شاهدة على النَّاس كما قال تعالي : ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١) .

فهو ﴿ ﷺ وآله﴾ الرقيب المؤتمن على الرقباء ، قال القاضي عياض : وقد جمع الله له ﴿ ﷺ وآله﴾ في هذه الآية دروبًا من رتب الأثرة جملة وأصاف من المدحة ، وجعله سراجًا ينير للناس طريقهم كما قال تعالي : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(٢).

٢- تعظيم الله تعالي لنبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه ناداه في كتابه العزيز بالوصف الشريف :

أ- فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ (٣) ، و قال ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ (٤) .

بينما جرت العادة أن ينادي الله تعالي أنبياءه الكرام بأسمائهم فقد قال تعالي : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ (٥) ، و قال : ﴿ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَركَاتٍ عَلَيْكَ ﴾ (٦) و قال :﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ (٧) ، و قال : ﴿ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ﴾ (٨) .

---

(١) سورة البقرة – آية ١٤٣

(٢) سورة إبراهيم – آية ١

(٣) سورة الأحزاب – آية ١ ، ٢٨ ، ٤٥

(٤) سورة المائدة – آية ٤١ – ٦٧

(٥) سورة البقرة – آية ٣٥

(٦) سورة هود – آية ٤٨

(٧) سورة طه – آية ١١ ، ١٢

(٨) سورة المائدة – آية ١١٠

و قال شيخ الإسلام العز بن عبد السلام : و لا يخفي أن السيد إذا دعا عبده بأفضل ما أحب له من الأوصاف العلية والأخلاق السنية فقد فضله على غيره ، ومن دعا بأفضل أوصافه وأخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه .

ب- وهكذا علمنا الله تعالي كيف نخاطب النبي﴿ ﷺ وآله﴾ وكيف نتأدب فقال : عز و جل : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[1] .

أخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ يعني كدعاء أحدكم إذا دعاه أخاه باسمه ولكن وقروه وعظموه وقولوا له : يا رسول الله – راجع الدر المنثور .

ج- وأمر المولي سبحانه أن نخفض أصواتنا عند رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وألا نرفع أصواتنا فوق صوته فقال تعالي : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[2]

د- كما حذرنا سبحانه وتعالي من التقدم بين يديه وعصيانه أمره والافتئات عنه فقال جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[3].

٣- وقد أخذ الله تعالي على النبيين الميثاق ليؤمنن به و لينصرنه فقال جل من قائل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[4] .

---

(١) سورة النور – آية ٦٣

(٢) سورة الحجرات – آية ٢ ، ٣

(٣) سورة الحجرات – آية ١

(٤) سورة آل عمران – آية ٨١

وفي الدر المنثور وشرح المواهب للزرقاني عن ابن جرير عن سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام : ﴿ ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ و هو حي ليؤمنن به ولينصرنه ﴾[1].

٤- و قد أقسم الله تعالي في آيات عديدة على عظيم فضل نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ :

أ- قال جل و علا : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] . وقد وصفت السيدة عائشة ﴿عليها السلام﴾ وغيرها من الصحابة خلقه ﴿ ﷺ وآله﴾ وحلمه وصبره وإغضاءه وحياءه كما هو مدون في الدر المنثور والشمائل وكتب الحديث والسيرة ويبقي خلقه ﴿ ﷺ وآله﴾ فوق الوصف ، وقد أقسم الله جل جلاله على أنه عظيم ، ولله در الإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام :

على قدري أصوغ لك المديحا و مدحك صاغة ربي صريحا
و من أنا يا إمام الرسل حتي أوفي قدرك السامي شروحا

ب- و من الآيات التى أقسم فيها المولي جل وعلا على عظيم فضل النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وزكي أخلاقة قوله تعالي : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ [3].

و قوله تعالي : ﴿ يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[4] .

و كيف لا يكون ﴿ ﷺ وآله﴾ كذلك وقد اختاره الله تعالي قدوة لعباده ، ومثلاً أعلى ينتهجون نهجه ويسيرون سيرته فقال جل وعلا : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [5] .

---

(١) رواه ابن كثير في البداية و النهاية ٢ / ٣٠٦
(٢) سورة القلم – آية ١-٤
(٣) سورة النجم – آية ١-٣
(٤) سورة يس – آية ١-٤
(٥) سورة الأحزاب – آية ٢١

٥- و أقسم الله تعالي بحياة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ و لم يقسم بحياة أحد غـيره ، فقـال تعالي : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١) ، قال السيوطي في الدر المنثور : أخرج ابن أبي شيبه والحارث بن أبي أسامة وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابـن مردوية وأبو نعيم والبيهقي عن ابن عباس قال : ما خلق الله وما ذرأ وما برأ أكرم عليه من محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (٢) ، يقول وحياتك يامحمد وعمرك ومقامك في الدنيا ، ورواه أيضًا ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعًا وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض لرسـول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ .

٦- لنختتم تعظيم القرآن الكريم لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بسورة كريمة فيها ما لا مزيـد عليه من التشريف والتعظيم لنبينا ﴿ ﷺ وآله﴾ وهو قوله تعالي : بسم الله الرحمن الـرحيم ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ فَـإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ (٣) .

ففي هذه السورة من أنواع التكريم ما لا يحيط به ، ولا يدركه إلا هذا النبي الكريم الـذي من الله تعالي عليه به من شرح الصدر ، ورفع وزر ، ومن دلالة له ﴿ ﷺ وآلـه﴾ علـى الإلتجاء إلي ربه عز وجل والرغبة إليه و وعده باليسر .

ولنقف هنا عند قوله تعالي :﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ ، وكفاه رفعًا لذكره ، ألا يـذكر الله تعالي –خالق السموات والأرض وجميع المخلوقات ، المنفرد بالعظمة والجلال والكبريـاء ، الواحد الذي لا شريك له ولا مثيل – إلا ذكر معه .

فأي ترقية أعظم وأي مطمع فوق ذلك ، أن يقرن اسم المخلوق العبد مع خالقـه الـرب الجليل المتكبر العظيم .

---

(١) ، (٦) سورة الحجر – آية ٧٢

(٣) سورة الشرح

قال الإمام الشافعي في الرسالة ص١٢ أخبرنا ابن عيينه عن ابن أبي فجيج عن مجاهد في قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قال : لا أذكر إلا ذكرت معي . أشهد أن لا إله ألا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .

يعني– والله أعلم– ذكره عند الإيمان بالله والأذان ، و يحتمل ذكره عند تلاوة الكتاب وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية . وذكر الإمام السيوطي في الدر المنثور مثل ذلك من رواية عدد كبير من أئمة الحديث .

و قد قرن الله جل جلاله اسمه الكريم باسم نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ في القرآن العظيم في مواضع كثيرة فقال : ﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ (١) وقال : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (٢) وقال : ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (٣) .

تعظيم الصحابة رضي الله عنهم له ﴿ ﷺ وآله﴾ :

أما تعظيم الصحابة – رضي الله عنهم – له ﴿ ﷺ وآله﴾ فيكفي فيه ما ورد في كتب الأحاديث وكتب السيرة و الشمائل و الدر المنثور وغيرها :

١– إن حديث البخاري في صلح الحديبية جاء فيه : أن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بعينيه قال : فوالله ما تنخم رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه و جلده ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له (٤) .

٢– و لم يكن سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما يكلمانه إلا كأخي السَّرار .

---

(١) سورة آل عمران – أية ١٣٢

(٢) سورة التغابن – آية ٨

(٣) سورة الحجرات – آية ١

(٤) رواه البخاري في كتاب الوضوء الباب ٧٠ و كتاب الشروط الباب ١٥ و أحمد في الجزء الرابع صفحة ٣٢٩ ، ٣٣٠

٣- و كان الصحابة رضي الله عنهم في مجلسه ﴿ ﷺ وآله﴾ يكونون كأنما على رؤوسهم الطير لا يرفعون الأصوات ، وكانوا يهابون سؤاله فيتمنون أن لو جاء أحد من الأعراب فيسأله فيستفيدون منه ﴿ ﷺ وآله﴾ .

٤- ذكر شيخ الإسلام السبكي في شفاء السقام ص ٢٠٦ أنه روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال : (لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيًا ولا ميتًا) .

٥- روي البخاري عن السائب بن يزيد قال : كنت قائمًا في المسجد فجذبني رجل ، فنظرت إليه فإذا به عمر بن الخطاب فقال : اذهب فائتني بهذين ، فجئته بهما قال : من أنتما ؟ أو من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ؟ ! .

٦- وذكر في شفاء السقام ص٢٠٦ أنه روي أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور القريبة من مسجد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فأرسلت إليهم : لا تُؤذوا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وما عمل سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام مصراعي داره إلا بالمناصع توقيًا لذلك ، هكذا رواه الحسيني في أخبار المدينة .

تعظيم السلف الصالح له﴿ ﷺ وآله﴾ :

٦- وفي الشفاء للقاضي عياض ج٢ ص ٤٠ وما بعدها : أن مصعب بن عبد الله قال : كان مالك إذا ذكر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ يتغير لونه وينحني حتي يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يومًا في ذلك ،فقال: لو رأيتم ما رأيت ما أنكرتم على ما ترون :

أ- لقد كنت أري محمد بن المنكدرة – وكان سيد القراء- لا تكاد تسأله عن حديث أبدًا إلا ويبكي حتي ترحمه .

ب- و لقد كنت أري جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم ، فإذا ذكر عنده النبي ﴿ ﷺ وآله﴾اصفر ، وما رأيته يحدث عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ إلا على طهارة .

ج- ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فينظر إلي لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه ، هيبة منه لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ .

د- ولقد كنت أري عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بكي حتي لا يبقي في عينيه دموع .

هـ- ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم ، فإذا ذكر عنده النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بكي ولا يزال يبكي حتي يقوم الناس ويتركوه .

٢- وفي شواهد الحق أن مالكاً قال : موضع وطئه ﴿ ﷺ وآله﴾ بأقدامه الكريمة ما كان لي أن أطأه بحافر بغلة . وفي الشفاء للقاضي عياض : أن مالكاً أفتي فيمن قال : تربة المدينة ردية ، أن يضرب ثلاثين درة ، وأمر بحبسه ، وكان له عذر ، وقال : ما أحوجه إلي ضرب عنقه ، تربة دفن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ يزعم أنها غير طيبة ! ! .

ومن تعظيم مالك لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ كراهته لقول : زرنا قبر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قال القاضي عياض في الشفاء : وكره مالك أن يقال زرنا قبر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وكره تسوية النبي ﷺ﴿ وآله﴾ مع الناس بهذا اللفظ ، وأحب أن يخص بأنه يقال : سلمنا على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ .

٣- وقال القاضي عياض في الشفاء : كان أصحاب النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم ، وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقًا إليه ، ومنهم من يفعله تهيبًا وتوقيرًا . ومن المعلوم أن جميع هذا التعظيم للنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ والتنويه بأمره في القرآن الكريم ، وتفاني أصحابه الكرام في خدمته وتعظيمه إنما زاده ﴿ ﷺ وآله﴾ تواضعًا وخضوعًا لربه تعالي ، وحسن عبادة لله جل و علا .

مظاهر عدم توقير النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وتعظيمه عند ثالوث التكفير :

١- يسوء ثالوث التكفير ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب اجتماع الناس لتعظيم قدر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف ، ويرون أن هذا العمل منكرًا عظيمًا يجب عليهم إزالته باليد . وكذلك يسوءهم إحياء موالد الأنبياء والأولياء. ولا يسوءهم الاحتفال بمولد ابن عبد الوهاب تحت مسمي ((أسبوع ابن عبد الوهاب)) .

٢- يسوء ثالوث التكفير الاحتفال بهجرة الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ أو ليلة الإسراء والمعراج أو ليلة النصف من شعبان أو ليلة غزوة بدر أو ليلة القدر ، والحقيقة في كون هذه

الاحتفالات منكرة عندهم هي تعظيمه ﴿ ﷺ وآله﴾ بما أمر به الله تعالي في هذه المناسبات الإسلامية وتعظيمه ﴿ ﷺ وآله﴾ – في نفوسهم المريضة– بدعة تنافي التوحيد . ولا يسوءهم عيد جلوس الملك عبد العزيز تحت مسمي العيد الوطني .

٣– يسوء ثالوث التكفير من يسود النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ في صلاة أو غيرها ويرون ذلك منكرًا عظيمًا ، ولا يسوءهم ألفاظ الغلو والتعظيم التى تكال للملوك والرؤساء والأمراء والوزراء .

٤– يسوء ثالوث التكفير طلب الشفاعة والتوسل بالنبي﴿ ﷺ وآله﴾ و جعل طلب الشفاعة منه ﷺ﴿ وآله﴾ أو التوسل به ﴿ ﷺ وآله﴾ كفرًا منكرًا ، ولا يسوءهم التوسل بمستر بوش، ومارجريت تاتشر و بمسيو ميتران في حرب الخليج .

٥– يسوء ثالوث التكفير الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد الأذان لأن هذا الأمر في عقولهم السقيمة بدعة لم تكن في عهد الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ مع أن حكم الصلاة والسلام على رسول الله وارد بصريح القرآن في قوله تعالي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1]

٦– يسوء ثالوث التكفير الإقسام على الله بمخلوق أو بحق مخلوق سواء كان نبيا أو وليًا ويعتبر القسم باطل ، كما أن الحلف بغير الله يعد شركًا وقد وقع القسم بغير الله تعالي من الله تعالي ومن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ومن الصحابة و التابعين و جميع المسلمين خلفًا عن سلف.

٧– يسوء ثالوث التكفير حال المسلمين و ينسبوهم إلي الشرك إذا ذبحوا ونحروا لمولد النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وموالد أهل البيت وأولياء الله الصالحين ، فالمقصود كونها في كل ذلك باعتبار الثواب وهذا كما يقال ذبحت للضيف أو المريض أو الملك أو لمستر بوش ومسز مارجريت تاتشر ومسيو ميتران عند زيارتهم لمملكة التوحيد .

٨– يسوء ثالوث التكفير النذر لنبي أو لي حيا أو ميتاً وكل ذلك في فهمهم نذر معصية موجب للشرك ، ولا يقصد الناذر لنبي أو ولي إلا نذر الصدقة وإهداء ثوابها إلي النبي أو الولي . و لا يقصد التقرب إليه بالنذر بل التقرب إلي الله تعالي وكيف يقصد التقرب إليه

---

(١) سورة الأحزاب – أية ٥٦ .

وهو يعلم أنه ميت ؟! لا يمكنه الانتفاع بالمنذور : لا يأكله إن كان طعامًا ولا يصـــرفه إن كان مالاً ولا يلبسه إن كان ثيابا

٩- يسوء ثالوث التكفير تعظيم روضة النبي﴿ ﷺ وآله﴾ و روضـــات أهـــل البيـــت و الصحابة : ببناء القباب عليها ، والصلاة عندها ، والتبرك بها ، وغير ذلك ، ويعتبر ذلـــك كله من الشرك وعبادة الأوثان .

١٠- يسوء ثالوث التكفير زيارة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وحرموها مطلقًا وشد الرحال إليها . فضلاً عم زيارة غيره من من أهل البيت والعلماء والأولياء.

١١-لا يتم إيمان المسلم عند ثالوث التكفير إلا بالتشنيع والتشهير به ﴿ ﷺ وآله﴾ بـــأن أبويه .... وقد رد عليهم الإمام السيوطي في رسالته ((مسالك الحنفا في نجاة والـــدي المصطفي)) .

١٢- يثير ثالوث التكفير بعض النعوت- لسيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ – التي لا تليـــق بمقامه : منها أنه كان يتيمًا تأباه المراضع ، وأنه كان ضالاً فهداه الله ، وأن الـــوحي نـــزل برأي عمر بن الخطاب ولم ينزل برأيه في موضوع الأسري ، قاصدين بذلك انتهاك حرمتـــه ﴿ ﷺ وآله﴾ وصدق الله العظيم حيث يقول في ثالوث التكفير وأمثالهم : ﴿ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ﴾ (١) و قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًـــا وَنَصِيرًا ﴾ (٢) و قوله تعالي : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾(٣).

و الحقيقة في كون كل ما تقدم وغيره عند ثالوث التكفير منكر عظيم ، هو تعظيمـــه ﴿ ﷺ وآله﴾ وتعظيمه في زعمهم شرك ينافى التوحيد ،وقد كذبهم الله تعالى في كتابه العزيز قـــال تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّـــهُ عِنـــدَ رَبِّـــهِ ﴾ (٤) و قـــال تعـــالي : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾(٥) .

---

(١) سورة التوبة – آية ٦١.

(٢) سورة الفرقان – آية ٣١

(٣) سورة الأنعام – آية ١١٢

(٤) سورة الحج – آية ٣٠

(٥) سورة الحج – آية ٣٢

الفصل الثاني

إحياء ذكر الأنبياء والأولياء

الاحتفال بذكري الأنبياء والأولياء من تعظيم شعائر الله:

لعل تجديد الذكري بالمواليد والوفيات ، والجري على مراسم النهضات الدينية أو الشعبية العامة ، والحوادث العالمية الاجتماعية ، وما يقع من الطوارق المهمة في الزمان والمكان ، واتخاذ تلك المناسبات أعيادًا و أفراحًا أو مأتمًا وأحزانًا ، وإقامة الحفل السار أو التأبين من الشعائر المطردة ، والعادات الجارية منذ القدم ، دعمتها الطبيعة البشرية وأسستها الفكرة الصالحة لدي الأمم الغابرة ، عند كل ملة ونحلة قبل الجاهلية وبعدها وهلم جرا حتي اليوم.

هذه هي مراسم اليهود والنصاري و العرب ، في أمسها ويومها ، وفي الإسلام وقبله ، سجلها التاريخ في صفحاته ، وكأن هذه السنة نزعة إنسانية ، نبعت من عوامل الحب والعاطفة ، وتسقي من منابع الحياة ، وتتفرع على أصول التبجيل والتجليل والتقدير والإعجاب ، لرجال الدين والدنيا ، أفذاذ الملأ وعظماء الأمة ، إحياءً لذكراهم ، وتخليدًا لاسمهم ، وفيها فوائد تاريخية واجتماعية ، ودروس أخلاقية صافية راقية ، لمستقبل الأجيال ، وعظات وعبر ، ودستور عملي صالح للناشئة الجديدة . وتجارب واختبارات تولد حنكة الشعب ، ولا تخص جيلاً دون جيل ، ولا فئة دون فئة أخري .

وإنما الأيام تقتبس نورًا وازدهارًا ، وتتوسم بالكرامة والعظمة ، وتكتسب سعدًا و نحسًا و تتخذ صبغة مما وقع فيها من الحوادث الهامة وقوارع الدهر ونوازله .

ولا ينبئنا التاريخ قط يومًا أجل وأعظم من مولد النبي﴿ ﷺ وآله﴾ لقد كان مولــده ﴿ ﷺ وآله﴾ نورًا وبعثته رحمة ، ورسالته هدي ، ولذلك فإن إحياء مولده ﴿ ﷺ وآله﴾ إحياء لنا ، لتبلغ الإنسانية كمالها، ولتنطلق العقول من أغلالها ، وليرتفع الناس إلي ربهــم بالمحبــة ، وليكون اتباعه ﴿ ﷺ وآله﴾ أتقياء علماء ، بل علماء كالأنبياء ، خصوصية لأمتــه ﴿ ﷺ وآله﴾ لأن لها ميراثًا من نبوته ﴿ ﷺوآله﴾ واقتباساً من رحمته﴿ ﷺ وآله﴾ .

القرآن يدعو لإحياء الذكري :

إن إحياء الذكريات الإسلامية واجب على علماء الأمة الإسلامية ، من أجل تذكير الشباب المسلم خاصة ، وجميع المسلمين عامة بالمواقف الرائعة للرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ وأهــل بيتــه وأصحابه خلال الهجرة النبوية ، والإسراء والمعراج ، وغزوة بدر ، و غزوة أحد والخندق ، والقادسية وأمثالها ، وإن هذا التذكير مبدأ تربوي قرآني ركز عليه القرآن ظاهراً حيــث لا يخفي على القارئ المسلم لآيات القرآن الكريم .

فيقول عز وجل : ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا ﴾ [١] ، ويقول تعالي : ﴿ وَلَقَــدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ [٢] ، ويقول جل ذكره ﴿ نَحْنُ نَقُــصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [٣] ، ويقول جل جلاله : ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٤] .

فالله عز وجل يذكر رسوله محمداً ﴿ ﷺ وآله﴾ والمسلمين من خلال آيات القرآن المتعددة ، بقصص الأنبياء والرسل قبله ، وما بذلوه من جهد وقدموه من عمل ، من أجل إبــلاغ دعوة التوحيد إلي أقوامهم ، وما لا قوة في سبيل ذلك من عناء وبلاء– لماذا ؟ ليتخذ ﴿ ﷺ وآله﴾ منهم قدوة على الصبر وانتظار النصر ، والأمثلة على ذلك لا تحصيها هذه الكلمــة الموجزة ولكننا نكتفي بقوله عز وجل لنبيه محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ

---

(١) سورة الأعراف – آية ١٠١

(٢) سورة غافر – آية ٧٨

(٣) سورة يوسف – آية ٣

(٤) سورة الأعراف – آية ١٧٦

قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾[1] ، وقوله أيضاً : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ ﴾ [2] ، وقد تكرر ذلك في سورة مريم بالنسبة لإبراهيم وموسي و إسماعيل وإدريس عليهم السلام ، وفي سورة ص قوله عز وجل : ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾[3] ، وقوله أيضًا : ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ﴾ [4] .

وكان كل نبي – كما جاء في القرآن – يذكر قومه بالنبي السابق ، وما حدث له ولقومه ، ونكتفي بما جاء حكاية عن هود عليه السلام وهو يحدث قومه : ﴿وَاذْكُرُو إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ﴾[5] .

ومثله صالح عليه السلام فقد قال لقومه أيضًا : ﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ [6] .

وبالنسبة للمسلمين يقول الله عز وجل : ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ ﴾ [7] .

و يقول أيضًا : ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ [8].

إذن فالقرآن الكريم يضع أصلا بارزًا من أصول التربية الدينية والاجتماعية والسياسية ، بهذا المنهج التذكيري . . . ذلك أن الإنسان – والأمة أيضًا– الكل معرض للنسيان والسهو والغفلة ؛ فلابد من تذكيره بما فيه خيره ومصلحته .

ولقد تأمل أئمة الإسلام – عدا ثالوث التكفير (ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب) – هذه الآيات وغيرها ، فاستنوا سنة إحياء موالد الأنبياء والأولياء ، مبينين للناس مآثرهم

---

(١) سورة الأحقاف – آية ٢١

(٢) سورة ص – آية ٤١

(٣) سورة ص – آية ٤٥

(٤) سورة ص – آية٤٨

(٥) سورة الأعراف – آية ٦٩

(٦) سورة الأعراف – آية ٧٤

(٧) سورة الأنفال – آية ٢٦

(٨) سورة آل عمران – آية ١٠٣

وما كانوا عليه من خلق وجهاد ، وفضل وطاعة ، وصبر وعزم ، حتي يجد المسلم المعاصر في حياة من مضي من أهل الفضل عبرة ، ويكون له فيهم أسوة ؛ فيطمئن قلبه ، ويثبت فؤاده ، ويزداد هديه .

شبهات و أباطيل ثالوث التكفير حول الاحتفال بالموالد :

يسوء ثالوث التكفير (ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب) تعظيم الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ خاصة وكافة الأنبياء والأولياء عامة وتخليد ذكرياهم وإحياء مناسبات مواليدهم أو وفياهم ، ويعتبرون اجتماع الناس في المجالس المقصودة لهذا الشأن شركًا وضلالاً في هذا الصدد ، ويستدلون على ذلك بحجج واهية :

١- إن الذكريات التي ملأت البلاد الإسلامية باسم الأنبياء وأهل البيت والأولياء نوع من العبادة لهم ، لأن فيها تعظيمهم ، وتعظيمهم عندهم شرك ، ولأجل ذلك يجعلون اجتماع الناس على سماع قراءة ما تيسر من القرآن ، وقراءة الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي﴿ ﷺ وآله﴾ وما وقع في مولده من الآيات ، وقراءة شمائله الكريمة تعظيمًا لقدره ﴿ ﷺ وآله﴾ و إظهار الفرح و الاستبشار بمولده الشريف ثم مد الطعام لهم يأكلون ويشربون ، وبعد ذلك ينصرفون ، يرون هذا العمل منكرًا عظيمًا تجب عليهم إزالته باليد ، فإذا سمعوا بإنسان عمل مولدًا قبضوا عليه وعلى الحاضرين معه إلي أجل غير مسمي وفقًا لقانون الطوارئ الوهابي .

٢- إن عمل الموالد وإحياء الذكريات الإسلامية لم يؤثر عن الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ وكل أمر لم يحدث في عهده فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . ولم يفعلها من بعده ﴿ ﷺ وآله﴾ الصحابة رضوان الله عليهم فهي بذلك بدعة سيئة محرم فعلها ، ويجب الإنكار عليها .

٣- يزعم ثالوث التكفير أن في الاحتفالات بالموالد بعض المنكرات كاختلاط النساء بالرجال والرقص والغناء وغير ذلك من البدع والمنكرات .

الرد على شبهات و أباطيل ثالوث التكفير :

١– إن ثالوث التكفير لم يعينوا حدًا للتوحيد والشرك ، وللعبادة على الأخص ، ولـــذلك رموا كل عمل بالشرك حتي انهم أتصوروا أن كل نوع من التعظيم عبادة وشركًا .

ولأجل ذلك جعلوا ((العبادة)) إلي جانب ((التعظيم)) وتصورا أن للفظين معني واحدًا ، ومما لاشك فيه أن القرآن يعظم فريقًا من الأنبياء و الأولياء بعبارات صريحة ، كما يقول في شأن زكريا و يحيي عليهما السلام : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًــا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾(١) .

فلو أن أحدًا أقام مجلسًا عند قبر من عناهم الله وسماهم في هذه الآية ، وقرأ في ذلك المجلس هذه الآية المادحة ، معظمًا بذلك شأنهم ، فهل اتبع غير القرآن ؟ كما يقول في شأن أهـــل بيت النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾(٢) . فهل فهل تري لو اجتمع جماعة في يوم ميلاد سيدنا علي بن أبي طالب﴿عليه السلام﴾ وهو أحد الآل وقالوا : إن عليًّا كان يطعم الطعام للمسكين واليتيم والأسير ، كانوا مشركين ؟

أو تري لماذا يكون شركًا لو أن أحدًا تلا الآيات المادحة لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ في حفلة عامة في يوم مولده الشريف ﴿ ﷺ وآله﴾ كالآيات الآتية :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا اعِيًــا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾(٤) ، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِـــتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥) ،﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَــا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (٦) .

فلو تلا أحد هذه الآيات المثنية على النبي ، أو قرأ ترجمتها بلغة أخري ، أو ســـكب هـــذا المديح الإلهي القرآني في قالب الشعر وأنشد ذلك في مجلس كان مشركا ؟ ! .

---

(١) سورة الأنبياء – آية ٩٠

(٢) سورة الإنسان – آية ٨

(٣) سورة القلم – آية ٤

(٤) سورة الأحزاب – آية ٤٥ – ٤٦

(٥) سورة التوبة – آية ١٢٨

(٦) سورة الأحزاب – أية ٥٦

٢- إن عمل المولد و إن حدث بعد عهد النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وصحابته ليس فيه مخالفة لكتاب الله ولا لسنة رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ ولا لإجماع المسلمين ، فلا يقول ذلك من له مُسْكَةٌ [1] من عقل ودين بأنه مذموم فضلاً عن كونه منكرًا عظيمًا ، وكون السلف الصالح لم يفعلوه صحيح ، ولكنه ليس بدليل ، وإنما هو عدم دليل ، ويستقيم الدليل على كونه ممنوعًا أو منكرًا لو نهي الله تعالي عنه في كتابه العزيز ، أو نهي عنه رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ في سننه الصحيحة ، والحقيقة أنه ﴿صلوات الله وسلامه عليه﴾ لم ينه عنه فيها .

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : ما أحدث وخالف كتابًا أو سنة أو إجماعًا أو أثرًا فهو البدعة الضالة، وما أحدث من الخير ولم يخالف شيء من ذلك .فهو المحمود . وجري شيخ الإسلام العز بن عبد السلام والنووي على ذلك و أن الأثر على قسيم البدعة إلي خمسة أقسام :

أ – بدعة واجبة : كالرد علىأهل الزيغ وتعليم النحو وطباعة المصحف وعلم أصول الفقه وتاريخه.

ب- بدعة مندوبة : كإحداث الربط والمدارس والمستشفيات والأذان علىالمنابر وصنع إحسان لم يعهد في الصدر الأول كالإسعاف ودار اليتامي والسجون .

ج- بدعة مباحة : كاستعمال السيارات والطائرات والتوسع في المأكل والمشرب .

د- بدعة مكروهة : كزخرفة القصور وتزويقها مما يعد إسرافا .

ه ـــ بدعة محرمة : وعي هي ما أحدث لمخالفة السنة ولم تشمله أدلة الشرع العامة ولم يحتو علىمصلحة شرعية .

٣- إن مشروعية الاحتفال بالمولد لا يقصد بها إلا المولد الذي خلا من المنكرات المذمومة التى يجب الإنكار عليها ، أما إذا اشتمل المولد علىشئ مما يجب الإنكار عليه كاختلاط الرجال بالنساء وارتكاب المحرمات وكثرة الإسراف مما لا يرضي به صاحب المولد الشريف ﴿ ﷺ وآله﴾ فهذا لاشك في تحريمه ومنعه لما اشتمل عليه من المحرمات ، لكن تحريمه يكون عارضياً لا ذاتيًا .

---

(١) مسكة : بقية

أدلة إحياء المولد في الكتاب :

إن الآيات القرآنية تدل علىجواز هذه الاحتفالات بعناوين خاصة نشير إليها بعد ذلك، عجبًا كيف يعظم ثالوث التكفير أمراءهم بالاحترام الذي يفوق ما يفعله غيرهم تجاه الأنبياء والأولياء فلا يكون ذلك شركًا ؟! وأما إذا أبي أحد بشئ يسير من ذلك في حق الأنبياء والأولياء عد شركًا ؟! إن المنع عن تعظيم الأنبياء والأولياء وتكريمهم– أحياء و أمواتًا – يصور الإسلام في نظر الأعداء دينا جامدًا لا مكان فيه للعواطف الإنسانية ، كما يصور تلك الشريعة السمحاء المطابقة للفطرة الإنسانية دينا يفقد الجاذبية المطلوبة القادرة علىاجتذاب أهل الملل الأخري واكتسابهم ، ماذا يقول الذين يخالفون إقامة مجالس العزاء للشهداء في سبيل الله في قصة يعقوب عليه السلام ؟ وماذا يقولون فيه وهو يبكي على ابنه أسفا وحزنا على فراق ولده يوسف ، ليله ونهاره ؟! و يسأل كل من لقيه عن ابنه المفقود حتي يفقد بصره كما يقول سبحانه : ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ ﴾[1] .

فلماذا يكون إظهار مثل هذه العلاقة في حال حياة الولد جائزًا ومشروعاً ومطابقاً لأصول التوحيد ، بينما إذا كان في حال مماته عد شركًا ؟! فإذا اتبع أحد طريق يعقوب فبكي على فراق الأنبياء والأولياء وأحباء الله يوم استشهادهم فلماذا لا يعد عمله اقتداء بيعقوب عليه السلام ؟! .

لا ريب في أن مودة ذوي القربي هي إحدي الفرائض الإسلامية التى دعا إليها بأوضح تصريح ، فلو أراد أحد أن يقوم بهذه الفريضة الدينية بعد أربعة عشر قرنا فكيف يمكنه ؟ وما هو الطريق إلي ذلك ؟ هل هو إلا أن يفرح في أفراحهم ويحزن في أحزانهم ؟! .

١–إن الفرح برسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ مطلوب بأمر القرآن من قوله تعالي : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ [2] . فالله أمرنا أن نفرح بالرحمة والنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أعظم رحمة قال الله تعالي : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [1] .

---

(١) سورة يوسف – آية ٨٤

(٢) سورة يونس – آية ٥٨

٢- إن المولد الشريف يبعث على الصلاة والسلام المطلوبين بقوله تعالي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٢) .

وما كان يبعث على المطلوب شرعًا فهو مطلوب شرعًا فكم للصلاة عليه من فوائد نبوية وإمدادات محمدية ، يسجد القلم في محراب البيان عاجزًا عن تعداد آثارها ومظاهر أنوارها.

٣- إن الله تعالي قال : ﴿ وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾(٣).

يظهر منه أن الحكمة في قص أنباء الرسل عليهم السلام تثبيت فؤاده الشريف بذلك، ولاشك أننا اليوم نحتاج إلي تثبيت أفئدتنا ، بأنبائه وأخباره أشد من احتياجه هو ﴿ ﷺ وآله﴾.

٤- إن القرآن الكريم يثني على أولئك الذين أكرموا النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وعظموا شأنه و بجلوه إذ يقول: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤) .

إن الأوصاف التى وردت في هذه الآية والتي استوجبت الثناء الإلهي هي :

آمنوا به- وعزروه- ونصروه . واتبعوا النور الذي معه فهل يحتمل أحد أن تختص هذه الجمل :

((آمنوا به – وعزروه – ونصروه – واتبعوا)) بزمن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ؟ الجواب : لا .

فإن الآية لا تعني الحاضرين في زمن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ – خاصة – فعندئذ من القطعي ألا تختص جملة (عزروه) بزمان النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ، أضف إلي ذلك أن القائد العظيم يجب أن يكون موضعًا للتكريم والاحترام والتعظيم في كل العهود والأزمنة . فهل إقامة المجالس لإحياء ذكريات : المبعث أو المولد النبوي ، وإنشاء الخطب والمحاضرات والقصائد والمدائح ، إلا مصداقًا جليًا لقوله تعالي : (وعزروه)؟! والتي تعني : أكرموه وعظموه .

---

(١) سورة الأنبياء – آية ١٠٧

(٢) سورة الأحزاب – آية ٥٦

(٣) سورة هود – آية ١٢٠

(٤) سورة الأعراف – آية ١٥٧

٥- قال سبحانه : ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [(١)] .فالمسيح عليه السلام اتخذ نزول المائدة السماويه والبركة الإلهية عيدًا لأنه سبحانه أكرمه وأكرم تلاميذه بهذه المائدة ، فإذا كانت المائدة السماوية سببًا لاتخاذ يوم نزولها ((عيدًا)) فلماذا لا يجوز أن نتخذ يوم ((البعثة النبوية)) الذي هو يوم البركة ويوم نزول المائدة المعنوية عيدًا ؟! .

هل يستطيع أن يدعي أحد أن وجود رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وما جاء به من شريعة عظيمة خالدة أقل بركة من المائدة المادية التى نزلت على المسيح عليه السلام و تلاميذه ؟!.

٦- إن القرآن الكريم يصرح بأن الله سبحانه من على رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ بشرح صدره ووضع الوزر عنه وإعلاء اسمه الذي عبر عن كل ذلك بقوله : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ عْنَا لَكَ ذِكْرَكَ . . . ﴾ [(٢)] فالله سبحانه رفع اسمه وأعلاه وجعله مشهورًا معروفًا في العالم إجلالا له .

فهذه الاحتفالات التى يقصد منها تخليد ذكري النبي لا تتعدي رفع ذكر رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وإعلاء اسمه ، وإلفات نظر العالم إلي مقامه ومكانته السامية ، فإذا كان القرآن أسوة ، فلماذا لا نقتدي بالقرآن ؟! ولماذا لا نرفع ذكره واسمه ؟! .

أدلة إحياء المولد من السنة :

١- جاء في البخاري أنه يخفف عن أبي لهب كل يوم الاثنين بسبب عتقه لثوبية جاريته لما بشرته بولادة المصطفي ﴿ ﷺ وآله﴾ ويقول في ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي :

إذا كان هذا كافرًا جاء ذمه وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتي انه في يوم الاثنين دائما يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي كان عمره بأحمد مسرورا ومات موحدا

(١) سورة المائدة – آية ١١٤

(٢) سورة الشرح – آية ١-٤

وهذه القصة رواها البخاري في الصحيح في كتاب النكاح ونقلها الحافظ بن حجر في الفتح ورواها الإمام عبد الرزاق الصنعاني في المصنف ج٧ ص ٤٧٨ والحافظ في الدلائل وابن كثير في السيرة النبوية من البداية ج١ ص ٢٢٤ وابن الربيع الشيباني في حدائق الأنوار ج١ ص ١٣٤

والحافظ البغوي في شرح السنة ج٩ ص ٧٦ وابن هشام والسهيلي في الروض الأنف ج ٥ ص ١٩٢. والعامري في بهجة المحافل ج١ ص ٤١ والبيهقي ، وهي وإن كانت مرسلة إلا أنها مقبولة لأجل نقل البخاري لها واعتماد العلماء من الحفاظ لذلك ، ولكونها في المناقب والخصائص لا في الحلال والحرام ، وطلاب العلم يعرفون الفرق في الاستدلال بالحديث بين المناقب والأحكام .

وأما انتفاع الكفار بأعمالهم ففيه كلام بين العلماء ليس هذا محل بسطه ، والأصل فيه ما جاء في الصحيح من التخفيف عن أبي لهب بطلب رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ .

٢- إنه ﴿ ﷺ وآله﴾ كان يعظم يوم مولده ويشكر الله تعالي فيه على نعمته الكبري عليه وتفضله عليه بالوجود لهذا الوجود ، إذ سعد به كل موجود وكان يعبر عن ذلك التعظيم بالصيام كما جاء في الحديث عن أبي قتادة : أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال ﴿ فيه ولدت ، وفيه أنزل علي ﴾ (١) . رواه الإمام مسلم في الصحيح في كتاب الصيام وهذا في معني الاحتفال به ، إلا أن الصورة مختلفة ولكن المعني موجود سواء كان ذلك بصيام ، أو إطعام طعام ، أو اجتماع على ذكر أو صلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أو سماع شمائله الشريفة .

٣- إن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ كان يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمي التى مضت وانقضت ، فإذا جاء الزمان الذي وقعت فيه كان فرصة لتذكرها وتعظيم يومها لأجلها ولأنه ظرف لها .

---

(١) رواه أحمد في الجزء الخامس صفحة ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ومسلم في كتاب الصيام الحديث رقم ١٩٧ والبيهقي في دلائل النبوة ١ / ٧٢ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩ / ٥٢.

و قد أصَّل ﴿ ﷺ وآله﴾ هذه القاعدة بنفسه كما صرح في الحديث أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ لما وصل إلي المدينة ورأي اليهود يصومون يوم عاشوراء سأل عن ذلك فقيل له : إنهم يصومون لأن الله نجي نبيهم وأغرق عدوهم فهم يصومونه شكرًا لله على هذه النعمة فقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ نحن أولي بموسي منكم ﴾ (١) فصامة وأمر بصيامه .
٤- يؤخذ من قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ في فضل يوم الجمعة وعد مزاياه ﴿ وفيه خلق آدم ﴾ (٢). تشريف الزمان الذي ثبت أنه ميلاد لأي نبي كان من الأنبياء عليهم السلام فكيف باليوم الذي ولد فيه أفضل النبيين وأشرف المرسلين .

ولا يختص هذا التعظيم بذلك اليوم بعينه بل يكون له خصوصًا ولنوعه عمومًا مهما تكرر كما هو الحال في يوم الجمعة ، شكرًا للنعمة وإظهارًا لمزية النبوة وإحياء للحوادث التاريخية الخطيرة ذات الإصلاح المهم في تاريخ الإنسانية وجبهة الدهر وصحيفة الخلود .

كما يؤخذ تعظيم المكان الذي ولد فيه نبي من أمر جبريل عليه السلام النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بصلاة ركعتين ببيت لحم ثم قال له : ﴿ أتدري أين صليت ؟ قال : لا ، قال : صليت ببيت لحم حيث ولد عيسي ﴾كما جاء في حديث شداد بن أوس الذي رواه البزار وأبو يعلى والطبراني قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، ورجاله رجال الصحيح ج١ ص ٤٧ وقد نقل هذه الرواية الحافظ بن حجر في الفتح ج٧ ص١٩٩ وسكت عنها .

(١) رواه البخاري في كتاب الصوم الباب ٦٩ وكتاب تفسير القرآن (تفسير سورة يونس) الباب الأول ومسلم في كتاب الصيام الحديث رقم ١٢٦ وابن ماجة في كتاب الصيام الباب ٤١.

(٢) رواه مسلم في كتاب الجمعة الحديث رقم ١٧ ، ١٨ وأبو داود في كتاب الصلاة الباب ٢٠١ والترمذي في كتاب الجمعة الباب ١ ، ٢ والنسائي في كتاب الجمعة الباب ٤ ، ٥ ، ٤٥ وابن ماجة في كتاب الإقامة الباب ٧٩ والدارمي في كتاب الصلاة الباب ٢٠٦ والموطأ في كتاب الجمعة الحديث رقم ١٦ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١ ، ٤ ، ٤١٨ ، ٥٠٤ ، ٥١٢ ، ٥٤٠ والجزء الرابع صفحة ٨ والجزء الخامس صفحة ٢٨٤ ، ٤٥٠ ، ٤٥٣ .

٥- إن المولد أمر استحسنه العلماء والمسلمون في جميع البلاد ، وجري به العمل في كل صقع فهو مطلوب شرعًا للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود الموقوف : ﴿ ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون قبيحًا فهو عند الله قبيح ﴾ [١].

٦- إن المولد اشتمل على : اجتماع ، وذكر ، وصدقة ، ومدح وتعظيم للجناب النبوي ، فهو سنة ، وهذه أمور مطلوبة شرعًا وممدوحة ، وجاءت الآثار الصحيحة بها وبالحث عليها.

التأويلات الشيطانية لكلمتي السنة والبدعة لثالوث التكفير :

يشيع في حياتنا الإسلامية خطأ كبير يتردد دائمًا على ألسنة بعض الناس في أحاديثهم وفي جدلهم ، هذا الخطأ هو التأويل الشيطاني لكلمتي (السنة) و (البدعة) فقد استغل ثالوث التكفير عن عمد هاتين الكلمتين استغلالا سيئًا ، أثر أثراً ضارًا بالمجتمع الإسلامي وبتطور الحياة الإسلامية .

فكل أمر لم يؤثر عن الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ وكل أمر لم يحدث في عهد صحابته رضوان الله عليهم فهو لدي ثالوث التكفير بدعة ، و كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

و لا جدال في أن التأويلات الشيطانية لكلمتي السنة والبدعة تتنافي مع روح الإسلام وتعاليمه التى جاءت صالحة لكل زمان ومكان ، لقد جاء الإسلام بالكليات العامة وترك الجزئيات ، وترك التطبيق للناس وللتطور وللحياة المتحركة . والرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ يفتح لنا أرحب الآفاق اللازمة للحركة والتطور . فقد روي الإمام مسلم في كتاب العلم من صحيحه المشهور أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ من سن سنة حسنة فعمل بها بعده ، كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيئًا ﴾ [٢] .

---

(١) رواه أحمد في الجزء الأول صفحة ٣٧٩ و الزيلعي في نصب الراية ١٣٣/٤ و الحاكم في المستدرك ٧٨/٣ و السيوطي في الدر المنثور ١٥٦ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الزكاة الحديث رقم ٦٩ وكتاب العلم الحديث رقم ١٥ والنسائي في كتاب الزكاة الباب ٦٤ وابن ماجة في كتاب المقدمة الباب ١٤.

إذن فليس كل جديد بدعة ، فمن أضاف إلي الحياة الإسلامية جديدًا نافعًا – لا يتعارض مع الكليات الأساسية للإسلام – فقد أضاف سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلي يوم القيامة أما الحجر على الحياة الإسلامية ومحاولة حبسها داخل قوالب ضيقة فليس من الإسلام ولا من روحه وتعاليمه .

ورجال الفقه الإسلامي مثلاً ، حينما اتسعت عليهم الحياة ، وتعددت مشاكلها ابتدعوا وقاسوا ، وأوجدو لنا بعد الكتاب والسنة مصادر أخري للتشريع كمنافذ للامتداد والتطور وأوجدوا لنا الاجتهاد والمصالح المرسلة وسد الذرائع .

فالإسلام نور يقتبس منه كل ما يصلح للمجتمعات في كل زمان ومكان ، ولو أننا قصرنا ما يؤخذ من الإسلام على عهد الرسول وعهد صحابته ، لضيقنا قوالب الإسلام وآفاق الإسلام ، وجعلناه دينًا زمنيًا كغيره من الأديان ، فإذا وجد في المجتمع جديد ، أو وجد مالم يعرفه الناس فإنه يجب عليهم أن ينظروا : هل وجد في القرآن قدح فيه ؟ ثم ينظروا هل ورد في السنة طعن فيه ؟ فإن لم يجدوا ، نظروا في آراء الصحابة هل وجد قدح أو جرح ؟ فإن لم يجدوا وجب أن يطبقوه بما يصلح لدنياهم عملاً بالحديث الشريف : ﴿ أنتم أعلم بأمور دنياكم ﴾ [١] .

مشروعية الاحتفال بالموالد :

ويدخل في التجديد وفي التطور ، وفي العمل بما فيه صالح الحياة ، وخير المجتمع ، الاحتفال بمولد النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وإحياء موالد أهل البيت عليهم السلام وأولياء الله الصالحين رضي الله عنهم ، والذي

يعترض عليها إنما هو جاهل أو دعي ، ومع الأسف لا يوجد في أي بلد آخر من الأدعياء كما يوجد في بلادنا، والجهل عندهم أساس الهجوم– مع أن الجهل كان يجب أن يكون أساسا للصمت – فإذا نظرنا إلي نتيجة الموالد ألفيناها عظيمة جليلة .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل الحديث رقم ١٤١ والمتقي الهندي في كنز العمال ٨٢ / ٣٢١ والقاضي عياض في الشفا ٢ / ٤١٧

فالمراد بالحج مثلاً هو تعظيم الإسلام في نظر خصومه ، واجتماع المسلمين في ساحة واحدة للطاعة والذكر والعبادة ، فذكريات سيدنا إبراهيم وبناء البيت ،وهاجر وابنها ذكريات يعيش فيها الحاج معيشة روحية ، إنه يصلي في مقام إبراهيم وحجر إسماعيل ، إنه استمرار لذكريات مجيدة ، وتصفية للنفس وتزكية .

إن المسلم لا يشهد في هذه الأماكن الأحجار ، وإنما يشهد الذكريات .

والموالد إنما هي بعث لذكريات طيبة ، ذكري إنسان أطاع الله واهتدي به الناس ، وأمر بالمعروف وهمي عن المنكر .

والموالد إنما هي وفاء منا لأهل الخير ، واستنهاض الهمم للمسابقة إلي فعل الخيرات ؛ والموالد حب منا لمن أحب الله تمسكا بأوثق عري الإيمان ، كما يقول ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ أوثق عري الإيمان الحب في الله والبغض في الله ﴾ [(١)] .

والموالد مواسم للبر بالفقراء والمساكين وتنمية روح العطف عليهم .

فالموالد لهذا كله مواسم للخير في الدين والدنيا ، وهي سنة حسنة استنها المصلحون العاملون .

ليلة المولد أفضل من ليلة القدر وأدلة ذلك :

أولاً : إن ليلة المولد ليلة ظهوره ﴿ ﷺ وآله﴾ وليلة القدر معطاة له ، والذي شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه ولا نزاع في ذلك ، فكانت ليلة المولد أفضل من ليلة القدر .

ثانيًا : إن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها ، على أحد الأقوال في سبب تسميتها بذلك ، وعلى قول آخر أن الذي يراها يصير ذا قدر ، وعلى قول آخر لما يكتب فيها من الأقدار وفيها يفرق كل أمر حكيم ، وليلة المولد شرفت بظهوره ﴿ ﷺ وآله﴾ ، ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر وهم الملائكة على الأصح عند

---

(١) أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٦ / ١٧٧ ، ٩ / ٦٦٥ والسيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٨٧ وابن ابي شيبه في الإيمان ١٣٤ وفي مصنفه ١١ / ٤٨ ، ١٣ / ٢٢٩ .

جمهور أهل السنة من أن النبي أفضل من الملك ، فإن نبينا ﴿ ﷺ وآله﴾ أفضل من جميع العالمين إجماعًا ، فتكون ليلة المولد أفضل .

ثالثاً : إن ليلة القدر وقع فيها التفضيل على أمة محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ فقط لأنها مخصصة لهم ولم تكن لمن قبلهم ، وليلة المولد الشريف وقع الفضل فيها على سائر جميع الموجودات أمته وغيرهم من حيث الأمن من العذاب كالخسف والمسخ ، فهو الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين فعمت بمولده النعمة على جميع الخلائق ، فكانت ليلة المولد أهم نفعًا ، فكانت بذلك أفضل من ليلة القدر .

رابعًا : ليلة القدر لم تكن موجودة إذ ذاك ، وإنما أتي فضلها على سائر ليالي السنة بعد الولادة بمدة ، فلم يكن اجتماعهما حتي يأتي بينهما تفضيل ، وتلك انقضت ، وهذه باقية إلي اليوم .

أول من أحدث عمل المولد :

أول من أحدث عمل المولد صاحب أربل الملك المظفر أبو سعيد كوكدي بن زين الدين علي أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد ، وكان له آثار حسنة ، وهو الذي عمر الجامع المظفري بسطح قايسون .

قال ابن كثير في تاريخه : كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً وكان شهمًا شجاعًا بطلاً عاقلاً عالمًا عادلاً .

وقد صنف له الشيخ أبو الخطاب بن دحية مجلدًا في المولد النبوي سماه (التنوير في مولد البشير النذير) فأجازه على ذلك بألف دينار ، وقد طالت مدته في الملك إلي أن مات وهو محاصر للإفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة ، محمود السيرة والسريرة ، وقال سبط بن الجوزي في مرآةالزمان : كان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية ، فيخلع عليهم وكان يصرف علي المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أي جهة علي أي صفة ، فكان يصرف علي هذه الدار في كل سنة مائة ألف دينار ، وكان يصرف علي الحرمين والمياه بدرب الحجاز في كل سنة ثلاثين ألف دينار هذا كله سوي صدقات السر ، وحكت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب أخت الملك الناصر صلاح

الدين أن قميصه من كرباس غليظ لا يساوي خمسة دراهم ، قالت : فعاتبته في ذلك فقال : ألبس ثوبا بخمسة ، وأتصدق بالباقي خير من أن ألبس ثوبا مثمنا وأدع الفقير والمسكين .

رأي الإمام أبي العزائم عليه السلام في الاحتفال بالمولد :

أصغر مسلم لا يغيب عنه رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ما دام يعمل بالقرآن وبسنة سيد المرسلين ، فبشري لنا بمولده ﴿ ﷺ وآله﴾ الذي يذكرنا بما أكرمنا الله به من الخير والتمكين ، نفرح بمولده ﷺ﴿ وآله﴾ فرحًا يفوق فرحنا بالعافية والمال ، بل ويفوق فرحنا بالملك والعيال ، نحي لياليه بالفرح والمسرات ، حبورًا بمولده الشريف الذي توالت به الخيرات ،وأي مسلم لا يحيي تلك الليالي فرحًا مسرورًا ، تجديدًا لذكراه ﴿ ﷺ وآله﴾ و شكرًا لله تعالي علي نعماه وحبورًا ؟! وقد عين الله للخير أوقاتًا وجعلها للعطايا آنات ، كما جعل لغيث السماء أوقاتًا معينة ، وجعل لزيادة النيل والأنهار هي الأخري أيامًا معينة ، فكذلك جعل أوائل ربيع الأول لتشرق فيها شمس الرحمة الربانية ، وتفاض فيها أنوار الفضل الإحسانية ، فطوبي لمن أحيا تلك الليالي حبًا في رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، وقدم فيها الخير لينال ما يتمناه ، بل وبشري لمن بين للمسلمين شمائل الحبيب المصطفي ، ووضح لهم ما نالته الأمة المحمدية من الخير والصفا ، فتمثلت النفوس جماله المحمدي ، وما تفضل به علينا من الخير بالنبي الأمي .

و إن كان ابن الحاج في المدخل قد أنكر ، فإنه غفر الله له حكم ولم يتبصر ، إن إحياء ليالي المولد الشريف و إن لم يظهر في عهد السلف ، فإن أنفسهم كلها كانت ذكري له ﴿ ﷺ وآله﴾ وبه تحف ، وكانت قلوبهم تتمثله في كل همة وحركة ، وتستحضره ﴿ ﷺ وآله﴾ في كل لمسة وسكنة ، وقد شغلت الدنيا وحظوظها القلوب ، فاحتاجت إلي اليقظة لذكر شمائل الحبيب المحبوب ، لتحيا في رياض الشهود وتتناول من طهور المشروب .

و إني أستحسن كل الاستحسان ، ما يقوم به المسلمون من إحياء ليالي المولد في هذا الزمان ، تجديدًا لذكري من به أسعدنا الله بالإيمان ، وإن ادعي من ينكر علينا بحصول المفاسد والبدع ، فإن الخير العام الذي به كل إنسان انتفع ، لا يمنع بحصول مفسدة بسببه إذا عم النفع به وسطع ، ولو كان الأمر كذلك لكانت بعثة الرسل وشروق الشمس و إنزال

الأمطار أولي بالمنع ممن منع ، فليتق الله من يمنعون هذا الخير فإن منعهم هو شر البدع ، والله تعالي يهدي من سبق له الهدي ، ويضل من سبق له الردي ، وإن فقراء آل العزائم يفرحون برسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ و يشهدون أنواره عند ذكراه .

وخلاصة القول أن للموالد فوائد اجتماعية ودينية فهي تزيد من رابطة الولاء والمحبة بين المحتفي بهم وبين أوليائهم ، وتجدد في النفوس ذكر مآثرهم ، كما تجمع أشتات المسلمين علي صعيد واحد ليتعارفوا و يتآلفوا ، ثم تطبع في قلوبهم روح الانقياد إلي الله تعالي والانقطاع إليه .

الكتب المصنفة في مولد النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

الكتب المصنفه في هذا الباب كثيرة جدًا منها المنظوم ، ومنها المنثور ومنها المختصر والمطول والوسط ، وسأقتصر هنا علي ذكر كبار علماء الأمة من الحفاظ والأئمة الذين صنفوا في هذا الباب وظهرت لهم موالد مشهورة معروفة فمنهم :

١- الحافظ عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن المصري الشهير بالحافظ العراقي المولود سنة ٧٢٥ هـ والمتوفي سنة ٨٠٨ هـ، إن هذا الإمام قد صنف شريفًا أسماه ((المورد الهني في المولد السني)) ذكره ضمن مؤلفاته غير واحد من الحفاظ مثل ابن فهد والسيوطي في ذيولهما علي التذكرة .

والإمام الكبير الشهير أبو الفضل زين الدين وحيد عصره وفريد دهره حافظ الإسلام وعمدة الأنام العلامة الحجة الحبر الناقد ، من فاق بالحفظ والإتقان في زمانه وشهد له بالتفرد في فئة أئمة عصره وأوانه ، برع في الحديث والإسناد والحفظ والإتقان ، وصار المشار إليه في الديار المصرية بالمعرفة .

٢- الحافظ محمد بن أبي بكر عبد الله القيس الدمشقي الشافعي المعروف بالحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي المولود سنة ٧٧٧ هـ والمتوفي سنة ٨٤٢ هـ قال عنه الحافظ بن فهد في لحظ الألحاظ ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣١٩ : هو إمام حافظ مفيد ، مؤرخ مجيد ، له الذهن الصافي السالم الصحيح ، والحظ الجيد المليح ، علي طريق أهل الحديث .

وقد تولي مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق ، وقال عنه السيوطي : صار محدث البلاد الدمشقية . وقال الشيخ محمد زاهد في تعليقه علي ذيل الطبقات وقال الحافظ جمال الدين ابن عبد الهادي الحنبلي في الرياض اليانعة لما ترجم لابن ناصر الدين المذكور : قلت إن هذا الإمام قد صنف في المولد الشريف أجزاء عديدة ، فمن ذلك ما ذكره صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ص ٣١٩ ، وجامع الآثار في مولد النبي المختار﴿ ﷺ وآله﴾ في ثلاثة مجلدات ، واللفظ الرائق في مولد خير الخلائق ، وهو مختصر ، وقال ابن فهدة وله أيضًا مورد الصادي في مولد الهادي.

٣- ومن أولئك الحافظ بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد القاهري المعروف بالحافظ السخاوي المولود سنة ٨٣١ هـ والمتوفي سنة ٩٠٢هـ بالمدينة المنورة ، وهو المؤرخ الكبير والحافظ الشهير ترجمة الإمام الشوكاني في البدر الطالع وقال هو من الأئمة الأكابر .

وقال ابن فهد لم أر في الحفاظ المتأخرين مثله ، وهو له اليد الطولي في المعرفة وأسماء الرجال وأحوال الرواة والجرح والتعديل ، وإليه يشار في ذلك ، حتي قال بعض العلماء : لم يأت بعد الحافظ الذهبي مثله سلك هذا المسلك ، وبعده مات فن الحديث ، وقال الشوكاني ولو لم يكن له من التصنيف إلا الضوء اللامع لكان أعظم دليل علي إمامته .

قلت : وقد قال في كشف الظنون أن للحافظ السخاوي جزءًا في المولد الشريف ﴿ ﷺ وآله﴾ .

٤- ومن أولئك الحافظ المجتهد الإمام ملا علي قاري بن سلطان بن محمد الهروي المتوفي سنة ١٠١٤ هـ صاحب شرح المشكاة وغيرها .

ترجمة الشوكاني في البدر الطالع وقال : قال العصامي في وصفه بالجامع للعلوم النقلية والمتضلع من السنة النبوية أحد جماهير الأعلام ومشاهير أولي الحفظ والأفهام ، ثم قال : قلت : هذا الإمام المحدث المجتهد الذي ترجم له الشوكاني الذي قالوا عنه : إنه مجتهد قد صنف في مولدالرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ كتابًا ، قال صاحب كشف الظنون : واسمه المورد الروي في المولد النبوي .

٥- ومن أولئك الحافظ الإمام عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير صاحب التفسير .

قال الذهبي في المختص : الإمام المفتي المحدث البارع ثقة متفنن محدث متقن .

وترجمة الشهاب احمد بن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة في أعياد المائة الثامنة في صفحة ٣٧٤ جاء منها : إنه اشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله .

وقد صنف الإمام ابن كثير مولدًا نبويًا طبع أخيرًا بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٦- ومن أولئك الحافظ وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني اليمني الزبيدي الشافعي ((المعروف بابن الديبع والديبع بمعني الأبيض بلغة السودان وهو لقب لجدة الأعلي ابن يوسف)) ولد في المحرم سنة ٨٦٦هـ وتوفي يوم الجمعة ثاني عشر من رجب الفرد سنة ٩٩٤ هـ وكان رحمه الله أحد أئمة الزمان إليه انتهت مشيخة الحديث ، حدث البخاري أكثر من مائة ألف مرة وقرأه مرة في ستة أيام . وقد صنف مولدًا نبويًا مشهورًا في كثير من البلاد .

٧- ومن أولئك الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم ﷺ أستاذ الشريعة الإسلامية لجامعة الخرطوم سابقًا ، الذي صنف في مولد الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ كتابه المسمي : ((بشائر الأخبار في مولد المختار ﴿ ﷺ وآله﴾)) الذي طبع عدة مرات ، أولها عام ١٣٤٠ هـ الموافق ١٩٢١ م وتقوم ((دار الكتاب الصوفي)) حالياً بعرض أحدث طبعاته .

الفصل الثالث

السيادة للأنبياء والأولياء

سلوك الأدب راجح علي امتثال أمر الله :

يرجح كثير من العلماء المحققين سلوك الأدب علي امتثال الأمر ، وسندهم في ذلك أخذًا من قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ في الصحيح : ﴿ ما منعك يا أبا بكر أن تثبت إذ أمرتك ؟ ﴾ (١) .

فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يعرف ذلك كل من له إلمام بالعلم ما عدا ثالوث التكفير– ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب– لأنهم يسوءهم من يسود النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ في الأذان وفي الصلاة أو في غير ذلك ويرون ذلك منكرًا عظيمًا.

ومعلوم لدي كل مسلم أنه﴿ ﷺ وآله﴾ سيد المتواضعين ، فلا يعقل أن يقول لأمته سودوني ولا حجة في قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ :﴿ قولوا اللهم صل علي محمد ﴾ علي منع تسويده ﴿ ﷺ وآله﴾ سواء حمل الأمر منه علي الوجوب أم حمل علي الاستحباب ، لأن الصلاة عليه شئ ، وكونها بلا تسويد أو بتسويد شئ آخر .

فمن امتثل ظاهر الأمر ، وصلي عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ فقد امتثل بالأمر ، ومن سلك الأدب كالصديق الأكبر فسوده فقد أحسن ، لأن سلوك الأدب مع رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يرجح امتثال الأمر .

روي ابن السني في عمل اليوم والليلة عن بريدة أن النبي﴿ ﷺ وآله﴾ قال :﴿ لا تقولوا للمنافق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم ﴾ (١) ومقتضي ذلك أن الصالح يجوز لنا أن ندعوه سيدنا فما بالك بالأنبياء والأولياء ؟ !! .

---

(١) رواه البخاري ٢٣٩/٣ وابن حجر في فتح الباري ٢٩٧/٥ والحميدي في مسنده ٩٢٧ .

شبهات وأباطيل حول إطلاق لفظ السيادة :

يجعل ابن عبد الوهاب ((الكذاب)) ، قول المسلم للنبي﴿ ﷺ وآله﴾ أو الولي ((يا سيدي يا مولاي)) موجبًا للشرك ، لأن المشركين في الجاهلية بهذه العبارة عبدوا اللات والعزي ، وإنما يعني المشركون في الجاهلية بالإله ما يعني المشركون في زماننا – وهم غير الشرذمة النجدية – بلفظ ((السيد)) وعليه يدعي ابن عبد الوهاب الكذاب ، أنه من قال لأحد مولانا أو سيدنا فهو كافر . [راجع الرسالة الأولي من رسائل الهدية السنية ص ٢٨] .

ويوهم ابن عبد الوهاب ورود بعض الأخبار ، ويتذرع بها في تأييد شبهاته وأباطيله ، في عدم جواز إطلاق لفظ ((السيد)) علي غير الله منها :

١- يزعم ابن عبد الوهاب ، أن السيوطي أورد في الجامع الصغير عن الديلمي في مسند الفردوس أن ﴿ السيد هو الله ﴾، وأورد للعزيزي في شرح الجامع الصغير عن مسند أبي داود أنه جاء وفد بني عامر إلي النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فقالوا : أنت سيدنا ، فقال : ﴿ السيد هو الله ﴾ .

٢- يتذرع ابن عبد الوهاب بأحاديث فهمها فهمًا سقيمًا عقيمًا تورد النهي عن قول ﴿ عبدي وأمتي ﴾ كما في الحديث البخاري ص ٢١٢ ج٤ في كتاب إرشاد الساري : ﴿ لا يقل أحدكم عبدي وأمتي ﴾ . وفي رواية لمسلم :﴿ لا يقولن أحدكم عبدي فإن كلكم عبيد الله ﴾ وفي رواية لأبي داود والنسائي : ﴿ فإنكم المملوكون والرب الله ﴾ .

٣- ينسب ابن عبد الوهاب إلي رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قوله : (لا تسيدوني في الصلاة).

---

(١) رواه أحمد في الجزء الخامس صفحة ٣٤٦ ، ٣٤٧ وأبو داود ٤٩٧٧ والتبريزي في مشكاة المصابيح ٣٧٨٠ والمنذري في الترغيب والترهيب ٣ / ٥٧٩ والنووي في الأذكار النووية ٣٢٢ .

الرد علي شبهات وأباطيل إطلاق لفظ السيادة :

إن إطلاق لفظ ﴿ السيد ﴾ علي غير الله تعالي ونداءه به صحيح لا محذور ، فإنه لا يراد به الملكية الحقيقية المساوية لملكيته تعالي ، ولا يقصد أحد من المسلمين ذلك ، ولو فرض أننا جهلنا قصدهم لوجب حمل كلامهم علي الصحيح .

حاشا لله أن يقصد المسلمون بإطلاق لفظ ﴿السيد ﴾ علي غير الله تعالي معني يوافق إخلاص العبادة ، كيف وهم يعلمون أن ماعداه ، لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا إلا بأمره تعالي وإرادته واقتداره ؟! فقول ابن عبد الوهاب : إن المسلمين يعنون بلفظ ﴿ السيد ﴾ ما يعني المشركون بلفظ ﴿ الإله ﴾افتراء منه علي المسلمين ، فلا يريد المسلمون – الذين سماهم المشركين – بلفظ ﴿ السيد ﴾ غير ما أريد من الاستعمالات الواردة في كلامه سبحانه وتعالي وفي كلام النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ والصحابة كما سيأتي .

١ـ إطلاق لفظ (السيد) علي غيره سبحانه في القرآن :

أ– صرح القرآن الكريم بأن بعض عباد الله الصالحين سادة ، وكان يتعين علي الوهابيين – علي ما سنه لهم شيخهم ابن عبد الوهاب– الإنكار علي الله تعالي قوله في حق يحيي عليه السلام : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ (١) .

﴿ وَسَيِّدًا ﴾ في العلم والدين ومكارم الأخلاق ، ﴿وَحَصُورًا ﴾ يملك زمام نفسه ويمنعها من الذنوب، ﴿ وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢) . وكل الأنبياء صالحون بل معصمون ، والعصمة فوق العدل والصلاح . وعليه يكون قوله سبحانه ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ إشارة إلي أن زكريا تحرر من أصلاب طاهرة ، وأرحام مطهرة . وليس كما يقول ابن تيمية أن ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ إشارة إلي أنه ما من نبي إلا وقد عصي أو هم بمعصية غير يحيي فلم يعص أو يهم !! .

وكما لم يسلم المولي سبحانه من فساد وعقيدة ابن تيمية ، الذي ذل فكرة وانحرف عقله عن الصواب فجسم وشبه الخالق ، فلا عجب بعد الجرأة علي الخالق أن نجد منه الجرأة علي صفوة الخلق فنجده يقول في كتابه الفتاوي الجزء الثاني ص ٢٨٢ : (إن عصمة

(١) سورة آل عمران – آية ٣٩

الأنبياء ليست في أنهم لا يذنبون ، إنما العصمة في أنهم لا يؤخرون التوبة)) فإذا كان الأمر كذلك فما هو الفرق بين الأنبياء وأتباعهم ؟ وما هو الفرق بين الرسول وآحاد أمته ؟ إنهم بهذا المقياس الذي وضعه ابن تيمية يتساوون في العصمة .

والإمام أبو العزائم ﷺ يقول في كتابه ﴿ أسرار القرآن ﴾ : إن هذا القول فيه مساس بمقام النبوة ، فإنه يتنافي وحكم العقل ، لأن النبي إنما أرسل لدفع المعاصي ، فإن عصي احتاج إلي نبي ، ثم يقول : ﴿ إن الخوارج هم الذين يجوزون الذنب علي الأنبياء ولا يثبتون العصمة لهم ، فلو صدر الذنب من الأنبياء لكانوا أقل درجة من عصاة الأمة ، وذلك غير جائز . إن إلحاق النقص بالأنبياء لحظة يحطم العقيدة ويفسد القدوة ، لأن كل نبي لابد أن يكون إمامًا يؤتم به لأن الله أمرنا بإتباعهم في أقوالهم وأفعالهم ﴾ .

فكيف يلحق الخارجي الأزارقي ابن تيمية الحراني ، النقص بالأنبياء ويتهجم علي من يدافعون عن عصمتهم المطلقة ؟! .

ومن معاني ﴿ سيدًا﴾ يعني مالكًا لمن يجب عليه طاعته ، ومن ذلك سيد الغلام يعني مالكه ، ولا يقال سيد ((الثوب)) بمعني مالك الثوب ، لأنه لا يتصور هناك وجوب طاعته ، وأصل السواد الشخص ، فقيل سيد القوم ، بمعني مالك السواد الأعظم وهو الشخص الذي تجب طاعته لمالكه ، وهذا إذا قيل مضافًا أو مقيدًا ، فأما إذا اطلق فلا ينبغي إلا لله تعالي ، لأنه المالك لجميع الخلق .

ومن معاني﴿ سيدًا ﴾ فسره ابن عباس بالكريم ، وقتادة بالحليم ، والضحاك بالحسن الخلق ، وسالم بالتقي ، وابن زيد بالشريف ، وابن المسيب بالفقيه العالم ، وأحمد بن عاصم بالراضي بقضاء الله تعالي ، والخليل بالمطاع الفائق أقرانه ، وأبو بكر الوراق بالمتوكل ، والترمذي بالعظيم الهمة ، والثوري بمن لا يحسد ، وأبو إسحاق عمن يفوق بالخير قومه ، وبعض أهل اللغة بالمالك الذي تجب طاعته ، إلي غير ذلك من الأقوال ، وكل ما فيها من الأوصاف مما يصلح ليحيي عليه السلام ، لأنها صفات كمال ، وأحق الناس بصفات الكمال النبيون .

بـ معني آخر من معاني لفظ (السيد) في القرآن :

وكان يتعين علي الوهابيين – علي ما سنه شيخهم ابن عبد الوهاب– الإنكار علي الله حيث أثبت السيادة لكافر به في قوله تعالي : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ [(١)] .

﴿ سَيِّدَهَا ﴾ أي زوجها وهو فرعون وهو فعل من ساد يسود ، وشاع إطلاقه علي المالك وعلي الرئيس ، وكانت المرأة إذ ذاك علي ما قيل تقول لزوجها ﴿ سيدي ﴾ ولذا ورد لفظ القرآن بـ ﴿سيدها ﴾ ولم يقل القرآن سيدهما لأنه لم يكن فرعون مالكاً ليوسف حقيقة لحريته .

إنما هو مالك لزوجته . وقال صاحب تفسير المنار: كان النساء في مصر يلقبن الزوج بـ﴿ السيد ﴾ واستمر هذا إلي زماننا هذا .

٢ـ إطلاق لفظ (السيد) علي غيره سبحانه في الأحاديث :

وقد ورد إطلاق لفظ﴿ السيد ﴾ علي غيره تعالي في كلام النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بما يبلغ حد التواتر .

أ– فعن أبي هريرة عنه ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ﴾ [(٢)] وفي رواية: ﴿ أنا سيد ولد آدم ولا فخر ﴾ [(٣)] .

وعن السيدة عائشة عنه ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة يوسف ــ آية ٢٥

(٢) ، (٢) رواهما أبو داود في كتاب السنة الباب ١٣ وابن ماجة في كتاب الزهد الباب ٣٧ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٥

(٤) رواه أبو داود في كتاب السنة الباب ١٣ وابن ماجة في كتاب الزهد الباب ٣٧ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٥ .

ب- وقد ثبت السيادة لمن هو دونه ﴿ ﷺ وآله﴾ قدرا . فعن أبي سعيد الخدري عنه ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة ﴾ (١) . و عن الترمذي عن فاطمة الزهراء أخبرني النبي ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ أني سيدة نساء العالمين ﴾ (٢) وعن أبي نعيم الحافظ في حلية الأولياء عنه ﴿ ﷺ وآله﴾قال : ﴿ ادعوا لي سيد العرب عليا ﴾ (٣) . و في الحلية أيضا أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ قال لعلي : ﴿ مرحبًا بسيد المؤمنين ﴾ (٤) فقد روي الحاكم بسند علي شرط الشيخين عن ابن عباس أنه قال : نظر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ إلي ﴿ علي ﴾ فقال : ﴿ يا علي أنت سيد في الدنيا والآخرة ، حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله ، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله ، والويل لمن أبغضك بعدي ﴾ (٥) ذكر الحافظ الغماري ذلك في تشنيف الآذان .

وعن السيدة عائشة ﴿ عليها السلام﴾أنه ﷺ وآله قال للسيدة فاطمة : ﴿ أما ترضين أن تكوني سيدة نساءالعالمين﴾ (٦) وعنه﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ هذا سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين ﴾ (١) يعني أبا بكر وعمر رضي الله عنهما .

---

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب الباب ٣٠ وابن ماجة في كتاب المقدمة الباب ١١ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٨٠ والجزء الثالث صفحة ٣ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٨٠ ، ٨٢ والجزء الخامس صفحة ٣٩١ ، ٣٩٢ .

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي (ﷺ وآله) الباب ٢٩ وكتاب المناقب الباب ٢٥ والترمذى في كتاب المناقب الباب ٣٠ وأحمد في الجزء الخامس صفحة ٣٩١ .

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦٣/١ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٦٤٤٨ .

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦٦/١ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٣٠٠٩ ، ٣٦٥٢٧ .

(٥) رواه الحاكم في المستدرك ١٢٧/٣

(٦) رواه البخاري في كتاب الاستئذان الباب ٤٣ ومسلم في كتاب فضائل الصحابة الحديث رقم ٩٨ ، ٩٩ وابن ماجة في كتاب الجنائز الباب ٦٤ وأحمد في الجزء السادس صفحة ٢٨٢.

وإقراره للأعرابي في قوله :

يا سيد الرسل وديان العرب أشكو إليك ذربة من الذرب [٢]

ج- وفي الفائق للزمخشري ص ٢٠٨ قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ أرأيتم لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً كيف يصنع به ﴾ فقال سعد بن عبادة :والله لأضربنه بالسيف ولا أنتظر أن آتي بأربعة شهداء، فقال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴿ انظروا إلي سيدنا هذا ما يقول ؟﴾ قالوا : يا رسول الله من السيد ؟ فقال : ﴿ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ؟﴾ قالوا : ما في أمتك من سيد ؟ قال : ﴿ بلى من أتاه الله مالاً ورزقاً وسماحة فأدي شكره وقلت شكايته في الناس ﴾ [٣] .

د- روي أحمد بن حنبل بمسنده عن أبي سعيد الخدري : نزل أهل قريظة علي حكم سعد بن معاذ فأرسل له رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فأتاه علي حمار فلما دنا قريبًا من المسجد قال ﴿ ﷺ وآله﴾ :﴿ قوموا إلى سيدكم ﴾ [٤] رواه البخاري ص ١٤٦ ج٩ إرشاد الساري .

هـ- فقد روي البخاري في الأدب المفرد من حديث جابر عنه ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴿من سيدكم يا بني سلمة ؟ قالوا : الجد ابن قيس ﴾[٥] .

---

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب الباب ٣٠ وابن ماجة في كتاب المقدمة الباب ١١ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٨٠ والجزء الثالث صفحة ٣ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٨٠ ، ٨٢ والجزء الخامس صفحة ٣٩١ ، ٣٩٢ .

(٢) رواه أحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٠٢ .

(٣) رواه مسلم في كتاب اللعان الحديث رقم ١٤ ، ١٦ وأبو داود في كتاب الديات الباب ١٢ وابن ماجة في كتاب الحدود الباب ٣٤.

(٤) رواه البخاري في كتاب العتق الباب ١٧ وكتاب الاستئذان الباب ٢٦ وأبو داود في كتاب الأدب الباب ١٤٤ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ٢٢ ، ٧١ والجزء السادس صفحة ١٤٢ .

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٩ / ٨١ وابن سعد في طبقاته ١١٢/٢/٣والهيثمي في مجمع الزوائد ٣١٥/٩ وابن حجر في تغليق التعليق ٨٥٨ وابن حجر في فتح الباري ١٧٨/٥ ، ١٧٩والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٦٨٥٨ ، ٣٦٨٥٩ ، ٣٨٠١٠ ، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٩٥/٨ وابن كثير في تفسيره ١٠٢/٤ . والقرطبي في تفسيره ٢٩٢/٤ ، ٤٠٦/٥ ، ١٥٩/٨ والواحدي في أسباب النزول ١٦٧

٣ـ إطلاق لفظ (السيد) علي غيره سبحانه من الصحابة :

أ- فعن البخاري عن جابر أن عمر كان يقول : إن أبا بكر سيدنا واعتق سيدنا ، يعني بلالا[1] . وعن أبي بكر أنه قال : أتقولون هذا شيخ قريش وسيدهم [2] ، وعن علي عليه السلام أنه قال : ﴿أنا سيد البطحاء﴾ .

وروي عبد الرزاق عن أيوب وجابر الحنفي قال : من قال عند الإقامة : ﴿ اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سيدنا محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وأورثه المقام المحمود . حقت له الشفاعة علي النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴾ المصنف رقم ١١٩١ وليس يقال مثال هذه بالرأي .

ب- وفي الفائق للزمخشري قالت أم الدرداء : حدثني سيدي أبو الدرداء .

فأين هؤلاء من مقام سيدنا ونبينا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ ؟ وأين لفظ السيادة مما يجب علينا من تعظيمه ﴿ ﷺ وآله﴾؟ وأين السيادة من التعبير عما هو دون الدون من مرتبته ﴿ ﷺ وآله﴾ وفضله وقربه من ربه ؟

وأين أنتم أيها الوهابيون – في موقفكم كالشيطان الأخرس – أمام ألفاظ الغلو والتعظيم التي تكال بمرأي منكم ومسمع ، للملوك والأمراء في كافة وسائل الإعلام من إذاعة وتليفزيون وصحافة وفي غيرها ؟ بل أين أنتم أيها الوهابيون من ألفاظ التعظيم والسيادة ﴿ لبوش و ميتران ﴾ وغيرهما من الكفار علي الحقيقة ؟ وأين أنتم أيها الوهابيون من ألقاب : أصحاب المعالي ، وأصحاب السعادة ، لمن هب ودب ؟

وقد كان اللازم علي الوهابية علي ما سنه لهم شيخهم الأكبر ابن عبد الوهاب الإنكار علي الله تبارك وتعالي حيث قال:﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [3] . ولكن يقرأ ابن عبد الوهاب هذه الآية ولا تجاوز تراقيه .

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي (ﷺ وآله)الباب ٢٣.

(٢) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم الحديث رقم ١٧٠ وأحمد في الجزء الخامس صفحة ٦٤ .

(٣) سورة التحريم – آية ٤

مالا يجوز لنا ويجوز للرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ :

من يزعم عدم الإتيان بلفظ السيادة للنبي ، لأن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ لم يأت بها لنفسه ، فهو ضيق الأفق لا يفهم مقاصد الشريعة ، فمن الضروري أنه لا يجوز لنا أن نخاطب رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ بالألفاظ التى يطلقها هو ﴿ ﷺ وآله﴾ علي نفسه ، والتى يستعملها في مقام التواضع والخضوع لربه عز وجل .

وقد وجهتنا الشريعة وجهة تركت لنا في إطارها كثيرًا من الاختيارات ، فأمر الله تعالي بالدعاء وعلمنا رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ أدعية ، ثم لم يحظر علينا الدعاء بغيرها ، وعلمنا كيف نصلي عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ ثم لم يحظر علينا الصلاة عليه بلفظ آخر ، وأذن لنا في الرقية ولم يحجر علينا فيها ، وكذلك أمرنا بتعظيمه واستعمال الأدب معه ولم يحجر علينا فيها .

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم هذا ، وأقرهم رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ فقد رقى جابر بالفاتحة

كما في الصحيح ، وقال له ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ وما أدراك إنها رقية ﴾ (1)؟

ثم أقره علي ذلك وكان الصحابي الآخر يقرأ قل هو الله أحد قبل كل سورة في صلاته فاستفهمه ﴿ ﷺ وآله﴾ عن ذلك ثم أقره علي فعله بهذه البشارة الكريمة إذ قال له : ﴿حبكها أدخلك الجنة﴾ (2) وسمع رجلاً آخر يصلي فقال : الحمد لله حمدا كثيراً طيباً مباركاً فيه ، فلما فرغ من صلاته قال : ﴿ من صاحب الكلمات ؟ ﴾ مرتين ، فقام إليه الرجل فقال : أنا يا رسول الله فقال : ﴿ لقد ابتدرها اثنا عشر ملكا أيهم يسبق بها يحيي بها

---

(١) رواه البخاري ٧٠/٧ ومسلم في كتاب السلام الحديث رقم ٦٥ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ٤٤ وابن حجر في فتح الباري ١٩٨/١٠ والقرطبي في تفسيره ١١٣/١ ، ٣١٨/١٠ .

(٢) رواه البخاري ١٩٧/١ واحمد في الجزء الثالث صفحة ١٤١ ، ١٥٠ والدارمي في سننه ٢ / ٤٦١ وابن حجر في فتح الباري ٢٥٥/٢ والبغوي في شرح السنة ٤ / ٤٧٥ وابن السني في عمل اليوم والليلة ٦٨٤ والسيوطي في الدر المنثور ٦ /٤١١ والبغوي في تفسيره ٣٢١/٧ والمنذري في الترغيب والترهيب ٣٨٢/٢ وابن كثير في تفسيره ٥٣٩/٨ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢٦٣/٥.

الله تبارك وتعالي ﴾ [1] إلي غيرها من الأدعية التى سمعها ﴿ ﷺ وآله﴾ فأقرهم عليها أو قال : إن فيها اسم الله الأعظم .

١- أما ما ورد من أقوال النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ عندما جاءه وفد بني عامر فقالوا : أنت سيدنا فقال﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ السيد الله ﴾ فالجمع بينه وبين ما سبق باختلاف القصد في معني السيد أو بأنه قال ذلك تواضعًا ، أي السيد الحقيقي هو الله . وفي النهاية أي هو الذي تحق له السيادة ولكن كره﴿ ﷺ وآله﴾ أن يحمد في وجهه وأحب التواضع .

وفي رواية لمسلم لا يقولن أحدكم عبدي فإن كلكم عبيد الله ، وفي رواية لأبي داود والنسائي : فإنكم المملوكون والرب الله مع قوله تعالي :﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾[2] . و قوله تعالي ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا ﴾ [3] . وقوله تعالي : ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ [4]

.فهذه المناهي الواردة علي لسان رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ للتتريه قصدًا للتواضع .

٢- وجهل ابن عبد الوهاب ((الكذاب)) قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : - سيد الاستغفار - ﴿ اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ...﴾ [5] وجهل كذلك قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ :﴿ سيد الأيام يوم الجمعة فيه خلق آدم)) [6]

وجهل كذلك قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ سيد الشهور شهر رمضان و أعظمها حرمة ذو الحجة ﴾ [7] .

---

(١) رواه النسائي ١٢٥/٢ ، ١٤٩ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ١٩١ ، ٢٦٩ والمتقي الهندي في كنز العمال ١٩٧٤٧ ، ٢٢٠٥٣ ، ٢٢٦٧٦ .

(٢) سورة النور – آية ٣٢

(٣) سورة النحل – آية ٧٥

(٤) سورة يوسف – آية ٤٢

(٥) رواه البخاري في كتاب الدعوات الباب ٢ ، ١٦ والترمذي في كتاب الدعوات الباب ١٥ والنسائي في كتاب الاستعاذة الباب ٥٧ وأحمد في الجزء الرابع صفحة ١٢٢ ، ١٢٥ .

(٦) رواه ابن ماجة في كتاب الإقامة الباب ٧٩ .

(٧) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ / ١٤٠ والسيوطي في الدر المنثور ١ / ١٨٦ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٣٦٧٠ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٧ / ٢٥٦ .

وذكر الحافظ العلامة ابن الصديق في تشنيف الآذان أن الحافظ السخاوي ذكر أن مجد الدين صاحب القاموس اختار الإتيان بلفظ السيادة قبل اسم النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ في غير المأثورات .

وقال الخطاب : والذي اختاره وأفعله في الصلاة وغيرها الإتيان بلفظ السيد ، وأفتي إمام الحرمين بلفظهما في الصلاة وغيرها .

أما حديث ((لا تسيدوني في الصلاة)) فإنه حديث مكذوب وخطأ في اللغة والفقهاء لهم آراء في هذا الحكم كما سبق أن بينا .

فرية ابن عبد الوهاب في أحاديث السيادة :

يتذرع ابن عبد الوهاب ((الكذاب)) بالأحاديث التى ليس فيها لفظ السيادة ولا غرابة في ذلك ، واللفظ بها آت من النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وهو من هو في تواضعه في جميع أحواله ، وهو الذي يقول عن نفسه أنه ابن امرأة من قريش تأكل القديد ، ولكنا نحن أمته مأمورن بتعظيمه وتوقيره و تعزيزه وبغض الصوت عنده ، وبعدم التقدم بين يديه وبألا نجعل دعاءه كدعاء بعضنا لبعض ، نهي الله أن يقولوا: يا محمد يا أبا القاسم ولكن يقولون : يا نبي الله . يا رسول الله .

والله سبحانه تعالي أكرمه بما لم يكرم به أحدًا من الأنبياء فلم يدعه باسمه في القرآن قط بل يقول :﴿ يأيها النبي ﴾ ، ﴿ يأيها الرسول ﴾ مع أنه قال تعالي : ﴿ يا آدم ﴾ ، ﴿ يا نوح﴾ ، ﴿ يا إبراهيم } ، ﴿ يا موسي ﴾ ، ﴿ يا عيسي ﴾ .

يقول ابن تيمية في الصارم المسلول : إن الله سبحانه وتعالي أوجب لنبينا ﴿ ﷺ وآله﴾ علي القلب واللسان والجوارح حقوقًا زائدة علي مجرد التصديق بنبوته . كما أوجب سبحانه وتعالي علي خلقه من العبادات أمورًا زائدة علي مجرد التصديق له سبحانه .

السيادة للنبي مستحبة عند الشافعية وسنة عند الحنفية :

وقد أوضح إمامنا الشافعي في هذا الأمر فيما رواه عن الحافظ الحجة ابن عساكر بسنده إليه في

كتابه ((تبيين المفتري فيما نسب إلي الإمام أبي الحسن الأشعري ص ٩٧)) قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : ((المحرمات من الأمور ضربان أحدهما ما أحدث يخالف كتابًا أو سنة أو أثرًا أو إجماعًا ، فهذه البدعة والضلالة ، والثاني ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذه فهذه محدثة غير مذمومة ، وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام رمضان : نعمت البدعة هذه . يعني إنها محدثة لم تكن ، وإذا كانت فليس فيها رد لما مضي . فقول : ﴿سيدنا محمد ﴾ مستحب عند الشافعية في التشهد والصلاة علي النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وسنة عند الأحناف في الصلاة عليه لا في التشهد.

نبينا ﴿ ﷺ وآله﴾ سيد الوجود وسيد الكائنات :

ومن المعلوم أن نبينا محمد﴿ ﷺ وآله﴾ هو سيد الوجود وسيد الكائنات وأفضل المخلوقات ، فقد روي البخاري في صحيحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتي رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بلحم فرفع إليه الذراع – وكانت تعجبه – فأكل منه ثم قال : ﴿ أنا سيد الناس يوم القيامة ﴾ [1] .

وروي مسلم في باب تفضيل نبينا ﷺ وآله علي جميع الخلائق عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع﴾ [2] .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء الباب الثالث وكتاب تفسير القرآن (سورة الإسراء) الباب الخامس ومسلم في كتاب الإيمان الحديث ٣٢٧ ، ٣٢٨ وكتاب الفضائل الحديث ٣ والترمذي في كتاب القيامة الباب ١٠ وكتاب تفسير القرآن (سورة الإسراء) الباب ١٩ والدارمي في كتاب المقدمة الباب ٨ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٢٨١ ، ٢٩٥ والجزء الثاني صفحة ٤٣٥ ، ٥٤٠ والجزء الثالث صفحة ٢ ، ١٤٤ والجزء الخامس صفحة ٣٨٨ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل الحديث ٢ وأبو داود ٤٦٧٣ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٥٤٠ وفي مناهل الصفا ٣٣ والعراقي في المغني عن حمل الاسفار ٥٧/٣ .

قال الإمام النووي في شرحه : وأما الحديث الآخر : ﴿ لا تفضلوا بين الأنبياء ﴾ [1] .
فجوابه من خمسة أوجه . . ثم ذكر أن أحدهما أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ قاله : أدبًا وتواضعًا ثم قال : ولابد من اعتقاد التفضيل ، فقد قال الله تعالي : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [2] .
وروي مسلم في باب فضل نسب النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ عن وائله بن الأسقع عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ إن الله عز وجل اصطفي كنانة من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، واصطفي قريشًا من كنانة ، واصطفي من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم ﴾ [3]
. . و مثل هذه الأحاديث كثيرة .
و لم يقله ﴿ ﷺ وآله﴾ فخرًا بل صرح بنفي الفخر في الحديث المشهور : ﴿ أنا سيد ولد آدم ولا فخر . . .﴾ [4] .
بل ذكره كما قال النووي لوجهين :

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء الباب ٣٥ ومسلم في كتاب الفضائل الحديث ١٥٩ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ٤١ ، ٤٧ ، ٥٣ .
(٢) سورة البقرة – آية ٢٥٣ .
(٣) رواه مسلم في كتاب الفضائل الحديث رقم ١ والترمذي في كتاب المناقب الباب الأول وأحمد في الجزء الرابع صفحة ١٠٧.
(٤) رواه مسلم في كتاب الفضائل الحديث رقم ٣ والترمذي ٣١٤٨ ، ٣٦١٥ واحمد في الجزء الأول صفحة ٢٨١ والجزء الثالث صفحة ٢ والقاضي عياض في الشفا ٣٩٩/١ والتبريذي في مشكاة المصابيح ٥٧٤١ ، ٥٧٦١ والبغوي في شرح السنة ١٣ / ٢٠٤ والقرطبي في تفسيره ٢٦٢/٣ ، ٨٤/٤ ، ٦١/٥ ، ٤٩/١٠ ، ٣١٠ ، ٥/١٥ وفي مناهل الصفا ٣٢ والبغوي في تفسيره ٤ / ١٧٨ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٣ / ١٥٧ ، ٤ / ١٦٦ والمنذري في الترغيب والترهيب ٤٤٢/٤والهيثمي في موارد الظمآن ٢١٢٧ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٢٢٥/٩ ، ٤٨٨/١٠ ، ٤٨٩ ، ٤٩٢ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣١٨٨١ ، ٣١٨٨٢ ، ٣٢٠٣٣ ، ٣٩٠٥٢ وأبو نعيم في دلائل النبوة ١٣/١ والكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ٩٠ والإتحافات السنية ١٩١ وابن كثير في البداية والنهاية ١ / ١٧١ ، ٢٨٥ ، ٢٥٧/٢

أ- امتثال قوله تعالي : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (١)

ب- إنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلي أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه﴿ ﷺ وآله﴾ بما تقتضي مرتبته ﴿ ﷺ وآله﴾كما أمرهم الله تعالي .

روي الإمام أحمد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : أصبح رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ذات يوم فصلي الغداة ثم جلس حتي إذا كان من الضحي ضحك رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ثم جلس مكانه حتي صلي الأولي والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتي صلي العشاء الآخرة ، ثم قام إلي أهله فقال الناس : ألا نسأل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ما شأنه صنع اليوم شيئًا لم يصنعه قط ؟ قال : فسأله، فقال : ﴿ نعم عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا وأمر الآخرة ، فجمع الأولون والآخرون بصعيد واحد ففزع الناس ﴾ .

ثم ذكر مثل حديث الشفاعة المشهور إلي أن قال : فيفتح الله عز وجل عليه من الدعاء شيئًا لم يفتحه علي بشر قط فيقول :﴿ أي رب خلقتني سيد ولد آدم و لا فخر ﴾ (٢) إلي آخر الحديث.

فلم يبق بعد هذه الحجج من الآيات القرآنية وأحاديث المصطفي﴿ ﷺ وآله﴾ وأقوال الصحابة وأقوال العلماء أي كلام لأحد في استحباب لفظ السيادة قبل اسم محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ .

والأمر في ذلك سهل ميسور لا يستحق هذه الضجة من الشرذمة النجدية ، فلنوجه همنا إلي ما هو أخطر من ذلك مما اتفق علي وجوبه لنؤديه وعلي حرمته لنتجنبه ، وبالله التوفيق .

---

(١) سورة الضحي - آية١١

(٢) رواه أبو داود في كتاب السنة الباب ١٣ وابن ماجة في كتابا الزهد الباب ٣٧ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٥

الفصل الرابع

حكم الإقسام علي اللّه والقسم بغيره تعالي

أولاً : الإقسام علي اللّه بمخلوق أو بحق مخلوق

صور الإقسام علي اللّه بمخلوق أو بحق مخلوق :

مثل أقسمت عليك أو أقسم عليك بفلان أو بحق فلان ، أو سألتك أو أسألك بفلان ، وهذا داخل في التوسل ، الذي سبق أن تناولناه في الباب الثامن .

وإنما نعيد ذكره في هذا الباب لكونه نوعًا مخصوصًا من التوسل ، ولثالوث التكفير – ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب – كلام فيه بعنوانه الخاص وأدلة خاصة ، وهو ما منعه ثالث الأثافي ابن عبد الوهاب ، وحرمه علي عادته من التشدد والتضييق علي عباد الله فيما وسع الله فيه عليهم ، وعدم رضاه بتعظيم من عظمه الله ما وجد لذلك حيلة ، ولاندري هل يجعله كفرا أو شركًا ؟ .

لا نستبعد منه ذلك ، بعد أن جعل سؤال الشفاعة من النبي ﴿ﷺ وآله﴾ شركًا ، مع تسليمهم بأن الله أعطاه الشفاعة ، وأنه الشفيع المشفع .

شبهات وأباطيل حول الإقسام علي اللّه بمخلوق أو بحق مخلوق :

١– في الرسالة الأولي من رسائل الهدية السنية : (إن الإقسام علي الله بمخلوق منهي عنه باتفاق العلماء– يعني علماء الوهابية – وهل هو نهي تنزيه أو تحريم ؟ وللرد علي ذلك قولان أصحهما : أنه كراهة تحريم ، واختاره العز بن عبد السلام في فتاويه ، ثم نقل عن أبي حنيفة أنه قال : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به وأكره أن تقول : بمعاقد العز من عرشك ، أو بحق خلقك .

وعن ابي يوسف : بمعاقد العز من عرشك هو الله ، فلا أكره هذا ، وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك ، ثم حكي عن القدوري : أن المسألة بحق المخلوق لا يجوز لأنه لا حق للمخلوق علي الخالق .

٢- قال صاحب الرسالة : ((وأما قوله بحق السائلين عليك ففيه عطية العوفي وفيه ضعف ، ومع صحته فمعناه بأعمالهم ، لأن حقه تعالي عليهم طاعته وحقهم عليه الثواب والإجابة)) .

وقال الشيخ رشيد رضا – أحد أبواق الوهابية – : ((المتبادر من معني هذه الجملة ، أنها سؤال لله تعالي بوعده للسائلين أن يستجيب دعاءهم بمثل قوله تعالي : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [(١)] .

الرد علي شبهات وأباطيل الإقسام علي الله بمخلوق أو بحق مخلوق :

١- الإقسام علي الله تعالي بكريم عليه من نبي أو ولي أو عبد صالح أو غير ذلك من أنواع التوسل الذي تقدم الكلام عليه في الفصل الرابع من الباب الثاني ، وبينا جوازه ورجحانه ، وأنه ليس ببدعة ، وأنه محبوب لله تعالي ، وأنه تعالي يجب أن يتوسل إليه عبده بأنواع الوسائل وكلها لا تخرج عن دعائه وعبادته ، ومن أجل ذلك جعل الله الشفاعة كرامة للشفيع ورحمة بالمشفوع به ، لأنها نوع من عبادته ودعائه والتضرع إليه ، فهو يحب ذلك كله سواء كان من العبد نفسه أو علي لسان غيره ، ولذلك قبل الدعاء بلسان الغير بل جعله أرجي للإجابة .

٢- وقول صاحب الرسالة : إن الإقسام علي الله بمخلوق منهي عنه بإتفاق العلماء ، جزاف من القول ، ولم يأت بما يثبته سوي ما نقله عن أبي حنيفة وأبي يوسف وابن عبد السلام والقدوري – كأن علماء الإسلام في جميع الأمصار والأعصار انحصرت في هؤلاء الأربعة ، فأين اتفاق العلماء من فتوي الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل ؟ ولم لم ينقلها إن كانوا موافقين ؟ وأين فتوي باقي العلماء الذين لا يحصي عددهم إلا الله ؟ وهل اطلع علي

(١) سورة غافر – آية ٦٠

فتواهم فوجدهم موافقين أو لا ؟ فكيف تجرأ علي دعوي اتفاقهم؟ وكيف يدعي الاتفــاق بفتوي أربعة – أبي حنيفة وأبي يوسف وابن عبد السلام ورابعهم القدوري ؟

٣- والحق أنه لا كراهية ولا تحريم في ذلك بل راجح مستحب لأنه نوع من دعاء الله تعالي وعبادته والثابت رجحانه بعموم أدلة الدعاء ، ولم يثبت شئ يخرجه عن العموم بــل وردت النصوص فيه بالخصوص مثل ما رواه الحاكم وصحح إسناده والطبراني من قول آدم عليــه السلام : ﴿ يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي ﴾ [1] ومــا رواه الحــاكم في الكــبير والأوسط من قول رسولالله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ أغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليهــا مدخلها بحق نبيك والأنبياء السائلين عليك وبحق ممشاي هذا ﴾ [2] .
وقد ورد في أدعية أهل البيت قولهم : ﴿ أسألك بمعاقد العز من عرشك ﴾ [3] وهو ينفــي احتمال الكراهية ، وأهل البيت أحق بالإتباع وأعلم بسنة جدهم من ثالث الأثافي ابن عبد الوهاب وذيوله.
٤- أما استدلال الوهابية بالقدوري علي تحريمهم الإقسام علي الله بمخلوق أو بحق مخلــوق فباطل من عدة وجوه :
أ- لأن الإقسام علي الله بالمخلوق لا يلزم أن يقال فيه أسألك بحق فلان بل يكفي بحق فلان أو بفلان، فإن الحق في اللغة الأمر الثابت الواجب من حق يحق حقًا إذا ثبت ، فتارة يكون

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢ / ٦١٥ والبيهقي في دلائل النبوة ٥ / ٤٨٩ وفي الإتحافات السنية ٢٥٦ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٢١٣٨ وابن كثير في البداية والنهاية ١ / ٨١ ، ٢ / ٣٢٢ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٢ / ١٤٧ .
(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس بن ملك وروي ابن ابي شيبه عن جابر وابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما وأبو نعيم في الحلية عن أنس أورد ذلك كله الحافظ جلال الدين السيوطي في الجامع الكبير والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٢٥٦ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٤٤٢٥ .
(٣) أورده العلامة المنذري في الترغيب والترهيب ١ / ٤٧٧ والزيلعي في نصب الراية ٢٧٢/٤ ، ٢٧٣ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥ /٤٤

ثابتًا للإنسان في نفسه من : فضل ، وعلم ، وشرف ، وعبادة ، وزهادة ، وغير ذلك ، وتارة يثبت له علي غيره.

ب- دعواه أنه لا حق للمخلوق علي الخالق : إن أريد أن له حقًا حتميًا إلزاميًا شاء أو أبي وتسلطا كحق الدائن علي المدين فمسلم ، ولكن هذا لا يقول به أحد ، وإن اريد أن له عليه حقا جعله الله علي نفسه وأكرم به عبده فأي مانع منه ؟ وأي دليل يقتضي نفيه ؟ بل الدليل علي ثبوته موجود قال الله تعالي : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(1) .

وقوله تعالي : ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْؤُولاً ﴾ (2).

أفنترك قول الله تعالي في كتابه ونتبع قول القدوري والطناجري والمعرفي !! .

الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ ﴿ حق علي الله عون من نكح التماس العفاف عما حرم الله ﴾ (3) . وفي النهاية الأثيرية ﴿ الحق ضد الباطل ﴾ ومنه الحديث ﴿ أتدري ما حق العباد علي الله ﴾ (4) أي ثوابهم الذي وعدهم به فهو واجب الإنجاز ثابت بوعده الحق .

ذكر ابن تيمية حديث : ﴿ كان حقاً علي الله أن يسقيه من طينة الخبال ﴾ (5) وقوله جاء في غير حديث كان حقاً علي الله كذا وكذا ، وما نقله في الصحيح ﴿ حق الله علي العباد

---

(1) سورة الروم – آية 47

(2) سورة الفرقان – آية 16

(3) أورده المتقي الهندي في كنز العمال 44443 وابن عدي في الكامل 2719/7 .

(4) رواه أحمد في الجزء الخامس صفحة 234 وابن كثير في تفسيرة 2 / 260 ، 3 / 258 .

(5) رواه مسلم في كتاب الأشربة الحديث رقم 72 وأبو داود في كتاب الأشربة الباب الخامس والترمذي في كتاب الأشربة الباب الأول وكتاب القيامة الباب 47 والنسائي في كتاب الأشربة الباب 45 ، 49 وأحمد في الجزء الثاني صفحة 35 ، 176 ، 178 ، 179 ، 189 ، والجزء الثالث صفحة 361 والجزء الخامس صفحة 171 والجزء السادس صفحة 460 .

أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد علي الله إذا فعلوا ذلك ألا يعذبهم ﴾[1] . وما حكاه من رواية ابن ماجة في دعاء الخارج للصلاة ﴿ اللهم إني أسألك بحق السائلين وبحق ممشاي هذا . . ﴾ [2] .

وفي خلاصة الكلام ص٤٢٠ أنه رواه ابن ماجة بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من خرج من بيته إلي الصلاة فقال : اللهم إني أسالك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق ممشاي هذا إليك فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياءً لا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت – أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك﴾[3] .

وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير ، وكثير من الأئمة في كتبهم بل قال بعضهم :

---

(١) رواه البخاري في كتاب اللباس الباب ١٠١ وكتاب الجهاد الباب ٤٦ وكتاب الاستئذان الباب ٣٠ وكتاب الرقاق الباب ٣٧ وكتاب التوحيد الباب الأول ومسلم في كتاب الإيمان الحديث رقم ٤٨-٥١ والترمذي في كتاب الإيمان الباب ١٨ وابن ماجة في كتاب الزهد الباب ٣٥ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٣٠٩ ، ٥٢٥ ، ٥٣٥ والجزء الثالث صفحة ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٢) رواه ابن ماجة ٧٧٨ واحمد في الجزء الثالث صفحة ٢١ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٩٧٧ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٨٩/٥ ، ٩٠ ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ٨٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢ / ٣٦ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١ / ٣٢٦ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢ / ٤٥٨ .

(٣) رواهما ابن ماجة ٧٧٨ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ٢١ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٩٧٧ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٨٩/٥ ، ٩٠ وابن السني في عمل اليوم والليلة ٨٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢ / ٣٦ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١ / ٣٢٦ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢ / ٤٥٨ .

ما من أحد من السلف إلا وكان يدعو به ، قال رواه ابن السني بإسناد صحيح عن بـــلال مؤذن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وفيه : ﴿ اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي . . ﴾ (١)مع بعض التفاوت .

وقال رواه الحافظ أبو نعيم في عمل اليوم والليلة من حديث أبي سعيد بلفظ روايـــة ابـــن السني . فإذا كان الله تعالي ورسوله قد صرحا بالحق علي الله فهل نتركـــه و نتبـــع قـــول القدوري والطناجري والمعرفي أيها القرنيون ؟!! .

٥- ومع كل هذا التصريح من الله تعالي ورسوله ، فهم يتحملـــون (٢) في رد الأحاديـــث بالقدح في إسنادها أو مفادها ؛ لأنه يعظم عليهم أن يعظموا أحدًا ممن عظم الله، فيردون ما دل علي ذلك بكل وسيلة لشبهتم وتمسكًا بها فيقولون :
بالقدح في حديث بحق السائلين عليك بأن فيه ((عطية العوفي بن سعد بن جنادة العوفي أبو الحسن الكوفي)) فيه ضعف وهذا القول مردود :

أ- بحكاية الحافظ بن حجر العسقلاني في ((تهذيب التهـــذيب)) ج٧ ، ص ٢٢٤-٢٢٦ عن ابن سعد انه قال : وكان ثقة- إن شاء الله – وله أحاديث صالحة .
ب- وحكي فيه عن الدوري عن ابن معين : أنه صالح
ج- وفي خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال ص ٢٢٦ ((الحافظ أحمد بن عبـــد الله الأنصاري)) : عطية بن سعد بن جنادة العوفي أبو الحسن الكوفي عـــن أبي هريـــرة و أبي سعيد وابن عباس وعنه أبناء عمر والحسن وإسماعيل بن أبي خالد ومسعد وخلـــق ضـــعفه الثوري وهشيم وابن عدوي وحسن له الترمذي احاديث .

(١) رواهما ابن ماجة ٧٧٨ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ٢١ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٩٧٧ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٨٩/٥ ، ٩٠ وابن السني في عمل اليوم والليلة ٨٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢ / ٣٦ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١ / ٣٢٦ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢ / ٤٥٨ .
(٢) المحال : المكار ، الخداع ، الشيطان

د- وحكي في الحاشية عن التهذيب : ((قال أبو حاتم وابن سعد : ومع ضعفه يكتب حديثه)) .

فدل ذلك علي أن أحاديثه مقبولة ليس فيها مناكير ، والذين ضعفوه لم يضعفوه إلا لكونه من شيعة علي عليه السلام فرموه بما رموه .

فدل علي أن سبب القدح تقديمه سيدنا علي عليه السلام علي الكل . وقد تحمل من الحجاج ضرب أربعمائه سوط وحلق لحيته ليسب سيدنا عليا عليه السلام ولم يسب .

هـ- وقد أورد حديثه أئمة الحديث في صحاحهم كالبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجة القزويني ، كما يدل عليه وضع صاحب مختصر تهذيب الكمال علي اسمه رمز ((بخ دت ن)) الذي هورمز لهؤلاء

ثانياً : الحلف بغير الله من نبي أو ولي

شبهات وأباطيل حول الحلف بغير الله :

١- صرح الصنعاني في كتابه تطهير الاعتقاد ص ١٤ أن الحلف بغير الله شرك علي الإطلاق قال : إن القبوريين – يعني غير الوهابين – سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة ، وعد أعمالهم الموجبة لذلك قال : ويقسمون بأسمائهم بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالي لم يقبل منه ، فإذا حلف باسم ولي من الأولياء قبلوه وصدقوه وهكذا كانت عبادة الأصنام ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[1] .

٢- وفي الحديث : ((من حلف فليحلف بالله أو ليصمت)) وسمع رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ رجلاً يحلف بالات فأمره أن يقول : لا إله إلا الله ، وهذا يدل علي أنه ارتد بالحلف بالصنم فأمره ان يجدد إسلامه فإنه قد كفر بذلك . ثم ذكر الصنعاني في كتابه تطهير الاعتقاد ص١٥ أن رأس العبادة و أساسها الاعتقاد ، وقد حصل في قلوبهم ذلك بل يسمونه معتقدًا ، ويضعون له ما سمعته مما تفرع عن الاعتقاد وعد من جملته الحلف .

٣- وفي الرسالة الأولي من رسائل الهدية السنية ص ٢٥ أن الشرك شركان :

أ- الشرك الأكبر وله أنواع ومنه طلب الشفاعة من المخلوق والتوسل وغيره .

ب- الشرك الأصغر كالرياء والسمعة والحلف بغير الله .

فقد روي ابن عمر عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴿ من حلف بغير الله فقد أشرك ﴾ أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وصححه ابن حبان . وقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت ﴾ أخرجه الشيخان . قال : ﴿ والشرك الأصغر لا يخرج عن الملة ويجب التوبة منه ﴾ .

---

(١) سورة الزمر – آية ٤٥

رد الشبهات والأباطيل حول الحلف بغير الله :

١ – أما حديث من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك فهو محمول إما علي الكراهية الشديدة وإطلاق الشرك عليه من باب المبالغة بيانا لشدة الكراهة ، فقد ورد اللعن علي فعل المكروه كلعن المحلل والمحلل له كما بيناه في مقام آخر . فقال القسطلاني في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ص ٢٥٨ ج٩ بعد نقل رواية الترمذي والتعبير بذلك يعني الكفر والشرك للمبالغة في الزجر والتغليظ. وهل النهي للتحريم أو للتتريه ؟ المشهور عند المالكية الكراهة ، وعند الحنابلة التحريم، وجمهور الشافعية أنه للتتريه ، وقال إمام الحرمين : المذهب القطع بالكراهة ، وقال غيره بالتفصيل : فإن اعتقد فيه من التعظيم ما يعتقده في الله حرم وكفر بذلك الاعتقاد ، وإن حلف لاعتقاد تعظيم المحلوف به علي ما يليق به من التعظيم فلا يكفر .

٢– وأما عن الحلف بالأصنام كما يشير إليه الحديث – ﴿ سمع رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ رجلاً يحلف بالات فأمره أن يقول : لا إله إلا الله ﴾ وهذا يدل علي أنه ارتد بالحلف بالصنم فأمره أن يجدد إسلامه فإنه قد كفر بذاك – في كلام الصنعاني – أحد ذيول الوهابية – فيمن حلف باللات مما يدل علي أن ذلك كان يقع منهم بعد إسلامهم لقرب عهدهم بالشرك .

ولكن ذلك لا يتأتي علي رواية أحمد ، لأن فيها إن كان يحلف وأبي أو علي الحلف بغير الله باعتقاد مساواته لله تعالي ، أو علي الحلف بالبراءة ونحوها كأن يقول : إن فعل كذا فهو يهودي أو برئ من الإسلام أو من الله أو من رسوله ، فإنه إما محرم فقط أو موجب للكفر إن قصد الرضا بذلك إذا فعله . ولكن لا يتأتي علي رواية أحمد كما عرفت ، أو علي الحلف في مقام القضاء والمرافعة لإثبات حق او نفيه الذي لايجوز بغير الله تعالي في غير ذلك قطعًا بل من ضروريات الإسلام يعرف جوازه الخواص والعوام . ولو كان حرامًا لاشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار لكثرة الابتلاء به ، ولم يخف علي الناس كلها ، ويظهر للوهابية المهفرية وحدها . وستعرف أحكام الأئمة الأربعة علي الجواز .

٣- أما حديث النهي عن الحلف بالآباء : فرواه أحمد في مسنده أيضًا كما رواه الشيخان أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ سمع عمر وهو يقول : ((وأبي . وفي رواية :وأبي وأبي مكررًا فقال : إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت)) .

وكانت قريش تحلف بأبائها فقال : لا تحلفوا بأبائكم . وهو كالذي سبق محمول إما علي الكراهة أو علي عدم الانعقاد . فيكون إرشاديا كما في النهي عن بيع الغرر أي بيع المجهول أي أنه لا يترتب عليه آثار اليمين من : وجوب الوفاء ، ولزوم الكفارة لمخالفته ، وغير ذلك ، أو علي الحلف في مقام المرافعة أو غير ذلك قال النووي في شرح صحيح مسلم ص ١٠١٩ ج٧ بهامش إرشاد الساري : ((في شرح إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فيه النهي عن الحلف بغير أسمائه تعالي وصفاته ، وهو عند أصحابنا – الشافعية – مكروه وليس بحرام)) .

٤- لقد وقع الحلف بغير الله من الله تعالي و من النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ومن الصحابة والتابعين وجميع المسلمين خلفاً عن سلف :

أـ الحلف بغير الله من الله تعالي :

فإنه قد أقسم في كتابه العزيز بكثير من مخلوقاته ، كما أقسم بذاته وبعزه وجلاله مثل قوله تعالي : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ [(١)]. وقوله ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ [(٢)] . وقوله تعالي : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّبِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [(٣)] . وقوله تعالي : ﴿ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴾[(٤)] . وقوله تعالي : ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴾ [(٥)] . و

(١) سورة العصر – آية ١ـ٢

(٢) سورة العاديات – آية ١ـ٣

(٣) سورة النازعات – آية ١ـ٥

(٤) سورة المرسلات – آية ١ـ٥

(٥) سورة الذاريات – آية ١ـ٤

قوله تعالي : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ [١] . وقوله تعالي : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ [٢]. وقوله تعالي : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ [٣] . وقوله تعالي : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ [٤] . وقوله تعالي : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾[٥]. وقوله تعالي : ﴿ وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ [٦]. وقوله تعالي : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ [٧] . وقوله تعالي : تعالي : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾[٨] . وقوله تعالي : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ [٩] .

و قوله تعالي : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ [١٠] . وقوله تعالي : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ [١١] . وقوله تعالي : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَايَسْطُرُونَ ﴾ [١٢] . وقوله تعالي : ﴿ وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ [١٣] . وقوله تعالي : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ

---

(١) سورة الصافات – آية ١-٣

(٢) سورة التين – آية ١-٣

(٣) سورة الضحي – آية ١-٢

(٤) سورة الليل – آية ١-٢

(٥) سورة الشمس – آية ١-٧

(٦) سورة الطارق – آية ١١-١٢

(٧) سورة الذاريات – آية ٧

(٨) سورة البروج – آية ١-٣

(٩) سورة الطارق – آية ١

(١٠) سورة النجم – آية ١

(١١) سورة الفجر – آية ١-٥

(١٢) سورة القلم – آية ١

(١٣) سورة الطور – آية ١-٦

الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [1] .وقوله تعالي : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ [2] . وقوله تعالي : ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [3] . وقوله تعالي : ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [4] وقوله تعالي :﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ ﴾ [5] . وقوله تعالي : ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ [6]. وقوله وقوله تعالي : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [7] .

الحلف بالمخلوق شرك عندهم ... والله نعم المقتدي للمقتدي
فالله في القرآن صرح مقسما ... بالخلق في قسم له متعدد
بالتين والزيتون والبلد الأمين ... وبالضحي الضاحي وليل أربد
والعاديات النازعات الناشطات ... السابحات السابقات لقصد
بالفجر أقسم والليالي العشر والشفع ... الذي بالوتر أصبح يبتدي
والمصطفي وأبيك قال بمورود ... وأبيه أيضا قالها في مورد
وكذا ببيت الله أقسم عمه ... فأقر وهو بمسمع وبمشهد

يقول ثالث الأثافي ابن عبد الوهاب : إن صدور هذا الحلف من الله تعالي لا يستلزم صدوره منا فهو لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

و للرد علي ذلك نقول :

---

(١) سورة القيامة – آية ١-٢
(٢) سورة البلد – آية ١-٣
(٣) سورة الواقعة – آية ٧٥-٧٦
(٤) سورة التكوير – آية ١٥ – ١٨
(٥) سورة الحاقة – آية ٣٨-٣٩
(٦) سورة الحجر – آية ٧٢
(٧) سورة الانشقاق – آية ١٦-١٨

١- إن صدور هذا الحلف من الله يدل علي أنه لا قبح فيه ؛ لأنه تعالي منزه عن فعل القبيح ، فلا يكون صدوره منا قبيحًا .

٢- وإذا كان الله تعالي قد جعل لنفسه شريكًا علي حد زعم الوهابية ، لأنه سبحانه وتعالي أقسم بغير الله في الآيات السابقة – تعالي الله عن ذلك علوًا كبيرًا – فما علي من اقتدي به من المخلوقات في ذلك بأس سيرًا علي المفاهيم الوهابية ؟! .

أما قول القسطلاني في إرشاد الساري ص ٣٥٨ ج٩ : ((لله تعالي أن يقسم بما يشاء من خلقه)) ليعجب به المخلوقين ويعرفهم قدرته لعظيم شأنها عندهم لدلالاتها علي خالقها واما المخلوق فلا يقسم إلا بالخالق .

وللرد علي ذلك نقول إن ما يقبح من العبد لكونه شركًا أصغر وتشبيهًا للخلق في العظمة به تعالي ، لا يمكن ان يحسن منه تعالي إذ صدوره منه تعالي لا يخرجه عن تلك الصفة إن كانت .

بـ الحلف بغير الله من النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فعلاً فما رواه مسلم في صحيحة ص ٤١٩ ج٤:

﴿ إنه جاء رجل إلي النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال : يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرًا ، فقال: أما وأبيك لتنبأنه أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشي الفقر وتأمل البقاء ﴾ [(١)] .

وروي مسلم أيضًا في كتب الإيمان ص٢٢٤-٢٢٧ بهامش إرشاد الساري : ﴿ أنه جاء رجل إلي رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ من أهل نجد يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام شهر رمضان والزكاة ومع كل واحدة يقول : هل علي غيرها؟ وهو ﴿ ﷺ وآله﴾ يقول : لا إلا أن تطوع ، فأدبر الرجل وهو يقول :

(١) رواه البخاري في كتاب الوصايا الباب ٧ ومسلم في كتاب الزكاة الحديث ٩٢ وأبو داود في كتاب الوصايا الباب الثالث والنسائي في كتاب الزكاة الباب ٦٠ وابن ماجة في كتاب الوصايا الباب الرابع وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٣١، ٢٥٠١، ٤١٥ ، ٤٤٧ .

والله لا أزيد علي هذا ولا أنقص منه ، فقال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : أفلح وأبيه إن صدق ، أو دخل الجنة وأبيه إن صدق ﴾ [1] .

وقد ثبت في لفظ أبي بكر الصديق في قصة السارق الذي سرق علي ابنته فقال:﴿وأبيك ما ليلك بليل سارق)) [2] . وأن العرب تقصد به القسم وإلا كان إتيانه عبثًا وهذرًا سمع ذلك رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ولم ينكره .

جـ الحلف بغير الله من العلماء والتابعين وجميع المسلمين :

فقد سمعت قول ابي بكر : وأبيك ماليلك بليل سارق ، ووقع الحلف من الكل : بلفظ لعمري أو لعمر أبيك ونحو ذلك في الشعر والنثر بكثرة لا يمكن معها ضبطها ، وهو قسم باتفاق أهل اللغة ، وحلف بالعمر يفتح العين وهو الحياة أوالدين كما نشره أهل اللغة ((وأبيك)) فاه بها أبو بكر ، ومن قالوا : لعمرك ، جمعهم لم يعدد بل جعله النحويون نصًا في القسم قال ابن مالك في ألفيته .

وبعد لولا غالبًا حذف بالخبر حتم وفي نص يمين ذا استقر

وقال ابنه : في الشرح الثاني خبر المبتدأ الصريح في القسم نحو لعمرك لأفعلن ، وكذا ذكر ابن هشام في كتبه ، وغيرهم من النحويين : ففي كتاب سيدنا علي لمعاوية : ((لعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان)) . وفي كتاب آخر لسيدنا علي لمعاوية : ((فلعمري لو كنت الباغي لكان لك أن تخوفني))

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان الباب الثالث وكتاب الصوم الباب الأول و كتاب الشهادات الباب ٢٦ وكتاب الحيل الباب الثالث ومسلم في كتاب الإيمان الحديث ٨ ، ٩ وأبو داود في كتاب الصلاة الباب الأول والنسائي في كتاب الصلاة الباب الرابع وكتاب الصيام الباب الأول وكتاب الإيمان الباب ٢٣ والدارمي في كتاب الصلاة الباب ٢٠٨ والموطأ في كتاب السفر الحديث ٩٤

(٢) رواه مالك في الموطأ في كتاب الحدود الحديث ٣٠

و لسيدنا الحسين عليه السلام

لعمرك أنني لأحب دارا تحل بها سكينة والرباب

وقال سيدنا علي بن الحسين الأكبر يوم كربلاء :

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولي بالنبي

وفيما رواه أحمد بن حنبل في مسنده أن عائشة قال لها مسروق : سألتك بصاحب هذا القبر ما الذي سمعت من رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ في حق الخوارج ؟ قالت : سمعته يقول : ﴿ إنهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم عند الله وسيلة ﴾ .

فإن قول مسروق : سألتك بصاحب هذا القبر بمترلة قوله أقسمت عليك به ولا فرق بين أن يقول القائل أقسم بفلان وأقسم عليك بفلان .وأقربهم عند الله وسيلة من أدلة جواز التوسل .

ويقول مسروق :

سألتك بالذي في القبر إقناع لكل مفند

وصرح الخطيب الشربيني الشافعي في الإقناع بأن اليمين بالمخلوق مكروه ومثله عن شرح المنهاج ، وأفتي أحمد بن حنبل – الذي ينسب الوهابية انفسهم إليه – بجواز الحلف بالنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وأنه ينعقد لأنه أحد ركني الشهادة .

فهذا الذي يقول الوهابية أهم علي مذهبة . وأحمد الأئمة الأربعة قائلون بجواز الحلف بالنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بل وغيره من المخلوقات لكنه مكروه ، إنما الخلاف في انعقاد الحلف بالنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ولزوم الكفارة بالحنث .

القسم بالنبي﴿ ﷺ وآله﴾ كما أورده ابن تيمية :

وذكر أيضًا أن للإمام احمد روايتين في القسم بالنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ،إحداهما أنه لا تنعقد به اليمين .والثانية تنعقد به اليمين . واختار ذالك طائفة من أصحابه كالقاضي وأصحابه وابن المنذر وعدي ابن عقيل هذا الحكم إلي سائر الأنبياء . فالإمام أحمد لم يقتصر علي التوسل به بل كان هو وكثير من اصحابه يرون أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ تنعقد به اليمين أي أن من حلف بالرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ ثم حنث تلزمه الكفارة .

رجل يقسم لابن عباس بحرمة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

ومما يمكن الاستدلال به لرأي الإمام في جواز اليمين برسول الله ﴿ ﷺ وآلـه﴾ مـا رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه كان معتكفًا في مسجد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس . فقال له ابـن عباس : يا فلان أراك مكتئبًا حزينًا . قال : نعم يا بن عم رسول الله . لفلان علي حق ولاء . وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه . قال ابن عباس : أفلا أكلمه فيـك ؟ فقـال : أحببت ، قال فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد . فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ؟ قال : لا ولكن سمعت صاحب هذا القبر ﴿ ﷺ وآله﴾ والعهد به قريب فدمعت عينـاه وهو يقول : ﴿ من مشي في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرًا له من اعتكاف عشر سنين . و من اعتكف يومًا ابتغاء وجه الله تعالي جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بـين الخافقين ﴾ (١) .

فإن الرجل أقسم بحرمة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فلم ينكر ابن عباس رضي الله عنـهما ولم ينهه عن ذلك . بل قام معه وأسعفه بجاهه واعتبره أخا له . ولو كان يري أنه ارتكب حرامًا لما تركه عليه .

القرطبي يصرح بجواز القسم بحياته ﴿ ﷺ وآله﴾ :

وقال العلامة القسطلاني في المواهب اللدنية في المقصد السادس في الفصل الخامس في الكلام علي قوله تعالي : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (٢) ، قال القرطبي : وإذا أقسم الله بحياة نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ فإنما أردا بيان التصريح لنا أنه يجوز أن نحلف بحياته .

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٢٠٢/١ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٢٩٢/٦ والمتقي الهندي في كنز العمال ٢٤٠/٩ والمنذري في الترغيب والترهيب ١٤٩/٢

(٢) سور الحج – آية ٧٢

الإمام أحمد يبين أن اليمين تنعقد بالنبي ﴿ﷺ وآله﴾ :

وقد قال الإمام أحمد : إنه تنعقد به اليمين واحتج بكونه ﴿ﷺ وآله﴾ أحد ركني الشهادة قال ابن خويز منداد : واستدل من جواز الحلف به حتي أن أهل المدينة إلي يومنا هذا إذا جاء أحدهم صاحبه قال له : احلف بحق صاحب هذا القبر وبحق ساكن هذا القبر يعني النبي ﴿ﷺ وآله﴾ .

وخلاصة القول : إن الحلف بالله تعالي له أحكام خاصة لا تترتب علي غيره : كفصل الخصومات به وترتيب الأئمة ، والكفارة علي مخالفته .

ومذهب أئمة اهل البيت عليهم السلام : جواز الحلف بغير الله تعالي ، عدا البراءة فيحرم الحلف بها ، ولكنه لا ينعقد بغير الله تعالي ، ولا تسقط به الدعوي .

أما قول الصنعاني : إنه إذا حلف من عليه حق باسم الله لم يقبل منه ، وإذا حلف باسم ولي قبلوه وصدقوه . فالرد عليه أن هذا الحلف إنما يصدر من عوام الناس وجهالهم أمثال الشرذمة النجدية . أما أهل المعرفة من السادة الصوفية فهم براء منه

فهل تستحل دماء المسلمين وأموالهم لأمر يصدر من بعض الجهال ، مع كونه أيضًا لا يوجب شركًا و لا كفرًا وإن كان خطأ ؟.

الباب الرابع

عصمة الأنبياء

الفصل الأول

شرف نسب النبي (ﷺ وآله)

الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ تنقل من الأصلاب الطيبة إلي الأرحام الطاهرة مصفي لا تتشعب شعبتان إلا كان ﴿ ﷺ وآله﴾ في خيرهما

الحكم علي أبويه ﴿ ﷺ وآله﴾ ليس من عقائد الإسلام :

اعتقد ثالوث التكفير أن كل ما فيه إجلاله ﴿ ﷺ وآله﴾ من قول أو فعل ، فهو شرك وعبادة له ، من قائله ومن فاعله ، فسجلوا علي أنفسهم للعالم الإسلامي أنهم موتورون منه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، يسوؤهم ما فيه توقيره ويسرهم ما فيه انتهاك حرمته ﴿ ﷺ وآله﴾ .

والحكم علي أبويه ﴿ ﷺ وآله﴾ بأنهما ماتا . . ليس من العقائد التي تجب علي المسلم ، فلو مات قرني جاهلاً مصير أبويه ﴿ ﷺ وآله﴾ لم يسأله الله تعالي عنهما ، ولو مات قرني معتقدًا نجاة أبويه ﴿ ﷺ وآله﴾ وهما في الواقع . . . لا يؤاخذه الله تعالي علي خطئه في هذا الاعتقاد فهو غير خاسر علي كلا الأمرين ولو مات معتقدًا كفرهما وهما في الواقع مسلمان كان خاسرًا . وقد جري حوار بين عمر بن عبد العزيز وبين أصحاب شوذب الخارجي في مسألة قريبة الشبه بموضوع هذا الباب .

الخارجي : إن قرابتك من بني أمية الذين ظلموا الناس تجعلك تلعنهم فلم لا تلعنهم وتتبرأ منهم ؟

عمر بن عبد العزيز : متي – عمرك – يلعن إبليس ويتبرأ منه ؟

الخارجي : لا أذكر ذلك .

عمر بن عبد العزيز : إذا كان إبليس شر خلق الله لم يوجب الله لعنه عليك فلم تلعنه وتتبرأ منه ، فكيف ألعن وأتبرأ أنا من قرابتي وهم مسملون ؟! .

نهيه ﴿ ﷺ وآله﴾ عن سب الأموات وتتبع عثراتهم :

وقد نهي الله تعالي عن سب الأموات في الحديث الذي أخرجه الأئمة أحمد والبخاري والنسائي عن عائشة–عليها السلام – أنه﴿ ﷺ وآله﴾ قال :﴿ لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلي ما قدموا ﴾ [(١)].

وفي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده والترمذي عن المغيرة بإسناد حسن أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ قال: ﴿ لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء ﴾ [(٢)] . لم يكتف ثالوث التكفير في اعتقادهم . . أبويه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، بل طبعوا رسالة أسندوها لملا علي القارئ في . . أبويه ﴿ ﷺ وآله﴾ وكأن رأي ملا علي القارئ– الشاذ عن جماعة المسلمين– عندهم هو منزل من عند الله ، وكأن إيمان المسلم عندهم لا يتم إلا بطبع هذه الرسالة ولا يتم إلا بالتشنيع والتشهير به ﴿ ﷺ وآله﴾ بأن أبويه . . . . وقد رد الشيخ مصطفي الحمامي في كتابه ﴿ النهضة الإصلاحية ﴾علي ملا علي القارئ في نسبته عدم نجاة أبويه ﴿ ﷺ وآله﴾ إلي الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة ، وقد منعت الوهابية دخول هذا الكتاب إلي المملكة . وقد جرى حوار بين قاضي الوهابية والشيخ مصطفي الحمامي رأينا أن نسجله :

مصطفي الحمامي : لم منعتم كتابي ﴿ النهضة الإصلاحية ﴾ وما فيه إلا الإصلاح ؟

قاضي الوهابية : ما مذهبك ؟

مصطفي الحمامي : حنفي

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز الباب ٩٧ وكتاب الرقاق الباب ٤٢ والنسائي في كتاب الجنائز الباب ٥٢ والدارمي في كتاب السير الباب ٦٧ وأحمد في الجزء السادس صفحة ١٨٠ .

(٢) رواه الترمذي في كتاب البر الباب ٥١ والنسائي في كتاب القسامة الباب ٢٣ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٣٠٠ والجزء الرابع صفحة ٢٥٢ .

قاضي الوهابية : هذا ملا علي القارئ ألف رسالة في عدم نجاة أبويه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وذكر أن ذلك موجود في الفقه الأكبر لإمامكم أبي حنيفة .

مصطفي الحمامي : ملا علي القارئ ليس بمعصوم من الخطأ ، وهذه مسأله ليست من عقائد الدين الواجبة علي المسلم ، وليست موجودة في الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة ونسبة هذا إلي الإمام أبي حنيفة غير صحيح ، وكأنكم سجلتم علي أنفسكم للعالم الإسلامي– بطبعكم هذه الرسالة – عداوتكم لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ .

قاضي الوهابية : ما تقولون في : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [1]؟

مصطفي الحمامي : أقول كما قال إمام دار الهجرة : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، ولا أزيد علي هذا .

قاض الوهابية : هلي استوي بذاته ؟ .

مصطفي الحمامي : إن ثبت هذه اللفظة عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فأنا أقولها . وإن ثبت عن ابن تيمية فأنا أضرب بها عرض الحائط .

ولكن متأخري المذهب الحنفي قرروا أن ملا علي القارئ رجع عن كل ماقاله عن أبوي النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ واستغفر وأناب .

كتاب السيف المسلول علي شاتم الرسول لابن تيمية :

لابن تيمية كتاب سماه [السيف المسلول علي شاتم الرسول] وهو لون من الطعن الخفي في سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فمن شتم الرسول سواه ؟ حتي يسل عليه السيف . فأهل القبلة جميعًا ليس فيهم واحد أصلاً شتم الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ ، لأن أهل القبلة يعلمون أن الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ معصوم ، أما ابن تيمية وابن القيم وثالث الأثافي ابن عبد الوهاب هم الشاتمون للرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ بقولهم أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ غير معصوم إلا لحظة الوحي فقط ، وهم المانعون زيارة روضته﴿ ﷺ وآله﴾ وشد الرحال إليها ، ويحرمون قصر الصلاة في سفرها ، ويمنعون التوسل والشفاعة بجاهه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، ويمنعون السيادة له في الآذان والتشهد . فتحقق بهذا أن ابن تيمية وذيوله هم الذين يشتمون الرسول وما محاولة سل

(١) سورة طه – آية ٥

السيف التي يجعجع بها ابن تيمية إلا ذر للرماد . وهيهات لابن تيمية أن يسل سيفه فإن سل السيف منه محال .

مسالك الحنفاء في نجاة والدي المصطفي :

قال العلامة السيوطي في رسالة ﴿ مسالك الحنفاء في نجاة والدي المصطفي ﴾ ما نصه : وسئل القاضي الكاف أبو بكر العربي عن رجل قال : إن آباء النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ في النار فأجاب بأن من قال ذلك فهو ملعون بقوله تعالي : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ [1] ، قال : ولا أذي أعظم من أن يقال عن أبويه أنهما في النار .

نهيه ﴿ ﷺ وآله﴾ عن تتبع عثرات المسلمين :

وتحسين الظن بالمسلم واجب له علي أخيه المسلم ، فمثلاً أمره﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ اذكروا محاسن مواتكم وكفوا عن مساوئهم ﴾ [2] متجنبًا نهيه ﴿ ﷺ وآله﴾ عن تتبع عثرات المسلمين . وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عنه ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه قال : ﴿ من تتبع عثرات المسلمين تتبع الله عثرته ومن تتبع الله عثرته يفضحه ولو في جوف بيته ﴾[3] متجنبًا تكفير أهل القبلة ، عالمًا أن تكفيرهم شنته الخوارج .

فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : ﴿ إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما﴾ [4] متجنبًا الطعن في أنساب الناس ، فقد أخرج الإمامان أحمد في مسنده ومسلم قي صحيحه عن أبي هريرة عنه ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه قال : ﴿ اثنتان من الناس هما بهما كفر ، الطعن في الأنساب ،

---

(١) سورة الأحزاب – آية ٥٧

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب الباب ٤٢ والترمذي في كتاب الجنائز الباب ٣٤ .

(٣) رواه السيوطي في الدر المنثور ٩٣/٦ والبغوي في تفسيره ٢٨٨/٦ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥٣٤/٧ .

(٤) رواه البخاري في كتاب الأدب الباب ٧٣ ومسلم في كتاب الإيمان الباب ١١١ والموطأ في كتاب الكلام الحديث رقم ١ واحمد في الجزء الثاني صفحة ١٨ ، ٤٤ ، ٦٠ ، ٧٧ ، ١٠٥، ١١٣ .

والنياحة علي الميت ﴾ [1] صحيح ، وأخرج مسلم في صحيحة عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ أربعة في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن : الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة ﴾ [2] حسن .

وأخرج الإمام البخاري في التاريخ والطبراني عن جنادة بن مالك قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ ثلاثة من فعل أهل الجاهلية لا يدعهن أهل الإسلام : استسقاء بالكواكب ، وطعن في النسب ، والنياحة علي الميت ﴾ [3] وأخرج الحاكم عن ابي هريرة عنه ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه قال : ﴿ ثلاثة من الكفر بالله شق الجيب ، والنياحة ، والطعن في النسب ﴾[4] .

أهل البيت النبوى أهل التطهير :

جاء في الدر المنثور عن أم سلمة بلفظ : نزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ في بيت أم سلمة فدعا النبي﴿ ﷺ وآله﴾ فاطمة وحسنًا وحسينًا وعلي خلف ظهره فجللهم بكساء ثم قال : ﴿ اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فقالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ، قال : أنت علي مكانك وأنتعلي خير ﴾ [5] .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان الحديث رقم ١٢١

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الانصار الباب ٢٧ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٣٧٧ ، ٤٣١ ، ٤٤ ، ٤٩٦ ،٥٢٦ والجزء الخامس صفحة ٣٤٢ ، ٣٤٤

(٣) رواه أحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٦٢ والطبراني في المعجم الكبير ٣١٧/٢ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٣٧٨٣

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ٣٨٣/١ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٣٧٨٤ والهيثمي في موارد الظمآن ٥٧ .

(٥) رواه الترمذي في كتاب المناقب الباب ٦٠ وابن كثير في البداية والنهاية ٣٥/٨ والطبراني في المعجم الكبير ٤٧/٣ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ١١/٩ واحمد في الجزء الرابع صفحة ١٠٧ والجزء السادس صفحة ٢٩٢ ، ٣٠٤ والبيهقي في السنن الكبرى ١٥٢/٢ والحاكم في المستدرك ٤١٦/٢ ، ١٤٧/٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٩٨/٥ والهيثمي في موارد الظمآن ٢٢٤٥ والبخاري في التاريخ الكبير ٧٠/٢ وابن حجر في فتح الباري ٧٤/٧ ، ١٣٨ وابن كثير في تفسيره ٤٠٨/٦ والطبري في تفسيره ٦/٢٢ والتبريزي في مشكاة المصابيح

توقير وتعظيم أبوي النبي ﴿ﷺ وآله﴾ :

اعلم– وقانا الله وإياك من سوء الاعتقاد – أنه ينبغي للمسلم أن يلحق أبوي النبي ﴿ﷺ وآله﴾ بآله الكرام وأصحابه رضي الله عنهم ، وأن يعظمهما ويوقرهما إعظامًا وتوقيرًا لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وحبًا وإكبارًا لما كان منه ﴿ﷺ وآله﴾ بسبب ما . وقد ورد حديث أنه تعالي أحيي الأبوين فآمنا بالنبي ﴿ﷺ وآله﴾ وقد ذكره جماعة من الحفاظ وقالوا : إنه حديث ضعيف لا موضوع ، ولخص الحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقي أمر هذا الحديث بالأبيات التالية:

حبا الله النبي مزيد فضل   علي فضل وكان به رءوفا
فاحيا أمه وكذا أباه   لإيمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير   وإن كان الحديث به ضعيفا

والمزية من إحيائهما رضي الله عنهما هي أن يدخلا في جملة أصحابه ﴿ﷺ وآله﴾ وعداد أمته الشريفة وألا فإنهما قد وردت أحاديث كثيرة تدل علي أنهما كانا مؤمنين بما لا مجال معه للشك . فقد وردت الأحاديث بأن النبي ﴿ﷺ وآله﴾ خرج من نكاح ولم يخرج من سفاح ، وأنه من أصلاب الطاهرين وأرحام الطاهرات وأنه خيرنا نفسًا ، وخيرنا أمًا ، وقد قال الله تعالي : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ (١) فامتنع أن يكون آباؤه وأجداده مشركين ، وفي أحاديث أخري صحيحة أن كل أصل من أصول آبائه﴿ﷺ وآله﴾ هو خير قرنه وأفضلهم ، ولا أحد من قرنه ذلك أفضل منه ولا خير ، ودلت أحاديث أخرى وآثار علي أنه لم تخل الأرض من عهد نوح أو آدم إلي بعثته ﴿ﷺ وآله﴾ من أناس علي الفطرة يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له ، وبهم تحفظ الأرض ولولاهم لهلكت الأرض ومن عليها.

٦١٢٦/٤ والقاضي عياض في الشفا ١٠٦/٢ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٢٠٧/٤ والنسائي في تهذيب خصائص سيدنا عليه السلام ٩

(١) سورة التوبة – آية ٢٨

فإذا قرنت بين هذه الأحاديث خرجت بالنتيجة العظيمة أن آباءه ﴿ ﷺ وآله﴾ لم يكن منهم مشرك ، لأنهم كانوا خير قرنهم ، وقرنهم ثبت أنه كان دائمًا فيه ناس مسلمون صـــالحون ، فلا يمكن أن يكون مشرك خيرًا منهم وإلا لكان المشرك خيرًا من المسلم وذلك محال .

الأحاديث الواردة في فضل الآباء الكرام :

من الأحاديث الواردة في فضل الآباء الكرام :

١- ما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ بعثت من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا ، حتي كنت من القرن الذي كنت منه ﴾ [(١)] .

٢- ما رواه البيهقي وابن عساكر من طريق مالك بن الزهري عن أنـــس أن الـــنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قال: ﴿ ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما ، فأخرجت من بين أبـــوي فلم يصبني شئ من عهد الجاهلية ، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لـــدن آدم حتي انتهيت إلي أبي وأمي فأنا خيركم نفسًا وخيركم أمًا ﴾ [(٢)] .

٣- ما رواه أبو نعيم في دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قـــال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلي الأرحام الطـــاهرة مصفي ومهذبًا ، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما ﴾ [(٣)] .

٤- ما رواه البزار والطبراني عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّـــاجِدِينَ ﴾ [(٤)] . قال :﴿ من صلب نبي إلي صلب نبي حتي صرت نبيًا ﴾ [(٥)] .

٥- ما رواه البزار والطبراني وأبو نعيم عن ابن عباس بلفظ ﴿ مازال النبي ﷺ وآله يتقلب في أصلاب الأنبياء حتي ولدته أمه ﴾ [(٦)] .

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب الباب ٢٣

(٢) أورده السيوطي في الحاوي للفتاوي ٣٦٨/٢ والدر المنثور ٢٩٤/٣ والخصـائص ٩٥/١ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٢٧٩/١

(٣) أورده السيوطي في الحاوي للفتاوي ٣٦٨/٢ والدر المنثور ٢٩٤/٣ ، ٩٨/٥

(٤) سورة الشعراء – آية ٢١٩

(٥) اورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٦/٧ .

(٦) أورده السيوطي في الخصائص ١ / ٩٤ .

٦- وأما الأحاديث الدالة علي وجود ناس مؤمنين في كل عصر فمنها ما رواه عبد الرزاق في المصنف عن معمر عن ابن جريج قال ابن المسيب : قال علي بن ابي طالب عليه السلام : لم يزل علي وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمين فصاعدا ، فلولا ذلك لهلكت الأرض ومن عليها .

٧- وأخرج الإمام أحمد في الزهد في كتاب كرامات الأولياء صحيح علي شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿ ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله تعالى بهم عن أهل الأرض ﴾ ذكر ذلك كله الحافظ السيوطي في رسائله في تحقيق نجاة أبوي المصطفي ﴿ ﷺ وآله﴾ ص٣١ وما بعدها وذكر أيضًا العلامة الحافظ محمد حبيب الله الشنيطي في كتابه فتح النعم ج٢ص٦

قال السيوطي : ومثل هذا لايقال من قبل الرأي فله حكم الرفع ، والآثار في هذا المعني كثيرة فمن أرادها فلينظرها في رسائل السيوطي .

الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام والنسب النبوي الشريف

يري الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام أن الله طهر آباءه وأمهاته ﴿ ﷺ وآله﴾ من لدن آدم إلي أبويه وذلك في كتاب ﴿ بشائر الأخيار في مولد المختار﴾ ﴿ ﷺ وآله﴾ طبعة ١٣٤٠ هـ الموافق ١٩٢١ م ص ١١ والذي ننقل منه نسبه الشريف :

تحققت عناية الله تعالي ، من البدء إلي النهاية بمراده المحبوب ، وفرده المطلوب فصاغ جوهر نفسه﴿ ﷺ وآله﴾ من نوره المنسوب إليه ، وأقامه في مقام المواجهة ، وأقبل سبحانه عليه ، فكان ﴿ ﷺ وآله﴾ ولا وجود لروح ملك ، بل ولا محيط ولا فلك ، مواجهًا بأنوار العزة والجبروت . مجملاً بجنانة منازلة النعموت . كما قال ﴿ ﷺ وآله﴾ لجابر ، جوابًا علي سؤاله المتواتر : ﴿ خلق نور نبيك من نوره يا جابر ﴾ .

لذلك اقتضت حكمته العلية انتقاله ﴿ ﷺ وآله﴾ لكمال الخصوصية ، من ظهور الأفراد إلي البطون المصونة النقية ، فكان ﴿ ﷺ وآله﴾ في ظهور آدم حقيقة الأنوار ، ثم تنقل ﴿ ﷺ وآله﴾ إلي أئمة الأخيار، السادة الأطهار ، حتي أبرزه الله شمسا أضاءت الآفاق ، فأظهرت أنوار الخلاق .

فهو ﴿ ﷺ وآله﴾ سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ رسول الله ، ابن كـــنز هـــذه الدرة اليتيمة الذبيح عبد الله ، ابن شيبة الحمد عبد المطلب الذي حفر زمزم ومولاه والاه ، ابن هاشم الذي هشم الثريد لزوار بيت الله ، ابن قمر البطحاء عبد مناف الـــذي نطـــق بالحكمة واقتدي العرب بهداه ، ابن قصي الذي بعد مع أمه والله أرجعه إلي الحرم وفيه رقَّاه ، ابن حكيم وسمي بكلاب لأنه كان فارس الحرم يحمي حماه ، ويصطاد بالكلاب ليطعم من داناه ، ابن مرة الذي قهر بالحكمة من عاداه ، ابن كعب الذي جمع الله به قلوب العرب في يوم العروبة من كل أسبوع ليذكرهم ببعثة رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ وهو الذي سمـــي يـــوم العروبة بيوم الجمعة ليجمع العرب للدعاء والمناجاة ، وبشر بأن النبي ﴿ ﷺ وآلـــه﴾ مـــن ولده وبأنه خاتم رسل الله ، وكان ينشد بعد حث العرب علي اتباعه والإيمان به :

ياليتني شاهدت فحواء دعوته	حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

ابن لؤي بن غالب بن فهر وسمي قريشًا لأنه كان يبحث عن المحتاج فيعطيه منـــاه ، وإليـــه تنسب قريش لأنه قرش المحتاجين ووسعهم بنعماه ، ابن مالك لأنه ملك الحرم وما حـــواه ، ابن النضر واسمه قيس بن كنانة وهو الذي جمع قريشًا بحكمه وجدواه ، ابن خزيمة ، ابـــن مدركه ، ابن إلياس ، وإلياس أول من أهدي البدن للبيت فاستنت العرب بهداه ، وسمع في صلبه تلبية النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بالحج سامعًا دعاه ، ابن مضر بن نزار ، وسمي نزارًا لشهود نور النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بين عينيه فشكر أبوه الله ، وأطعم العرب وقال : (هذا الطعام نزار – أي قليل – في جانب ما منحنا الله) ابن معد ، ابن عدنان وإليه انتهي عقـــد النســـب الشريف شرعًا وما تعداه .

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ كان إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ، وصاحب مسند الفردوس رواه ، وينتهي نسبه الشريف إلي سيدنا إسماعيل الذبيح حقًا وغير هذا القول لا نرضاه .

عقـــد مجـــد وســـؤدد وفخـــار	كوكـــب العقـــد حضـــرة المختـــار
كـــان نـــورًا في وجـــه آدم بـــدءًا	ثم منـــــه للســـــادة الأخيـــــار
مـــن لـــدن آدم إلي يـــوم عيســـي	وهـــو شمـــس ومصـــدر الأنـــوار
مـــن نـــبي إلي رســـول كـــريم	أو وفي مـــــن صـــــفوة الأطهـــــار

شمســه قــد تلــوح في كــل عصــر مـــن لـــدن آدم إلي الإظهـــار
أشـــرقت ســـيدي بغـــير غـــروب نـــور كشــف أو نورهـــا الإســـفاري
مـــن أب ماجـــد لجـــد كـــريم أصـــلك النـــور مـــن علـــي بـــاري
يـــا ضـــياء أشـــرقت بـــدأ مشـــيرًا للجمـــال العلـــي نـــورك ســـاري
نظـــرة الـــود يـــاحبيبي لمضـــني بـــالكرام الأجـــداد أهـــل الفخـــار
أنـــت شمـــس للرســـل منـــك تحلـــوا بالأيـــادي في محكـــم الأســـفار
منـــك نـــالوا فخـــارهم يـــاحبيبي أســـعد الصـــب بـــالطهور المـــدار

شبهات وأباطيل حول عدم نجاة أبويه ﴿ ﷺ وآله﴾ :

وكل ما يملكه ثالوث التكفير القائلون بكفر أبوي النبي وأنهما في النار مع المشـــركين هـــو زعمهم :

١- حديث مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ عندما زار قـــبر أمـــه قـــال : ﴿ استأذنت ربي تعالي أن أستغفر لها فلم يأذن لي فاستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي ﴾ .

٢- وحديث مسلم عن أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله أين أبي ؟ فقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : (إن أبي وأباك في النار) .

٣- قول ثالوث التكفير إن آية : ﴿ وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْـحَابِ الْجَحِـيمِ ﴾[1] نزلـت في خصوص أبويه﴿ ﷺ وآله﴾ .

الرد علي هذه الشبهات و والأباطيل بنجاة أبويه ﴿ ﷺ وآله﴾ :

أولاً : أما الحديث الأول فلا حجة فيه :

(١) سورة البقرة – آية ١١٩

أ- وقد أجاب العلماء بأن الاستغفار فرع المؤاخذة بالذنب ، ومن لم تبلغه دعوة نبي زمانه لا يؤاخذه علي ذنبه فلا حاجة للاستغفار له من ذنب لم يفعله ولم يؤاخذه الله عليه فيقع الاستغفار آنئذ لغوا ، وليس من شأن الأنبياء اللغو .

ب- وقد يكون عدم الإذن في الاستغفار لسبب آخر غير الكفر كما كان في أول الإسلام في شأن من عليه دين ولم يترك وفاء فكان ﴿ ﷺ وآله﴾ ممنوعًا من الصلاة عليه .

ج- إن الاستغفار وقتئذ كان مما يراد به مشرك أو منافق أو كافر ، ولم تكن أم الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ من أي من هذه الأصناف . فلو ترك الله رسوله يستغفر لها ، لعدها الناس منهم بحكم العرف ، وليس كذلك شأنها أعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان .

وهكذا لا يكون ثمة مقتضي للاستغفار لها وهي من أهل الجنة بإذن الله بهذه الأدلة فيكون الاستغفار لها لغوًا أو عبثًا ، ورسول الله متره عن الوقوع في اللغو أو العبث فافهم زادك الله أدبا وإيمانا .

٢- أما الحديث الثاني فقال السيوطي في رسائله ص٥٩ أن لفظة ((أبي وأباك)) لم يتفق علي ذكرها الرواة :

أ- وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ، وخالفه معمر عن ثابت عن أنس فلم يذكر اللفظة ولكن قال له : ﴿ إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار ﴾ وليس في هذه دلالة علي والده ﴿ ﷺ وآله﴾ بأمر البته . وهذا أثبت من حيث الرواية فإن معمرًا أثبت من حماد ، فإن حمادًا تكلم في حفظه ، ووقع في أحاديثه مناكير ذكروا أن ربيبه دسها في كتبه، وكان حماد لا يحفظ ، فحدث بها فوهم فيها ، ومن ثم لم يخرج له البخاري شيئًا ولا أخرج له مسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت ، وخرج له في الشواهد والمتبعات . أما معمر فلم يتكلم في حفظه ، ولا استنكر شئ في حديثه ، واتفق علي التخريج له الشيخان ، فكان لفظه أثبت .

ب- ثم وجدنا الحديث ورد عن سعد بن أبي وقاص بمثل لفظ معمر عن ثابت عن أنس ، فأخرج البزار والطبراني والبيهقي عن طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه : ((أن أعرابيًا قال لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : أين أبي ، قال : في النار ، قال فأين أبوك قال : حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار)) وهذا إسناد علي شرط الشيخين، فتعين

الاعتماد علي هذا اللفظ وتقديمه علي غيره ، وقد زاد الطبراني والبهيقي في آخره : قال : فأسلم الأعرابي بعد فقال : لقد كلفني رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ تعبا ، مامررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار .

ج- وقد أخرج ابن ماجة من طريق إبراهيم عن سعد عن الزهري عن سالم عن أبيه قال : جاء أعرابي إلي النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال : يا رسول الله إن أبي كان يصل الرحم وكان .... وكان .... فأين هو ؟ قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : في النار . قال فكأنه وجد ذلك فقال يا رسول الله فأين أبوك ؟ قال رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾: حينما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار ، فأسلم الأعرابي بعد .

فقال : كلفني رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ تعبا ، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار ، فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أن هذا اللفظ العام هو الذي صدر منه ﴿ ﷺ وآله﴾ ورآه الأعرابي بعد إسلامه أمرًا مقتضيا للامتثال فلم يتعبه إلا امتثاله ، ولو كان الجواب باللفظ الأول لم يكن فيه أمر بشئ البته ، فعلم أن اللفظ الأول من تصرف الراوي بالمعني علي حسب فهمه .

د- وللحديث طريق آخر بلفظ رواية معمر أزيد منه وضوحًا صرح فيه أن السائل أراد أن يسأل عن أبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ فعدل عن ذلك تأدبًا .

ثانيًا : الحديثان السابقان من أخبار الآحاد التى لا تفيد علميًا إلا الظن باتفاق جميع أهل الملة وكبار علماء الأمة من المحدثين والأصوليين والفقهاء وغيرهم والدليل الظني إذا عارضه دليل يقيني ، تعين أمرين :

١- إما القول بالنسخ .

٢- أو محاوله التوفيق بين الدليلين ، وإلا سقط الظن وفقد اعتباره بقيام الدليل اليقيني .

والحديثان معارضان بالقرآن المتواتر الذي لايفيد علما إلا اليقين القطعي الأكيد ، فإن أبوي النبي كانا من أهل الفترة فلم تبلغهما الرسالة ولم يبعث في عهدهما نبي والله تعالي يقول : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [(١)] . والآية محكمة من أمهات الكتاب فهي ناسخة أو

---

(١) سورة الإسراء آيه ١٥

مسقطة لما عارضها من أخبار الآحاد حتي ولو صحت نسبتها وهذا هو رأي القسطلاني والجمهور لقد كان أبواه ﴿ ﷺ وآله﴾ علي دين إبراهيم عليه السلام فلم يسجد أحد منهما لصنم، ولاشرب خمرًا ، ولا استحل أحد منهم الحنيفية .

أما قول ثالوث التكفير : ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن عبد الوهاب – أصحاب الشذوذ الفكري وأبواقهم في الأمة العربية أهل نفايات التعاليم والجهل والقشرية الفاضحة ، أصحاب التوقح علي سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ – للشهرة وتحصيل المال الحرام والمركز الدنيوي الفاني ؛ فهو محاولة استنقاص النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ تحت أي ستار : كمحاولة إغماده ﴿ ﷺ وآله﴾ في شخصه باسم البشرية ، وفي أبويه باسم حماية التوحيد ، أو في خصائصه ومعجزاته باسم الغلو ، كل ذلك بقية من حملات الزندقة والتبطن والقرمطة وميراث من الشعوبية والاستشراق والتغريب والتبشير ولعبة خطيرة من أقذر ألعاب الاستعمار اللئيم ..

ثالثًا – إن قوله تعالي : ﴿ وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾[1] . نزلت في كفار أهل الكتاب بدليل السياق الصريح ، فتكلف تخصيصه بأبوي النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ إنما هو غلو موروث ، أو انحراف فكري من ضعف الإيمان علي الأقل ، وسوء فهم لحقيقة النبوة ، وانعدام وازع الأدب والتسامي .

رابعًا : ليتأمل المسلم قوله تعالي : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [2] .كيف يرضي ﴿ ﷺ وآله﴾ بنعيم الجنة وأبوه وأمه في النار ؟! وأنه لا يسلم لهذا عقل ولا قلب ولا ضمير .

وقال العلامة السحيمي في شرحه علي ((عبد السلام)) أنه يجب اعتقاد أن جميع آباء الأنبياء وأمهاتهم مؤمنون ، وأنهم في الجنة مخلدون . قال : وهذا هو الذي نعتقده ونلقي الله عليه ، وهو ما أجمعت عليه الجماهير المؤمنة المؤدبة وتلقته جماهير سادة الأمة بالقبول ، أما الشذوذ عن ذلك فمرض نفسي ، وغل شخصي ، وعُقد وأزمات داخلية مدسوسة علي العلم والأدب .

---

(١) سورة البقرة – آية ١١٩

(٢) سورة الضحي – آية ٥

وذكر أبو نعيم في الحلية : أن عمر بن عبد العزيز غضب علي كاتبه وعزلــه مــن جميــع دواوينه ، لأنه سمع ما هو من هذا الباب .

ومن أدلة هؤلاء الأئمة ما رواه الطبراني من أن عكرمة بن أبي جهل اشتكي لرســول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أن الناس يسبون أباه ((أبا جهل)) فقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ لا تؤذوا الأحيــاء بسبب الأموات ﴾ [1] ويؤيده الحديث المشهور : ﴿ ما بال قوم يؤذونني في أهل بيتي ﴾ [2] فإذا كان الإسلام يوجب الأدب مع عكرمة في أبيه المتفق علي كفره وشركه . فلا شك أن أبوي النبي أحق بهذا الأدب ، ولم يثبت منهما ما ثبت في أبي جهل من شرك وكفر صريح ، ثم إن رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ أولي بهذا الأدب وهو ﴿ ﷺ وآله﴾ في قبره حي يرزق عنــد ربه .

وفي المنهل جاءت بنت أبي لهب تشكو إليه ﴿ ﷺ وآله﴾ أن بعض الناس ينادونهــا بابنــة ﴿ حمالة الحطب﴾ فقال ﴿ ﷺ وآله﴾ وهو مغضب شديد الغضب فقال ﴿ ما بال أقــوام يؤذوني في نسبي وذوي رحمي ، إن من آذي نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ومن آذاني فقــد آذي
الله عز وجل ﴾ [3] .

وعليه كان بعض أئمة السادة الأحناف يكرهون قراءة سورة " المسد " في الصلاة تحاشــيًا وتحوطًا وأدبًا في حقه﴿ ﷺ وآله﴾ .

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البر الباب ٥١ والنسائي في كتاب القسامة الباب ٢٣ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٣٠٠ والجزء الرابع صفحة ٢٥٢ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٢٧٨٢

(٢) أوردهما ابن عدي في الكامل ٢٧١٧/٧ والهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٧/٨ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٩ / ٨٩ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١٠٢/٤

(٣) أوردهما ابن عدي في الكامل ٢٧١٧/٧ والهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٧/٨ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٩ / ٨٩ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١٠٢/٤

الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها :

ما أردت بكلمتي هذه إلا رجاء المشاركة في قطع دابر نذالة التوقح علي سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ باسم الدين والإصرار علي أذاه في روضته باسم الخوارج والسلفية والتيمية والوهابية ، والتمكين لأعداء دعوته منه ﴿ ﷺ وآله﴾ ومن دينه باسم نصرة السنة المظلومة ، والتمتع بغريزة الاستئساد علي الموتي باسم حماية التوحيد المفتري عليه ، وإشغال الأمة بالقشور والتوافه والسطحيات باسم تطبيق السنة الشريفة والدعوة إلي الله : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[1] .

ومع أن مسألة نجاة أبويه ليست من أمهات العقائد إلا أن الوهابية البترولية ودلاديلها وقباقبيها [2] في مصر والسودان وتونس والجزائر والمغرب تجعل الايمان بنجاة أبوي النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أو جده أو عمه أمرًا ملحقاً بالشرك ، تعصبًا وغلا علي المؤمنين وحقدًا دفينًا يزعمون أنه دين وتوحيد وسنة ، وإنما هو سياسة استعمارية همفرية يلجأ إليها علماء الدنيا الجهلاء بالآخرة ؛ لمزيد من الدولارات حتي يركبوا السيارات والطائرات ويقتنوا العمارات والفيلات أسوة بالممثلات والمغنيات والراقصات والفنانات ، ولكل وجهة هو موليها .

---

(١) سورة الكهف ــ آية ٥

(٢) القُبَاقِبُ : الكذاب ، الرجل الجافي ، الكثير الكلام

الفصل الثاني

عصمة النبي (ﷺ وآله)

فكرة تجريد النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ من العصمة إنما كانت فيما مضي من صناعة اليهود والنصاري ومن سار علي سيرهم من المستشرقين والمستعمرين والمبشرين ، ثم ورثهم في أيامنا هذه السلفيون واليتميون والوهابيون وأبواقهم . .

بيان في معني العصمة :

لقد كانت العصمة ولا تزال ، معركة لآراء الباحثين في العصور الإسلامية الأولي ، يوم كان رجال الحكم يريدون أن يشغلوا العلماء والمفكرين بمثل هذه المباحث ، لينصرفوا عن سوء تصرفاتهم .

كانت محلاً للجدال نفيًا وإثباتًا بالنسبة إلي الأنبياء ، وقبل أن نشير إلي الناحية التى كانت معركة لآراء الباحثين ، لابد لنا من التعرض لمعناها . ففي (شرح النهج للمعتزلي) ذهب جماعة إلي أنها عبارة عن وجود خاصية في نفس الإنسان تمنعه من الإقدام علي المعصية ، وآخرون إلي أنها عدم القدرة علي المعصية . ونقل قولاً ثالثًا ادعي عليه الأكثر من أهل النظر ، وحاصله أن المعصية تكون مع التمكن من الطاعة والمعصية ، وتحصل بعد قدرة العبد علي كلا الأمرين .

مقدمات العصمة :

أمور أربعة :

١- أن يكون الإنسان قوي الإرادة ، لا ينقاد مع شهواته وميوله النفسية ، وهو المراد بالملكة المانعة من الفجور ، الباعثة علي الطاعة .

٢- أن يكون الإنسان عالمًا بفوائد الطاعة ومضار المعصية .

٣- وجود البيان من الله سبحانه ووصوله إلي المكلف

٤- أن يحاسب علي الخطأ ولو كان نسيانًا أو سهوًا

فإذا اجتمعت مع هذه الأربعة ملكة تدعو الإنسان إلي الطاعة ، وعلم بمضار المعصية ومنافع الطاعة وبيان واصل إليه ، ومحاسبة علي الخطأ ولو كان عن سهو أو نسيان ، تحصل العصمة التى هي عبارة عن عدم المعصية ، فتكون هذه الأربعة مقدمات للعصمة .

مدي العصمة :

الأنبياء معصومون ، قبل البعثة وبعدها ، عن جميع المعاصي صغيرها وكبيرها ، والدليل علي وجوبها قبل البعثة : هو أنه لو وقع منه العصيان ، وفعل القبيح قبل بعثته ، وعرف الناس منه أنه يخطئ ويصيب ، ويفعل الأمور القبيحة ، لايمكن أن يركنوا إليه بعد ذلك ، إذا جاءهم مدعيا للرسالة ، ولاسيما أن من يفعل القبيح تسقط مترلته في نفوس عارفيه ، المطلعين علي واقع حالة ، وحقيقة أمره ، وكيف يعهد الله سبحانه أمر النبوة التى هي من أعظم المراتب وأسماها ، لمن فعل القبيح فيما مضي من حياته ، ثم يأمره بأن ينهي الناس عما كان يفعله بالأمس ؟ .

إن الله سبحانه قد أراد من عباده التصديق بأنبيائه ، والأخذ بتعاليمهم ونصائحهم، ورغبهم بذلك بشتى الوسائل ، ووعد المؤمنين منهم خيرًا وأجرًا عظيمًا ، وإذا جاز علي النبي أن يكذب في ماضيه فكيف تطمئن نفوسهم بصدقة في حاضره ؟ وأي ضرورة تدعونا إلى هذا القول الذي لا يتفق مع مرتكزات العقلاء ، وأي مانع من أن يختار الله سبحانه لتلك الرسالة الكريمة من طهر نفسه من الدنس؟ ، وكان المثل الأعلى لجميع الصفات الإنسانية المثلى لتكون الفائدة به أتم والغرض أقرب إلي الحصول ، ولقد قال سبحانه في محكم كتابه : ﴿ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (١) ولا شك في أن مرتكب القبيح ظالم لنفسه غير محتفظ بكرامتها ، والنبوة عهد من الله وأمانة يجعلها في عنق من يختاره ، ويراه أهلاً لأدائها والقيام بأعبائها . هذا مجمل العصمة قبل البعثة .

---

(١) سورة البقرة – آية ١٢٤

وأما العصمة بعدها ، فالذي عليه الجمهور : هو العصمة عن الذنوب كلها صغيرة كانت أم كبيرة ، عمدًا كان أو سهوًا ، من غير فرق بين ما يرجع إلي عالم تبليغ الأحكام وغيرها مما يرجع إلي أحوالهم الخاصة ، وأفعالهم وتركهم .

الأدلة الكامنة لإثبات العصمة :

١- منها أن النبي إذا لم يكن معصومًا ، لم يحصل الوثوق بالشرائع لأن النبي مبلغ عن الله . ولو جاز عليه أن يكذب ويعصى ، جاز أن يزيد فيما أوحى إليه أو ينقص ، أو يأمر بما لم يؤمر فيه من ربه ، حسب ما توحيه إليه شهواته وميوله ، إذا كان كغيره من بقية أفراد الإنسان ، وحيئذ تنتفي فائدة بعثته ولم يحصل الغرض من نبوته .

٢- أنه إذا لم يكن معصومًا كان أسوأ حالاً من بقية أفراد الأمة ، لأن درجة النبوة من أرفع الدرجات وأقربها لله سبحانه ، وكلما ازداد الإنسان علماً بالله ، ازداد قربًا منه وخضوعًا له ، فلو وقع منه العصيان والحال هذه ، لزم أن يكون أسوأ حالاً ممن لم يكن بتلك المرتبة ، وكان مسئولاً أكثر من غيره ، لأن العقاب علي قدر المعرفة ، ويتفاوت بتفاوت ظروف الإنسان وملابسات حياته ، وفي جملة من آيات الكتاب الكريم ما يدل علي التفاوت في الجزاء مع وحدة المعصية ، قال سبحانه مخاطباً نساء النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴿ يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ [(١)] .

وغير ذلك مما دل علي تفاوت حكم الزاني بين الإحصان وعدمه ، والعقل يساعد علي أن العالم بالله مسئول أكثر من غيره علي حسب مراتب العلم المقرب منه سبحانه .

ولقد عاتب الله سبحانه من يرشد غيره وينسي نفسه ، ويعمل علي خلاف ما يعلم : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [(٢)] . ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [(٣)] . ولازم القول أن يكون النبي مصداقًا لهذه الآيات الكريمة.

---

(١) سورة الأحزاب – آية ٣٠

(٢) سورة البقرة – آية ٤٤

(٣) سورة الصف – آية ٢-٣

المجاهدات عند بعض الناس :

إن رسالة الأنبياء لا تكلف الإنسان فوق ما يطيق ، تسير مع الزمن وتساير الحياة ، وليس في طبيعة الإنسان ما يتنافى مع تلك الرسالة ، فليس من الصعب أن يلتزم بها الكثير من الناس ، ويعمل على نهجها ، ولو رجعنا إلى الوراء قليلاً ودرسنا حياة العظماء والمصلحين ، لوجدنا عدداً ليس بالقليل تجردوا لخدمة الإنسانية ، وأعرضوا عن الملاذ والشهوات ،والتجأوا الى الكهوف والغابات ليؤدوا

إلى الإنسان رسالة فرضتها عليهم إنسانيتهم المثلى ، ولم يكن ما حف بهم من أسباب النعيم ، ودواعي المتعة ومؤهلات المعيشة الناعمة ، ليصرفهم عن تفكيرهم في مشاكل الحياة الغاصَّة بالكوارث والالآم والأحزان ، فانصرفوا عن كل ما أحاط بهم من نعمة ونعيم ، إلى الكهوف والغابات يبحثون عن السعادة ، يقنعون باليسير من القوت ، ولاشك أن لهذا القسم من البشر ملكات قوية قادهم إلي أشرف الغايات وأنبلها وحطمت ما في نفوسهم من الرغبات والشهوات .

العصمة قوة في النفس :

وليست العصمة التى نقول بها عن الأنبياء ، إلا قوة في النفس تقودهم إلي ما يعملون لأجله من سعادة الإنسان وخيره ، يتحملون في سبيل ذلك أشد أنواع الأذي والألم ، فلم يشغلهم كل ذلك عن آلام الناس ، وازدادوا إيمانًا ونشاطًا ، فكأنهم يجنون اطيب الأثمار وأشهاها .

ولقد اجتمع المشركون إلى أبي طالب عليه السلام ليكون ابن أخيه﴿ ﷺ وآله﴾ ملكاً عليهم ، يحكم فيهم كما تحكم الملوك برعيتها على أن يترك دعوته ، فردهم بكلمته الخالدة : ﴿ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ، ما تركت هذا الأمر ﴾ [(١)] فعادوا سيرهم الأولي تعذيبا وإيذاء وتشريدا ، وتنكيلاً بأتباعه ، وازداد صبرًا ونشاطًا ، وإيمانًا بمبادئه ، وتم له ما أراد .

---

(١) أورده الطبري في تاريخه ٢ / ٣٢٦

ومن كانت له الملكات الرفيعة لا يجوز أن ينقاد لشهواته ، وينسب إليه اقتراف السيئات والآثام .

عصمة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ عند أبواق ثالوث التكفير :

أولاً : هجم الشيخ عبد الجليل عيس في كتابه ((اجتهاد الرسول)) علي سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فحشد في كتابه هذا عورات وعيوبًا وأخطاءً وذنوبًا أحصاها لسيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ المعصوم وكلها جرأة علي أقدس شخصية وأكمل إنسان ، ولا ندري ما هو الباعث علي ذلك إلا أن يكون غضب من الله في صورة الهوي الذي يعمي عن الحق ، وسوء الخاتمة مصورة في الثراء المأمول من شيوخ البترول .

وإليك أيها القارئ نصوصًا من هذا الكتاب :

١- قال في ص١٤ علي سبيل التهكم باعتقاد المسلم في الرسول : بل جعل ((أي الجمهور المسلم)) لقوله وعمله (العصمة) حتي ما كان منهما خارجًا عن رسالة ربه ويصبح محمد بن عبد الله ، بناء علي ذلك ليس الإنسان المصطفي الذي كلف برسالة الله بل يؤول أمره إلي ما آل إليه أمر (عيسي بن مريم) حينما نظر إليه أتباعه علي أنه إنسان حلت فيه روح الإله ، وأن له طبيعة فوق طبيعة الإنسان ، له طبيعة الإله والإنسان معا .

ونقول : إنه قد مضي علي الرسالة المحمدية بالعقل والنقل وتمام قوة الاعتقاد ، ولن يحدث ذلك أبدًا بإذن الله ما دام في الأرض الكتاب والسنة .

٢- ورأي أن ما في الأنبياء من خصوصيات عقلية ، مرده إلي المران العقلي لاغير ، فقال في ص٢٢ : لأن الأنبياء أشد الناس حاجة إلي قوة العقل ورجاحة الفكر ، وحسن التقدير ، عن طريق المران العقلي ، فكم في الفيافي ورؤوس الجبال وبطون الأودية ، من خصوبة عقل وجودة طبع ، قضي عليها الكسل العقلي أو قلة الدراية في معالجة الأمور .

أي انه لا وحي ولا إلهام ولا توجيه من السماء ، وكأن النبوة اكتساب لا اصطفاء ولا اختيار .

٣- وقال في ص٣٠ : يناقش القائلين بالعصمة النبوية : وإن أردتم أنه لا ينطق عن هوي ، أنه أوحي إليه بأن يجتهد ، فاجتهاده بإذن الله ، قلنا لكم : ونحن نقول بـــذلك، ولا مـــانع حينئذ من أن يجتهد ولا يصيب . . . . الخ .

وهكذا يصر الرجل علي تسوية الرسول بعامة الناس دون أية ميزة أو خصيصة .

٤- ثم حمل المؤلف علي الإمام الرازي – متبعا رأي صاحب المنار رشيد رضا ومقلـــده في عصرنا – لأنه فسر قوله تعالي : ﴿ عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [1] . بأن العفـــو كـــان مخالفة الأولي فقط ((أو انه كان لبيان الجواز والتشريع والتربية (كما نري نحن) ولكـــن رأى هذا المؤلف أن العفو عنه ﴿ ﷺ وآله﴾ كان عن ذنب)) اقترفه الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ ص ,٩٣

٥- وقال في ص ١١٨ : اجتهد ﴿ ﷺ وآله﴾ فوق ذلك في فهم القرآن ، وفهم غيره كان هو الصواب.

نقول : (نعوذ بالله) وأين قوله تعالي : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [2].

وكيف يخص الله بكتابه من لايفهمه ؟ وقوله تعالي : ﴿ فَإِنَّمَـــا يَسَّـــرْنَاهُ بِلِسَـــانِكَ ﴾ [3] الله .

٦- وقال في ص ١٢٤ : مكث ﴿ ﷺ وآله﴾ يستغفر لأبي طالب خطأه زهاء اثنتي عشرة سنة (أي أنه أصر علي الخطأ ومارسه كل هذه المدة) .

نقول : ولماذا تركه الله ليمارس هذا الخطأ ؟ هل كان الله مشغولاً أو ناسيًا ؟ حـــتي يتـــرك رسوله عابثًا هذه المدة ؟ ونستغفر الله العظيم .

---

(١) سورة التوبة – آية ٤٣

(٢) سورة النحل – آية ٤٤ .

(٣) سورة مريم – آية ٩٧

٧- قال هذا المؤلف في ص ١٦٥ (الطبعة الأولي من الكتاب) ونعوذ بالله ونستغفره من الجهالة العلمية – قال : ((لم يكن رأيه)) ﴿ ﷺ وآله﴾ فيما اجتهد فيه يمثل الصواب دائمًا ، ولا محل رضاء الله تعالي عنه دائمًا كذلك)) .

٨- وقال في ص ١٦٧ : ليس بلازم أن يكون رأيه ﴿ ﷺ وآله﴾ عن اجتهاد صوابًا علـــي الدوام .

هذه النماذج من النصوص التى تقشعر لها الأبدان ، وتدور بها الرؤوس ، وقد اضطررنا إلي نقلها ، رموزًا إلى ما هو الأم منها وأحط من كلام هذا المؤلف ، سوف نفرد لها- إن شـــاء الله – هنا أبوابًا للرد المفصل على كل خطيئة منها على حدة إن شاء الله ، خصوصًا بعد أن أطلت الفتنة برأسها في كتابات بعض فلول المتعالين وأشباههم بحسن الظن أو ســـوئه والله أعلم .

وإنما نحن هنا لأسباب شتي يعلمها الله نكتفي بتسجيل القواعد العامة والأصول الأساســـية التى تصلح للرد الدائم علي أمثال هذه الآثام والألآم ، التى يعتبرها المتعـــالون والمرضـــي بمرض الشهرة وبمخالفة جمهور أهل العلم ، شيئًا من الإسلام ، ثم لنحصن الشباب المغرر به ، والملتوي بطبعه والمنحرف والمنجرف وحسبنا الله ونعم الوكيل . [راجع كتاب عصـــمة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ للسيد محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية ص ٢٨] .

ثانيًا: تهجم الدكتور صبحي منصور في كتابه ((الأنبياء في القرآن)) علـــي الـــنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فحقق معه ،

وتقرر فصله من جامعة الأزهر الشريف ، وإليك أيها القارئ بعض نماذج من أقواله في هذا الكتاب ((الأنبياء في القرآن)) :

١- جاء في صحيفة ٣١ من رسالة ((الديك تور)) ما نصه : ((عصمة الأنبياء قضـــية لم يعرفها المسلمون إلا في عصر الضعف العقيدي ، والفكر الفلسفي الدخيل علي الاســـم)) أي أن عدم توقير أنبياء الله هو الأصل عنده ، وهو ما قد جعله أساسًا لهذا البحث الخبيث ،

فهو يسوي باسم الدين بين الرسل وعامة البشر من النصاري واليهود والمجوس وغيرهم ، إلا فيما جاء به الوحي .

٢- وفي الصحيفة ٣٥ جاء ما نصه : ((الرسول معرض للنسيان شأن البشر ، ومعرض للوقوع في الذنب ، ولهذا فهو يستغفر لذنبه)) .
وقد عجز المؤلف أن يذكر لنا ذنبًا واحدًا .

٣- وفي صحيفة ٣٦ يقول : " يوصف الرسول بالتقوي ، وليس بالعصمة أي أنه رجل صالح فقط ولا ميزة له " .

٤- ثم يعود فيقول في صحيفة ٥٢ : " وكما أخطأ بعضهم فنسب العصمة الكاملة للأنبياء ، وحرَّف الآيات حتي أنهم تدخلوا في اختيار الله ، ففاضلوا بين الأنبياء ، وادعوا أن محمدًا ﴿ ﷺ وآله﴾ سيد الأنبياء وأفضلهم علي الإطلاق "
نقول : نعوذ بالله من ضحالة العلم وسوء الأدب .

٥- وفي صحيفة ٥٦ يقول : " أما عن دعواهم بأن محمدًا ﴿ ﷺ وآله﴾ أشرف المرسلين وسيد النبيين فتلك قضية تستحق التوضيح " يعني أنه ليس كذلك ولا قوة إلا بالله وأين قول الله : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (١) ؟

٦-وفي صحيفة ٦٣ يقول : (ثم مات الرسول الخاتم ، ونحن لا نعرف إلي أي حد طبق الرسول الخاتم أوامر ربه ؟ !!! ولا نعرف إلي أي حد تحددت درجته في الأنبياء) ؟! .
اللهم إنا نبرأ إليك من هذه الوقاحة التى لم يسبق إليها سابق ، ولانظن أن يلحق بها لاحق
٧- وفي صحيفة ٧٨-٧٩ يقول : (وترتب علي ذلك أن تقررت شفاعة الرسول وأصبح معلومًا من الدين بالضرورة ، خلافًا للقرآن الكريم والسنة الصحيحة) وقال : (وكان لابد أن تمتد أيديهم بالتزييف والتحريف فوضعوا أحاديث للشفاعة للرسول والأنبياء) .

---

(١) سورة البقرة – آية ٢٥٣

نقول : أي أن كافة النصوص التى جاءت في شفاعة الرسول مكذوبة ومزورة ، ومن هنـــا يأتي مدخل الشك إلي جميع النصوص الأخري فتهتز العقيدة ويذهب الدين .
٨- وفي صفحة ٩٤-٩٥ يقول : " بهذا يصبح الرسول في اعتقاد المسلمين ، أفضل من الله ، فالله أصبح بهذا قياسًا ، أما محمد فهو الرحيم ، الله يدخل الناس النار ، ومحمد يرجوه أن يخرجهم من النار إلى الجنة ، الناس يتضرعون لمحمد أن يشفع فيهم وينسون التضـــرع لله ، بل يتضرعون إلى الله أن يجعل محمدًا شفيعهم ، أي يتوسلون إلي الله أن يتوسط لدي محمـــد ليشفع فيهم ، فيصبح الله واسطة عند محمد ، أي يفضلون النبي علي رب الـــنبي . . إلخ (نستغفر الله) ، المرجع السابق ص١١ ، ١٢ .
هذا هو الكتاب السفيه الذي يدل علي الإسفاف والسقوط .

وتلك النماذج من بعض ما جاء في هذه الرسالة المقررة علي الطلبة والتى سوف ينقلون ما بها إلي جماهير المسلمين . وهنا نماذج أخري لم يأذن لنا الأدب مع الله ورسوله أن ننقلها ، أو تدنس أقلامنا بذكرها هنا ، مما يؤذي العقل والعاطفة والعقيدة والعلم المجرد .
والسؤال الآن : من الذي أشرف علي هذه الرسالة من علماء المسلمين ؟ فإن من أجـــازوا هذا الضلال وكافأوا صاحبه عليه بالدكتوراه ، لابد أن يكونوا من نفس هـــذه النوعيـــة ، ومن هم أعضاء اللجنة التى أجازوها ومنحوا صاحبها هذا اللقب الكبير ، ثمنًـــا لتجـــريح رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ والتطاول عليه ؟
وما هي أقوالهم فيما نقلناه من نصوص هذه الرسالة ، فضلاً عن بقية النصـــوص المتوقحـــة والمقززة ؟ التى نعف عن الإشارة إليها فضلاً عن أن ننقلها ونسجلها ، ثم كيف تقرر هـــذه الرسالة علي الطلبة على أن يدافعوا فيها ثمنًا باهظًا غير مقبول ولا معقـــول ؟ ثم يكلفـــون بحمل هذا الضلال العقلي والعقائدي إلي جماهير أهل القبلة .
وإذا كان الأزهر قد أقر ما في هذه الرسالة ، فما هو الدليل العلمي الذي يقتنع به الناس ؟ فإن ما في هذه الرسالة لا علم فيه إلا العلم بالجهل المركب ، والغرور الاستفزازي المقزز ، وهذا ما يزلزل عقيدة الجمهور المسلم في الأزهر وما يجيزه أو يصدر عنه من بحوث ، ومـــا ينتسب إليه من أشخاص ما لم يتحرك مجمع البحوث حركة إيجابية فعالة .

إن صاحب هذا الكتاب لا يقوى أن يوجه لفظًا واحدًا مما جاء في كتابه إلى أصغر مسئول ، ولكنه استأسد علي الأنبياء والأولياء شأن كل أبواق ثالوث التكفير ، فجزاه الله مـــا هـــو أهله اليوم وغدا .

الفصل الثالث

ثبوت عصمة الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم وإهانة اليهود والنصاري والقرنيين لهم

وجوب عصمة الأنبياء :

الأنبياء معصومون قاطبة عليهم جميعًا التحيات الزاكيات ، واليهود والنصاري ومن علي شاكلتهم حرفوا كتبهم ونسبوا إلى الأنبياء – الذين كفل الله تعالى نزاهتهم وعصمتهم – ما هم منه براء فجزاهم الله اللعنة وسوء الخاتمة ، والعصمة هي التنزه عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها ، وعن الخطأ والنسيان ، وأن لم يمتنع عقلاً علي النبي أن يصدر منه ذلك ، بل يجب أن يكون منزهًا حتي عما ينافي المروءة ، كالتبذل بين الناس من : الأكل في الطريق ، أو الضحك عال ، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام .

إذا كان إرسال الأنبياء إلي البشر لأجل هدايتهم إلى تزكية أنفسهم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم ، ويستعدون به لحياة أعلي من هذه الدنيا في نشأة أخرى ، فلا يتم هذا الغرض ولا تتحقق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلاً لأن يقتدي بهم في أعمالهم وسيرهم ، والتزام الشرائع والآداب التى يتلقوها عن ربهم ومن ثم يتعين وجوب عصمة الأنبياء .

والدليل علي وجوب العصمة : أنه لو جاز أن يفعل النبي المعصية ، أو يخطئ وينسي ، وصدر منه شئ من هذا القبيل ، فإما أن يجب اتباعه في فعله الصادر منه عصيانًا أو خطأ ، أو لا يجب ، فإن وجب اتباعه ، فقد جوزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالي ، بل أوجبنا ذلك ، وهذا باطل بضرورة الدين والعقل ، وإن لم يجب اتباعه ، فذلك ينافي النبوة التى لابد أن تقترن بوجوب الطاعة أبدًا .

وأهل الكتاب لايقولون بهذه العصمة ، وكتبهم المقدسة – عندهم – ترمي بعض كبار الأنبياء بكبائر الفواحش المنافية لحسن الأسوة ، بل المجرئة علي الشرور والمفاسد .

فإن اليهود والنصاري افتروا علي الله وأنبيائه :

أولاً افتراء اليهود علي أنبيائهم :

اليهود لم يكتفوا بنسبة المعصية إلي أنبياء الله وعدم الاعتماد بعصمتهم بل إنهم جعلوا منهم قادة وروادًا للفجور والدعارة ، وارتكاب أعظم الآثام والشرك والكفر بالله ، ومن الأمثلة الواردة في كتبهم المحرفة :

١ـ الافتراء علي نبي الله لوط عليه السلام :

جاء في التوراة – المحرفة – أن نبي الله لوطًا صعد وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر ، فسكن في المغارة هو وابنتاه .

وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا عادة كل الأرض ، هلم نسقي أبانا خمرًا ونضطجع معه فنحي من أبينا نسلاً . . فسقيتا أباهما خمرًا في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها .

وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة : إني قد اضطجعت البارحة معه فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلاً ، فسقيتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضًا ، وقامت الصغري واضطجعت معه . فحبلت ابنتا لوط من أبيهما (راجع سفر التكوين : الإصحاح ١٩) .

وهكذا يتهم نبي الله لوط بالزنا وشرب الخمر – وحاشاه – وهما من الكبائر .

٢ـ الافتراء علي نبي الله داود عليه السلام :

أما داود عليه السلام فإنه تآمر علي قائد جيشه ودخل بزوجته ، فقد جاء في سفر صموائيل ما نصه:

كان داود يتمشي علي سطح بيت الملك فرأي من علي السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة جدًا فأرسل داود وسأل عن المرأة . . فقال واحد : امرأة أوريا . فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه ، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمسها ثم رجعت إلي بيتها، وحبلت المرأة من داود.

فكتب داود مكتوبًا يقول فيه : (اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت) راجع سفر صموائيل الثاني : الإصحاح ١ .

هذا بعض ما نسبه اليهود كذبًا وافتراء إلي نبي الله داود الذي قال فيه الله : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (١) وقال عنه : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ (٢) . وقال عنه كذلك : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ (٣) . وقد روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال : لا أوتى برجل يزعم أن داود تزوج امرأة أوريا إلا جلدته حدين حدًا للنبوة وحدًا للإسلام .

٣ـ الافتراء علي نبي الله سليمان عليه السلام :

أ- كما أنهم قد افتروا علي نبي الله سليمان فرموه بالكفر . فهو عندهم (لم يكن قلبه كاملاً مع الرب كقلب داود أبيه . . فغضب الرب علي سليمان ، لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل ، الذي تراءي له مرتين ، وأوصاه ألا يتبع آلهة أخري ، فلم يحفظ ما أوصاه به الرب (راجع سفر الملوك الأول : الإصحاح ١) .

ولا شك أن هذه دعوي كاذبة يراد بها التهجم علي أنبياء الله تعالي .

ب- ومن أباطيل اليهود أيضًا ما جاء في توراتهم : (وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة . . فالتصق بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات ، وثلاثمائة من السراري . . وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخري . . .)

أي أن نبي الله سليمان قد أشرك مع الله آلهة أخري !! .

٤ـ الافتراء علي نبي الله نوح عليه السلام :

ومما جاء عن نوح عليه السلام في التوراة- المحرفة – أنه (ابتدأ يكون فلاحًا وشرب من الخمر ، فسكر وتعري داخل خبائه ، فأبصر سام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجًا .

---

(١) سورة ص – آية ٣٠

(٢) سورة ص – آية ٢٥

(٣) سورة ص – آية ٢٠

فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه علي أكتافهما ومشيا إلي الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما ، فلما استيقظ نوح من خمره ، علم ما فعله به ابنه الصغير ، فقال : ملعون كنعان عبد العبير يكون لإخوته . . (راجع سفر التكوين : الإصحاح ٩ : ٢ : ٢٦)

هكذا نبي الله يسكر فيهذي ولا يدري ما أحدث ولا ما حدث به ، كيف يبلغ إذن عن ربه ؟ وكيف يوثق فيما يقول ؟

إنه الكذب إنه الافتراء على من كفل الله تعالي نزاهتهم وعصمتهم .

٥ـ الافتراء علي نبي الله يوشع عليه السلام :

ومما يروي في العهد القديم أيضًا عن الأنبياء تلك القصة عن يوشع ، فقد زعم أن : أول ما كلم الرب يوشع ، قال الرب ليوشع : اذهب لنفسك امرأة زنا ، لأن الأرض قد زنت زني تاركة الرب ، فذهب واخذ جومر بنت حبلايم فحبلت وولدت له أبناء .

ثم حبلت أيضًا وولدت له بنتًا فقال له : ادع اسمها– لو رحامة – لأني لا أعود أرحم بيت إسرائيل بل أنزعهم نزعًا (يوشع : ١ ، ٢ ، ٤)

وفي نفس الكتاب يقول إصحاح آخر : وقال الرب لي : اذهب أيضًا أحبب امرأة حبيبة صاحب ، وزانية) .

لقد أبي العلماء العاملون المحققون قبول هذه الافتراءات وقالوا : هذا من أباطيل اليهود . وصدق الله العظيم حين قال واصفًا أخلاقيات اليهود : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ ﴾ (١) .وعن التكذيب والقتل يقول الله تعالي : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ (٢) .

ثانياً : افتراء النصاري علي نبيهم وسائر الأنبياء :

(١) سورة المائدة – آية ١٣

(٢) سورة البقرة – آية ٨٧

العصمة عند النصاري قاصرة علي السيد المسيح وحده وابتداء نتساءل : ما الفرق بين المسيح وسائر النبيين ؟ .

أما عندنا نحن المؤمنين فإن : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (١) .

والمثلية في الخلقة فقد خلق آدم من غير أب ولا أم وعيسي خلق من غير أب فكان خلقهما أمرًا عجيبًا فضلاً عن تماثلهما– أيضًا– في أن كليهما خلق بالكلمة ﴿ كُن ﴾ فكانا .

ولقد قال الله تعالي في شأن عيسي ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ (٢) وأراد بالكلمة لفظ ﴿ كُن ﴾ التي يستوي أمامها كل ما هو مخلوق لله تعالي : ﴿ إِنَّما قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٣) .

المسيح – عليه السلام – عبد الله ورسوله ونحن أول المؤمنين به والموقرين له ، وإنما خلافنا في ألوهيته لا نبوته .

ويعتقد المسيحيون أن المسيح إله أو ابن الله ، أو أنه قتل وصلب فداء للبشرية ، وهم يتخذون من خطيئة آدم دليلاً علي حكمة الصلب والفداء ، وتجريح الأنبياء عامة وآدم خاصة . وأن توبة آدم لم تكفر خطيئته ، ومن ثم كان لابد من فداء .

ولما كان آدم أبو البشر قد أخطأ ولم يقبل الله تعالي – فيما يزعمون – توبته ، وإن هذه الخطيئة تلزم نسله كله بما فيهم الأنبياء ، عدا المسيح طبعًا باعتباره إله أو ابن الله ، ومن ثم فلاً عصمة لأحد من البشر على الإطلاق ، وإذن لابد من مخلِّص والمخلِّص لا يكون مذنبًا ، ولما كان المسيح له العصمة المطلقة فإنه هو المخلِّص للبشرية (راجع كتاب عصمة أنبياء اليهود والمسيحيين للدكتور محمود ماضي) .

إن النصاري يجعلون معاصي الأنبياء دليلاً علي عقيدتهم ، وهي أن المسيح هو المعصوم وحده لأنه رب وإله ، ولأنه هو المخلِّص للناس من العقاب علي الخطيئة اللازمة لكل ذرية

---

(١) سورة آل عمران – آية ٥٩

(٢) سورة آل عمران - ٤٥

(٣) سورة المحل – آية ٤٠

آدم بالوارثة له ، وأنه لا شفيع ولا مخلِّص لهم غيره ، لا يخلِّص المخطئين وهو منهم ، وهذه العقيدة وثنية مخالفة لدين الأنبياء وكتبهم وللعقل ، ومطابقة للأديان الوثنية الهندية وغيرها .

[راجع الوحي المحمدي للشيخ رشيد رضا] .

وهذه المطابقة التى عناها الشيخ رشيد رضا تتضح من خلال عرض بعض المقابلات بين أقول الهنود الوثنين في أن بوذا ابن الله وأقوال النصاري في أن المسيح ابن الله .

أقوال الهنود الوثنيين في بوذا :

١- كان تجسيد بوذا بواسطة حلول روح القدس علي العذراء ((مايا))

٢- لما نزل بوذا من مقعد الأرواح ودخل في جسد العذراء ((مايا)) صار رحمها كالبلور الشفاف النقي ظهر بوذا فيه كزهرة جميلة .

٣- وقد دل علي ولادة بوذا نجم ظهر في أفق السماء ويدعونه نجم بوذا

٤- لما كان بوذا طفلاً قال لأمه ((مايا)) إنه أعظم الناس جميعًا .

٥- وقال مارا ((الشيطان)) لبوذا لا تصرف حياتك في الأعمال الدينية لأنك بمدة سبعة أيام تصير ملك الدنيا .

٦- قال بوذا فلتكن الذنوب التى ارتكبت في هذه الدنيا عليَّ ليخلِّص العالم من الخطيئة .

أقوال النصاري في المسيح :

١- كان تجسيد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس علي العذراء مريم .

٢- لما نزل يسوع من مقعده السماوي ودخل في جسد مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة .

٣- وقد دل علي ولادة يسوع نجم ظهر في المشرق وقال داود : من الواجبات أن يدعي نجم المسيح .

٤- لما كان يسوع طفلاً قال لأمه مريم : ((أنا ابن الله)) .

٥- وقال ((أى إبليس)) له ((أي يسوع)) أعطيك هذه ((أي الدنيا)) جميعها إن خررت وسجدت لي .

٦- يسوع هو مخلّص العالم وكافة الذنوب التي ارتكبت في العالم تقع عليه عن الذين اقترفوها ويخلّص العالم .

أقوال القرآن في عصمة الأنبياء :

١- لقد شهد القرآن الكريم لأنبياء الله ورسوله أنهم كانوا من الصالحين الذين يقتدي بهم في البر والتقوى مثل قوله تعالي : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ (١)

٢- وقال تعالي فيهم بعد ذكر أشهرهم : ﴿ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾(٢) .

لقد كان في هذه العصمة والأمانة والنزاهة التي اتصف بها الأنبياء ضمان لسلامة أتباعهم وأمتهم في العقائد والشرائع ، وأمان مما استهدفت له الأمم والأجيال البشرية الماضية من الوقوع في المهالك ، والتورط في الشبهات والحيرة في أمر هؤلاء القادة ونتيجة اتباعهم ((راجع النبوة والأنبياء في القرآن للشيخ أبي الحسن الندوي)) .

أما اليهود والنصاري فلم يزدادوا إلا كفرًا وخزيًا ، وأباطيلهم تعج بها بطون الكتب ، تتوراثها الأجيال شاهدة عليهم باللعنة وسوء الخاتمة .

فبعدًا لمن حرف كتاب الله ممن هم علي شاكلة اليهود والنصاري ، ونسبوا إلى الأنبياء ما هم منه براء ، منزهون عنه .

٣- فمن النصوص الجليلة علي عصمته ﴿ ﷺ وآله﴾ مطلقًا في وصف نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (٣) فإن الإثبات بكلمة ﴿ إِلَّا ﴾ بعد : ما ، النافية يفيد العموم عند العلماء ويعني ذلك أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ ما ينطق عن الهوي في كل شئ وفي سائر الحالات وبمختلف الأوقات مطلقًا كما يدل عليه عموم الآية منطوقًا ومفهومًا

---

(١) سورة الأنبياء – آية ٧٣

(٢) سورة الأنعام – آية ٩٠

(٣) سورة النجم – آية ٣-٤

فتخصيص عصمته ﴿ ﷺ وآله﴾ بخصوص التبليغ مخالف لنص الآية من جهة ، وتخصيص بلا مخصص من جهة أخري ،وكلاهما باطلان .

٤- ومنها قوله تعالي : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَـذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) وكلمة ﴿ إِنَّمَا ﴾ أداة حصر وهي تعني قصر الحكم علي مدخولها ونفيه عما عداه وهو يفيد أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ لا يتبع غير ما يوحي إليه من ربه وأن ما يقوله أو يفعله ﴿ ﷺ وآله﴾ كله هدي ورحمة . فلو جاز عليه السهو والنسيان والخطأ والعصيان ، لااتبع غير ما يوحي إليه من ربه ولم يكن شئ من ذلك هدي ورحمة . ولما ثبت أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ لا يتبع غير ما أوحي إليه بنص الآية ثبت أنه﴿ ﷺ وآله﴾ معصوم من ذلك كله .

٥- ومنها قوله تعالي : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ (٢)

ولا شك لكل من فهم كلام العرب وموارد استعمالها أن كل نسيان ضلال وكل معصية غواية ، أما الأول فيدل عليه قوله تعالي عند ذكر الشهود : ﴿ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾ (٣) فمعني أن تضل أن تنسي فعبر عنه بالضلال لأنه أحد معاونيه . وأما الثاني فيدل عليه قوله تعالي : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (٤) فسمي العصيان مطلقًا غواية فإذا ثبت أن كل نسيان ضلال وكل عصيان غواية ثبت نفي النسيان عنه من كل وجه ، ونفي العصيان عنه ﴿ ﷺ وآله﴾ علي كل وجه ، وذلك لما ثبت في علم الأصول عند الفريقين أن نفي العام للخاص ، وبتعبير أوضح لما كان الضلال منفيًا عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ في الآية الأولي بمعناه العام كان ذلك يعني نفي جميع معانيه ، ومن معانيه النسيان ، وقد نفاه القرآن عنه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، ولما كانت الغواية منفية عن النبي ﴿ ﷺ

---

(١) سورة الأعراف – آية ٢٠٣

(٢) سورة النجم – آية ١-٢

(٣) سورة البقرة آية - ٢٨٢

(٤) سورة طه – آية ١٢١

وآله﴾ في الآية الثانية بمعناها العام كان ذلك يعني نفي جميع معانيها ، ومن معانيها العصيان فهو منفي عنه ﴿ ﷺ وآله﴾ بنص القرآن .

٦- ومن ذلك قوله تعالي : ﴿ سَنُقْرِؤُكَ فَلاَ تَنسَى ﴾ [١] فلو كان رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ينسي لكان نفي النسيان عنه مطلقًا لغوًا باطلاً ، تعالي الله عن اللغو والباطل .

٧- ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾[٢] فإن الاستثناء بـ﴿ إِلاَّ ﴾ بعد ﴿ إِنْ ﴾ النافية يفيد العموم وأنه ﴿ ﷺ وآله﴾ لا يتبع غير ما يوحي إليه في سائر الحالات وفي جميع الأعمال بمختلف الأوقات فلو لم يكن معصومًا مطلقًا لاتبع غير ما يوحي إليه ، ولما ثبت بنص هذه الآيات أنه لا يتبع غير ما يوحي إليه مطلقًا ثبت أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ معصوم علي الإطلاق .

رأي الخوارج في العصمة

أهل السنة والجماعة مجتمعون عي أن الأنبياء معصومون قبل البعثة وبعدها . ولكن الخوارج يجوزون الكفر علي الأنبياء ترتيبًا علي إطلاقهم الكفر علي كل معصية ، والحشوية جوزوا علي الأنبياء الإقدام على الكبائر والصغائر .

رأي ابن حزم الأندلسى في العصمة :

١- يقول ابن حزم الأندلسي : إن العصمة غير ذات موضوع في حق النبي الذي لم يكلف بشرع لأن المعاصي في نظره بعد ورود الشرع والتكليف ، وليست قبل ورود الشرع والتكليف .

٢- ويجوز ابن حزم علي الأنبياء الذنوب محتجًا بقوله تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا﴾[٣] ، والمغاضبة لله تعالي علي حد زعمه من أعظم الذنوب .

---

(١) سورة الأعلي – آية ٦

(٢) سورة الأنعام – آية ٥٠ ، سورة يونس – آية ١٥ ، سورة الأحقاف – آية ٩

(٣) سورة الأنبياء- آية ٨٧

الرد علي فكر ابن حزم الأندلسي في عصمة الأنبياء يتضمن :

١- هذا القول من ابن حزم الأندلسي لا يكون من اللائق في حق الأنبياء ، لأن الله يعلم حسن رسالة هؤلاء الأنبياء فلا يجوز على الأنبياء أن يؤتوا من الأفعال ما يصادمها ، لأن رسالة الله إليه هي مقتضي الفطرة ، وكل مخالفة لها هي خروج علي الفطرة السليمة حتى ولو كان ذلك سابقًا علي الرسالة .

٢- ومعني الآية في الحقيقة ﴿ وَذَا النُّونِ ﴾ النون الحوت ، ﴿ وَذَا النُّونِ ﴾ أي يونس ويحمل المعني : اذكر يا محمد خبر يونس حين دعا قومه إلى الإيمان بالله ، فلم يستجيبوا لدعوته فضجر منهم وخرج عنهم مغاضبًا لهم . ولا يحق لنبي الله ان يغاضب ربه .

رأي ابن تيمية في عصمة الأنبياء :

ابن تيمية زل في عقيدته في الخالق – فقال بالتجسيم والتشبيه – فلا ريب أن يتزلق في الخطأ فيما يتعلق بصفوة المخلوقين ﴿ ﷺ وآله﴾ يقول :

١- العصمة للنبي فيما يتعلق بالوحي ، ويجوز الخطأ علي الأنبياء ولكنه يمنع الاستمرار في الخطأ واستشهد في ذلك بحديث ((الغرانيق)) الذي طعن العلماء فيه ، ولم يردد هذا القول قديمًا إلا ابن تيمية وحديثًا سلمان رشدي . [راجع كتاب الفتاوي لابن تيمية الجزء الثاني ص ٢٨٢ ، ٢٩٦]

٢- لا تثبت العصمة للنبي سواء أكان ذلك قبل البعثة أو بعدها ، ولكن لابد للنبي أن يسارع بالتوبة ولا يؤخرها .

٣- يقول : إن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تؤخذ علي ظاهرها ، حتي ولو أدي هذا الظاهر إلي نفي العصمة عن الأنبياء عليهم السلام وأن وقوع الاستغفار من الأنبياء لا محل له إلا بسبب ذنب ، والتوبة لا وجود لها إلا بسبب الخطيئة ، ويستنكر كل تأويل للآيات والأحاديث .

رأي المودودي في عصمة الأنبياء :

المودودي يعتقد أن كل الأنبياء خطاءون مذنبون لا عصمة لهم ، وذلك يظهر في كل كتاباته ، ويعتقد أن الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ بشر كسائر البشر يخطئ ويصيب ، ويطيع ويعصي ، ولا يكون معصومًا .

وإليك نماذج من زيغ وضلال المودودي :

١ـ بالنسبة للنبي الخاتم ﴿ ﷺ وآله﴾ :

يقول المودودي في ختام رسالته ص ١٥٦ : إن الله سبحانه وتعالي أمر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ في سورة النصر بأن يستغفر ربه لتقصير في فرائض نبوته ، مستندًا إلي قوله تعالي : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾[1] فهو لا يفهم في عقله السقيم إلا أنه لا استغفار إلا من أهل الذنوب ، وأن الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ كان مذنبًا ومقصرًا في أداء رسالته ، ولذلك أمره المولي بالاستغفار ، ولا يدري هذا الجاهل المتعالم ، أن هناك محامل لاستغفاره ﴿ ﷺ وآله﴾ ، فهو﴿ ﷺ وآله﴾ كان إذا سلم وفرغ من صلاته يقول أستغفر الله ، فهل الصلاة كانت ذنباً يستغفر الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ ربه عنها ؟

٢ـ إهانته لنبي الله موسي عليه السلام :

يقول المودودي في كتابه ((رسائل ومسائل)) الجزء الأول ص ٣١ : أن موسي ارتكب ذنبًا كبيرًا جدًا بقتله إنسانًا . ولو كان المودودي من أهل العلم لعرف أن سيدنا موسي عليه السلام قتل كافرًا ولم يقتل مؤمنًا . وقديمًا قالوا : لا تأخذ العلم من صحفي ولا القرآن من مصحفي .

---

(١) سورة غافر – آية ٥٥

٣ـ إهانته لنبي الله يوسف عليه السلام :

يقول المودودي في كتابه ((تفهيمات)) ص١٢٢ : إن سيدنا يوسف عليه السلام لم يكن وزيرًا للمالية فقط بل كان ديكتاتورًا ، ونتيجة لذلك كان يوسف يشبه جدًا موسوليني في إيطاليا ، فكيف يشبه المودودي سيدنا يوسف عليه السلام برجل كافر من أظلم خلق الله وهو موسوليني ، فتعالي الله أن يبعث نبيًا ظالمًا لخلقه ، و الأنبياء جميعًا محل اصطفاء المولي سبحانه وتعالي .

٤ـ إهانته لنبي الله يونس عليه السلام :

يقول المودودي في كتابه ((تفهيم القرآن)) الجزء الثاني بحاشيته ص ٣١٢ :
إن سيدنا يونس قد صدر منه بعض التقصير في تبليغ رسالته .
ويعلل المودودي سقيم فكره : بأن الله يرفع عصمته من كل نبي بين حين وآخر ، فيصدر منه بعض زلات ، لكي نعلم أن النبي ليس بإلٰه ، وأن نعلم أنه بشر .

فيا سبحان الله أليس يكفي لكون النبي بشرًا أن يشرب ويأكل ويولد ويصح ويمرض وما إلي ذلك من خصائص البشرية ؟ ! فصدور المعاصي وحدها هي التي تكفي لاضفاء بشرية الأنبياء . أيها الخارجي المودودي ؟!

هذه هي الأفكار الخبيثة التى سرت في كتابات أبواق ثالوث التكفير في حق الأنبياء والصحابة والاولياء وهم العباد المكرمون .

الباب الخامس

من تأويلات القرنيين الشيطانية

التأويلات الشيطانية لبعض آيات القرآن في كتب أبواق الوهابية لم يصل لمدى فحشها ونذالتها مستعمر غاصب ولا حاكم مستبد ولا طاغية متحلل ولا مبشر ولا مستشرق ولا ملحد ولا زنديق – مع أقدس شخصية وأكمل إنسان سيدنا ومولانا محمد ﷺ وآله

سبق أن ذكرنا في الأبواب السابقة أن اليهود والنصارى افتروا على الله تعالى ، ونسبوا إلى الأنبياء ما هم منه براء ، وسار على دربهم الخوارج فجوزوا الكفر على الأنبياء وشايع ذلك ابن حزم الأندلسي في القرن الرابع الهجري وابن تيمية الحراني في القرن السادس الهجري وابن عبد الوهاب النجدي في القرن الثاني عشر الهجري وتابع هؤلاء وأولئك أبواق الوهابية كالمودودي في كتابه ((رسائل ومسائل)) والشيخ عبد الجليل عيسى في كتابه ((اجتهاد الرسل)) والدكتور صبحي منصور في كتابه ((الأنبياء في القرآن)) وهنا نبين ما كتبه الدكتور علي أحمد السالوس في كتابه ((فقه الشيعة لدى الإمامية)) الذي يدلك ظاهره على أنه هجوم على الشيعة ومعتقداها ، حتى يدلس على أهل السنة والجماعة فإذا به يتناول داخل صفحات هذا الكتاب عوراتٍ وعيوبًا وأخطاءً وذنوبًا أحصاها لسيدنا رسول الله ﷺ وآله وإخوانه الأنبياء وسجل ذلك بجرأة منقطعة النظير وإليك أيها القارئ نصوصًا من كتابه هذا والرد عليها .

الدكتور السالوس ينفي العصمة المطلقة للأنبياء والرسل :

يقول الدكتور علي أحمد ((الثالوث)) في صفحة ٣٣ من كتابه المذكور : [القرآن الكريم ينفي وجوب العصمة المطلقة لخير البشر أجمعين وهم الأنبياء والرسل وإنما عصمتهم مقيدة محدودة فيما يبلغون] وللرد على هذا القول :

١- إذا كان الأنبياء خير البشر – كما يعترف الدكتور – فكيف نسب إليهم العصيان وإطاعة الشيطان وارتكاب المحرمات التي أوجبت عليهم أن يتوبوا منها ، ويطلبوا المغفرة

من الله تعالى عنها؟ فهل يا ترى أن من شرط خير البشر أن يعصي الله ويطيــع الشــيطان ويرتكب الزلات كما نسب ذلك كله إلى نبي الله آدم عليه السلام بصريح المقــال في أول ص ٢٩ ؟ وهل هذا إلا التناقض بعينه ؟ ! وإذا كان خير البشر يعصون الله ويخالفون أمره ويطيعون الشيطان ويرتكبون الزلات فمن هم إذن يا ترى شر البشر؟!.

٢- إن الذي فات علىالدكتور ((الثالوث)) ولم يهتد إليه هو عدم معرفته لشخص النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وكان عليه قبل أن يحكم علىالأنبياء عليهم الســلام بالعصــيان والفســق والطغيان والخطأ والنسيان ، أن يعلم جيدًا أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ هو الشخص الإنســاني المخبر عن الله تعالى، ويدخل في إخباره عنه تعالىجميع أحكام شريعته التي جاء بها من عند الله تعالى، لتحديد فعله وقوله وتقريره علي ضوء تلك الأحكام التي شرعها الله لعباده ليبنوا عليها كيانهم الإنساني ، وهي لا تزيد علىخمسة ولا تنقص عنها :

١- الواجب ٢- المندوب ٣- الحرام ٤- المكروه

٥- المباح

وما من قول أو فعل لأي مكلف من البشر ، سواء أكان نبيًا أو غيره ، إلا كــان خاضــعًا لواحد من هذه الأحكام المذكورة ولا يتعداها إطلاقًا فلو كان النبي ﴿ ﷺ وآلــه﴾ غــير معصوم لجاز عليه الخطأ في بعضها والنسيان لجملة منها وحينئذ فلا يكون في إخباره بذلك مخبرًا عن الله تعالى، وإنما يكون من عند نفسه ، وإذا كان من عند نفسه ، بطل أن يكــون مخبرًا عن الله تعالى بشيئ منه ، وقد فرضنا أنه مخبر عن الله مطلقًا فوجب أن يكون معصومًا في جميعها .

الدكتور السالوس يخصص عصمة الأنبياء بالتبليغ فقط

وأما قول الدكتور علي أحمد ((الثالوث)) – بأن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عــن الله تعالى – فغير صحيح ، وذلك لأن ما يبلغونه عن الله تعالى هي تلك الأحكام الخمسة الــتى أوحى الله تعالى بها إليهم لتبليغها ، ولا شئ غيرها ، والقرآن يقرر هذا ويؤكده بقوله تعالى

: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ (1)، فأمر كل واحد من تلك الأحكام يرجع إليه تعـالى لا إلى غيره مطلقًا .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾(2) .

وهو يفيد الاستيعاب لكل أمر ، ومن ذلك أمر كل واحد من تلك الأحكام المتعلق بفعل النبي أو قوله أو تقريره ، فليس من المعقول أن يكونوا معصومين في بعضها ومخطئين في البعض الآخر ، لخروجهم بذلك عن كونهم أنبياء مخبرين عن الله تعالى وبطلانه واضح ، ثم لو كان هناك شئ وراء تلك الأحكام ، كان لزامًا علىالدكتور أن يذكره لنا ، ومن حيث أنه أهمل ذكره وقلد غيره في مقاله من غير دليل ، علمنا أن ما جاء به من التفضيل بين ما يبلغونه وما لا يبلغونه غير صحيح ، لأنه من السالبة المنتفية بانتفاء موضوعها .

٣- لما كانت العصمة قوة في عقل النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ تمنعه من الخطأ والنسيان فلا يعقل أن تزول عنه من جهة وتثبت له من جهة أخرى ، لوضوح بطلانه حتى عند القائلين بالجبر الباطل عقلاً وشرعًا كما تقرر في موضعه من علم الكلام .

عصمة النبي محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ ثابتة بنص القرآن :

إن من الغريب أن يهمل الدكتور علي أحمد السالوس ذكر النص القرآني على عصمة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ولا يأتي على ذكر شئ منه ، وإذا كان الدكتور قد أهمل ذكره فلا يسوغ لنا أن نهمله ، فمن النصوص الجلية على عصمته ﴿ ﷺ وآله﴾ مطلقًا قوله تعالى في وصف نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾(3) ، فإن الإثبات بكلمة ﴿ إِلَّا ﴾ بعد : ما، النافية يفيد العموم عند العلماء ويعني ذلك أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ ما ينطق عن الهوي في كل شئ وفي سائر الحالات وبمختلف الأوقات مطقًا كما يدل عليه عموم الآية منطوقًا ومفهومًا .

---

(١) سورة الأعراف – آية ٥٤

(٢) سورة هود – آية ١٢٣

(٣) سورة النجم – آية ٣-٤

فتخصيص عصمته ﴿ ﷺ وآله﴾ بخصوص التبليغ كما يقول الدكتور علي ((الشالوث)) مخالف لنص الآية من جهة وتخصيص بلا مخصص من جهة أخرى ، وكلاهما باطلان ومنها قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَـذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (1)وكلمة ﴿ إِنَّمَا ﴾ أداة حصر وهي تعني قصر الحكم علي مدخولها ونفيه عما عداه وهو يفيد أنه ﴿ ﷺ وآله﴾لا يتبع غير ما يوحي إليه من ربه وأن ما يقوله أو يفعله ﴿ ﷺ وآله﴾ كله هدى ورحمة فلو جاز عليه السهو والنسيان والخطأ والعصيان ، لا يتبع غير ما يوحي إليه من ربه ولم يكن شئ من ذلك هدي ورحمة . أو لما ثبت أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ لا يتبع غير ما أوحي إليه بنص الآية ثبت انه ﴿ ﷺ وآله﴾ معصوم من ذلك كله .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾(2)

ولا شك لكل من فهم كلام العرب وموارد استعمالها أن كل نسيان ضلال وكل معصية غواية ، أما الأول فيدل عليه قوله تعالي عند ذكر الشهود : ﴿ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾ (3) فمعني أن تضل أن تنسي فعبر عنه بالضلال لأنه أحد معانيه . وأما الثاني فيدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (4) فسمى العصيان مطلقًا غواية فإذا ثبت أن كل نسيان ضلال وكل عصيان غواية ثبت نفي النسيان عنه من كل وجه ، ونفي العصيان عنه ﷺ﴿ وآله﴾ علي كل وجه ، وذلك لما ثبت في علم الأصول أن نفي العام للخاص، وبتعبير أوضح لما كان الضلال منفيًا عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ في الآية الأولي بمعناه العام كان ذلك يعني نفي جميع معانيه ، ومن معانيه النسيان ، وقد نفاه القرآن عنه ﴿ ﷺ وآله﴾ ولما كانت الغواية منفية عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ في الآية الثانية بمعناها العام كان ذلك يعني نفي جميع معانيها ، ومن معانيها العصيان فهو منفي عنه ﴿ ﷺ وآله﴾ بنص كتاب الله تعالى .

---

(1) سورة الأعراف – آية 203

(2) سورة النجم – آية 1-2

(3) سورة البقرة – آية 282

(4) سورة طه – آية 121

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى ﴾[1] فلو كان رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ينسي لكان نفي النسيان عنه مطلقًا لغوًا باطلاً ، تعالى الله عن اللغو والباطل . ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾[2] فإن الاستثناء { بإلا } بعد (إن) النافية يفيد العموم وأنه ﴿ ﷺ وآله﴾ لا يتبع غير ما يوحى إليه في سائر الحالات وفي جميع الأعمال بمختلف الأوقات فلو لم يكن معصومًا مطلقًا لاتبع غير ما يوحى إليه ، ولما ثبت بنص هذه الآيات أنه لا يتبع غير ما يوحى إليه مطلقًا ثبت أن العصمة المطلقة له صلوات الله وسلامه عليه .

الخطأ من الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ يوجب الخطأ في السنة يا دكتور سالوس:

وشئ آخر فات الدكتور علي السالوس ولم يلتفت إليه وهو أن السنة قول الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ أو فعله أو تقريره فلو جاز عليه الخطأ لجاز الخطأ في السنة ، ولا شئ من الخطأ بالسنة ، ولما ثبت أن ذلك كله سنة ثبت أنه معصوم من الخطأ والنسيان مطلقًا ، لوجود تلك القوة في عقله ﴿ ﷺ وآله﴾ الحافظ لها من ذلك كله وأنه يمتاز بها علي سائر البشر .

كيف تكون الأمة معصومة والأنبياء عليهم السلام غير معصومين يادكتور سالوس ؟ !:

والغريب أن الدكتور علي سالوس تراه هنا ينفي العصمة عن جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام عامة وعن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ خاصة ويثبتها للأمة الإسلامية ، فالأمة الإسلامية عنده أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام حتي رسول الله﴿ﷺ وآله﴾ لأنها معصومة علي حد تعبيره وهم عليهم السلام غير معصومين ، ولا شك في أن المعصوم أفضل من غير المعصوم فرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ عنده دون مستوي الأمة الإسلامية ، وهذا القول كما تراه غريب علي الدين غريب علي العقل ، أعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان .

(١) سورة الأعلي – آية ٦

(٢) سورة الأنعام – آية ٥٠- سورة يونس آية ١٥ – سورة الأحقاف – آية ٩

نسبة الذنوب إلي رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يـا دكتـور سـالوس قباحـة ووقاحـة منك:

إن الدكتور بسرده بعض الآيات ودعواه أنها تنفي العصمة عن الأنبياء عليهم السلام عامة ورسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ خاصة يحاول أن يلحقهم بالمجرمين الذين يستحقون العذاب الأليم ويريد أن يفضل الأمة عليهم ، لأنه أوجب لها العصمة وحرمها علي أنبياء الله ورسله عليهم السلام أجمعين .

وأن الامة هى المعصومة وهى التى تعصم النبي من الخطأ فإذا كانت الأمة تعصم النبي مـن الخطأ كما يقول فلماذا يا تري لم تعصم نبيها من الذنب والخطأ والزلل والعصيان الـتى ألحقها الدكتور برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أفضل خلق الله تعالي جميعًا ؟ .

وإذا كان رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ الذي ما ضل وما غوى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾[(١)] . مذنبًا مجرمًا تجب عليه التوبة وطلب المغفرة من الله والعفو منه ممـا ارتكبه من المعاصي والذنوب ، كما يقول الدكتور بمقتضي ما ساقه من الآيـات لإثبـات معصية الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ لربه ومخالفته لأمره ، والأمة – التى نرى أكثرها بباصرة العين ظالمين مجرمين متعدين لحدود الله – معصومة لديه ، وتعطي العصمة للنبي ، فكيف يا تـري أرسله الله تعالي رحمة للعالمين بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَـةً لِّلْعَـالَمِينَ ﴾ [(٢)] . ؟

وكيف يا تري يكون رحمة للعالمين من يرتكب المعاصي ويقترف الذنوب كما يقول الدكتور علي ((الثالوث)) حتي أوجب الله تعالى أن يستغفر منها ويتوب إليه ، ويطلب العفو منـه علي حد قوله ؟ ولماذا يا ترى لم يرسل هذه الأمة نبيًا

ويختارها رسولاً بديلاً عنه وهي المعصومة من الخطأ كما يقول ، ورسوله ﴿ﷺ وآله﴾ عنده غير معصوم والمعصوم أفضل من غير المعصوم وأولى منه بالرسالة ؟ وماذا يا تـرى يقـول أعداء الإسلام حينما يسمعون الدكتور ((الثالوث)) يقول : إن نبي الإسلام ومن فضلـه الله تعالى على جميع الأنام يرتكب الذنوب ويفعل السيئات ويعمـل الموبقـات ألا تـراهم

---

(١) سورة النجم – آية ٣-٤

(٢) سورة الأنبياء – آية ١٠٧

يقولون إن مثل هذا الإنسان لا يصلح أن يكون نبيًا ولا رسولاً مرسلاً من عند الله فضلاً من أن يكون أفضل الأنبياء عليهم السلام أجمعين ؟ !

وإذا كان أنبياء الله تعالى كلهم عصاة مخالفين لأمر الله ونهيه فمن هم المطيعون له تعالى من سائر الناس وما الفرق بينهم عليهم السلام وبين غيرهم من الأشقياء .

التأويلات الشيطانية لبعض آيات القرآن في كتاب الدكتور علي السالوس:

أولاً ما قاله في حق سيدنا موسي عليه السلام :

نعود إلى ما استدل به من ظواهر بعض الآيات الذي قلد فيه غيره دون تحقيق ، كما قلنا على نفي العصمة عن الأنبياء عليهم السلام عامة وعن رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ خاصة فنقول له : من أين فهم الدكتور ((الثالوث)) أن قتل موسي عليه السلام خاصة للرجل كان من عمل الشيطان حتي يتسني له نفي العصمة عنه ، فإن الظاهر المستفاد من الآية أن قتل موسي عليه السلام للرجل لم يكن إلا بحق لأنه كان كافرًا مستحقًا للقتل وغير محقون الدم ، ولم يكن من عمل الشيطان إلا محاولة الرجل قتل ذلك الذي من شيعته ، ومن وجب قتله شرعًا لا يكون قتله من عمل الشيطان مطلقًا .

وأما قوله ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ [1] فلا يدل علي نفي العصمة عنه ، لأن ظلم النفس يعني بخسها من الثواب ، وذلك يجتمع مع فعل المباح ، كما يجتمع مع ترك المندوب ، ولا يختص بترك الواجب ، كما أن طلب المغفرة من الله تعالى يعني طلب ثوابه ، وهو لا يفيد وقوع المعصية منه ، ولا ينفي العصمة عنه ، إذ ليس كل من طلب المغفرة من الله تعالى يجب أن يكون مذنبًا عاصيًا ، لأنه واضح البطلان ، فإن طلب المغفرة منه تعالى في نفسه عبادة مندوب إليها في الشريعة ، وإن لم يكن طالبها عاصيًا ، ويدل قوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [2] ، فإنه لا يلزم أن يكون كل من سارع إلي طلب المغفرة من ربه

---

(١) سورة القصص – آية ١٦

(٢) سورة آل عمران – آية ١٣٣

مذنبًا لوضوح بطلانه . فالآية من هذا القبيل وإن خفي أمره علي الدكتور ((الثـالوث)) فظن أن طلب موسي عليه السلام المغفرة من الله تعالى ينفي العصمة عنه .

ثانياً : ما قاله في حق سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ :

١- آية : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴾ [(١)] :

وأما آية : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الـدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ فمفهومها واضح وهو لا يتفق مع ما يدعيه الدكتور ((الثـالوث)) من نسبة المعصية إلي رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وذلك لأن المخاطبين فيهـا جماعـة مـن أصحاب النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ الذين رغبوا في أخذ الفداء من الأسري في أول وقته ، ورغبوا في حرب المشركين لأجل الغنيمة لا لأجل إقامة الدين وتوحيد الله والدعوي إلي طاعتـه ، كما يشير إليه قوله تعالي : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ .

وقد ذكر المفسرون من أهل السنة أنها نزلت في المشيرين علي النبي ﴿ ﷺ وآلـه﴾ أخـذ الفداء من الأسري في واقعة بدر وهي أول واقعة شهدها المسلمون مع النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ، فمن أين يا ترى فهم الدكتور((الثالوث)) أن الآية تريد النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ؟ والمخاطبون فيها جماعة الذكور من أصحابه ﴿ ﷺ وآله﴾ بقوله تعالى : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الـدُّنْيَا ﴾ ، وأنهم آثروا عاجل الدنيا علي ثواب الآخرة، فأنزل الله تعالى في ذمهم قرآنا وأنهم يستحقون العذاب العظيم علي ما أشاروا به عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ .

٢- آية : ﴿ عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [(٢)]

وأما قوله تعالى : ﴿ عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ فلا يفيد وقوع المعصـية منـه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، لأن كلمة العفو لا تعني وقوع الذنب من المعفو عنه ، ولا يوجبه كما لا توجـب كلمة (غفر الله لك) وقوع المعصية منه لاجتماعها مع وقوع ما كان غيره أفضل منـه ، كما تقول لمن فعل ما كان غيره أفضل منه لم فعلته ، كما يجتمع مع من لم يقع منه شـئ ،

---

(١) سورة الأنفال – آية ٦٧

(٢) سورة التوبة – آية ٤٣

لأنها تفيد معني طلب الثواب أيضًا فيكون معني عفا الله عنك علي هذا : أثابك الله . وذلك لأن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ لم يكن منهيًا عن الإذن لكي يكون إذنه موجبًا لمعصيته ويدل علي جواز إذنه ﴿ ﷺ وآله﴾ قوله تعالى :في موضع آخر:

﴿ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ﴾ (١).

٣- آية ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾(٢)

وأما قوله تعالي : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ فلا يفيد نسبة العصيان إلى الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ لوضوح أنه لا يريد خشية التقوي كما يدل عليه سبب النزول ، لأن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾كان يتقي الله حق تقاته ، ويخشاه فيما يجب أن يخشاه فيه ، ومن قال فيه غير هذا فقد طعن فيه ﴿ ﷺ وآله﴾ وإنما يريد خشية الاستحياء ، لأن الحياء كان غالبًا علي شيمته ﴿ ﷺ وآله﴾، ويشهد لهذا قوله تعالى في موضع آخر : ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ﴾ (٣).

٤- آية :﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ (٤).

وأما قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ فليس فيه ما يفيد توجه الخطاب إلى النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وإنما هو إخبار لا تصريح فيه بالمخبر عنه ، فكيف ساغ الدكتور ((الثالوث)) أن يخصص الخطاب فيها لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾؟ إن أعداء رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وأعداء دينه ، يحاولون دائمًا أن ينتقصوا من قدره ويحطوا من منزلته ويغضوا من كرامته ﴿ ﷺ وآله﴾ ، ليرفعوا بذلك من شأن أعدائه ﴿ ﷺ وآله﴾ لأن الآية نزلت في رجل من بني أمية وكان جالسًا عند النبي ﴿ ﷺ وآله﴾فجاء ابن أم مكتوم ، فلما رآه تقذر منه وجمع نفسه وعبس ، وأعرض بوجهه عنه ، وقام وانصرف فحكي الله تعالي ذلك وأنكره عليه وذلك ما تفيده كلمة ﴿ تَوَلَّى ﴾ ، أي : قام وذهب ثم كيف يا تري غاب عن

---

(١) سورة النور – آية ٦٢

(٢) سورة الأحزاب – آية ٣٧

(٣) سورة الأحزاب – آية ٥٣

(٤) سورة عبس – آية ١-٢

ذهن الدكتور ((الثالوث)) بأن ذلك يتنافي مع أخلاق النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ الكريمة ، لـــن العبوس ليس من صفاته ﴿ ﷺ وآله﴾ والتصدي للأغنياء ، والتلهي عن الفقراء ليس مـــن أخلاقه مع أعدائه فضلاً عن أوليائه ﴿ ﷺ وآله﴾ .

ويؤكد ذلك قوله تعالى في وصفه ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(١) وقولـــه تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَـيْكُم بِـالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (٣) ، فإن هذا كما تراه يتنافي مع ما نسبه الدكتور ((الثالوث)) إلى النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ مـــن العبوس ، علي أن العبوس والانبساط مع الأعمي لا يوجبان المشقة عليه ، ولا يكون ذنبًـــا يؤاخذ عليه ولا ينفي عنه العصمة لو سلمناه جدلاً للدكتور،

فكيف استساغ أن ينسب الذنب إليه وينفي العصمة عنه ﴿ ﷺ وآلـــه﴾؟ فالـــدكتور ((الثالوث)) يلصق سيئات الآخرين وقبائحهم بالنبي﴿ ﷺ وآله﴾ ، ليصوره للناس شـــقيًا لا نبيًا ، ومجرمًا لا رسولاً ، وأنه يستحق العذاب العظيم الذي توعد الله به المجرمين ، لا لشئ بل لأن المسلمون يقولون بعصمته.

٥- آية ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ (٤) وآية ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ ﴾ (٥):

وأما قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِـــذَنبِكَ وَلِلْمُـــؤْمِنِينَ﴾ (٦) وقوله تعالى:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًالِيَغْفِرَ لَـــكَ اللَّـــهُ مَـــا تَقَـــدَّمَ مِـــن ذَنبِـــكَ وَمَـــا تَأَخَّرَ ﴾ (٧) ، فلا شئ منه يفيد وقوع المعصية من النبي ﴿ ﷺ وآله﴾، وذلـــك لأن كلمـــة الذنب من المصادر التى تجوز إضافتها إلى القاعدة والمفعول معًا ، فتكون إضافتها هنـــا إلى

---

(١) سورة القلم – آية ٤

(٢) سورة التوبة – آية ١٢٨

(٣) سورة آل عمران – آية ١٥٩

(٤) سورة غافر – آية ٥٥

(٥) سورة الفتح – آية ٢

(٦) سورة محمد – آية ١٩

(٧) سورة الفتح – آية ١-٢

المفعول بقرينة ما تقدم من الآيات الدالة على عصمته من كل الذنوب ، ويعني ذلك ما وقع من ذنب المشركين إليه وتجنيهم عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، ومنعهم له من نشر دعوته وصـــدهم إياه عن دخول المسجد الحرام ، فيكون مفاد هذه الآيات ، أن الله تعالى قد أزال عن نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ أحكام أعدائه ، وجزاه علي جهاده العظيم الثواب الجزيل..

على أن الآية الأخيرة لا تريد مغفرة ذنوبه لأنه لو أراده لزم ألا يكون لقوله تعالى : ﴿ إِنَّـــا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا ﴾ (١) معنى في الوجود ، وذلك لعدم تعلق مغفرة الذنوب بالفتح المـــبين ، ولا يصح أن يكون وجًا له لوضوح بطلانه .

وأما قوله تعالى : ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾(٢)فإنه يريد ما تقدم زمانه من اعتدائهم عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ وتعديهم علي المؤمنين من أصحابه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وهذا واضح لا غبار عليه .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ (٣) فمفهومه واضح وذلك لأن الوزر لغة هـــو الثقل ، ومنه اشتق اسم الوزير لتحمله أثقال الدولة ، فكل شئ أثقل الإنسان وأوجب غمه وكدره يسمي وزرًا ، فالمراد به إما تخفيف أعباء النبوة التى تثقل الظهر من القيام بأمرهـــا فسهل الله ذلك على نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ حتى تيسر له ، أو المراد به أنه تعالى عصـــمه ﴿ ﷺ وآله﴾ عن احتمال الوزر لأن المقصود من الوضع ألا يكون عليه ثقل ، أو المراد به إزالـــة غمه ﴿ ﷺ وآله﴾ بما كان عليه قومه من الشرك ، وما كان يلحقه وأصحابه المؤمنين به من أذى قومه ، فشبه الله تعالى غمه وهمه بالثقل وليس المراد به ما يستحق عليه العقاب ، كما توهمه الدكتور ((الثالوث)) لأن ذلك لا يجوز علي النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ إطلاقًا ولا يناســبه قوله في أول السورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ وقوله تعالى فيما بعد :
﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (٤) ، فإن شرح الصدر ورفع الذكر لا يكونـــان مـــن الله تعـــالى للعاصي لو صح ما زعمه الدكتور ((الثالوث)) .

---

(١) سورة الفتح – آية ١
(٢) سورة الفتح – آية ٢
(٣) سورة الشرح – آية ٢
(٤) سورة الشرح – آية ٤

٦- التأويلات الشيطانية في سورة الضحي آية صادقة لقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[١] .

لا غرابة في عداء المجرمين للأنبياء السابقين واللاحقين ، لأن ذلك من مظاهر العداء بين الخير والشر ، وبين الحق والباطل . ونسأل إذا كان سبحانه هو الذي جعل للأنبياء أعداء من المجرمين ، كما يظهر في سياق الآية ، فلماذا يعاقبهم علي عداوتهم للأنبياء ؟ وأيضًا كيف أمر باتباع الأنبياء ثم جعل لهم أعداء يقاومونهم ، ويغرون الناس بالكفر بهم وبرسالتهم ؟ .

الجواب : إن الله سبحانه بعث الأنبياء ، وجعل مهمتهم الدعوة إلى الله والعدل ، ونبذ الظلم والوثنية ، وهذه المهمة بطبيعتها تستدعي التناقض والصراع بين الأنبياء وبين عبدة الأوثان والمستغلين ، فالله سبحانه وتعالى سبب البعثة ، والبعثة سبب العداء ، ولهذا الاعتبار نسب العداء إليه مجازًا جل ثناؤه . قال حكاية عن نوح : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ [٢] .فالفرار يستند إلى دعوة نوح ، ودعوته تستند إلى أمر الله تعالى ، وزيادة في التوضيح نضرب هذا المثال : رجل ترك ثروة لولده ، سببت له عداوة الحساد ، فيقول مجازًا خلق له والده حسادًا .

أولاً : التأويلات الشيطانية لقوله تعالى : (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) [٣]

يتخرص المجرمون الذين يسيرون على نهج ثالوث التكفير- ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب- بتفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ بما يؤدي إلي عدم توقير النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ونعته بما لا يليق بمقامه ﴿ ﷺ وآله﴾ .

فيقول هؤلاء المجرمون عن الطفولة المحمدية اليتيمة بما يثير الإشفاق عليه ، ويذكرون أخبارًا تفيد أن السيدة حليمة السعدية قد قبلته رضيعًا بعد أن لفظته المراضع ، ولم تجد لتأخرها عن ركب المراضع في رحاب مكة رضيعًا سواه ، فأخذته وودت لو عثرت علي طفل سواه تنال

(١) سورة الفرقان – آية ٣١
(٢) سورة نوح – آية ٥-٦
(٣) سورة الضحي – أية ٦

به الغنى والجاه ، ولكن هكذا أراد الله ، وتساءلت وفي النفس حسرة عـن سـوء الفهـم وكثرة الوهم التى تنتاب المجرمين وقد ارتفعت أصواتهم والتهبت حناجرهم وهي تدور حول هذه المعاني السقيمة ، والأفهام العقيمة .

الرد علي التأويلات الشيطانية لثالوث التكفير في سورة الضحي :

١- ترى !! أيليق بهذا المختار أن تأباه المرضعات وهو من هو في حسبه ونسبه قبل بعثته ورسالته ؟! وهل يقبل العقل أن يفرط السيد عبد المطلب وهو ملك العرب يومئذ أن يفرط في خفيده ، فلذة كبده وابن عبد الله الذي شهدت له الجزيرة العربيـة مـن أقصاها إلي أفصاها حفل افتدائه بمائة نافلة ، كما افتدى الله جده إسماعيل بذبح عظيم ؟! .

وهل يلقي بثمرة فؤاده إلى أول قادمة عليه دون روية وتفكير ، أو أن هذا الأمر قد تم بعد اختيار واختبار ، وأن هذا اليتيم يحوى معنى أسمي وأجل من ذلك ؟.

٢- قال القرطبي في تفسيره : حفظ الله تعالى نبيه من صغره ، وتولي تأديبـه بنفسـه ، ولم يكله في شئ من ذلك لغيره ، ولم يزل الله تعالى يفعل ذلك به ﴿ ﷺ وآله﴾ حتي كره إليـه أحوال الجاهلية ، وحماه منها فلم يجبر عليه شئ منها . كل ذلك لطف به ، وعطف عليـه وجمع للمحاسن لديه . أهـ.

٣- وأخرج ابن عساكر : أن أبا بكر رضي الله عنه قال : ﴿يا رسـول الله ، طفـت في العرب وسمعت كلام فصحائهم فما سمعت أفصح منك فمن أدبـك ؟ قـال : أدبـني ربي ونشأت في بني سعد﴾[1] رواه الطبراني .

لحق أبوه عبد الله بالرفيق الأعلى وهو في بطن أمه ﴿ ﷺ وآله﴾ وتوفت أمه السيدة آمنـة بنت وهب وهو ابن اربع سنوات وقيل ست فتولاه وأدبه بآداب العبودية ، وهذبه بمكارم الأخلاق كما قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ أعطيت تمام مكارم الأخلاق ، وكمال محاسن الأفعال ﴾ وكما قالت السيدة المصونة صاحبة الطهر والعفاف الصديقة بنت الصـديق الأكـبر أم

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال ٤١٩٤٢ ، ٣٢٠٢٤

المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها : ﴿ كان خلقه القرآن ﴾ (١) رواه الإمـــام احمـــد ، فليس لأحد من البشر فضل عليه في تربيته.

٤- يقول محمد ابن اسحاق في سيرة ابن هشام فلما وضعته أمه ﴿ ﷺ وآله﴾ أرســلت إلي جده السيد عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام فأخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ، والتمس لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ الرضعاء ، فاسترضع امرأة من سعد بن بكر يقال لها حليمة ابنة أبي ذؤيب هو : عبد الله بن الحـــارث بن سجنة بن جابر بن رزام ناصرة فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن .

٥- ألست معي أيها القارئ الكريم في أن السيد عبد المطلب قد استدعي هـــذه المرضـــعة لاختيار مدي صلاحيتها لمهمة إرضاع هذا الغلام الذي تحدثت عنه مكة عام الفيل ، ومـــا سيكون له من شأن خطير . . . تأمل معي كلمات السيرة بنصها : ألــتمس ، اســتدعي ، استرضع ، أليست الألف والسين والتاء للطلب كما يقول النحاة ؟

٦- اقرأ معي هذا الحوار بين سيد العرب والمرضعة المستدعاة جاء في الســـيرة الحلبيـــة : ٩٤/١ وما بعدها رواية السيدة حليمة السعدية في لقائها مع السيد عبد المطلب . . تقول : استقبلني عبد المطلب فقال : من أنت ؟

قلت : أنا امرأة من بني سعد

قال : ما اسمك ؟

قلت : حليمة

(١) رواه مسلم في كتاب المسافرين الحديث رقم ١٣٩ وأحمد في الجزء السادس صفحة ٩١ ، ١٦٣ والبيهقي في السنن الكبري ٢ / ٤٩٩ وأبو نعيم في دلائل النبوة ٥٦/١ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٧ / ٩٢ ، ٣١٨ والبيهقي في دلائل النبوة ١ / ٣١٠ والسيوطي في الدر المنثور ٢١٥ ، ٢٥٠١٦ والمتقي الهندي في كنز العمال ١٨٣٧٨ ، ١٨٧١٨ والبخاري في الأدب المفرد ٣٠٨ وفي اخلاق النبوة ٢٩ وابن كثير في البداية والنهاية ٤١/٦ وفي مناهل الصفا ١٥ وابن كثير في تفسيره ٤٥٤/٥ ، ٣١٤/٨ والطبري في تفسيره ١٣/٢٩ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢ / ٣٥٢ .

تبسم عبد المطلب وقال : بخ بخ ، سعد وحلم خصلتان فيها خير الدهر وعز الأبد ويطمئن الرجل لحسن اختياره المرضعة التى تليق بولده فيأذن لها في حمله والتوجه به إلى بيتها .

مرضعات سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾

ولا يفوتني في هذا المقام التنويه بمن تشرفن برضاعه ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد أمه السيدة آمنة أفضل امرأة يومئذ في قريش فقد أرضعته سبعة أيام ثم كانت (ثويبة) جارية أبي لهب التى أعتقها بسبب إخبارها أبا لهب بأنه قد ولد لابن أخيه غلام ، كما أرضعته ثلاث نسوة من سليم أخرجن ثديهن فوضعنها في فمه الشريف ، فدرت فيه فرضع منهن ، وكذلك أرضعته أم فروة أهـ . ثم أرضعته سعيدة بني أسد السيدة حليمة السعدية . . واختلف في رضاعه ﴿ ﷺ وآله﴾ من أم أيمن . . وأصح الأقوال أنها حاضنته لا مرضعته فتكون مرضعاته حينئذ ثمانية .

حكمة رفع أشراف العرب أولادهم إلي المراضع :

١- روي الطبراني بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : ﴿ أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ، أنا اعرب العرب ولدتني قريش ونشأت في بني سعد بن بكر فأنى يأتيني اللحن ﴾ [(١)] قال صاحب ((الروض)) : إنما رفع أشراف العرب أولادهم إلى المراضع في القبائل ولم يتركوهم عند امهاتهم لينشأ الطفل في الأعراب فيكون أفصح للسانه وأجلد لجسمه .

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد الباب ٥٢ ، ٦١ ، ٩٧ ، ١٦٧ وكتاب المغازي الباب ٥٤ ومسلم في كتاب الجهاد الحديث رقم ٧٨-٨٠ والترمذي في كتاب الجهاد الباب ١٥ واحمد في الجزء الرابع صفحة ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٣٠٤ .

٢- ويروي ابن سعد في طبقاته : ﴿ أنا أعربكم ومن قريش ولساني لسان سعد بن بكر ﴾ [(١)] وقوله﴿ ﷺ وآله﴾ (ولساني لسان سعد بن بكر) لكونه قد استرضع فيهم ، وكانت العرب تعتني باسترضاع أولادها عند نساء البوادي .

٣- قال الزمخشري : هذا اللسان العربي كأن الله عزت قدرته محضه ، وألقى زبدته على لسان النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أهـ .

ولعل تعدد طرق الحديث تعطيك فائدة أن استرضاعه في هذه القبيلة التى تعد من أفصح القبائل الناطقة بالعربية كانت محل فخر منه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وأن ذهابه إليها لم يكن عفوًا وصدفة ، وإنما تم عن اختيار وتمحيص ، ولم يكن – حاشاه – قد سيق إلى مرضعة بعد أن أبته المرضعات كما جاء .

الحافظ بن حجر يرد علي من يصف النبي باليتم المادي :

سئل الحافظ ابن حجر عما يقع من بعض الوعاظ في الموالد في مجالسهم الحافلة المشتملة علي الخاص والعام من الرجال والنساء ومن ذكر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بما يخل بكمال التعظيم حتي يظهر للسامعين لها حزن ورقة فيبقي﴿ ﷺ وآله﴾ في حيز من يرحم لا من يعظم ، كقول بعضهم : لم تأخذه المراضع لعدم ماله إلا حليمة السعدية رغبت في رضاعه شفقة عليه ، فأجاب بما نصه : ينبغي لمن يكون فطنًا أن يحذف من الخبر ما يوهم في المخبر عنه نقصًا ولا يضره ذلك بل يجب . هذا جوابه بحروفه نقله السيوطي أ هـ .

يتم الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ يتم معنوي يفيد فوزه بكل الكمالات الإنسانية :

قلت : فإذا ذكر يتمه ﴿ ﷺ وآله﴾ يجب أن يشار إلي اليتم المعنوي الذي يفيد تفرده بكل الكمالات الإنسانية ، والمزايا المحمدية التى اختصه الله بها دون غيره من المخلوقات ، فإن غلامًا أباؤه سادة وللناس قادة ، لا تأثير لليتم المادي في شخصه الكريم .

---

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال ٣١٨٨٤ وابن سعد في الطبقات الكبري ٧١/١/١ وابن كثير في البداية والنهاية ٢٧٧/٢ وفي مناهل الصفا ١٢ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٣٦٤/٢

الفقر في حقه ﴿ ﷺ وآله﴾ هو الافتقار إلي مولاه والغني عمن سواه والمسكنة تواضعه :

كما لا يليق أن يوسم بالفقر والفاقة فقد ورد أن الجبال راودته أن تصير ذهبًا بين يديه فأباها لمقتضيات كمال الإيمان من الشكر والصبر . فيكون الفقر في حقه ﴿ ﷺ وآله﴾ بمعني الافتقار إلى مولاه والغنى عمن سواه ، وإذا قيل مات النبي غريبا عن وطنه ومسقط رأسه – أجيب بأن الوجود علويه وسفليه وطنه فتكون غربته بمعني ندرته بين الخلق فهو بشر لا كالبشر وإنما كالياقوت بين الحجر ، فالغريب هو الشئ النادر المنقطع النظير . إنك إن فعلت ذلك كنت معظمًا إياه لا مثيرًا الشفقة عليه . . وإذا قرأت حديث : ﴿ اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين ﴾ [1] فإياك أن يتبادر إلى ذهنك المسكنة بمعنى المذلة إلا إذا قصدت بها التواضع وقد كان هذا شأنه علىكل أحيانه : فقد خصف نعله ، وخاط ثوبه ، وحلب شاته ، وساعد خادمه بيده الشريفة تواضعًا منه وهو الرفيع الشأن المرفوع الدرجات ﴿ ﷺ وآله﴾ . وختامًا لهذه الرؤية الجديدة حول يتمه وإرضاعه أقول : إن مرضعة حصل لها من الخير والبركة وسعة العيش بسبب هذا الرضيع الفرد لحرى بها أن تتمسك به ، وتتعلق بأهدابه ، وتبذل النفس والنفيس للفوز بحضرة جنابه ، وتفاخر به مثيلاتها وأترابها وأبناء قبيلتها وأهلها وعشيرتها .

ألم يرتفع به قدرها ؟ ألم يعل به شأنها ؟ ألم تتحقق لها به كل ألوان السعادة ؟ ألم تفز ببركته بالخاتمة الحسني وزيادة ؟ .

لقد بلغت بسيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ مقامًا علا في ذروة العز والمجد وزادت مواشيها وأخصب ريعها وقد عم هذا السعد كل بني سعد .

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد الباب ٣٧ وابن ماجة في كتاب الزهد الباب السابع

ثانيًا : تفسير المجرمين لقوله تعالي : (وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى) [1] :

يتخرص المجرمون الذين يسيرون علي نهج ثالوث التكفير – ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب – بتفسير قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى ﴾ بما يؤدي إلى عدم توقير النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ونعته بما لا يليق بمقامه الرفيع ﴿ ﷺ وآله﴾ فيقول هؤلاء المجرمون :

إنه كان ﴿ ﷺ وآله﴾ يعيش في مكة كأحد رجالاتها الضلال ، أى كان واحدًا منهم لا يعرف علمًا ولا شرعًا ولا إيمانًا ولا إسلامًا ، فهداه الله تعالى إلى النبوة والشريعة .

بهذا الفهم العقيم السقيم الذي يتشدق به المبطلون من مقلدي ثالوث التكفير ، في عدم توقيرهم وإيذائهم له ﴿ ﷺ وآله﴾ لاعتقادهم الفاسد أن كل ما فيه إجلاله ﴿ ﷺ وآله﴾ من قول أو فعل هو عبادة له ، وبالتالي فهو شرك من قائله أو فاعله ، فسجلوا علي أنفسهم للعالم الإسلامي أنهم موتورون منه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، يسوؤهم ما فيه توقيره ، ويسرهم ما فيه انتهاك حرمته ﴿ ﷺ وآله﴾ .

وفي نظرات متأملة إلى سورة الضحي نجد أن مادة ﴿ ضَلّ ﴾ قد ألقت ضوءاً علي الآية الكريمة ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى ﴾ فكانت ذكرى لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد . وفي جولة سريعة بين كتب اللغة والتفاسير نجد معاني تحتملها اللغة وترتاح إليها النفوس المشرقة ، والأذهان الصافية ، والبصائر النافذة ، كما تعيها الآذان الواعية .

كما نجد تفسيرات تستند إلى الخبر والأثر فيطمئن إليه القلب ، ومن جماع هذا كله نجد هذه التفسيرات :

١- وردت كلمة (ضل) بمعني الغيبة كقولهم : (ضل اللبن في الماء) أى غاب فيه وذاب فهذا هو مقام الفناء الذي يعني شدة المحبة للمحبوب ، وذلك لما خلع علي نبيه ومصطفاه من الخلع الذاتية والصفاتية حتي تغيبه فيه ، فأفناه عنه ، وأبقاه به ، فكأنه هو ، ولولاه ما كان هو ، فلما رآه الخلق فيه ، اهتدوا إليه به ، لأنه الباب الأعظم للدخول علي الجناب المقدس ، ومن أخطأ الباب حرم على حضرة الجناب .

---

(١) سورة الضحي – آية ٧

٢- يقول الكلبي والفراء ونحوه عن السدي عن قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَـدَى ﴾ ووجد قومك في ضلال فهداك إلى إرشادهم ، وقال صاحب تفسير ((المحيط)) أبو حيـان الأندلسي فى تفسيره : أى ووجد رهطك ضالاً فهداه بك ، وهو حذف مضاف علي حـد قولهم : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾[1] أى أهل القرية .

٣- ويكون الضلال بمعني الطلب ، أى ووجدك طالبًا لله فهداك إليه ، كما كنـت طالبًـا للقبلة فهداك إليها سر قوله تعالي : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّـكَ قِبْلَـةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [2]

٤- ويكون ((الضلال)) بمعنى المحبة ، أى ووجدك محبًا للهداية فهداك إليها ، بالإكثار من ذكره سبحانه وتعالى والتوقع للقائه ، وجعله فيه لتمكنه ودوامه عليه ، كما قال تعالى : ﴿ قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ ﴾ [3] والضلال هنا يعنى الحب أى في إفراطك فى محبـة يوسف .

٥- وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام كنت ضالاً عن محبتي لك في الأزل ، فمننـت عليك بمعرفتى .

٦- وقيل : وجدك ضالاً عن معنى محض المودة ، فسقاك كأسًا من شراب القربة والمـودة فهداك به إلي معرفته عز وجل .

٧- وقال ابن عباس : ضل النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وهو صغير في شعاب مكة فرآه أبو جهـل فرده لجده عبد المطلب وهو يتعلق بأستار الكعبة يتضرع إلى الله أن يرده عليه ، وذكـر أن أبا جهل أناخ الناقة وأركبه من خلفه فأبت أن تقوم ، فأركبه أمامه فقامت ، فكأن لسـان حال الناقة تقول لأبي جهل : يا أحمق ، هو الإمام فكيف يقوم خلف المقتدي .

---

(١) سورة يوسف – آية ٨٢

(٢) سورة البقرة – آية ١٤٤

(٣) سورة يوسف – آية ٩٥

وفي إرجاع النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ إلي أهله على يد أبي جهل ، يشبه إرجاع موسي إلى أمه على يد فرعون .

٨- وتكون معنى ((الضلة)) الحذق والمهارة فى الدلالة على الله عز وجل .

٩- وأما بفتح الضاد من ((الضلة)) فمعناها : الحيرة ، ويكون المعنى : أنه كان متحيرًا مشتاقًا قلقًا لتأخر نزول الوحي ، فأقسم له ربه أنه ما ودعه وما قلاه ، كما يدعي خصومه وأعداؤه قال تعالى : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (١) .

١٠- وقال الجنيد رضي الله عنه : أى ووجدك متحيرًا في بيان الكتاب المنزل عليك فهداك لبيانه .

١١- وقيل أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ كان حائرًا فى أمر قومه ، وضلالهم في عقائدهم وتقاليدهم ، وفساد أعمالهم وجهلهم وتفرق كلمتهم ،ولا يدري ما هو السبيل إلى هدايتهم ، حتي نزل عليه الوحى فيه تبيان كل شئ ، وهدى ورحمة للعالمين ، فالضلال هنا بمعنى : ((الحيرة)) كيف يهدي الكافرين ؟ فهداه الله بنزول القرآن عليه .

١٢- وقال بعض المتكلمين : إذا وجدت العرب شجرة منفردة فى فلاة من الأرض لا شجر معها سموها : ((ضالة)) فيهتدي بها إلى الطريق ، ويستظل بظلها ويؤكل ثمارها ، ويخلد المارة للراحة تحتها ، والمراد : لما وجدك وحدك ليس معك أحد فهدى الناس إليك ولم يتركك منفردًا ، فرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ تلك الشجرة ذات الأصل الثابت ، وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، فأصل الشجرة الاسلام ، وفرعها العبادات ، وثمارها الأحوال والمقامات .

١٣- ويقول القرطبي : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ (٢) أى لا أحد علي دينك ، وأنت وحيد ليس معك أحد ، فهدى بك الخلق إلى الله ((راجع القرطبي في تفسير سورة الضحي – صفحة ٧١٨١ طبعة دار الشعب)) .

---

(١) سورة الضحي – آية ١-٣

(٢) سورة الضحي – آية ٧

١٤- وقيل المعنى ووجدك ضالاً بين الناس ، لا يعرفون حقك فهداهم إليك ، ودلهم عليك .

١٥- وقيل : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا ﴾ بمعنى : مضلول كما قيل : ماء دافق بمعنى : مـــدفوق ، وسر كاتم بمعنى : مكتوم فهدى الخلق إلى الإقرار بنبوتك ، والاعتراف بصدقك .

١٦- وقد ترد كلمة ((الضلال)) بمعنى ((الغفلة)) فيكون المعنى : أن الحق تبارك وتعالى وجدك غافلاً عن قدر نفسك فهداك أى أطلعك على عظيم مقامك ليلة الإسراء والمعراج ، فرجعت عن قولك : (لا تفضلوني على نبي الله يونس) وذلك بعد رحلة التفضيل علـــى سائر الأنبياء والمرسلين ، تلك الرحلة الخالدة التى تمت على مشهد من الرســـل الكـــرام ، فرأيت مالم يشهد النظراء ، حيث رأيت الآية الكبري ، وهي رؤية ربك بعين رأسك .
فإن الذي أفردك بالمقام المحمود والشفاعة العظمى في الآخرة لا يعجزه أن يقربــك بمقــام الرؤية فى الدنيا ، لتزيد علي الخليل في خلته ، وعلي الكليم في كلامــه ، وتفضــل علـــى الجميع برؤيته .
قال الحافظ بن حجر : إضافة الرؤية للعين للاحتراز عن رؤية القلب ، فقد أثبت الله لحبيبه رؤية القلب بقوله : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ (١)كما أثبت له رؤية العين بقوله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾(٢) وجزم بما قاله ابن عباس : إنها رؤية عين ليلة الإسراء .
وقال بذلك مجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغير واحد وهو الصحيح .
عذرًا سيدي يا رسول الله من أقوال المبطلين ، الذين سجل القرآن عليهم أنهم آذوا الأنبياء وكادوا لهم في كتابه فى قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ﴾(٣) وفى قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ

(١) سورة النجم – آية ١١
(٢) سورة النجم – آية ١٧
(٣) سورة التوبة – آية ٦١

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [1] وفي قولـه تعـالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [2] .

فذرهم وما يفترون ، لأنك الرحمة التي سبقت غضب الرحمن ، الـذي قـال : (ورحمـتي سبقت ضبي) [3] .

ولأنك القبضة النورانية التي قبضها الحق من نوره قبل أن يخلق الخلق ثم قال لها : (كـوني محمدًا) فكنت أنت حكمة الكون ، ولولاك لدامت في غيبها الأشياء .

ولأنك النعمة والمنة التي أمتن الله بها علي عباده ، فارتضاك الله لهم بدءا وختامًا ، كما قال تعالى :﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًـا ﴾ [4] .

تجريد الأنبياء من العصمة قديمًا فرية يهودية :

إن فرية تجريد الأنبياء من العصمة فرية يهودية ذهبت بأهلها فيما مضي حـتي دسـوا فى كتبهم اكاذيب مفضوحة ، جعلت لوطًا زانيًا بابنتيه ، وداود زانيًا قاتلاً ، وسليمان مرتـدًا عابدًا لوثن ، إلى آخر هذه الأكاذيب المصنوعة .

تجريد النبي﴿ ﷺ وآله﴾ من العصمة حديثا فرية وهابية :

إن فرية تجريد النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ من العصمة فرية وهابية تستعمل اليوم كـأقرب وسـيلة للثراء المأمول من شيوخ البترول فما على شيوخ القحط فى مصر الطـالبين للشـهرة أو

(١) سورة الفرقان ـ آية ٣١

(٢) سورة الأنعام ـ آية ١١٢

(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد الباب ١٥ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٥٥ وكتاب بدئ الخلق الباب الأول ومسلم في كتاب التوبة الحديث رقم ١٤-١٦ وابن ماجة في كتاب الزهد الباب ٣٥ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٤٢ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٣١٣ ، ٣٥٨ ، ٣٨١ ، ٣٩٧ ، ٤٣٣ ، ٤٦٦

(٤) سورة المائدة ـ آية ٣

المبتلين بجمع المال ، إلا أن يسبوا النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وأهل بيته ، وأن يحملوا على أبويه وعمه وجده ، وأن يطعنوا فى أولياء الله والأئمة والسلف الصالح ، وأن يهدموا التصوف بحقد أسود لا أدب معه ولا علم فيه ، وأن يروجوا لحركة (القرأنة) التى تدعو إلي نبذ السنة والاكتفاء بالقرآن ، وأن يؤلفوا كتبهم فى تحريم ذكر النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بالسيادة أو وصفه بالنوارنية أو بالملاحة ، وأن يعتبروا المساجد الملحقة بالأضرحة بناءات وثنية خير منها المواخير وعلب الليل ومستنقعات الفجور والدعارة ، وأن يرموا المتوسل به ﴿ ﷺ وآله﴾ بالشرك والكفر . فإذا فعلوا ذلك فلا يلبثوا أن تتلقفهم أيدي شيوخ النفط فتتخمهم بالمال وترفع حولهم الصيت والشهرة وتكلل رؤوسهم بغار الإصلاح والإمامة والتوحيد ونصرة السنة والعمل بالكتاب والهدى النبوى وما أسرع ما يسمي عندهم ((الإمام)) وتبني لهم المؤسسات والعمائر وتمنح السيارات والمكتبات . إن أيدي شيوخ النفط التى تحرك هؤلاء الإمعات من شيوخ القحط تستغلهم ضد دينهم ، يهمها ألا ينصرف هؤلاء إلى معالجة الأمور الجادة المتفق على خطورتها ، كالإلحاد والإنحلال والتدهور الخلقي والنفساني والاقتصادى والاعتقادى والاجتماعى والاستعمارى بألوان الانحراف الفكرى ، والوجودية والحروب المحلية والعلمانية ، والاستشراق والتبشير والصهيونية والشيوعية والأخطار الاستعمارية التى تشتعل فى الأقطار الإسلامية ، والهول الرهيب في وسائل الإعلام والإعلان بأنواعها ، كل ذلك لا نسمع فيه لشيوخ القحط ركزًا ولا نحس لهم معه همسًا ، بينما ترتفع العفائر وتصطخب الأصوات وتبح الحناجر ، وتوقد نار الحروب ، إذا قال قائل بحق : إن الرسول معصوم ، وإنه سيد خلق الله ، أو احتفل بمولده ، أو زار مشاهد الأنبياء والأولياء أو والى أهل البيت .

﴿ لاتقوم الساعة حتي يتحدث الرويبضة ﴾ (١)

الرويبضة هو المخلوق الجامع لعيوب العقل والأخلاق والتفاهة ، وهذا هو ما نراه اليوم فى شيوخ القحط الذين يلهثون وراء شيوخ النفط مع ضحالة علمهم وأدبهم وعفن ريحتهم .

---

(١) رواه أحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٩١ ، ٣٣٨ والجزء الثالث صفحة ٢٢٠ وابن ماجة في كتاب الفتن الباب ٢٤

أخي في الله وحبيبي في رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ :

هذه الأبواب التى كتبتها في عصمة الأنبياء ، دواء ناجع ومصل واق للحصانة مــن إيــدز الوهابية الذي يصيب القدرة على المناعة الإسلامية ضد البوذية والشيوعية والصــهيونية ، التى تصعق وتقتل وتدمر وتخرب بلاد المسلمين فى فلسطين ولبنان وإرتيرتيــا والصــومال والفلبين وبلغاريا وألبانيا والمغرب والبلساريو وليبيا وتشاد والعراق وإيران والسودان شماله وجنوبه والبوسنة والهرسك وبورما وكشمير حتي يتحول العالم الإسلامي إلى شئ هو كفــر لا إسلام .

ولله الأمر من قبل ومن بعد

الباب السادس

الأوراد والصلوات والأذكار

الفصل الأول

الأوراد

حقيقة الأوراد وتلاوتها :

الورد المتواصل فى كل ساعة وحين ، سمة من سمات الشخصية الربانية ، وصفة تحتاج لمجاهدة وتربية حتي يلتزم بها المسلم وتصبح جزءًا من مكوناته ، وهو دليل علي الارتباط الكامل بالله ، والعيش معه ، وفى رحابه ، يمد الإنسان بالاستقرار والطمأنينة ، ويدفعه للبذل والعطاء ، ويبعده عن اليأس والإحباط ، ويمنحه القدرة علي مواجهة الضغوط والتحديات ، وهو شعور بمعية الله ورقابته ، يعينه على القيام بالطاعات بشوق العابد العارف ، ويحجزه عن المعاصي بنفسية المؤمن الشاكر .

والورد هو ذكر لله يغرس في أعماق المؤمن مجموعة من المعاني تعجز أحيانًا المعارف عن غرسها بتلك الكيفية وذلك العمق ، وهو علامة على توحيد الله والإيمان به والتوكل عليه والثقة به ، كما هو دليل علي حاجة العبد وعبوديته ، وهو فى كل الأحوال مخ العبادة .

أهمية الورد في حياة المسلم :

للورد أهميته القصوى فى حياة الإنسان ، وفوائده المتعددة ، التى لا يستغني عنها في حال من الأحوال ، إذ الدعاء جسر يوصلك إلى تقوى الله تعالى ، ويربطك ربطًا قويًا بالإيمان بالغيب الذي هو أبرز صفات المتقين .

قال الله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [(١)]

والورد وسيلة ناجحة للقرب من عظمة الله تعالى والاتصال به ومناجاته والتوكل عليه وذلك هو سر النجاح فى كل الأمور ، قال الله تعالى : ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [(٢)].

والورد سلاح للمؤمن يدرأ به كثيرًا من البلايا والأخطار وكثيرًا من الأمراض والأقدار .

الورد دأب الأنبياء السابقين وسجيتهم :

فآدم لجأ إلى الدعاء فقال : ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [(٣)] .

ونوح دعا ربه فقال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [(٤)] .

وإبراهيم دعا لنفسه وذريته والمؤمنين فقال : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [(٥)] .

وزكريا دعا ربه ليرفع عنه داء العقم فقال : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء ﴾ [(٦)] .

وقال : ﴿ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [(٧)] .

---

(١) سورة البقرة – آية ٢-٣

(٢) سورة هود – آية ١٢٣

(٣) سورة الأعراف – آية ٢٣

(٤) سورة نوح – آية ٢٦

(٥) سورة إبراهيم – آية ٤٠-٤١

(٦) سورة آل عمران – آية ٣٨

(٧) سورة الأنبياء – آية ٨٩

وموسى دعا لنفسه فقال : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ (١)

وأيوب دعا لكشف الضر عنه فقال : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٢)

وهكذا ظل الأنبياء والصالحون يضرعون إلى الله بالدعاء الذي هو مفتاح لكل خير .

أوراد في كتاب الله :

جاء في الكتاب العزيز روائع من المدح والثناء على أهل الأوراد وورد فيه بيان لعظمتها ونفعها للمؤمن ، فقد أمر الله بالدعاء وجعله العبادة ، وعين المصير الموحش الذي يصير إليه من أعرض عن الذكر ، أو استنكف عن الدعاء فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٤)

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا ﴾ (٥)

وجعل الله الدعاء سببًا للرحمة ووسيلة للقرب منه تعالى فقال : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ ﴾ (٦).

وقال تعالي : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٧) . وقال تعالى : ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (٨)

---

(١) سورة طه – آية ٢٥-٢٨

(٢) سورة الأنبياء – آية ٨٣

(٣) سورة طه – آية ١٢٤

(٤) سورة غافر – آية ٦٠

(٥) سورة الأحزاب –آية ٤١-٤٢

(٦) سورة الفرقان – آية ٧٧

(٧) سورة الأعراف –آية ٢٠٥

(٨) سورة الأعراف – آية ٥٦

وبين الله تعالى لرسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه قريب من عبده المؤمن إذا دعاه ، وأنه يستجيب له فقال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (١) .

الورد في السنة :

عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ إن الدعاء يرد القضاء ، وإن البر يزيد في العمر ، وإن الحج لينفي الفقر ، وإن صدقة النهار تدفع ميتة السوء ، وإن صدقة الليل تطفئ غضب الرب تبارك وتعالى ﴾ (٢) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا ، ومن كل هم فرجًا ، ورزقه من حيث لا يحتسب ﴾ (٣) .

.

عن حذيفة بن اليمان قال : أتيت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فقلت : يا رسول الله إن في لساني ذربًا علي أهلي فقد خشيت أن يدخلني ذلك النار . قال : ﴿ فأين أنت من الاستغفار ، إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة ﴾ (٤) .

---

(١) سورة البقرة – آية ١٨٦

(٢) رواه الترمذي ٢١٣٩ وابن ماجة ٩ ، ٤٠٢٢ والحاكم في المستدرك ٤٩٣/١ والطبراني ٩٧/٢ ، ٣٠٨/٦ والبغوي في شرح السنة ١٣ / ٦ والتبريزي في مشكاه المصابيح ٢٢٣٣

(٣) رواه ابن ماجة في كتاب الأدب الباب ٥٧ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢ / ٤٦٨ ، ٦١٧/٢ والنووي في الأذكار النووية ٣٥٩ ، والبيهقي في السنن الكبري ٣١٥/٣ والطبراني في المعجم الكبير ١٠ / ٣٤٣ والبغوي في شرح السنة ٥ / ٧٩ والتبريزي في مشكاه المصابيح ٢٣٣٩ والسيوطي في الحاوي للفتاوي ٢٠/٢ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٢٤٨/٤ ، ٤٠٣ ، وأبو نعيم في الحلية ٢١١٠/٣ .

(٤) رواه مسلم في كتاب الذكر الحديث رقم ٤١ وأبو داود في كتاب الوتر الباب ٢٦ والترمذي في كتاب تفسير القرآن (تفسير سورة محمد) الباب الأول وابن ماجة في كتاب الأدب الباب ٥٧ والدارمي في كتاب الرقاق الباب ١٥ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٤٥ والجزء الرابع صفحة ٢٦٠ والجزء الخامس صفحة ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢ .

عن أنس بن مالك قال : كنا مع النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ في سفر ، فقال لنا : ﴿ استغفروا الله . فاستغفرنا، فقال لنا أتموها سبعين مرة ، فما من عبد ولا أمة استغفر الله في يوم وليلة سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب ، وقد خاب عبد أو أمة أصاب في يوم وليلة سبعمائة ذنب ﴾ (١) .

عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ إن الدعاء هو العبادة ﴾ (٢) ثم قرأ :﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٣) .

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاتكم بالصدقة ، وأعدوا للبلاء الدعاء ﴾ (٤) .

عن معاذ بن جبل : أن رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ لن ينفع حذر من قدر ، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم يترل ، فعليكم عباد الله بالدعاء ﴾ (٥) .

أوراد أهل البيت والصحابة والسلف الصالح وحجيتها :

هل الأوراد قاصرة علي ما ورد منها في الكتاب والسنة ؟ أم هي مباحة كما ورد من أئمة أهل البيت والصحابة والتابعين والسلف الصالح وغيرهم من العلماء والعارفين ؟

---

(١) أورده الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٩٣/٦ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٩٦٧ .

(٢) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن (سورة البقرة) الباب ١٦ ، ٤٠ وابن ماجة في كتاب الدعاء الباب الأول وأحمد في الجزء الرابع صفحة ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ .

(٣) سورة غافر – آية ٦٠

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبري ٣٨٢/٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦٣/٣ والطبراني في المعجم الكبير ١٠ / ١٥٨ والمنذري في الترغيب والترهيب ٥٢٠/١ والمتقي الهندي في كنز العمال ١٥٧٥٩ ، ١٥٧٦٠ ، ٤٣٣٠٥ ، ٤٣٣٥٣ ، ٤٣٣٥٤ وأبو نعيم في الحلية ١٠٤/٢ ، ٢٣٧/٤ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٣٤/٦ ، ٢٧١٣ وأبو داود في مراسيل ١٤ .

(٥) رواه أحمد في الجزء الخامس صفحة ٢٣٤ والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ / ١٤٦ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣١٢٣ .

إن كثيرًا من الأوراد راجع إلي اجتهادات أئمة أهل البيت والصحابة والسلف الصالح وغيرهم ، وما يفتح الله به عليهم ، لأن تقرير ذلك والعمل به صحيح صريح من السنة وشواهده كثيرة وذلك بتقريره ﴿ ﷺ وآله﴾ لأذكار وأدعية كثيرة سمعها من كثير من أصحابه بألفاظ متباينة ومعان واضحة بلا تقدم تعليم ولا تعلم منه ﴿ ﷺ وآله﴾ .

فمن ذلك حديث عبد الله بن بريدة رضي الله تعالى عنه أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد .فقال :﴿ لقد سأل الله تعالى باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطي ﴾ (١)

ولا شك أن الادعية النبوية هي الأصل الأول الذي عليه المعول ، وليس في ذلك أدنى شك عند من له ذرة من عقل . فكلام سيد البشر هو سيد كلام البشر .

ولكن لا يلزم الالتزام بالأدعية الواردة ، بل لو قال الإنسان من نفسه دعاء غير مخالف للشرع فما فيه من بأس ، بل يحصل له به إذا فهم معناه كمال الإيناس ، ومع ذلك فامزج أدعيتك بالأدعية الواردة ليحصل لك تمام الفائدة ، ولا يضر قول من قال ، ممن خبط في المقال : ((لا ينبغي أن يدعو الإنسان إلا بالوارد عن الله تعالى أو سيد الأكوان ﴿ ﷺ وآله﴾ وصحبه)) فإن من سنذكرهم من القادة العلماء والسادة الأولياء ما اغترفوا تلك الفيوضات إلا من بحر النبي الأكرم ، ولا اقتبسوا هاتيك الأنوار الساطعات إلا من نوره ﴿ ﷺ وآله﴾ .

فاعمل بها حينئذ معتمدًا على الله ، غير ملتفت إلى ماسواه ، لا على أنها مروية عن النبي الكريم ﴿ ﷺ وآله﴾ وإنما اقتداء بالسلف الصالح الذين كانوا يفعلونها ، ويحضون عليها تبركاً بعلمهم الناجح ، وتأسيًا بالسادة الصوفية وامتثالاً لقول من أوصى بها ، وتيمنًا بأفعالهم المرضية ، نفعنا الله تعالى بهم أجمعين . ووفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه ، آمين .

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات الباب ٦٣ وابن ماجة في كتاب الدعاء الباب ٩

(فإن قلت) : نحن لا ننكر مجرد الدعاء ، وإنما الذي ننكره كون هذه الأدعية لا تطلب إلا فى الأوقات المخصوصة .

(قلت) : قد عرفت أن المعول الأول عليه فيما ذكرناه هو قول من سردنا من أهل الصلاح والكشف والفلاح وفعلهم ، وأيضًا فهو مجرد أدعية ، وتضرعات إلى التواب الرحيم ، وتلاوة القرآن العظيم ، وهما لا يمنعان في وقت من الأوقات فمن أتى بهما لا يقصد إلا مجرد التضرع وتلاوة كلام رب البريات ، فما فى ذلك بدعة ولا إنكار ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظنا من الخزي والبوار .

ورد الفرج لسيدنا الخضر عليه السلام :

اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء ، وعلوت بعظمتك على العظماء ، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك ، وعلانية القول كالسر في علمك ، وانقاذ كل شئ لعظمتك ، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك ، اجعل لي من كل هم أصبحت أو أمسيت فيه فرجًا ومخرجًا .

اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئي ، وسترك علي قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه منك مما قصرت فيه ، أدعوك آمنًا وأسألك مستأنسًا ، وإنك المحسن إلىّ وأنا المسئ إلى نفسي فيما بيني وبينك ، تتودد إلىّ بنعمتك واتبغض إليك بالمعاصي ، ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك ، فعد بفضلك وإحسانك علىّ إنك أنت التواب الرحيم ،

وصلي الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

دعاء ختم القرآن لسيدنا علي زين العابدين ﷺ:

الحمد لله رب العالمين * حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده * يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك * سبحانك لا نحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت علي نفسك ، فلك الحمد حتى ترضي * ولك الحمد إذا رضيت * ولك الحمد بعد الرضا * الحمد لله رب العالمين * اللهم صل وسلم علي سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ياذا الجلال والجمال

والإكرام والمواهب العظام * ورضى الله تعالى عن أصحاب سيدنا رســـول الله أجمعـــين * ورضى عنا وعن والدينا وعن أمواتنا وعن مشايخنا وعن معلمينا ووالـــديهم والحاضـــرين وجميع المسلمين * من عبادك الصالحين * المفلحين المنجحين * الفائزين البـــارين * المـــنعمين الفرحين * المسرورين المستبشرين * المطمئنين الآمنين * الذين لاخـــوف علـــيهم ولا هـــم يحزنون . . . . .

حزب البحر لأبي الحسن الشاذلي :

(اللهم) يا ألله يا على ياعظيم ياحليم ياعليم أنت ربي ، وعلمك حسبي ، فنعم الرب ربي ، ونعم الحسب حسبي ، تنصر من تشاء وأنت العزيز الـــرحيم ، نســـألك العصـــمة – فى الحركات والسكنات ، والكلمات والإرادات والخطرات – مـــن الشـــكوك والظنـــون ، والأوهام الساترة للقلوب ، عن مطالعة الغيوب ، فقد ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدًا ، وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غـــرورا ، فثبتنـــا وانصرنا وسخر لنا هذا البحر ، كما سخرت البحر لموسي ، وسخرت النـــار لإبـــراهيم ، وسخرت الجبال والحديد لداود ، وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان ، وسخر لنا كل بحر هو لك في الأرض والسماء ، والملك والملكوت وبحر الدنيا وبحر الآخرة ، وســـخر لنا كل شئ يامن بيده ملكوت كل شئ . .

أوراد الإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام :

وللإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم عليه السلام أوراد كثيرة منـــها أوراد خـــتم صـــلاة الصبح وورد ختم صلاة الظهر ، وورد ختم صلاة العصر ، وورد صلاة المغـــرب ، وورد صلاة العشاء ، والورد القولي للنهار والليل وذلك ثابت في كتاب ((نيل الخيرات بملازمة الصلوات)) أما أوراد المناسبات ففي كتاب ((إلهي إلهي إلهي)) أما أوراد الحج والعمـــرة ففي كتاب ((لبيك اللهم لبيك)) أما أوراد ليلة النصف من شعبان ففي كتاب ((مشارق البيان فى فضائل شعبان)) أما أدعية شهر رمضان ففى كتاب ((أدعية الغفـــران فى شـــهر

القرآن)) أما أدعية أيام الأسبوع ففي كتاب((الفتوحات الربانية والمنح النبوية في الصلاة علي خير البرية))

أوراد الشيخ محمود خطاب مؤسس الجمعية الشرعية :

للشيخ محمود بن محمد بن أحمد خطاب المصري السبكي ((نسبة إلى سبك الأحد بمركز أشمون محافظة المنوفية)) أوراد سماها ((العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق)) فمن عمل بها فهو من إخواننا ، ومن أعرض عنها فلا علاقة له بنا .

مجلس الورد اليومي للجمعية الشرعية قبل توهبها :

واعلم أنه لابد لك فى كل أربع وعشرين ساعة من مجلس مخصوص فى الليل أو النهار ، والليل أولى ، بعد فراغك من الشواغل ، بأن تتوضأ إن أمكن ، وتصلي من النفل ما تشاء ، وإذا كان عليك فوائت صل منها بدلاً عن النفل ، لأن فعل الفرض مقدم على فعل النفل ((ثم)) تستقبل القبلة إن أمكن وتقرأ ما تيسر من القرآن (كالفاتحة ، وسورة تبارك – الملك) إن كنت حافظًا لها و(سورة الكافرون) .

ثم تستغفر الله بأى صيغة ((مائة مرة)) أو أكثر ((ثم)) تجدد التوبة وتندم علي ما فعلت من المخالفات ، وتحاسب نفسك على ذلك محاسبة حقيقية شديدة كأنها طفل بين يديك تريد تربيته بزجره بكل ما تقدر عليه ، بمعنى أنك تذكر لها كل ما وقع منها طول النهار ، من المخالفات ، والتفريط والكسل وغير ذلك ، وتذكر لها العذاب الذي جعله الله تعالى للعاصين والثواب الذي أعده تعالى للطائعين ، فتحكم عليها أن تقبل علي العبادة في تلك الليلة ، بقدر ما ارتكبت من المعاصي أو أزيد إذ الحسنات تكفر السيئات والمحاسبة المذكورة من أهم الأمور المطلوبة .

ثم تصلي وتسلم على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بأى صيغة ((مائة مرة)) فأزيد وينبغي الإكثار ليلة الجمعة ((ثم)) تتجرد من الشواغل الدنيوية كلها إن أمكن ، أو بقدر ما يمكن ، لأنك تريد الدخول فى حضرة ربك التى هى كناية عن الإقبال التام على الله عز وجل ، والإعراض عن كل ما سواه حتى عن نفسك ، وأنت جالس فى مكان طاهر مظلم معظم

مطيب بالروائح الزكية ((كجلوسك للصلاة)) واضعًا يديك علي فخذيك ، مغمضًا عينك عما يشغل لأنه بتغميض العينين تنسد طرق الحواس الظاهرة ، وسدها يكون سببًا لفتح حواس القلب ، لابسا لثياب بيض حلال ، مطيبات بالروائح البهية ، والفم والبدن ، مبعدًا الروائح الكريهة ، لأن الروحانيين لا يقبلون الروائح الكريهة ، وانقطاعهم عن مجلس الذكر علامة على انقطاع الخير . ثم تذكر فى الاسم الذى أذن الشيخ لك فيه ، بهمة تامة ، مستحضرًا معنى ذلك الاسم فى قلبك ، حتى كأن قلبك هو الذاكر ، وأنت تسمعه ، متباعدًا عن تحريف الأسماء .

هذه هى أوراد الجمعية الشرعية قبل أن تتحول إلى الوهابية وتعتبر تلاوة الأوراد من البدع التى يجب محاربتها .

تلاوة الأوراد والصلوات بالمساجد وحكمها :

انتشرت فى هذه الأيام دعوى الإنكار علي تلاوة الأوراد والصلوات بالمساجد ، وذلك من أهل التكفير والتشريك ، تارة بزعم أن هذا العمل لم يكن فى عهد رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ ، وتارة أنه لم يكن بصورة جماعية ، وتارة أنه لم يكن علانية بل كان سرًا .

وللأسف لم يقف أحد من علماء الدنيا الجهلاء بالآخرة فى طريقهم ولم يردوا عليهم .

وإليك النصوص الواضحة والفاضحة للرد علي هؤلاء المنكرين :

إن تلاوة الأوراد والصلوات في السر والعلانية ، جماعة وفرادى له أصل أصيل فى الدين سواء أكان فى المساجد أو فى بيوت الناس ، وقد جاء فى حكمها آيات كثيرة من كتاب الله ، نذكر منها علي سبيل الاستدلال فى حالة الجهر أو التوسط أو الإسرار قوله تعالى : ﴿ ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٢).

(١) سورة الأعراف – آية ٥٥

(٢) سورة الأعراف – آية ٢٠٥

والتضرع مقابل الخفية ، أى ادعوه علانية وقد اختار هذا أبو مسلم ، وقيل بتقدم الجهر علي الإخفاء إذا خلا الجهر من الرياء ، وكان فيه قصد تعليم جاهل أو نحو هذا من إزالة وحشة عن مستوحش أو تغيير مبتدع عن بدعة ، ومنه الجهر بالترضي عن الصحابة والدعاء لإمام المسلمين فى الخطبة . وقد سن الشافعية الجهر بآمين بعد الفاتحة ، وهو دعاء يجهر به الإمام والمأموم عندهم .

ولتلاوة الأوراد والصلوات أدلة وشواهد من كتب السنة ، فقد جاء فى صحيح الإمام مسلم عن ابن عباس قال : ﴿ ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ وآله إلا بالتكبير﴾[1] .

وروى أيضًا أن أبا معبد مولى ابن عباس أخبره ﴿ أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ وآله ﴾[2] .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبي﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر ، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم ، ثم بعثوا رائدهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى ، فيقولون : ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد ﷺ وآله ويسألونك لآخرتهم ودنياهم فيقول الله تبارك وتعالى : غشوهم رحمتي فهم الجلساء لا يشقى جليسهم ﴾[3] رواه البزار .

وعن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم تره فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان الباب ١٥٥ ومسلم في كتاب المساجد الحديث رقم ١٢٠ ، ١٢١ ، وأبو داود في كتاب الصلاة الباب ١٨٥ والنسائي في كتاب السهو الباب ٧٩ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٢٢٢

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان الباب ١٥٥ ومسلم في كتاب المساجد الحديث ١٢٢ ، وأبو داود في كتاب الصلاة الباب ١٨٥ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٣٦٧ ،

(٣) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٧/١٠ المنذري في الترغيب والترهيب ٤٠٤/٢ وأبو نعيم في الحلية ٦ / ٢٦٨ والحميدي في مسنده ١٨٧٦ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٠/٥ والسيوطي في الدر المنثور ١ / ١٥٢ والمتقي الهندي في كنز العمال ١٨٧٦ .

لهم﴾ [1]. رواه أبو داود . فهذه الأحاديث واضحة وصريحة فى جواز رفع الصوت ، وأنه هو السنة ، وأما القول بالمخافته فهو مجرد استحباب واختيار أى اجتهاد خاص لعدم ورود نص الحكم بالنهى عن رفع الصوت لختام الصلاة أو تلاوة الصلوات بل الجهر هو السنة الصريحة كما رأيت ، ولم يقع لنا أن الإمام أبا حنيفة أو مالك أو الشافعى أو ابن حنبل حكم بأن هذا حرام صريح أو منسوخ بنص محكم والنص لا ينسخ بالاجتهاد .

تلاوة الأوراد والصلوات لا تعد تشويشًا علي المصلين :

يقول أهل التكفير والتشريك والتبديع إن تلاوة الأوراد والصلوات بالمسجد يعد تشويشًا على المصلين ، ولكنهم فى الوقت نفسه إذا رأوا واعظًا أو مدروسًا يرفع صوته بالقول فى المسجد بين الصلوات وفى حضور المصلين لا ينكرون عليه أو يمنعونه ، فإذا جاز هذا هنا فقد جاز هذا هناك ، لوحدة الحكم والسبب .

ونحن نرى الطائفين بالبيت الحرام سواء فى طواف القدوم أو العمرة أو الوداع ، يجهرون بقراءة أذكار الطواف ، والمصلون يؤدون فروضهم بالمسجد الحرام ، ولا يعد قراءة أذكار الطواف تشويشًا علي المصلين .

وقد كان رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يتحدث بأمور الدين فى المسجد ، ويعلم الناس ، ويحفظهم القرآن يتلوه ويتلونه بعده حتي يحفظوه ، كما كان يقضي في الخصومات ، ويجهز السرايا والبعوث ويوجههم ويستشير أصحابه ، ويعقد ألوية الغزو ، ويعقد الزواج بالمسجد ، وكان يقابل الوفود ويستمع لخطاباتهم ، ويرد عليهم جهرًا بالمسجد والناس تصلي بين يديه .

---

(١) رواه أحمد في الجزء الثاني صفحة ٤٣٢ ، ٤٨١ ، ٤٨٤ ، والجزء الثالث صفحة ٤٥٢ والهيثمي في موارد الظمآن ٢٣٢١ والمتقي الهندي في كنز العمال ١٨١١ ، ٢٥٤٦٢ ، وابن كثير في تفسيره ٤٦٠/٦ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٩/٥ والبغوي في شرح السنة ٢٧/٥ ، ٢٨ والترمذي ٣٣٨٠ والسيوطي في الدر المنثور ٢١٨/٥ ، ٣٣٣ والمنذري في الترغيب والترهيب ٤٠٩/٢ والنووي في الأذكار النووية ٢٦٦ والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٢٧٤٠ .

وقد كان ﴿ ﷺ وآله﴾ يستمع للشعراء فى المسجد ويجيزهم وكان لشاعره حسان بن ثابت منبرًا في المسجد يرقى عليه ويلقي قصائده بأعلي صوته .

ومن ذلك كله يتبين أنه يسن تلاوة الأوراد والصلوات بالمساجد من الإمام والمأموم والمنفرد والرجل والمرأة جهرًا أو توسطًا أو سرًا .

وإن أهل التكفير والتشريك والتبديع فى إنكارهم ومنعهم تلاوة الأوراد والصلوات إنما يفعلون ذلك من باب خالف تعرف ، ومن ظنهم أنهم وحدهم أهل العلم وأهل الجنة ، وأن الله أعطاهم حق التصرف فيها والوصاية عليها من دون المسلمين .

ولا علاج لهؤلاء إلا بالسير وراء سماحة الإسلام ويسره ورفقه ، والبعد عن دعوى احتكار الصواب ونبذ التعصب البغيض ، والوصاية علي الدين .

نقول هذا ولا ندعي العصمة ونستغفر الله ونتوب إليه .

الفصل الثاني

الصلوات علي النبي(ﷺ وآله)

قال تعالي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١)

فقه الصلوات

يقول الله تعالى : مخبرًا أنه يصلي وملائكته على النبي﴿ ﷺ وآله﴾ ، وصلاة الله تعالى عليه ما فعله به من كرامته وتفضيله وإعلاء درجاته ورفع منازله وثنائه عليه وغير ذلك من أنواع إكرامه . وصلاة الملائكة عليه مسألتهم لله تعالى أن يفعل به مثل ذلك ، ثم أمر الله تعالى المؤمنين المصدقين بوحدانيته المقرين بنبوة نبيه أن يصلوا أيضًا عليه ، وهو أن يقولوا : (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم) فى قول ابن عباس .

ثم أمر المؤمنين أيضًا أن يسلموا لأمره تعالى وأمر رسوله تسليمًا ، فى جميع ما يأمرهم به ، والتسليم هو الدعاء بالسلامة كقولهم : (سلمك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته) وكقولك :(السلام عليك يا سيدي يا رسول الله) .

ويقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام : (إن صلاة المؤمنين على سيدنا محمد مثل قولهم : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، أى أن ثواب الصلاة على سيدنا محمد تمامًا كثواب التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير)

(١) سورة الأحزاب – آية ٥٦

المواطن التى تتأكد فيها الصلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

ومن المواطن التى تتأكد فيها الصلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ الدعاء .روى أن الدعاء محجوب حتي يصلي الداعي على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وقال﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ لا تجعلوني كقدح الراكب ، فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه ، فإن احتاج إلى شراب شرب أو لوضوء توضأ وإلا هراقة (أو أهرقه) ولكن اجعلوني في أول الدعاء ووسطه وآخرة ﴾ [1] .

وتتأكد عند ذكره ﴿ ﷺ وآله﴾ وسماع اسمه أو الكتابة أو عند الأذان ، قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ﴾ [2] وتتأكد كثرة الصلاة يوم الجمعة ، وتتأكد كثرة الصلاة عليه والسلام عند دخول المسجد ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾[3] فإن لم يكن فى البيت أحد فقل : السلام على النبي ورحمة الله وبركاته . قال ابن عباس : المراد بالبيوت هنا المساجد . ويظهر من تأويله إطلاق الآية هنا وتقييد الأخري وهي قوله تعالى : ﴿ لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [4] فقوله هنا﴿ تَسْتَأْنِسُوا ﴾ وقوله فى الآية الأولي : ﴿ فَسَلِّمُوا ﴾ دليل على أن الآية الأولى للمساجد وتتأكد حال الصلاة على الجنائز ، وفى افتتاح الرسائل وإن لم يكن عليه الصدر الأول ، ولكن أجمعت الأمة عليه فى أوائل القرن

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٥٥ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/٤٢ وعبد الرازق في مصنفه ٣١١٧ وابن حجر في المطالب العالية ٣٣١٦ والمتقي الهندي في كنز العمال ٢٢٥٢ ، ٢٢٥٣ ، ٢٢٥٤ ، ٣١١٧ .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات الباب ١٠٠ واحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٥٤ والحاكم في مستدركه ١/٥٤٩ والتبريزي في مشكاة المصابيح ٩٢٧٥ والبغوي في شرح السنة ٣/١٩٨ وفي الأذكار النووية ١٠٧ والمتقي الهندي في كنز العمال ٢١٤٨ ، ٤٣٨٣٠ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢ / ٥٠٨ وابن حجر في الكاف الشاف ١٣٧ وفي فتح الباري ١١ / ١٦٨ .

(٣) سورة النور – آية ٦١

(٤) سورة النور – آية ٢٧

الثاني عملاً بقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من صلي علي فى كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب ﴾ [1] . راجع كتاب النور المبين للإمام المجد السيد محمد ماضي أبي العزائم عليه السلام ص ١٦٣ .

كيفية الصلاة عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ :

من المعلوم أن أوامره ﴿ ﷺ وآله﴾ العامة تقتضي أن تكون بقدر المبتدئين الذين ينبغي أن يكون الأدب حصنا لهم من الغلو أو التفريط ، ولما كانت السنن العامة ينبغي أن تكون مفاتيح للقلوب وحصونًا للعقول ، حتى إذا عمل العامل بما علمه منحه الله علم ما لم يعلم ليكون ذلك بابا من أبواب الفضل ومعراجًا من معارج القرب ، وسرًا من أسرار المزيد كانت الصلاة التى أمرنا بها رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ التى أمرنا أن نصلي عليه بها ﴿ ﷺ وآله﴾ دالة علي كمال التواضع ، حافظة للقلوب عن التفاضل والاشتغال بذكر خصوصية الأنبياء ، والالتفات بذكر التفاضل بينهم ، حتي يعكف الهم علي ذكر الواحد الأحد ، ويتوجه القلب إلى جناب القدس الأعلى ، ويتوجه الخيال إلى معاني القدس العلى ، خيالية مما تترعج منه القلوب حتى إذا توجه القلب بكمال الإخلاص كوشف بحقائق المقامات المحمدية ، وواجهه الله بأسرار المنازل ، وصوفي بما يشرح صدره ويطلق لسانه بصلوات على سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ تناسب قدر قربه .

من حديث ابن أبي ليلى قال : لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدي لك هدية ؟ إن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ خرج علينا فقلنا : يارسول الله قد علمتنا كيف نسلم عليك . فكيف نصلي عليك ؟ فقال : ﴿قولوا اللهم صلي على محمد وعلي آل محمد كما صليت على إبراهيم

---

(١) أورده ابن كثير في تفسيره ٤٦٧/٦ والقرطبي في تفسيره ٢٣٥/١٤ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٢٨٩/٣ ، ٥٠/٥ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١١٤/٢ والمنذري في الترغيب والترهيب ١١٠/١ والهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٦/١ والمتقي الهندي في كنز العمال ٢٢٤٣ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٣١٢/١ والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ٦٥ .

وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ﴾(1) .

وهكذا بعد أن أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نصلي عليه أعلنا عجزنا وضعفنا وعدم قدرتنا ولا أهليتنا للصلاة على هذا الحبيب ذي القدر العظيم ، فرجعنا بالأمر إلى الله وطلبنا منه عز وجل أن يصلي على رسوله الكريم ، وقد ناقش هذا الأمر عدد من العلماء السابقين ، وحاولوا معرفة الحكمة فى أن نعود بالأمر على الله ولا نصلي نحن على الرسول مباشرة ، فقال الإمام السخاوي : (لعل الحكمة فى أن الله تعالى أمرنا أن نصلي ونحن نقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، فنسأل الله تعالى أن يصلي عليه ولا نصلي عليه نحن أنفسنا يعني بأن يقول العبد في الصلاة أصلي على محمد قلنا : لأنه ﴿ ﷺ وآله﴾ طاهر لاعيب فيه ونحن فينا المعائب والنقائص فكيف يثني من فيه معائب على طاهر ؟! فنسأل الله تعالى أن يصلي عليه لتكون الصلاة من رب طاهر على نبي طاهر .

ونحو ذلك منقول عن النيسابوري فى كتابه ((اللطائف والحكم)) فإنه قال : (لا يكفي للعبد أن يقول فى الصلاة صليت على محمد لأن مرتبة العبد تقصر عن ذلك بل يسأل ربه أن يصلي عليه

لتكون الصلاة على لسان غيره ، وحينئذ فالمصلي فى الحقيقة هو الله ، ونسبة الصلاة إلى العبد مجازية بمعنى السؤال .

وقد أشار ابن أبي حجله إلى شئ من ذلك فقال : الحكمة فى تعليمه الأمة صيغة اللهم صل محمد ، أنا لما أمرنا بالصلاة عليه ، ولم يبلغ قدر الواجب من ذلك أحلناه عليه لأنه أعلم بما

---

(1) رواه البخاري في تفسير سورة الأحزاب الباب العاشر وكتاب الأنبياء الباب العاشر وكتاب الدعوات الباب ٣١ ، ٣٢ ومسلم في كتاب الصلاة الحديث ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ والترمذي في كتاب تفسير سورة الأحزاب الباب ٢٣ وكتاب الوتر الباب ٢٠ وأبو داود في كتاب الصلاة الباب ١٧٩ والنسائي في كتاب السهو الباب ٤٩ ، ٥٠-٥٤ ، والدارمي في كتاب الصلاة الباب ٨٥ ومالك في الموطأ في كتاب السفر الحديث ٦٦ ، ٦٧ وأحمد في الجزء الأول صفحة ١٦٢ والجزء الثالث صفحة ٤٧ والجزء الرابع صفحة ١١٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ والجزء الخامس صفحة ٢٧٤ ، ٣٧٤ ، ٤٢٤ .

يليق به وهو قوله لا أحصي ثناء عليك ، وسبق له أبو اليمن بن عساكر والله أعلم ، إذا عرفت ذلك كله فلتكن صلاتك عليه كما أمرك بالصلاة عليه فبذلك تعظم حظوتك لديه وعليك بالإكثار منها والمواظبة عليها والجمع بين الروايات فيها بأن الإكثار من الصلاة من علامات المحبة ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره ، وصح في حديث : ﴿ لا يكمل إيمان أحدكم حتي أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين ﴾ (١)

فضل الصلاة علي النبي﴿ ﷺ وآله﴾:

سبحان الله عز وجل الذي جعل صلاتنا على رسوله تكسبنا الحسنات وتحط عنا الخطيئات وترفع لنا الدرجات ، وهذا أنس رضي الله عنه يروي عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ مرفوعًا عنه : ﴿ من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرصلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات ﴾ (٢)

وفي رواية : ﴿ وكتب له عشر حسنات ﴾ (٣) وعن ابن مسعود رضى الله عنه : ﴿ أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة ﴾ (١)

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان الباب الثامن وكتاب الإيمان الباب الثالث ومسلم في كتاب الإيمان الحديث ٦٩، ٧٠ والنسائي في كتاب الإيمان الباب ١٩ وابن ماجة في كتاب المقدمة الباب التاسع وأحمد في الجزء الثالث صفحة ١٧٧ ، ٢٠٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ والجزء الرابع صفحة ٣٣٦.

(٢) رواه مسلم في كتاب الصلاة الحديث ١١ وأبو داود في كتاب الصلاة الباب ٣٦ وكتاب الدعاء الباب الرابع والنسائي في السهو الباب ٥٥ وفي كتاب الأذان الباب ٣٧ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١٦٨ وفي الجزء الثالث صفحة ١٠٢ ، ٢٦١ والترمذي في كتاب المناقب الباب الأول وأورده ابن ابي شيبه في مصنفه ٥١٧/٢ ، ٥٠٥/١١ والتبريزي في مشكاة المصابيح ٩٢٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢١٦/٥ وابن كثير في تفسيره ٤٥٨/٦ والقرطبي في تفسيره ٢٣٥/١٤.

(٣) أورده ابن ابي شيبه في مصنفه ٥١٧/٢ وفي أمالي الشجري ١٣٠/١ وأحمد ٢٦٢/٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٠/١٠ والمنذري في الترغيب والترهيب ٤٩٤/٢ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٢٨٨/٣ ، ٤٩/٥ .

وعن أبي طلحة : دخلت على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فرأيت من بشره وطلاقته ما لم أره فسألته فقال : ﴿ وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفًا فأتاني ببشارة من ربي عز وجل أن الله تعالى بعثني إليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك إلا صلى الله وملائكته عليه عشرًا﴾ [2] والأحاديث الواردة فى فضل الصلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ كثيرة ، والمريد الصادق إذا أشرقت عليه أنوار القرب انجذب بعامل الحب فتلذذ بالصلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ، لذة تجعل نفسه تبهج بالصلاة عليه ﷺ﴿ وآله﴾ بهجة تنسيه ما عداها من العطايا ، لأنه يكون آنسا بمشاهدة جماله ﴿ ﷺ وآله﴾ فرحًا بما كوشف به من مقاماته العلية ، وكيف لا وشكر النعمة واجب شرعًا وعقلاً ، وأجل نعمة لله علينا سبحانه بسيدنا ومولانا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ ونعمته علينا باتباعه ﴿ ﷺ وآله﴾ والعمل بسنته صلوات الله وسلامه عليه ، ولذلك فإن أكثر العارفين يمنحهم الله تعالى من سوابغ إحسانه حقيقة حب فى قلوبهم ، لما كوشفوا به من مقامات رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فتنطلق ألسنتهم بجمل من الصلاة عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، تكشف الستار عن مقام كل عارف ومقدار عوارفه ، وتلك الجمل تكون كراح للأرواح ، وطهرة لنفوس من تلاها بعده . وفضل الصلاة عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ ظاهر فى الدنيا قبل الآخرة ، فإن تكرار الصلاة على النبي﴿ ﷺ وآله﴾ يزكي النفس ويجمل لطائف القلب ، وييسر خيري الدنيا والآخرة ، وقد شهدت ذلك بنفسي فى نفسي وفى غيري ، ولابرهان أقوى من التجربة ، وفقني الله وإخواني جميعًا للمحافظة على السنة ومنحنا حب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ . راجع كتاب ((النور المبين)) للإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦

---

(١) رواه الترمذي ٤٨٤ والهيثمي في موارد الظمآن ٢٣٨٩ وابن كثير في تفسيره ٤٥٦/٦ والتبريزي في مشكاة المصابيح ٩٢٣ والبغوي في شرح السنة ١٩٧/٣ والبخاري في التاريخ الكبير ١٧٧/٥ وفي أمالي الشجري ١٣٠/١ والسيوطي في الدر المنثور ٢١٨/٥ .

(٢) أورده المتقي الهندي في كنز العمال ٢٢٢٥ ، ٤٠٠٧ ، ٤٠٠٨

صيغ الصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾:

من الإحساس الإيماني ، المنبعث بالفطرة والوجدان في قلب المؤمن الحق ، حبا في الله ورسوله .

ثم مما حملته إلينا الأخبار الصادقة والآثار الكريمة ، من عظيم أخلاقه ﴿ﷺ وآله﴾ ونموذجية حياته ، وآدابه ومعاملاته ، وروائع عباداته ، وخوالد حقوقه على أهل دعوته ، بل على الدنيا جميعًا .

من كل ذلك اشتد شغف قلوب خواص أمته بحبه ، حبًا جارفًا جعلهم يتفننون في إظهار آثار هذا الحب بكل ما أتيح لهم من صور التمجيد والتوقير والتعزير حسبما وسع الجهد وبلغت الطاقة على مراتب الآفاق والأذواق .

فألفوا في الصلاة والسلام عليه صيغا شتي ، للإسفار عن مواجيدهم وشرف أحاسيسهم حيث لم يأت مخصص بالتزام صيغة معينة في الصلاة والسلام في غير المفروضات والنوافل وقد أخذوا هذا من سعة المعنى في قوله تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ (١) والتعزير هنا هو التمجيد والتوقير ، والتسامي بالمترلة ، والترفع في الأداء والارتباط بالقدوة مع التتره عن ملابسة المحظور في قوله تعالي : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ (٢) ثم ما جاء بعد ذلك من الآيات المتضمنة ضرورة التزام الأدب معه ، ثم ما جاء في صحيح الآثار من فرضية حبه ، وتقديمه على النفس والأهل والولد والناس أجمعين .

كل هذا إلى ما جاء مرفوعًا وموقوفًا من الترغيب في إحسان الصلاة عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، بعدما ثبت من الترغيب البالغ في كثرة الصلاة عليه ، وأن ﴿ من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه بها عشرا ، ومن صلى على عشرا ، صلى الله عليه مائة ، ومن أكثر فالله أكثر ﴾.

مسالك الوضوح والتصريح :

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧

(٢) سورة النور – آية ٦٣

وقد انفرد كثير ممن اشتهروا بحب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، بتأليف صيغ مختلفــة المعــاني والأبنية بين الشعر والنثر فى الصلاة والسلام عليه ، يعبرون بها عن مكنونــات الــذات ، وتأجج الأشواق ، والعروج فى مدارج السالكين ، ومعارج الواصلين ، وجعلوها وسائل إلى الله سبحانه وتعالى ، تخف بها اللوعة ، وترقأ الدمعة ، وتزف المتعة وتقرب النجعة .

وهنا نورد نماذج مما جاء على مسلك التصريح من الصلوات على سيد الكائنات .

من صلوات الإمام علي عليه السلام :

لبيك اللهم وسعديك ، صلوات الله البر الرحيم ، والملائكة المقربين ، والنبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وما سبح لك من شئ يارب العالمين ، على محمد بن عبد الله ، خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الشاهد البشير الداعي إليك بإذنك ، السراج المنير وسلم تسليما .

من صلوات ابن مسعود رضي الله عنه :

اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك ، على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبيين ، محمد عبدك ورسولك إمام الخير ، ونبي الرحمة ، اللهم ابعثه مقامًا محمودًا يغبطــه عليــه الأولون والآخرون . ثم ختمها بالصلاة الإبراهيمية المجيدية .

من صلوات الإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام :

اللهم صل وسلم علي روح هياكل العوالم الملكية وأصل كل العوالم العلويــة ، الصــراط المستقيم بين الحق والخلق ، والحصن الحصين لكل موجود ، والرحمة العظمي لجميع العالم .

اللهم صل وسلم عليه ومتعنا باتباعه ﴿ ﷺ وآله﴾ واحمنا بحمايته﴿ ﷺ وآله﴾ ، واجعلنا من أهل شفاعته ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وأحينا بمحبته ﴿ ﷺ وآله﴾، وأوصلنا إليه علي بــراق ســنته ونجائب محبته ، وابعثنا محفوفين بأنواره ، ملحوظين بعين رأفته وحنانته ، فائزين بجــواره فى مقام يغبطنا عليه الملائكة والمقربون ، إنك واسع المغفرة والفضل مجيب الــدعاء : ﴿ إِنَّمَــا

أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [١] ، ﴿ لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢] .

معني الصلاة عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ :

روى بعض أهل العلم أن معنى صلاة الله تعالى على نبيه هى تعظيمه جل تعالى لرسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ ورأوا أن الصلاة باللسان هى التعظيم ورأوا أن قولنا اللهم صل على محمد فإنما نريد به اللهم عظم محمدًا فى الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته ، وفى الآخرة بتشفيعه فى أمته ، وإجزال أجره ومثوبته وإبداء فضله للأولين والآخرين للمقام المحمود .

ومن هنا كانت صلاتنا عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ هى دعاء بأن يزيد الله النبى فى كل شئ ، وهى صلاة نتقرب بها بأدائها إلى الله عز وجل ، ونحن لا نعلم إيصال ما يعظم به أمره ، ويعلو به قدره إليه إنما ذلك بيد الله ، فدعاؤنا هو طلب من الله جل ثناؤه أن يصلى الله ويزيد هذا النبى الكريم والرسول العظيم علوا وفضلاً وقربًا من الله عز وجل .

وكذلك صلاتنا عندما نعطف عليه آله وأزواجه وذريته ، فإن هذا لايمنع أن يدعي لهم بالتعظيم ، إذ تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به .

لماذا خص إبراهيم عليه السلام بالتشبيه :

يروي الإمام السخاوي رضى الله عنه أن هذا التشبيه قد وقع إكرامًا ومكافأة لسيدنا إبراهيم عليه السلام لأنه دعا لأمة محمد بقوله : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾[٣]. أو لأنه كان خليلاً ومحمد ﴿ ﷺ وآله﴾ حبيبًا أو لأن إبراهيم كان منادي الشريعة حيث أمره الله بقوله : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ﴾[٤] . ومحمد ﴿ ﷺ وآله﴾ كان منادي الدين بقوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا

---

(١) سورة يس – آية ٨٢
(٢) سورة الأنبياء – آية ٨٧ – ٨٨
(٣) سورة إبراهيم – آية ٤١
(٤) سورة الحج – آية ٢٧

يُنَادِي لِلإِيمَانِ ﴾[1] أو لأنه سأل الله عز وجل عندما رأى الجنة فى المنام وعلى أشـــجارها لا إله إلا الله محمد رسول الله فسأل جبريل عن ذلك فأخبره عن حاله وقال : يـــارب أجـــر ذكرى على لسان أمة محمد ، أو لدعوته عندما قال : ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَـــانَ صِـــدْقٍ فِـــي الْآخِرِينَ ﴾ [2] أو لأن الله سماه أبا المؤمنين فى قوله : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾[3].

وقال النووي رحمه الله فى هذا المجال : إن أحسن ما قيل فى هذا هو ما نسب إلى الشـــافعي رحمه الله من أن التشبيه إنما هو بأصل الصلاة . وقال ابن القيم : أحسن ما يقال : إنه هو ﴿ ﷺ وآله﴾ من آل إبراهيم وقد ثبت عن ابن عباس فى تفسيره لقول الله عز وجـــل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[4] ثم قال : محمد من آل إبراهيم .

وقال السخاوي رحمه الله : لعل المراد بالصلاة هنا أن يستجيب الله دعاء سيدنا محمـــد فى أمته كما استجاب دعاء إبراهيم فى بنيه .

وتلخيص القول أن قول المصلي ﴿ اللهم صل على محمد وآله ﴾ أى بأن تجعل مـــن أمتـــه علماء وصلحاء كما صليت على إبراهيم بأن جعلت آله أنبياء ورسلا ، وعلى آل محمـــد كما صليت على آل إبراهيم لما أعطيتهم من التشريع والوحي فجعلـــت منـــهم المحـــدثين وشرعت لهم الاجتهاد وقررته حكمًا شرعيًا والله أعلم .

(راجع كتاب بأبي أنت وأمي يا رسول الله ص ١٠٩ للدكتور محمد عبده يماني)

وقد بينا من قبل أن صيغ الصلوات على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ حث الله عليها فى كتابه العزيز كما حث عليها رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فى أحاديثه الصحيحة .

---

(١) سورة آل عمران – آية ١٩٣
(٢) سورة الشعراء – آية ٨٤
(٣) سورة الحج – آية ٧٨
(٤) سورة آل عمران – آية ٣٣

الوهابية وصيغ الصلوات :

وقد روى في سنة ١٣٧٧ هجرية أن طالبًا صوماليًا اعتنق الفكر الوهابي ، وكان فى مدرسة الحديث بمكة ، فأنكر الصلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ، فقال له الطلبة المغاربة ومدرس هندي فيها اسمه عبد الحق : من أحاديث النبي الكثير الذي ورد فى فضل الصلاة عليه ، فقال الصومالي : إنه لا يعترف بالأحاديث فقالوا : فما تقول فى الآية القرآنية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] فقال الصومالي : ومن هذا النبي ؟ إن القرآن لم يسمه !! .

وبذلك يصرح هذا الخبيث بتكذيب أحاديث النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وبالقرآن الكريم الذي أنزل عليه، فى مدرسة تدرس فيها سنته ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وفى أم القرى البلد المقدس ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

الرد علي النجدي في إنكاره للصلوات :

تورط البدعي ابن عبد الوهاب بجهله فى إنكار صيغ الصلوات على سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ من خمسة أوجه :

١- أنه لم يستند إلى دليل من الكتاب والسنة يسوغ له تحذيره من الصلاة على النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ ينقذه من إيذاء رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وعداوته .

٢- أن تحذيره من قراءة كتاب((دلائل الخيرات))وغيره من كتب الصلوات على سيدنا رسول الله

﴿ ﷺ وآله﴾ جاء دون بيان يبرز هذا التحذير سوى أنه وأتباعه هم الأمة الإسلامية وحدهم ، والإسلام ممثل فيهم وبذاك يقول : أن الأمة الإسلامية كفرت منذ ستمائة سنة فلا قدر ولا قيمة لها – على حد قوله – ما دامت غير مؤهلة له !! .

٣- لم يكتف البدعي فى إيذاء رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، بل ادعي أن سبب منع كتب الصلوات على سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ما فيها من التوسل بالأنبياء والصالحين .

---

(١) سورة الأحزاب – آية ٥٦

والتوسل – على حد رأى البدعي الحراني ابن تيمية والبدعي النجدي ابن عبد الوهاب – شرك ، وعليه فكتب : ((دلائل الخيرات)) ككتب الزندقة مفسد لعقائد المسلمين !! نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان .

٤- لم يكتف البدعي النجدي بالطعن فى مؤلف كتاب ((دلائل الخيرات)) على قاعدة أهل الرواية المبرزين في النقد- لو كان من أهلها معاذ الله – بأن قال مثلاً : إن رواة الأحاديث التى استشهد بها فى كتابه غير ثقة ، أو أنه ذكر فى أول كتابه أحاديث موضوعة فى فضل الصلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بل ظفر إلى الطعن فى مؤلف الكتاب العلامة الفقيه محمد بن سليمان المغربي الجزولي المتوفى سنة ٨٧٠هـ بأن قال عنه : إنه كافر يهودي !! .

ما أشد جهله وغلظته وجفوته !! حيث خرج بفكره هذا من حيث يطلع قرن الشيطان .

٥- إن تحسين الظن بالمسلم واجب له على أخيه المسلم لقوله ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم ﴾ (١) ولكن البدعي النجدي يكفر أهل القبلة ويتتبع عثرات المسلمين مخالفًا بذلك نهيه ﴿ ﷺ وآله﴾ عن تتبع عثرات المسلمين فى قوله :﴿يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتبعوا عورات المسلمين ولا عثراتهم فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته ﴾ (٢) .

دع ما يقوله الحراني والنجدي النابذان لكتاب الله ، المشاققان لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ الخارجان على إجماع الأمة الإسلامية ، ثم وازن بين ما يقوله الأئمة الأعلام فى كتبهم المؤلفة

---

(١) رواه أبو داود ٤٩٠٠ والترمذي ١٠١٩ والبيهقي في السنن الكبري ٧٥/٤ والبغوي في شرح السنة ٥ / ٣٨٧ والتبريزي في مشكاة المصابيح ١٦٧٨ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤٩١/٧ ، ٣٧٤/١٠ والهيثمي في موارد الظمآن ١٩٨٦ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١٢٢/٣ والطبراني في المعجم الصغير ١١ / ١٦٦ .

(٢) رواه أبو داود ٤٨٨٠ والطبراني في المعجم الكبير ١١ / ١٨٦ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢٣٩/٣ ، ٢٤٠ والبغوي في شرح السنة ١٠٤/١٣ والهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٩٤/٣ والبيهقي في دلائل النبوة ٢٥٦/٦ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٦ / ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٧ /٥٣٤ والتبريزي في مشكاة المصابيح ٥٠٤٤ وفي أمالي الشجري ٢ / ٢١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٩٣/٦ ، وابن كثير في تفسيره ٣٦٠/٧ والقرطبي في تفسيره ٣٣٣/١٦ ، ٣٣٦ وأبو نعيم في دلائل النبوة ١٥٧ .

فى الأمر بالصلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أمرًا مطلقًا ، وما عليه الأمة الإسلامية من التمسك بكتب الصلوات على رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ والترحم على أصحابه وذكرهم بكل خير .

من لم يصل علي سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فقد آذاه ومن آذاه فقد آذي الله:

إنه لما كان شأن سيد العالمين أرفع الخلق ، فقد لفت الله سبحانه وتعالى النظر إلى ذلك فى الكثير من آياته الكريمة ، ثم أمر عباده ألا يسيئوا إلى حضرته فى شئ ما فقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ [١] .

ثم أوجب عليهم دوام استمرار الصلاة والسلام عليه كما هو المتبادر من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٢]

قال العلامة الألوسي : أى عظموا شأنه وارفعوا من قدره بقدر طاقتكم البشرية . ولما علموا أن طاقتهم البشرية لا تستطيع أن تؤدى القدر اللائق لحضرته قالوا : كيف نصلى عليك ؟ قال لهم : ارفعوا ذلك إلى من أمر به الحق عز وجل ، قولوا ﴿ اللهم صلي على محمد ﴾ [٣] . روايات الحديث .

ثم بين الله تعالى لهم أن كل من لم يعمل ذلك فقد آذاه . ومن آذاه فقد آذى الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[٤].

الصلاة عليه وعلى آل بيته :

ثم لما كانت الصلاة والسلام عليه خاصة بحضرته لايشاركه فيها غيره كما هو صريح القرآن . وقد طلب الصحابة البيان من حضرته ، أدخل فى بيانه النبيين وأزواجه وذريته وعليه قال أفاضل الأمة أن الصلاة والسلام على غيره لاتجوز إلا تبعا له من آل البيت والصحابة والعلماء العاملين والأولياء والصالحين .

---

(١) سورة الأحزاب – آية ٥٣

(٢) سورة الأحزاب – آية ٥٦

(٣) سبق تخريجة

(٤) سورة الأحزاب – آية ٥٧

وأما البعض الآخر فقد أجازها مستدلاً بقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ صلوا علي آل فلان ﴾ [1] وقد صلي ﴿ ﷺ وآله﴾ على أبي بكر ، وعمر وعثمان وعلى .

إن الله تعالى قد أخبر عباده بأنه يوجد بعد الصحابة من يقوم بتبين ما فى الكتاب العزيز بما هو أنسب لعباده فى أزمنتهم بقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[2] ثم إن كان النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ قال لأصحابه يومًا : ﴿ هل تدرون من أقوى الخلق إيمانًا ؟ قالوا الملائكة ، قال وأجدر ؟ قالوا : المرسلون ، قال : وأجدر ؟ قالوا : بالله يارسول الله حدثنا من هم ؟ ! قال : أناس من أمتي يأتون فى آخر الزمان يقرأون القرآن ويؤمنون به و يصدقونني فهم أقوى الخلق إيمانًا ﴾ [3] الحديث يرويه الترمذي وغيره.

فهذا أول استحداث الزيادة الخاصة بالصلاة والسلام على غير حضرته ، ولما رأى أفاضل العلماء أن الصلاة على غير حضرته جائزة خصوصًا فى حق الصالحين والمصلحين ومن كان على قدم من يلحق بتبعيته ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وأن المقصود من الصلاة طلب الخير للمصلي عليه ، زاد بعض من يقتدي به بالصلاة والسلام بعد الأذان لذلك ، ولأجل التعريف بشأن من يصلي عليه الذي أفرده الله تعالى فى كتابه العزيز أنه أفضل خلقه على الإطلاق . اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة الباب ٦٤ وكتاب الدعوات الباب ١٨ وأبو داود في كتاب الزكاة الباب السابع والنسائي في كتاب الزكاة الباب ١٣

(٢) سورة الجمعة – آية ٢-٤

(٣) رواه الترمذي وغيره

من منع الصلاة على النبي بعد الأذان فقد آذاه :

جعل الله لسيد العالمين مزية خاصة على جميع الأنبياء والمرسلين وهي كثرة الصلاة عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ حتى من دأب على ذلك ولازم عليها من المقربين ولا يتقرب إليه تعالى إلا بهذه الوسيلة – فأمرهم ، والأمر للوجوب بقوله تعالى : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) أى بالدوام والاستمرار .

لا يخفى أن الله سبحانه وتعالى حذر عباده عن مطلق إيذائه ﴿ ﷺ وآله﴾ بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ (٢) الآية ، وفى عدم الصلاة والسلام عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ وعدم الإعلان بها وعدم نبيه الناس بالصلاة عليه إعراض عن ذكره وذكر الذاكرين لله تعالى ولحضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ ، أفلم يكن منع هؤلاء المانعين للصلاة والسلام عليه بعد الأذان خصوصًا بعد أن أجمع عليها علماء الأمة الإسلامية من الإيذاء لحضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ ؟ وإن كانت الآية الكريمة تتناول أكثر من ذلك.

أو لم يخش هؤلاء المانعون للصلاة والسلام عليه بعد الأذان أن يدخلوا في الوعيد الشديد لخروجهم على إجماع المسلمين ؟ ذلك الخروج المبين فى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٣) وقد قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ عليكم بالجماعة فمن فارق الجماعة قيد شعرة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ﴾ (٤) وقال : ﴿ يد الله مع الجماعة ﴾ (٥) وقال فى معنى الجماعة : (السواد الأعظم) أى من المسلمين .

---

(١) سورة الأحزاب – آية ٥٦

(٢) سورة الأحزاب – آية ٥٣

(٣) سورة النساء – آية ١١٥

(٤) رواه أحمد في الجزء الثالث صفحة ٣٣٢ وفي الجزء الرابع صفحة ١٣٠ ، ٢٢٠ وفي الجزء الخامس صفحة ١٦٥ ١٨٠ ، ٣٤٤ وأبو داود في كتاب السنة الباب ٢٧ والترمذي في كتاب الأدب الباب ٧٨ والنسائي في كتاب قطع السارق الباب الأول وابن ماجة في كتاب الفتن الباب ٢٧ .

(٥) رواه الترمذي في كتاب الفتن الباب السابع والنسائي في كتاب التحريم الباب السادس

أو لم يخشوا أن يدخلوا تحت الوعيد بمنعهم ذكر الله تعالى ورسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ وما يترتب على منعهم من عدم الصلاة والسلام من السامعين للصلاة والسلام عليه بعد الأذان فيكونوا بذلك قد آذوا الله ورسوله الذي جاء به الوعيد الشديد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (١). نسأل الله تعالى السلامة والعفو والعافية.

شبهات وأباطيل الوهابية حول منع الصلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ :

لقد تلقت الأمة الإسلامية كتبًا فى الصلوات على سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بالقبول شرقًا وغربًا حتي ظهر البدعي النجدي ابن عبد الوهاب فقام ينهي عن الصلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ، ويتأذي من سماعها ، ويمنع الإتيان بها ، أو الجهر بها علي المنائر ، ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب ، حتى أنه قتل رجلاً أعمي كان مؤذنًا صالحًا صاحب صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد الآذان فلم ينته فقتله ((راجع كتاب توسل النبى وجهلة الوهابيين للعلامة أبي حامد بن مرزوق)) .

وكان هذا البدعي النجدي ابن عبد الوهاب يقول : إن الربابة فى بيت الخاطئة – يعنى الزانية – أقل إثمًا من الذي ينادي بالصلاة على النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ على المنائر ، ويلبس على المسلمين بأن ذلك كله للمحافظة على التوحيد ، وقام بحرق كتب الصلاة على النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ .

هذا وإن مقلدي البدعي النجدي لا يزالون ينفذون رأيه تمامًا غير منقوص ، وذلك بإتلاف كتب الصلوات ، ورمي رجالها بالزندقة والإلحاد ، وقارئيها بالشرك ، ويعتقدون أنهم بهذا العمل مجاهدون مأجورون ، كأنهم فتحوا مدينة من مدائن الملحدين والكفار ، ومع ذلك لاينكرون كتب الإلحاد والتبشير والاستشراق الطاعنة في صميم الدين الإسلامي وفى رجاله ، كما لا ينكرون المجلات وأشرطة الفيديو وأفلام السينما المملوءة بالصور القبيحة المفسدة لأخلاق المسلمين وعقائدهم والتي تباع علنا فى أسواقهم ((راجع رد السيد علوي بن أحمد

(١) سورة الأحزاب ـ آية ٥٧

بن علوي الحداد فى كتاب مصباح الأنام وجلاء الظلام فى رد شبهة البدعي النجدي الــتى أضل بها العوام)) .

وعندما فرض فكر البدعي النجدي على أهل مكة سنة ١٣٤٣ هــجرية كان أهل مكــة دائمًا ما يرددون صيغ الصلوات على سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، فإذا بدعاة الوهابية تمنع أهل مكة من هذه الصيغ متذرعين بقولهم (اذكروه ولا تعبدوه) . وهذا يدل علي أنه قام فى عقولهم الفاسدة ، أن كل من عظم النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ بالصلاة عليه ، فهو عابد له ، فهم بذلك ينتهكون حرمته ﴿ ﷺ وآله﴾ تطبيقًا لما أسسه شيخهم البدعي النجدي فى قوله : محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ ((طارش)) أى أدى الرسالة وذهب . [راجع رد السيد أحمد بــن زيني دحلان في كتاب الدرر السنية فى الرد الوهابية] .

وعليه فيذكرونه ﴿ ﷺ وآله﴾ بمجرد اسمه دون شئ يدل على احترامه ، وكذلك الحــال بالنسبة لأصحابه رضى الله عنهم . لأن ألفاظ الاحترام تعد غلوًا عندهم ينافى التوحيــد ، ولا يكون غلوًا ولا منافيًا للتوحيد إذا كان فى أئمة أهل التكفير والتشريك والتبديع مثــل ابن تيمية الحراني الذي يقولون عنه : ((شيخ الإسلام)) ، وكذلك ابن عبــد الوهــاب النجدي الذي يقولون عنه : قدس الله روحه تأليها لرأيهما .

وقد أفتى خادم الوهابية – رشيد رضا – بأن الصلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بعــد الأذان بدعة قبيحة ، فنتج عن فتواه فتنة فى الأقطار الإسلامية ، مما اضطر الشيخ يوسف الدجوي للرد عليه فى مجلة الأزهر فأبطل بذلك فتواه .

وفى سنة ١٣٧٦ هجرية نشرت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمكة إعلانًا حذرت فيه الكتب التى بها صيغ الصلوات على سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآلــه﴾ ، وذلــك دون مبررات تسوغ لهم هذا التحذير ، وكان يتعين على هيئة الأمر بالمعروف ألا تفتري علــى الأمة الإسلامية التى تلقت كتب الصلوات على سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآلــه﴾ بقبــول حسن منذ أكثر من عدة قرون .

الرد علي هذه الشبهات والأباطيل :

١- إن الله سبحانه وتعالى أمر عباده المؤمنين بالصلاة والتسليم على حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ بدون شرط ولا قيد ولم يخصها بزمان دون زمان ولا حال دون حال ولا بالسر ولا بالجهر ولا بالقيام ولا بالقعود ، بل قد رغب سبحانه وتعالى عباده بالثواب العظيم لكل مصل عليه ، بما جاء فى بيان السنة من مثوبة الله تعالى لعبده المصلي عليه ، حتى أجمع أفاضل الأمة على أنه لا يعادل ثواب القرآن – أى نوع من العبادة – إلا الصلاة علـى رسـول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وأن الأعمال تحبط برفع الصوت فيها جهرة ، وأن الصلاة على رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ لا يحبطها أي رياء ولا رفع الصوت بها جهرة .

٢- إن الصلاة عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ يجب أن تكون بأية صيغة من الصيغ المشروعة من بيانه الشريف وبأي لفظ يشعر فيه بعظم قدره العظيم مما أخذ من ذلك البيان الكريم من طرق حديث تعليمه ﴿ ﷺ وآله﴾الأمة كيف تكون الصلاة عليه – فبين فى الصيغة الإبراهيمية طرقًا متباينة الألفاظ والمعاني ثابتة الأركان والمباني .

فأفاضل الأمة أجازوا التنويع فى الصلاة عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ بقدر معرفة المصلي وبقدر علمه بشيء من مزاياه الشريفة ، وهاك شيئًا مما بينه أفاضل الأمة ، قال العلامة الألوسي فى الجزء السابع من تفسيره عند قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] صلوا عليه أى عظموا شأنه فإنكم أولى بذلك والأمر فى الآية للوجوب . بل أجمع الأئمة والعلماء عليه وقالوا : يجب الإكثار منها من غير تعيين بعدد ، وقيل : تجب فى كل مجلس مـرة وإن تكرر ذكره ﴿ ﷺ وآله﴾ مرارًا ، وقيل : تجب فى كل دعاء ، وقيل : تجب كلما ذكـر ﴿ ﷺ وآله﴾ سواء سمع ذكره من غيره أو ذكره بنفسه ، وأنها تجب على المؤذن ، وسـامعه ، والقارئ المار بذكره .

٣- إن المراد بالتعظيم المأمور به ما يكون بهذا اللفظ ونحوه مما يدل على طلـب التعظـيم لشأنه عليه الصلاة والسلام من الله عز وجل لقصور وسع المؤمنين عن أداء حقه ، وما جاء فى الأخبار إرشاد إلى كيفية ذلك يعني أنه لما كان شأن المؤمنين عدم استطاعتهم القيام بحقه

---

(١) سورة الأحزاب – آية ٥٦

والتعريف بقدره عرفهم ﴿ ﷺ وآله﴾ أن يرفعوا ذلك إلى العليم الخبير بقوله : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .

وجاء ذلك على عدة أوجه والجمع ظاهر ، أخرج عبد الرازق وابن أبي شيبه ، والإمام أحمد ، وعبد بن حميد ، والبخاري ، ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن مردويه عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : قال رجل : يارسول الله : أما السلام عليك فقد علمناه . . فكيف الصلاة عليك ؟ قال : قل : ﴿ اللهم صل على محمد وآل محمد ، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد ﴾ [(١)] .

وأخرج الإمام مالك والإمام احمد والبخاري ، ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة وغيرهم ، عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا : يارسول الله : كيف نصلي عليك ؟ فقال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : قولوا : ﴿ اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ﴾ [(٢)] .

وأخرج الإمام أحمد والبخاري والنسائي وابن ماجة وغيرهم عن أبي سعيد الخدري قلنا : يارسول الله . .هذا السلام عليك قد علمنا فكيف الصلاة عليك؟ قال : ﴿ قولوا . . اللهم

---

(١) سبق تخريجة

(٢) رواه البخاري في كتاب الأنبياء الباب ١٠ ومسلم في كتاب الصلاة الحديث ٦٩ ومالك في الموطأ في كتاب السفر الحديث ٦٦ والنسائي في كتاب السهو الباب ٥٤ وابن ماجة في كتاب الإقامة الباب ٢٥

صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلي آل محمد كما باركت على إبراهيم ﴾ [1] .

وأخرج النسائي وغيره عن أبي هريرة أهم سألوا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : كيف نصلي عليك ؟ قال : ﴿ قولوا ..... اللهم صل على محمد وآل محمد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت

وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد ﴾ [2] .

وأخرج الإمام أحمد وعبد بن حميد وابن مردويه عن ابن بريدة رضى الله عنه قال : قلنا ، يارسول الله . . قد علمان كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك ؟ قال : ﴿ قولوا . . اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم إنكحميد مجيد ﴾ [3] إلى غير ذلك مما ملئت به كتب الحديث .

٤- ونقل عن جمع من الصحابة ومن بعدهم أن كيفية الصلاة عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ لا يوقف فيها مع المنصوص . وأن من رزقه الله تعالى بيانًا فأبان عن المعاني بالألفاظ الفصيحة المباني ، الصحيحة المعاني مما يعرب عن كمال شرفه ﴿ ﷺ وآله﴾ وعظيم حرمته فله ذلك ، واحتج له بما أخرجه عبد الرازق وعبد بن حميد وابن ماجة وابن مردويه عن ابن مسعود رضى الله تعالىعنه قال : إذا صليتم على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه . قالوا : فعلمنا . قال : قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك

---

(١) رواه البخاري ١٥١/٦ ، ٩٥/٨ والنسائي في كتاب السهو الباب ٥٣ وابن ماجة ٩٠٣ وأحمد ٤٧/٣ والبيهقي في السنن الكبري ١٤٧/٢ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٨٠/٥ ، ٨١ ، ١٣٢ وابن كثير في تفسيرة ٤٤٩/٦ والطبري في تفسيره ٣٢/٢٢ والمتقي الهندي في كنز العمال ١٥٧٩٠ وابن سني في عمل اليوم والليلة ٣٧٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢١٦/٥ والهيثمي في موارد الظمآن ٢٣٨٥ والمنذري في الترغيب والترهيب ٥٠٢/٢ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٣٢٣/١ وابن حجر في فتح الباري ٥٣٢/٨ ، ١١ / ١٥٢ وابن أبي شيبه في مصنفه ٢ / ٥٠٧

(٢) سبق تخريجه

(٣) رواه أحمد ٣٥٣/٥وابن ابي شيبه في مصنفه ٥٠٨/٢ وفي الشفا للقاضي عياض ١٩٠/٢ والسيوطي فى الدر المنثور ٢١٧/٥ .

وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة . اللهم ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه به الأولون والآخرون . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

٥- وفى قوله : سبحانه وتعالى : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١) رمز خفي إلى طلب تحسين الصلاة عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ . حيث أتى به كلامًا يصلح أن يكون شطرًا من البحر الكامل ، فتدبره فإني أظن أنه نفيس . واستدل النووي رحمه الله تعالى بالآية على كراهة إفراد الصلاة عن السلام وعكسه لورود الأمر بهما معًا فيها .

٦- العلامة الألوسي يعتبر بأن الصلاة والسلام على رسول الله واجبة على أفراد المؤمنين ومن بينهم المؤذنين وأن لا تخصيص ولا التزام بالإبراهيمية فقط بل يصلي بما شرحه وبينه أفاضل العلماء العاملين وهذا هو وجه استدلال أفاضل الأمة على التنويع فى صيغ الصلاة عليه ﴿ ﷺ وآله﴾.

الصلاة والسلام بعد الأذان وجهر المؤذن بها :

لا يخفي على كل ذي عقل سليم أن كل مخالف خارج عن إجماع المسلمين ، أنكر حكم الصلاة والسلام على رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد الأذان بدعوي أنه لم يفعلها ﴿ ﷺ وآله﴾وعلى أنها لا تكون إلا سرًا .

استدل أفاضل الأمة على جواز الصلاة والسلام عليه ﴿ ﷺ وآله﴾بعد الأذان وجهر المؤذن بها باستنباطات منها :

١- مما أخذ من بيانه الشريف ، حيث أمر بحكاية السمع للأذان فقال : ﴿ قولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ ﴾ (٢) . الحديث ولا يخفي أن حكاية الأذان لا تكون من السامع إلا

---

(١) سورة الأحزاب – آية ٥٦

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان الباب ٧ ومسلم في كتاب الصلاة الحديث ١٠ ، ١١ والترمذي في كتاب الصلاة الباب ٤٠ وكتاب المناقب الباب الأول والنسائي في كتاب الأذان الباب ٣٣ ، ٣٥ – ٣٧ وابن ماجة في كتاب الأذان الباب الرابع والموطأ في كتاب النداء الحديث الثانى والدارمي في كتاب الصلاة الباب ١٠ وأحمد في الجزء الأول صفحة ١٢٠

سرًا والأذان للمؤذن جهرًا . وذلك من متبادر منطوق اللفظ الشريف ، إذ أنه قد وقع التنبيه من حضرته بالصلاة فى وقت تعليمه الأمة حكاية قول المؤذن للأذان ، وفيه الإشارة والتنبيه للمؤذن بزيادة الصلاة عليه بعد الأذان ، وأن السامع أيضًا يحكي الصلاة والسلام عليه لأجل ألا يحرم ثواب حكاية الأذان والصلاة عليه .

٢- وإن كان لم ينفذ فعلها بهذه الكيفية فى زمنه ﴿ ﷺ وآله﴾ ولا الصحابة لأن الزمن الذي شاء الله تعالى إظهارها والجهر بها فيه لم يأت بعد ولم يولد من يظهر الله على يديه ذلك .

فاستحداثها من مصداق قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴿ من سن سنة حسنه ﴾ (١) الحديث وقوله : ﴿ من أحيا سنتي فقد أحبني ﴾ (٢) الحديث . واعلم أنها من سنة الأقوال ، وإن تشأ فقل : علم النبي ﴿ ﷺ وآله﴾بأسرار الوحي أن الصلاة والسلام عليه ستزاد فى المستقبل بعد الأذان فأمر السامعين بحكايتها كما يحكون الأذان ليحصل لهم الأجر فى الأمرين ، ويجهر المؤذن بها ليكون سببًا فى صلاة كل مصل على حضرته من السامعين ، فيؤجر بأجر المصلين على حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ فى هذا الوقت وهذه المناسبة .

٣- وقد أخذوا كونها مطلوبة من المؤذن بعد الأذان من بيانه الشريف أيضاً ، لأنه ليس من المعقول أن يامر السامعين فقط والموذن لا يدخل تحت الأمر لأنها واجبة علي كل مؤمن ، وعلي من يسمع ذكر النبي أن يقول علي الأقل اللهم صل عليه لأن كثرة اشتغال الناس بالدنيا تجعلهم في الغلب غافلين فلا يصلون علي حضرته إلا بذكر اسمه ، ودخول المؤذن في عموم أمره ﴿ ﷺ وآله﴾ واجب .

والجزء الثاني صفحة ١٦٨ والجزء الثالث صفحة ٦ ، ٥٣ ، ٩٠ والجزء الرابع صفحة ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٠ والجزء السادس صفحة ٩ ، ٣٢٦ .

(١) رواه مسلم في كتاب العلم الحديث ١٥ وكتاب الزكاة الحديث ٦٩ والدارمي في كتاب المقدمة الباب ٤٤ وابن ماجة في كتاب المقدمة الباب ١٤ والنسائي في كتاب الزكاة الباب ٦٤ واحمد في الجزء الرابع صفحة ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ .

(٢) رواه الترمذي ٢٦٧٨ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١١٨/١ والمتقي الهندي في كنز العمال ٩٣٣ .

٤- وقولهم : لانصلي عليه إلا سراً بعيداً جداً . إذ لا يتفق مع قولـه ﴿ ﷺ وآلـه﴾ : ﴿ قولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي ﴾ [(١)] ولا يعرف السامعون ما يقول المؤذن إلا إذا كان جهراً ، وإن قيل : إن السامع يقول سراً في حكاية الأذان والصلاة عليه أيضًا فالمؤذن أيضاً يقول سراً . فإنا نقول إن المطلوب من المؤذن الجهر بالأذان فالصلاة بعده علي حضـرته لا تكون منه إلا كذلك .

٥- ومن فوائد الجهر بها بعد الأذان أمور منها : سماع من يريد حضور الجماعة ممن فاتهم سماع الأذان لأمر ما خصوصاً وقد كثر الشغل في أيدي الناس ، ومنها الجهر بتعظيم شأن سيد العالمين ، ومنها الإطالة في إظهار الشعائر وإعلان الحرص علي ذلك والحب البالغ لله ورسوله لابتهاج المؤمنين ، وغيظ الملحدين والكافرين ، هذا هو وجه استدلال عقلاء الأمة وإجماعهم علي الجهر بهما ليعم النفع وتتم الفائدة .

٦- قول المؤذن : يا أول خلق الله ، ويا نور عرش الله ، ويا مليح الوجه ، ويا رحمة الله ويا من علي بساط النور أجلسك الله ، وغيرها من أنواع الصيغ . .

لا يخفي علي العقلاء أن إنكارهم الصلاة والسلام علي رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد الأذان ليست لزيادها فحسب بل إنما ينكرون هذه الألفاظ ومعانيها العالية لأن عقيدهم في سيد العالمين جعلتهم علي قسمين :

أ – من يستعظم هذه الألفاظ ويستكثرها علي حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ لفرط جهلـه بمعني الآيات الدالة علي بشريته التي ما جعلها الله تعالي إلا لاقتداء البشر بحضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ . وهذا هو الفريق الزائغ لا يعطي النبي من المزايا ازيد مما يعطي غيره من البشر من كل الوجوه فيستكثر ذلك علي حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾

ب- من ينكرها حسداً وتعمقاً في المعارضة لإجماع المسلمين ، جرياً علي طريقة أسلافهم الضالين فهم علي قدم المنافقين في زمنه ﴿ ﷺ وآله﴾ .

في قول المؤذن : يا أول خلق الله .

---

(١) سبق تخريجه

إن إختيار المصلي على حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد الأذان للفظ : يأول خلق الله وغــيره ، وسكوت أفاضل الأمة وهم علماؤها على ذلك ، ما هو إلا مقيد لإجماعهم على صــحته ، وكان هذا كافيًا فى الدليل على ذلك ، إذ أن الله تعالى حباه ﴿ ﷺ وآله﴾ مزيد فضل على فضل ، وخصه بأشياء لم يخص بها غيره من المفضلين من خلقه ، وقد جعل له سبحانه وتعالى مزايا لم يشاركه فيها غيره من جمع المفضلين من الأنبياء والمرسلين .

وها هو القرآن الكريم الذي جمع جميع ما فى الكتب السماوية وجميع الشــرائع الإســلامية شرائع الأنبياء والمرسلين ، بين لنا سبحانه وتعالى فيه أنه لم يوجد أفضل منه من سائر خلقه .

وحيث كان كذلك فليس فوقه فى الفضل إلا الله تعالى . مع العلم بأن الوجود كله فى نظر العقلاء عبارة عن عبد ورب بدليل قوله تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّـا آتِي الرَّحْمَنِعَبْدًا ﴾ (1) الآية والمقرر عقلاً ونقلاً أن العبودية حادثة فلابد لها من أول .

وحيث كان ﴿ ﷺ وآله﴾ أفضل خلق الله فهو أول خلق الله تعالى ردًا على زعم الضالين ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ (2) فالعاقل يحرص على لفــظ ((أول)) فى كل تأويل عند أهل التأويل ، إذ منهم من يقول أول من يعبد ذلك الولد ، علــى زعــم الضالين ، ومنهم من يقول أول من يعرف إن كان لله ولد ، ومنهم من يقول أول الرافضين أن لله تعالى ولد ، ومنهم من يقول لكنت أنا ذلك الولد لأن لا يوجد أكرم مني علــى الله تعالى . تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

ولا تنس أن الله سبحانه وتعالى لم يقلها لأحد من خلقه المفضلين سواه ﴿ ﷺ وآلــه﴾ وإن كان قد قال جل وعلا لغيره من المفضلين ﴿أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (3) ، ولكن ﴿ أَوَّلُ الْعَابِــدِينَ ﴾ (4) لم تقل لغير حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ ، كما قال له ســبحانه فى مــوطن آخــر ﴿ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (5) فالقائل يأول خلق الله ، ما نطق إلا بالحق وما أتى إلا بالصدق .

---

(1) سورة مريم – آية ٩٣

(2) ، (3) سورة الزخرف – آية ٨١

(3) سورة الأعراف – آية ١٤٣

(5) سورة الأنعام – آية ١٦٣

كيف هو خاتم الأنبياء والمرسلين وأول خلق الله ؟! :

١- أو لم تنتبه لآدم عليه السلام وهو وبنوه أفضل المخلوقين ولم يوجدهم الحق عز وجل بشرًا على وجه الأرض إلا بعد أن أوجد لهم كل شئ قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ [(١)] وفى آية أخرى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [(٢)] فكذلك حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ لم يوجده الحق عز وجل ببشريته إلا بعد أن أوجد له كل المفضلين من الأنبياء والمرسلين ، فكانوا بحضرته لأممهم خير معرفين .

٢- قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [(٣)] فبصريح كلام رب العالمين أن الأنبياء والرسل نواب عن حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ في البلاغ فهو رسول الرحمة الشاملة لجميع عباد الله تعالى ، قال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[(٤)] أى لجميع من شاء الله تعالى إبداعه دنيا وأخرى من جميع محدثاته .

قول المؤذن : يا نور عرش الله :

إنه ﴿ ﷺ وآله﴾ ليس بنور عرش الله فحسب بل نور الوجود بأسره ، ولما كان العرش أعظم خلق الله تعالى أقر العلماء قول المؤذن : يا نور عرش الله . والعرش الكريم جسمه من النور وما نوره إلا من نور حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ إذ أن العرش مخلوق والنبي أول خلق الله ، قال تعال : ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللّهُ ﴾ [(٥)] الآية فعلم أنه أكمل

---

(١) سورة البقرة – آية ٢٩

(٢) سورة الجاثية أية – ١٣

(٣) سورة آل عمران –آية ٨١

(٤) سورة الأنبياء – آية ١٠٧

(٥) سورة المائدة – آية ١٥-١٦

أكمل خلق الله تعالى فى كل شئ مصداق قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [1] وحيث كان كذلك . فتكون ذاته أكمل الذوات ومن الكمال نهاية الجمال ، وأنه يعبر عن الذات بالوجه فمن قال : يا مليح الوجه قد أتى بالحق والصدق . ومن أنكر ذلك فقد قصر عقله عن إدراك معانيها .

قول المؤذن : يا من على بساط النور أجلسك الله :

وأما قول المؤذن : يامن على بساط النور أجلسك الله ، فقد ثبت فى السيرة المحمدية التى هى أول مؤلف فى السنة فى الدين الإسلامى كيفية مروره ﴿ ﷺ وآله﴾ ليلة المعراج فوق العرش الى المكان الذي أعده الله تعالى فوقه لحضرته لغرض الصلاة عليه وعلى أمته . فجعل يقول ﴿ ﷺ وآله﴾ : التحيات لله ، الزاكيات لله ، الطيبات لله ، الصلوات لله . قال عز وجل : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . فقال النبى ﴿ ﷺ وآله﴾: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فقال كل ملك : أشهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

ولا يخفى أن ما يمر عليه الشخص خصوصًا فى هذه الأمكنة النورانية لا يتصور ما تحته من العناية والرعاية فى هذه البقاع النورانية إلا ما يتناسب مع كل هذه المقامات بالبساط حتى يعبر عنه عند الوصف بما يليق بهذا المكان والمقام . فمن قال : يامن على بساط النور أجلسك الله ، فقد صدق ، وهذا طبعًا لم يصدر إلا من العارفين ، الذين عرفوه للمؤذنين ليحكوه للناس من مميزات حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ .

وخلاصة القول فلا يتعرض بالنقد والانتقاد على ألفاظ المحبين إلا كل شقى لم يفطن إلى قوله تعالى : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [2] على ما قدمنا . وأما حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾فقد أجمع علماء الأمة الإسلامية : لا يعرف قدر محمد إلا رب محمد . ((راجع كتاب فيض الوهاب للشيخ عبد ربه سليمان الجزء الرابع ص ١٠٤)) .

---

(١) سورة القلم – آية ٤

(٢) سورة الأحزاب – آية ٥٦

لم تمنع الوهابية الصلاة على رسول الله بعد الأذان ؟

الوهابية وأبواقها الدعائية يعدون ذلك مغالاة وزيادة إطراء ، وذلك لعمى قلوبهم وطمس بصائرهم عن فهم الحقائق ، إذ نظروا إلى بشريته التى جعلها الله سبحانه وتعالى للاقتداء به فى كل ما يجري على بني البشر فى الحياة الدنيا . ثم لفت نظرهم بقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (١) وهذه الآية كافية فى الدلالة على أن الاقتداء به ﴿ ﷺ وآله﴾ هو السبيل الوحيد إلى رضوان الله تعالى ، وقد خلقه الله تعالى جامعًا بين البشرية والنورانية ، كما جعل عيسي عليه السلام من ملك وبشر ، فلطمس بصائرهم لم يفهموا إلا البشرية فقط كالنصاري ، ولم ينظروا فى عيسي عليه السلام إلا إلى النوارنية فقط .

فتري هؤلاء الضالين يحكمون على من يشيد من أهل الحق بمميزاته الشريفة بأنه ضال ومتغال ومطر فوق الحد ، لفهمهم أنه كان كالبشر من كل الوجوه لجري العوائد البشرية عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ واستدلوا بمثل هذه الآية التى لا يعقلون لها معنى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ (٢) فقل لهم : أكملوا الآية وهو قوله تعالى : ﴿ يُوحَى إِلَيَّ ﴾(٣) وهل أنتم يوحى إليكم ؟! .

إذا فهو ﴿ ﷺ وآله﴾ ليس كالبشر من كل الوجوه ، وأيضًا استدلوا بمثل هذا الحديث الذي لا يعقلون له معنى ايضًا (لا تطروني كما أطرت اليهود والنصاري أنبياءهم) إذ معناه لا تمدحوني مدحًا يخرجني عن كوني عبد الله ورسوله كما غالت اليهود فى عزير وجعلته ابن الله وغالت النصاري فى عيسي كذلك ، وما ذكر ﴿ ﷺ وآله﴾ إلا لبيان الفارق بين المؤمنين والكافرين ، وهل أحد من المسلمين – والحمد لله – أو من المادحين لحضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ قال كما قالت اليهود أو النصاري طوال هذه الأزمنة حتى يعد مغاليًا فوق الحد ؟ وهل يعد مغاليًا مطريًا من يذكر الحقائق التى خصه الله تعالى بها دون غيره من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ؟؟! .

---

(١) سورة الأحزاب – أية ٢١

(٢) ، (٣) سورة فصلت – آية ٦

قل لمن يقول إنه بشر مثلك : هل أحد من المفضلين من آدم عليه السلام إلى عيسي عليه السلام كان مثله حتى يقول هذا الضال مثلك مثله ؟

ومن ذا الذي عرج به ولو إلى السماء الدنيا ورجع يحدث عن ملكوت السماء مثل حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ ؟

ومن شق صدره من الأنبياء والمرسلين مثل صدره الشريف ﴿ ﷺ وآله﴾ .

ومن كان مثل حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ يأتيه الوحي نورًا يتخلل جسده الشريف حتى يخرج عن العوائد البشرية إلى فجاج عالم النور والروحانية ؟ من كان مثل حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ أقسم الله تعالى به في كتابه العزيز : ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ (١) .

ومن كان مثله في عناية الله تعالى به حتى قال له : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٢) ؟ ومن مثله خلع الحق عز وجل عليه من أسمائه الكريمة : رءوف ورحيم والهادي والحق وغير ذلك من أسمائه الشريفة ؟ ! .

ومن الذي خاطبه الحق عز وجل بالألقاب الشريفة :﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾(٣).و﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ (٤) وجمع المخاطبين من المفضلين بالأسماء مجردة وكفي ؟ .

الصلاة والسلام بعد الأذان من بيانه الشريف :

إن الصلاة والسلام عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد الأذان من بيانه الشريف والعمل بها من سنة الأقوال التى يعمل بها فى الزمن الذي شاء الله تعالى إظهارها فيه . وهذا هو حكمها عند السادة الشافعية والحنابلة امتثالاً لقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ((صلوا علي)) (٥) الحديث ،

---

(١) سورة الحجر – آية ٧٢

(٢) سورة الطور – آية ٤٨

(٣) سورة الأنفال – آية ٦٤

(٤) سورة المائدة – آية ٦٧

(٥) رواه مسلم في كتاب الصلاة الحديث ١١ وأبو داود في كتاب الصلاة الباب ٣٦ والترمذي في المناقب الباب الأول والنسائي في كتاب الأذان الباب ٣٧ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١٦٨ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ .

وعلل بعض الشافعية سنيتها لما فيها من استذكار السامعين للصلاة والسلام عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ .
وهى عند الحنفية والمالكية – بدعة حسنة – وقولهم : بدعة ، لأنها لم تفعل بهذه الصفة فى زمنه ﴿ ﷺ وآله﴾ وقولهم حسنة ، لأن أصلها من الدين وكان يكفي المنكرين للصلاة والسلام بعد الأذان الرجوع إلى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة .

ولحضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ من البيان في مستحدثات الزمان ما تقصر عقول الضالين عن الوصول إلى حقيقة معناه كما قدمنا وإلا لم يكن لقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من سن سنة حسنه ﴾ (١) الحديث معنى – وقوله ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ من أحدث فى ديننا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ (٢) الحديث . . وهذا المعنى إذ مفهومه من يحدث فى الدين ما هو منه فليس يرد ، والمردود إنما هو الذي لا أصل له فى الدين خصوصًا بعد ان أخبر عز وجل فى كتابه العزيز على من لم يعرف هذه المستحدثات من مثل هؤلاء الملحدين ، وبيان حال الخارجين بقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ (٣) وأى ذكر بعد هذا الذي ينكره الخوارج عن إجماع المسلمين بعد أن جاء عن حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ فى بيان شأن المحدثات وأنها واقعة لا محالة بقدرة الله الحكيم العليم بأفعال عباده بقوله : (تحدثون ويحدث لكم) الحديث ، وقد رفعه أهل الحديث من طرق شتي .
ولكن لما كان المحدث على حالتين : ما هو حسن ومنه ما ليس بالحسن قال ﴿ ﷺ وآله﴾ فيما ليس بحسن : ﴿ إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ﴾ (٤) الحديث ، ومن

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة الحديث ٦٩ وكتاب العلم الحديث ١٥ والنسائي في كتاب الزكاة الباب ٦٤ وابن ماجة في المقدمة الباب ١٤ .
(٢) رواه البخاري في كتاب الصلح الباب الخامس ومسلم في كتاب الأقضية الحديث ١٧ وابن ماجة في المقدمة الباب الثاني وأحمد في الجزء السادس صفحة ٢٧٠ .
(٣) سورة الشعراء – آية ٥
(٤) رواة الترمذي في كتاب العلم الباب ١٦ وأبو داود في كتاب السنة الباب الخامس وابن ماجة في المقدمة الباب السادس والسابع والدارمي في المقدمة الباب ١٦ وأحمد في الجزء الرابع صفحة ١٢٦ ، ١٢٧

المعلوم أن المحدث هو الذي يحدث بعد أن لم يكن من قبل فلبدء أمره يقال له بدعة ، والبدعة هذه ينظر فيها العلماء من الأمة ، إما أن يكون لها أصل فى الدين أم لا .

فالتي لها أصل في الدين يسمونها بالبدعة الحسنة ، لأنها من الدين كما تقدم فى الحديث كالصلاة والسلام بعد الأذان ، وكقسائم الزواج .

وإن لم يكن لها أصل فى الدين فهي الرد أو الضلالة التى يكون صاحبها فى النار ، وأنت تعرف أن من البدع ما هو واجب كتعليم الأدلة التى تقطع ألسنة الملحدين وكتعليم الآلات الحربية التى تقطع دابر الكافرين .

فتقول : من يقول على البدعة الحسنة التى لها أصل فى الدين ضلالة ، فإنما ذلك القول ضلالة منه!!

الفصل الثالث

ذكر اللّه تعالى

حجية الذكر فى الكتاب :

الذكر هو أفضل العبادات – قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [٢] وقال جل ثناؤه : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٣] ، ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت بل هو مطلوب فى عموم الأوقات وجميع الأحوال : إما على جهة الفريضة ، وإما على جهة النفلية ، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ ﴾ [٤] .

أما حلقة الذكر فقد جاءت فى كتاب الله تعالى والسنة المطهرة أما الكتاب العزيز ففى قوله تعالى : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾[٥] بطريق الجمع فى كل الآي كما يؤخذ من بيان حضرة من أسند الله إلى حضرته البيان والتبيين فمن شاهد آثار صفات الحق سبحانه وتعالى ذكره سبحانه وورد اسمه تعالى علي لسانه وقلبه كما وصفه تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [٦] .

إن الذكر الذي يبدو عبادة سهلة هينة ، يفضل كل أعمال الإسلام الأخرى .

---

(١) سورة الأحزاب – آية ٤١
(٢) سورة البقرة – آية ١٥٢
(٣) سورة العنكبوت – آية ٤٥
(٤) سورة آل عمران – آية ١٩١
(٥) سورة الأحزاب – آية ٣٥
(٦) سورة الأنفال – آية ٢-٤

لأن فى آيات القرآن ما يدل على أكثر من ذلك . يقول الحق تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (١) .

فقوله تعالى : ﴿ جَعَلَ ﴾ يتضمن حكمة إيجاد الليل والنهار ، وأن تخالفهما أى تعاقبهما لإحداث الذكر أو الشكر أو كلاهما .

والآية إما تعنى الحصر ، بمعنى أن تخالف الليل والنهار إنما جعله الله تعالى للذكر والشكر وليس لشئ آخر .

وإما أن تعنى أنه تعالى جعل فى هذا التخالف بين الليل والنهار الطريق إليه سبحانه بالذكر والفكر .

إن ما تشير به الآيات من أن الذكر هو أفضل العبادات لا عجب فيه . فإن من الآيات ما يشير إلى أكثر من ذلك بكثير : إن الذكر هو مقصود العبادة : مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (٢) .

ويقول ابن القيم الجوزية ، بخصوص ((اللام)) فى قوله تعالى : ﴿ لِذِكْرِي ﴾ الغالب أنها لام التعليل ، أى : أقم الصلاة لتذكرني بها .

إن الذكر أيضًا أرفع هذه الأعمال درجة عند رب العزة تبارك وتعالى ، هذا إما أن يعنى عظمة العمل وعلو مقامه ، وإما أن يعني عظمة الثواب .

وهذا المعنى يبعث فى النفس التساؤل عن حقيقة معنى ((الذكر)) واستعمالات هذه الكلمة حتى أنه تعالى سمي كلامه الأزلي – القرآن – الذكر . قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الفرقان – آية ٦٢

(٢) سورة طه – آية ١٤

(٣) سورة الحجر – آية ٩

حجية الذكر في السنة :

يفهم من الأحاديث الآتية أن الذكر ليس فقط عنصراً أو جانباً من المأمورات ، ولا هو فقط قاسم مشترك فيها .

وإنما قد يكون أفضلها ، ومن الأحاديث التي ذكرت صراحة :

١–عن أبي سعيد الخدري قال:سُئل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ عن العباد : فقال﴿ أفضل العباد درجة

عند الله يوم القيامة الذاكرون الله كثيرًا ، قيل : ومن الغازي في سبيل الله ؟ قال : لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دمًا لكان الذاكرون أفضل منه درجة﴾[1] أخرجه الإمام أحمد ، والترمذي وأبو يعلى وابن شاهين في الذكر عن أبي سعيد الخدري.

٢– سُئل النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أي المجاهدين أعظم أجرا وأي الصائمين أعظم أجرا وكذلك عن الصلاة والزكاة والحج والصدقة ، فقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ أكثرهم لله ذكرًا ، فقال الصديق أبو بكر رضي الله عنه : ذهب الذاكرون بكل خير فقال ﷺ وآله : أجل ، وفي رواية أخرى : أجل ألم تسمع قوله تعالى ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ﴾[2] . أخرجه الإمام أحمد والطبراني عن معاذ رضي الله عنه .

---

(١) رواه مسلم ٢٠٦٢ والترمذي ٣٣٧٦ وأحمد ٤١١/٢ ، ٧٥١٣ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٨٩/٤ ، ٢٥٣/٧ ، ٢٥٤ ، ٥٩٤/٨ والمنذري في الترغيب والترهيب ٣٩٦/٢ والبغوي في شرح السنة ١٧/٥ ، ١٨ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٥/٥ والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٢٨٠ والسيوطي في حاوي الفتاوي ٢١/٢ وفي الأذكار النووية ١٩ .

(٢) رواه أحمد ٤٣٨/٣ والهيثمي في مجمع الزوائد ٧٤/١٠ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢٦٧/٢ ، ٤٠٠ وابن كثير في تفسيره ٤١٦/٦ وابن مبارك في الزهد ٥٠١ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٥/٥ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٣٧٢١ .

٣- عن أبي هريرة رضى الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فقالوا : ﴿ ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل من أموال يحجون ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون فقال : ألا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم ، إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ قالوا : بلى يارسول الله قال : تسبحون وتحمدون وتكبرون ، فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ؟ فقال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ (١) . أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة ، والإمام البخاري ومسلم .

وهذا الحديث تظهر منه عدة أمور :

الأول : قيام الذكر بديلاً عن الحج والعمرة والصدقة والجهاد . ويقول ابن القيم فى ذلك ،

تعليقًا على الحديث : فجعل الذكر عوضًا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد وأخبر أهم يسبقوهم بهذا الذكر هذا قول ابن القيم ((الوابل الصيب ، المرجع /٤١ ص ٦٩)) .

الثاني : إن ذكر الله بذاته يسبب سبق الذاكرين على عير الذاكرين ، ولا يكون أحد أبداً أفضل من الذاكرين ، إلا من فعل فعلهم .

وهذا تأكيد للأفضلية والأسبقية المطلقة ، كما يتبين من نهاية الحديث : حيث لم يخبرهم صلوات الله وسلامه عليه بأمر جديد يعوض لهم قيام الأغنياء بالذكر لما سمعوا بعظيم قدر الذكر والذاكرين .

٤- عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وازكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب

(١) رواه البخاري فى كتاب الأذان الباب ١٥٥ وكتاب الدعوات الباب ١٧ ومسلم فى كتاب المساجد الحديث ١٤٢ وكتاب الزكاة الحديث ٥٣ وأبو داود فى كتاب الوتر الباب ٢٤ وابن ماجة فى كتاب الإقامة الباب ٣٢ والدارمي فى كتاب الصلاة الباب ٩٠ وأحمد فى الجزء الثاني صفحة ٢٣٨ والجزء الخامس صفحة ١٦٧ ، ١٦٨ .

والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ، قالوا : بلى يارسول الله . قال : ذكر الله تعالى ﴾[1] رواه الترمذي وقال حسن صحيح ، والحاكم فى المستدرك وقال إسناده صحيح وصححه السيوطي ، وصحح الذهبي إسناده فى تلخيص المستدرك ، كما أخرجه الإمام أحمد فى المسند ومالك فى الموطأ وابن ماجة والطبراني فى الكبير والبهيقي فى شعب الإيمان . وأخرجه الإمام أحمد من حديث معاذ أيضًا وقال المنذري إسناده جيد . وإسناده حسن عند أبي الدرداء . وكذلك قال الهيثمي واختاره ابن تيمية فى الكلم الطيب وصححه الشوكاني فى تحفة الذاكرين وعلق عليه باستشكال بعض أهل العلم فى تفضيل الذكر علي الجهاد .

الذكر عند الجمعية الشرعية قبل أن تتوهب :

يذكر الشيخ محمود خطاب مؤسس الجمعية الشرعية فى كتابه ((العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق)) ص٦ كيف تذكر ((لا إله إلا الله)) ؟

فلا بد من مد ((لا)) مدا طبيعيًا أو أزيد ، وتحقيق الهمزة ، ومد لفظ ((إله)) مدًا طبيعيًا وفتح الهاء من ((إله)) من غير مد ، وينبغي تسكين الهاء من ((الله)) وكذا بقية الأسماء ، والحذر الحذر من الإسراع المؤدي إلى التحريف ، فإنه حرام ، على فاعله العقاب ، حيث ألحد فى الدين ، قاصدًا بذكرك وجه الله تعالى لاغير .

(ولا تختم) الذكر حتى يحصل لك نوع من (الاستغراق) بأن تحس من نفسك بحلاوة الذكر ، ويحصل لك شوق وهيمان (ثم) إذا ختمت سكنت واستحضرت الذكر بإجرائه على قلبك ، مترقبًا لوارد الذكر ، فلعله يرد على القلب وارد ينشأ عنه فى اللحظة من الثمرة ما لم ينشأ عن مجاهدة نحو ثلاثين سنة ، وهذا الوارد إما وارد زهد ، أو ورع ، أو تحمل أذى أو محبة ، أو نحو ذلك تاركاً للواردات الدنيوية ، حابسًا نفسك إذ ذاك ثلاث مرات ــ أو خمسًا ، أو سبعًا ، هكذا بالإفراد ، فلهذه السكنة ثلاثة آداب ، مراقبة الله تعالى كأنك بين يديه وجمع حواسك بحيث لا تتحرك منك شعرة ، كحال الهر عند اصطياد

---

(١) رواه ابن ماجة في كتاب الأدب الباب ٥٣ والترمذي في كتاب الدعوات الباب السادس والنسائي فى كتاب الإيمان الباب الأول وفى الأذكار النووية ٦٧.

الفأر ، وحبس نفسك مرارًا حتى يدور وارد الذكر فى جميع عوالمك ، ويجري على قلبك معنى الله ويكره شرب الماء فى أثناء الذكر ، وبعد الفراغ منه ، لأن للذكر حرارة تجلب الأنوار والتجليات ، والواردات الجليلة ، وشرب الماء ربما أضعف تلك الحرارة ، وأقل ذلك أن تصبر نحو نصف ساعة فلكية ، وكلما كثر كان أحسن ، بل الصادق لا يكاد يشرب إلا عن ضرورة قوية ، لكون ترك شرب الماء من الآداب المؤكدة فلتحرص على هذا أيها الصادق وهذه الآداب تطلب عند الإمكان فلا تترك الذكر لفقدها .

آداب هامة :

واعلم أن للمداومة على الذكر من الأصول المهمة (كالجوع) اختيارًا بألا تزيد على ثلث البطن ، عند شدة الجوع ، ولكن المبتدي لا قدرة له على ذلك غالبًا ، فيلزم الصوم حتى تعتاد النفس ذلك ، وبالجوع تنكسر نفسك فتقوى على تأديبها (والعزلة) عن الخلق إلا لضرورة من علم أو بيع أو شراء ، و(الصمت) ظاهرًا وباطنًا ، إلا عن ذكر الله تعالى ، أو ضرورة (والسهر) للذكر والفكر ، ونحو ذلك ، وأقله من ثلث الليل الأخير إلى طلوع الشمس ، فأهل النجابة من شأنهم ترك فضول الطعام والكلام والمنام .

شبهات وأباطيل حول الذكر :

تثور فى الوقت الحاضر شبهات وأباطيل عن شرعية أحوال وتصرفات الذاكرين ، وقد لاحظنا الاتهامات الموجهة للصوفية عمومًا (إذ هم المشهورون بكثرة الذكر) ولأدعياء التصوف خصوصًا بأنهم يبتدعون فى الذكر بل ويمرقون من الدين عمومًا .

ومن الناحية الأخرى ، يتهم المتصوفة هؤلاء المهاجمين بسوء الفهم وقلة البضاعة فى العلم وبالهوى والمغالطة فى استنباط الأحكام .

وأصبح المسلمون فى بلبلة عظيمة بين ما هو حق وما هو باطل بخصوص ذكر الله . واستشرى هذا الحال فى مواضيع أخرى كثيرة ، أنشأها فئات مختلفة من جماعات الخوارج لا الإسلام وفى خضم هذه التيارات ، تبدلت معانى كثيرة ، وقواعد أساسية فى الشريعة

والأصول والفقه ، ولوي ذراع المنطق – لغويًا وفقهيًا – لتستخرج الأحكام على حسب المراد ، وابتذلت وتشوشت مضامين الالتزامات العقائدية والإيمانية .

فلابد لنا – والحال على ما هو عليه – أن نتعرض لهذه المجالات ولو باختصار ، لنتبين منهاج أهل السنة والجماعة خلالها .

والنقاش يدور فى موضوع ذكر الله حول أمور وظواهر وممارسات أهمها :

١– هل المقصود بالذكر مدارسة العلم أم الأذكار الواردة فى السنة ؟

٢– هل يجوز الاجتماع لغرض الذكر وحده ، والتحلق له فى حلق ؟ أم أن هذا ابتداع عبادة ، والعبادات توقيفية من الشارع سبحانه وتعالى ؟

٣– هل يجوز الذكر فى المساجد ؟

٤– هل يجوز الجهر بالذكر جماعة ؟ وهل ورد مثل هذا الفعل عن رسول الله أو صحابته ؟ والعبادات توقيفية لا يجوز الابتداع فيها .

٥– وما القول فيما لوحظ على بعض الذاكرين من الاهتزاز والحركة الجسمانية ؟

الرد علي الشبهات والأباطيل حول الذكر :

١– حلق الذكر شئ ومجالس العلم شئ آخر .

إن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يملك زمام العربية الفصحى ويعرفها أتم ما تكون المعرفة ، وحاشا له ألا يفرق بين كلمة ((ذكر)) ، و((علم)) ، وكيف لا يفرق بين هاتين الكلمتين وهو كما قال عليه صلاة الله وسلامه : ﴿ أوتيت جوامع الكلم وفواتحه وخواتمه﴾[1] .

وها هو ، عليه أفضل صلاة وأتم سلام ، يفرق بين تلاوة القرآن ودراسة أحكام كتاب الله ، وبين الذكر :

أ– ففى حديث أبي هريرة الطويل الذي أخرجه مسلم يقول ﴿ ﷺ وآله﴾ :

---

(١) رواه مسلم فى كتاب المساجد الحديث ٥-٨ وكتاب الأشربة الحديث ٧٢ والبخاري فى كتاب التعبير الباب ١١ والترمذي فى كتاب السير الباب الخامس وأحمد فى الجزء الثاني صفحة ١٧٢ ، ٢١٢ ، ٢٥٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٣١٣ ، ٤١٢ ، ٤٢٤ ، ٤٥٥ ، ٥٠١

﴿ ما اجتمع قوم فى بيت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ﴾ (١) فيحدد ﴿ يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ﴾ والحديث كله لمجموعة من ((الأعمال)) وثوابها .

ب- ففى حديث أبي هريرة المتفق على صحته ، كما أخرجه الإمام البخاري : ﴿ إن ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال فيسألهم ربهم عز وجل – وهو أعلم بهم – ما يقول عبادي ؟ قال : تقول : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك ﴾ (٢) .

فكيف يجوز بعد ذلك الادعاء بأن مجالس الذكر هى مجالس العلم والظاهر عندنا أن فى هذا بيان كاف لمن كان له قلب أو القي السمع وهو شهيد .

رأي ابن تيمية الحراني :

وها هو ابن تيمية يفرق بين الأذكار وبين تلاوة القرآن : ومن باب أولى سيفرق بين الأذكار ، وبين دراسة الفقه والأحكام : يقول ابن تيمية فى الفتاوي ردا على سؤال وجه إليه :

إن جنس تلاوة القرآن أفضل من جنس الأذكار ، كما أن جنس الأذكار أفضل من جنس الدعاء ، كما فى الحديث الذي فى صحيح مسلم عن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه قال : ﴿ أفضل

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الوتر الباب ١٤ وابن ماجة فى المقدمة الباب ١٧ ومسلم فى كتاب الذكر الحديث ٣٧ ، ٣٨ وكتاب الإمارة الحديث ١٤٧ والترمذي فى كتاب القرآن الكتاب العاشر وأحمد فى الجزء الثاني صفحة ٢٥٢ ، ٤٠٧ .

(٢) رواه البخاري فى كتاب الدعوات الباب ٦٧ ومسلم فى كتاب الذكر الحديث ٢٥

الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴾ [1] .

٢- يجوز الاجتماع لغرض الذكر وحده والتحلق له فى حلق ، أما حجة القرنيين فى أن عبد الله بن مسعود رأى قومًا يهللون فى المسجد قبل الصلاة ، فقال : ما أراكم إلا مبتـــدعين .

والحقيقة أن هذا الرأى لا يثبت للأدلة الآتية :

أ- القول المنسوب إلى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه إنما هو أثر عن صحابي فهـــو إذن أقل فى الدرجة بكثير عن الأحاديث الصحيحة الثابتة فهى تعلو عليه ومقدمة عليـــه عنـــد التعرض .

وهناك نيف وعشرون حديثًا يخالفون ما قيل أن ابن مسعود فعله من نهى للـــذاكرين عـــن الذكر .

ب- هذا الخبر عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه لم يصح سنده ، عن أحد ممـــن أخرجه فكيف يمكن الاعتماد عليه ؟ راجع الحاوي للفتاوي للإمام السيوطي المرجـــع ٥٠ جزء ١ ص ٣٩٤

ج- مما يؤكد الشك فى صحة هذا الأثر ، ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل بسنده فى كتاب الزهد ، عن أبي وائل قال : ((أولئك الذين يزعمون أن عبد الله ينهي عن الذكر ، والله ما جالست عبد الله قط فى مجلس إلا ذكر الله فيه))

د- وإذ قال القرنيون أن نهى عبد الله بن مسعود كان متعلقًا بالمساجد فقط ، فرد عليهم بما رواه أبو سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ يقول الرب عز وجل : يوم القيامة سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم ، قيل ومن أهل الكرم يارسول الله ؟ قال : أهـــل مجالس الذكر فى المساجد ﴾ [2] .

---

(١) رواه البخاري فى كتاب الإيمان الباب ١٩ ومسلم فى كتاب الآداب الحديث ١٢ وابن ماجة فى كتاب الأدب الباب ٥٦ وأحمد فى الجزء الخامس صفحة ١٠ ، ١١ ، ٢٠ ، ٢١

(٢) رواه أحمد فى الجزء الثالث صفحة ٦٨ ، ٧٦ واورده الهيثمي فى موارد الظمآن ٢٣٢٠ والسيوطي فى الدر المنثور ١ / ١٥١ .

٣- يقول القرنيون : إن الجهر بالذكر لايجوز واتهموا فاعليه بالابتداع لقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ خير الذكر الخفى وخير الرزق ما كفى ﴾

أما حديث ((خير الذكر الخفي)) لإثبات أن الذكر القلبي يعلو ، أو مقدم علـــى ذكـــر اللسان . ولكنه لايصلح حجة فى أن الذكر الجهري ليس ذكرًا شرعيًا صحيحًا ، لأسباب منها :

أ- أن لفظة ((خير)) الواردة فى الحديث هنا لاتعنى إلا خيرية أى أفضلية فعـــل الـــذكر الخفى ، على الذكر العلنى الجهرى ، ولكن لا يلزم منها تحريم الذكر الجهرى .

ب- كما أن هذا الحديث معارض بثلاثة وثلاثين حديثًا أخرى تؤكد ، ليس فقـــط جـــواز الجهر بالذكر ، بل أن الجهر بالذكر كان على عهد الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ .
ومن هذه الأحاديث المعارضة ما هو أقوى منه فى الدرجة بكثير ، بل إن منها أحاديث متفق على صحتها ، أخرجها البخاري ومسلم ، وهى أعلى درجات الصحة فى الحديث .
ونذكر من هذه الأحاديث ما يلي :
- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : يقول الله جل شأنه : ﴿ أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني فى نفسه ذكرته فى نفســـي ، وإن ذكرني فى ملأ ذكرته في ملأ خير منه ﴾ (١) والملأ : الجماعة : ولا يكون الذكر فى مـــلأ إلا جهرًا : فإن قال البعض تكون الجماعة من الناس ، أى الملأ ، ولكن يذكر كـــل منـــهم فى نفسه : قلنا فهذا هو الشق الأول من الحديث : (ذكرني فى نفسه) فما معنى فى ملأ إذن ؟ ؟ ؟ .

(١) رواه مسلم فى كتاب الذكر الحديث ٢ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ والبخاري فى كتاب التوحيد الباب ١٥ ، ٤٣ والترمذي فى كتاب الدعوات الباب ١٣١ وابن ماجة فى كتاب الأدب الباب ٥٣ ، ٥٨ ، وأحمد فى الجزء الثاني صفحة ٢٥١ ، ٤٠٥ ، ٤١٣ ، ٤٥٤ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٤ ، ٥٣٤ ، ٥٤٠ .

– عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه قال : ((إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة – أى الصلاة المفروضة – كان على عهد النبى ﴿ ﷺ وآله﴾) .
وهذا بيان لا التباس فيه ولا شبهة ، بأن الجهر بالذكر كان على عهـــد رســـول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ .
– عن زيد بن أسلم قال : قال ابن الأدع : انطلقت مع النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ فمر برجل كان فى المسجد يرفع صوته قلت : ((يارسول الله عسي أن يكون هذا مرائيًا ؟ قال : لا ولكنه أواه)) [1].
أخرجه ابن جرير والبيهقي فى تفسيره بسندين .

وهذه الأحاديث ، وإن كانت لا تضيف جديدًا بعد الأحاديث الصـــحيحة الثابتـــة الـــتى ذكرناها فى البداية إلا أنها تشير إلى أن رفع الصوت بالذكر كان يحدث أمام رســـول الله﴿ ﷺ وآله﴾ وأن بعض الصحابة شك فى أنهم يراءون ، وأنه عليه أفضل الصلاة والسلام بين أن هذه صفة الأواهين .
٤– يقول القرنيون : إن التمايل فى الذكر لا يجوز واتهموا فاعليه مـــن ســـادتنا الصـــوفية بالبدعة .
والحقيقة أن التمايل فى الذكر حالة طبيعية وعادة فطرية فطر الله الناس عليها وذلك إذا ما رأى شعيرة من شعائر الله تعالى أو آية من آيات عظيم قدرته أو بديع صنعته فإن الروح التى جعلها تعالى فى عباده المؤمنين تحن وتهيج إلى تلك العظمة الربانية فلا يسعها إلا الاضطراب والاهتزاز الخارج عن حالته العادية .
ووصف الله المؤمنين بقوله : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[2] بالخوف والوجـــل عند ذكر الله تعالى لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه . ونظيره هـــذه الآيـــة ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُـــوبُهُم

(١) اورده العلامة ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٦ / ٢٣٤ .
(٢) سورة الأنفال – آية ٢
(٣) سورة الحج – آية ٣٤ – ٣٥

بِذِكْرِ اللّهِ ﴾ (١) فهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب ، والوجل الفزع من عذاب الله فلا تناقض ، وقد جمع الله تعالى بين المعنيين فى قوله : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٢) أى تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله . فهذه حالة العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم ، وسئل الحسن البصري فقال : يا أبا سعيد أمؤمن أنت ؟ فقال له : الإيمان إيمانان ، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحشر والحساب فأنا مؤمن به وإن كنت تسألني قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ (٣) فوالله ما أدري أنا منهم أم لا .

وقد جاء فى مجمع الزوائد عن عبد الله بن عقبة : ((كان أصحاب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يتمايلون فى الذكر كما تمايل الريح الأشجار)) .

وإذا حصل للقلب الخوف والفزع يحصل الاضطراب لجميع الجسم فيرتعد لذلك وتضطرب أعصابه وهذا فى كل بشر كما حصل لحضرته صلي الله عليه وسلم فى بدء الوحى من قوله الشريف للسيدة خديجة رضى الله عنها ﴿ دثروني دثروني ﴾ (٤) وأيضًا عند فترة الوحي من

(١) سورة الرعد – آية ٢٨

(٢) سورة الزمر – آية ٢٣

(٣) سورة الأنفال – آية ٢-٤

(٤) رواه البخاري فى تفسير سورة المدثر الباب الأول والثالث والرابع وسورة العلق الباب الأول ومسلم فى كتاب الإيمان الحديث ٢٥٥ ، ٢٥٧ والترمذي فى سورة المدثر الباب الأول واحمد فى الجزء الثالث صفحة ٣٠٦.

قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ :﴿ زملوني زملوني رأيت الذي جاءني بحراء ساداً الأفق ﴾ [١] فالوجل إذا حصل للقلب يحصل الاضطراب لجميع الأعصاب فإذا عرفت ذلك فاعرف أنه لا يحركه إلا أحد شيئين وهو الفزع أو السرور وحركة الفزع والخوف له حالة خاصة ، وحركة السرور لها أحوال عند صاحب القلب ، وهى أشد من الأولى ، لما فى ذلك من فيض الفياض الكريم ، فيكون هذا عند صاحبة خيرًا من الدنيا وما فيها .

فما بالك بالذاكر لله تعالى المتعلق به سبحانه ، فإنه يكون أعلى وأرقى فى الفرح والسرور ويكون صاحبها أكثر اضطرابًا وتمايلاً .

الإنشاد على الذكر سنة لا بدعة :

وأما النشيد على الذكر فهو من باب تشجيع الذاكر على الذكر ليجمع همته ويطرب قلبه ويتعلق بالمذكور فتتحرك الروح فى الجسد فيه ليحصل له الوجل إلى الله تعالى والخشية منه تبارك وتعالى قال عز من قائل : ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] وقوله تعالي : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ [٣] وفى قوله تعالى : ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾ [٤] وكل ذلك فى معنى التحريض والتشجيع والحث على فعل ما أمر الله تعالى عباده به وإليك ما رواه البخاري وغيره فى السنة المطهرة أن الاحباش كانوا يلعبون بالدرك فى مسجد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال ﴿ ﷺ وآله﴾ للسيدة عائشة : ﴿ تشتهين ؟ قالت : نعم فقامت خلف رسول الله ﷺ وآله وجعلت تنظر من على كتفه الشريف وهو يقول هيه دونكم بني

---

(١) رواه البخاري فى كتاب بدء الوحي الباب الثالث والسابع وكتاب التعبير الباب الأول وتفسير سورة العلق الباب الأول والثالث ومسلم فى كتاب الإيمان الحديث ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٣٢٥ ، ٣٧٧ والجزء السادس صفحة ٢٢٣ ، ٢٣٣ .

(٢) سورة الأنفال – آية ٢

(٣) سورة الأنفال – آية ٦٥

(٤) سورة النساء –آية ٦٣

أرفدة فصار يشجعهم حتى قال لها حسبك ؟ قالت : نعم ﴾[1] وفى قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ لبني إسماعيل : ﴿ ارموا فإن أباكم كان راميًا ﴾ [2] تشجيعا لهم وقوله فى حفر الخندق:

اللهم إن العيش عيش الآخرة   فاغفر للأنصار والمهاجرة [3] .

فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدا   علي الإسلام ما بقينا أبدًا

ويقول : كان النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ينقل التراب فى يوم الأحزاب ويقول :

اللهم لولا انت ما اهتدينا   ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا   وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا   وإن أرادوا فتنة أبينا [4].

---

(١) رواه البخاري فى كتاب العيدين الباب الثاني ومسلم فى كتاب العيدين الحديث ١٩
(٢) رواه البخاري فى كتاب الجهاد الباب ٧٨ وكتاب الأنبياء ١٢ وكتاب المناقب الباب الرابع وابن ماجة فى كتاب الجهاد الباب ١٩ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٣٦٤ ، والجزء الرابع صفحة ٥٠ .
(٣) رواه البخاري فى كتاب الصلاة الباب ٤٨ وكتاب الجهاد الباب ٣٣ وكتاب مناقب الأنصار الباب التاسع وكتاب المغازي الباب ٢٩ وكتاب الرقاق الباب الأول ومسلم فى كتاب الجهاد الحديث ١٢٦-١٣٠ وأبوداود فى كتاب الصلاة الباب ١٢ والترمذي فى كتاب المناقب الباب ٥٥ وابن ماجة فى كتاب المساجد الباب الثالث وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ١١٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨٧، ٢٠٥ ، ٢١٦ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ والجزء الخامس صفحة ٣٣٢ والجزء السادس صفحة ٢٨٩ ، ٣١٥ .
(٤) رواه البخاري فى كتاب الجهاد الباب ٣٤ وكتاب المغازي الباب ٢٩ ، ٣٨ وكتاب الأدب الباب ٩٠ وكتاب الدعوات الباب ١٩ وكتاب التمني الباب السابع ومسلم فى كتاب الجهاد الحديث ١٢٣-١٢٥-١٣٢ والنسائي فى كتاب الجهاد الباب ٢٩ والدارمي فى كتاب السير الباب ١٩ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٤٣١ والجزء الرابع صفحة ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٣٠٢ .

وفي قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ لأنجشة سائق الإبل التى تحمل النساء وهو يحدو عليها وهى تتحرك وتشتد فى سيرها لتحمسها بالنشيد فقال ﴿ ﷺ وآله﴾ :﴿ رويدك أنجشة بـــالقوارير ﴾ [(١)] وهكذا كان النشيد مشجعًا فى الجاهلية والإسلام حتى كان أكثره فى الحروب وفى الأفراح وفى الأعياد فهو سنة قديمة وعادة مستقيمة لئلا تفتر الهمم وتضعف عما هى بصدده .

التصفيق من قائد الذاكرين جائز :

وأما التصفيق الذي يحصل من قائد الذاكرين بالضرب على كفيه علـــى مقتضـــي نغمـــة الذاكرين بالذكر فهو جائز ، لأنه من قبيل النشيد الذي هو منشؤه إشحاذ أذهان الذاكرين وحملهم على جمع الهمة وجدهم واجتهادهم ليكون باعثًا لهم على استحضار قوتهم ، وتعلق قلب الذاكر باسم المذكور

سبحانه وتعالى فهو أكبر محرك لمشاعرهم ، وموقظ لنفوسهم ، ومنبه لأرواحهـــم لتعلقهـــا بخالقها ليكون التوجه منهم ظاهرًا وباطنًا حتي ينالوا الرحمة التى وعدهم سبحانه وتعـــالى فى قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [(٢)] ولا يلذ لهم ذلك ولا تسهل عليهم تلك الكثرة إلا بذلك المشجع ، وأما قول أعدائهم المستشـــهدين بقـــول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً ﴾ [(٣)] فهو مردود لأن الله تعـــالى عاب على الكافرين صلاتهم بالتغيير لها.

وعلى كل حال فالذاكرون – وإن تمايلوا وأنشدوا – فهم خير من الوهابيين الذين يرقصون فى العرضة النجدية ونحوها ، حيث يرقص فيها الملوك والأمراء والشيخ ابن باز وبطانته

---

(١) رواه البخاري فى كتاب الأدب الباب ٩٠ ، ٩٥ ، ١١١ ، ١١٦ ومسلم فى كتاب الفاضئل الحديث ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ والدارمي فى كتاب الاستئذان البـاب ٦٥ وأحمد فى الجزء الثالث صـــفحة ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٧٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٢ ، ٢٢٧ ، ٢٥٤ ، ٢٨٥ ، والجـــزء الســـادس صفحة ٣٧٦ .

(٢) سورة الأحزاب – آية ٤١

(٣) سورة الأنفال – آية ٣٥

الباب السابع

ردود على بعض شبهات القرنيين

الفصل الأول

الأذان الشرعي ، والبدعي

معنى الأذان لغة وشرعًا :

قال العلامة ابن حجر العسقلاني فى شرحه فتح الباري على البخاري جزء ثان ص ٥١ طبع ميري فى كتاب الأذان : الأذان لغة : الإعلام . قال الله تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[١] واشتقاقه من الأذن بفتحتين وهو الاستماع ، وشرعًا : الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ مخصوصة .

قال القرطبي وغيره : الأذان على قلة ألفاظة مشتمل على مسائل العقيدة لأنه بدأ بالأكبرية وهى تتضمن وجود الله تعالى وكماله ثم ثني بالتوحيد ونفى الشرك ثم بإثبات الرسالة لمحمد ﴿ ﷺ وآله﴾ ثم دعى إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة لأنها لا تعرف إلا من جهة الرسول ثم دعى إلى الفلاح وهو البقاء الدائم وفيه الإشارة إلى المعاد ، ثم أعاد ما أعاد توكيدًا .

ويحصل من الأذان الإعلام بدخول الوقت والدعاء إلى الجماعة وإظهار شعائر الإسلام والحكمة فى اختيار القول له دون الفعل سهولة القول وتيسيره لكل أحد فى كل زمان ومكان .

واختلف أيها أفضل ؟ الأذان أو الإقامة ، والإمامة ،إن علم من نفسه القيام بحقوق الإمامة أفضل وإلا فالأذان .

---

(١) سورة التوبة – آية ٣

والحكمة فى إعلام الناس به على غير لسانه ﴿ﷺ وآله﴾ التنويه بقدره والرفع لذكره بلسان غيره ليكون أقوى لأمره وأفخم لشأنه .

أول ألفاظ الأذان فى بدء الإسلام :

قال العلامة ابن حجر فى شرحه على البخاري جزء٢ ص ٥٣ منه : إن مبدأ الأذان لما كان عن مشورة أوقعها النبي ﴿ﷺ وآله﴾ بين أصحابه حتى استقر برؤيا بعضهم فأقره . كان ذالك بالمندوبات أشبه ، ثم لما واظب عل تقريره ولم ينقل أنه تركه ولا أمر بتركه ولا رخص فى تركه ، كان ذلك بالواجبات أشبه . ثم فرضت الجمعة والأذان لها بمكة ولم تقم بها لحكمة ، إما لفقد العدد ، أو لأن شعارها الإظهار وكان رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بها مستخفيًا ، فلعلها فرضت ثم نزلت الآية كالوضوء للصلاة ، فرض أولاً بمكة مع الصلاة ونزلت آيته بالمدينة .

وقال ابن حجر : كان اللفظ الذي ينادي به بلال قبل نزول هذه الألفاظ للصلاة قوله : **الصلاة جامعة** . أخرجه ابن سعد فى الطبقات من مراسيل سعيد بن المسيب . ولا يخفى عليك أن المراسيل أقوى إسنادًا ، وظن بعضهم أن بلالاً حينئذ إنما أمر بالأذان المعهود فذكر مناسبة اختصاص بلال بذاك دون غيره ، لكونه لما عذب ليرجع عن الإسلام فيقول : أحد أحد . فجوزى بولاية الأذان المشتملة على التوحيد فى ابتدائه وانتهائه ، وهى مناسبة حسنة باختصاص بلال بالأذان .

الأذان فى الكتاب :

إن لفظ الأذان والنداء جاء فى القرآن المجيد فى ستة مواضع . وكلها بمعنى النداء أو الإعلام ، فقد قال الله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾(١) ، ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ (٢) ، ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ﴾ (١) ، ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (٢) ، ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ ﴾ (٣)،﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الجمعة – آية ٩

(٢) سورة الحج – آية ٢٧

فهذه هى المواضع التى ذكر الحق عز وجل فيها الأذان فى كتابه العزيز وبينه لعباده أنه بمعنى النداء خصوصاً لما افتتحه تعالى فى المواضع كلها بالنداء واختتمه بالنداء .

الأذان فى السنة

ومن المقرر عقلاً وفعلاً أن النداء لا حد له ، خصوصًا لما رغبت فى التطويل به السنة المشرفة ، أخرج البخاري وغيره من أصحاب الصحاح والمسانيد عن ابن عمر رضى الله عنهما كان يقول : كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها فتكلموا يومًا فى ذلك فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسًا مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم بل بوقًا مثل قرن اليهود ، فقال عمر أو لا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة فقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ :﴿ يا بلال قم ناد بالصلاة ﴾ (٥) وأخرج ابن خزيمة وابن حيان وأبو داود أن عبد الله بن زيد بن عبد ربه رأى شخصًا قال له : أتريد أن أسمعك أذان المسلمين للصلاة ؟ قال نعم ، فعلا ربوة ثم نادى بالأذان ، ثم قال : هل سمعت ؟ قلت نعم ، قال : قم فناد مثل ما سمعت ، فعلوت الربوة وناديت به ثم استيقظت فجئت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وأخبرته فقال : ﴿ قم إلى بلال وألق عليه ما رأيت فإنه أندى منك صوتًا ﴾ (٦) وترجم له أبو داود فى بدء الأذان .

---

(١) سورة يوسف ـ آية ٧٠

(٢) سورة التوبة ـ آية ٣

(٣) سورة الأعراف ـ آية ٤٤

(٤) سورة المائدة ـ آية ٥٨

(٥) رواه البخاري فى كتاب الأذان الباب الأول ومسلم فى كتاب الصلاة الحديث الأول والترمذي فى كتاب المواقيت الباب ٢٥ والنسائي فى كتاب الأذان الباب الأول وأحمد فى الجزء الثاني صفحة ١٤٨ .

(٦) رواه أبوداود فى كتاب الصلاة الباب ٢٨ والترمذي فى كتاب المواقيت الباب ٢٥ وابن ماجة فى كتاب الأذان الباب الأول والدارميفى كتاب الصلاة الباب الثالث وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٤٣ .

وأخرج عبد الرازق بن عمر وأبو داود فى مراسليه أن عمر رأى الأذان مثل ما رأى عبد الله ابن زيد فكتمه فلما سمع الصوت خرج يجر رداءه حتى أتي النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال : رايت مثل الذي رأى فقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿سبقك الوحى ﴾ [١] وكان قد أوحى إليه ﴿ ﷺ وآله﴾ قبل الجميع ، لأن الصحابة لما تفرقوا مهتمين بأمر الإعلام للصلاة فقد رأى نحو العشرين صحابيًا الأذان وقد صح ذلك على ما ذكره ابن حجر فى شرحه على ما ذكره فى البخاري .

ألفاظ الأذان مثنى مثنى والإقامة وتر :

أخرج البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أمر بلال أن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة [٢].

قال العلامة ابن حجر فى شرحه على البخاري ثبت لفظ هذه الترجمة فى حديث لابن عمر مرفوعًا أخرجه أبو داود فى مسنده فقال فيه : ﴿مثني مثني﴾[٣] وهو عند أبي داود والنسائي وصححه ابن خزيمة وغيره من هذا الوجه لكن بلفظ مرتين مرتين وقال : أى يأتي بألفاظه ضفعًا قال الزيني بين المنبر . وحديث الأذان بأنه شفع يفسره قوله مثني مثني أى مرتين وذلك يقتضي أن تستوي جميع الفاظه فى ذلك ، ولكن لم يختلف فى أن كلمة التوحيد التى فى آخره مفردة وأما من قال بالتربيع فى الشهادتين فالأصح فى صورته أن يشهد بالوحدانية

---

(١) أورده العلامة ابن حجر فى كتاب فتح الباري ٨٢/٢ وفى مراسيل أبي داود ٥

(٢) رواه البخاري فى كتاب الأذان الباب ١-٣ وكتاب الأنبياء الباب ٥٠ ومسلم فى كتاب الصلاة الحديث ٢ ، ٣ ،٥ وأبو داود فى كتاب الصلاة الباب ٢٩ والترمذي فى كتاب الصلاة الباب ٢٧ والنسائي فى كتاب الأذان الباب الثاني وابن ماجة فى كتاب الأذان الباب السادس والدارميفى كتاب الدارميالباب السادس واحمد فى الجزء الثالث صفحة ١٠٣ ، ١٨٩ .

(٣) رواه النسائي فى كتاب الأذان الباب ٢ ، ٢٨ والبخاري فى كتاب الأذان الباب الثاني وابن ماجة فى كتاب الأذان الباب السادس والدارمي فى كتاب الصلاة الباب السادس وأحمد فى الجزء الثاني صفحة ٨٧ والجزء الخامس صفحة ٢٣٢ ، ٢٤٦.

ثنتين ثم بالرسالة ثنتين ثم يرجع فيشهد كذلك فهو وإن كان فى العدد مربعًا فهو فى الصورة مثني ، والله أعلم .

وقال هذا الحديث حجة على من يزعم أن الإقامة مثني مثل الأذان وأجاب بعض الحنفية بدعوى النسخ وأن إفراد الإقامة كان أولاً ثم نسخ بحديث أبي محذورة وعورض بأن فى بعض طرق حديث أبي محذورة المحسنة التربيع والترجيع فكان يلزمهم القول به .

وقال : الحكمة فى تثنية الأذان وإفراد الإقامة أن الأذان لإعلام الغائبين فيكرر ليكون أوصل إليهم بخلاف الإقامة فإنها للحاضرين وأن الإعلام المختص بالأذان لا يشاركه فيه غيره من الجهر بالتكبير والتلاوة مثلاً ولهذا قال ﴿ ﷺ وآله﴾ لعبد الله بن زيد بن عبد ربه : ﴿ ألقه على بلال فإنه أندى صوتًا منك ﴾ (١) أى أقعد فى المد والإطالة والإسماع ليعم الصوت ويطول أمد التأذين فيكثر الجمع.

هذا ما عليه أهل التحقيق من التطويل المأخوذ من الكتاب والسنة على ما علمت .

التطويل فى الأذان من حكم الشرع :

أخذ هذا بيان الحق عز وجل وبيان سيد المرسلين ﴿ ﷺ وآله﴾ الذي أسند إليه التبيين فى الحديث المروي عند البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أنه قال له رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت فى غنمك أو باديتك فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شئ إلا شهد له به يوم القيامة ﴾ (٢) . قال أبو سعيد سمعته من رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ .

---

(١) رواه أبو داود فى كتاب الصلاة الباب ٢٨ والترمذي فى كتاب المواقيت الباب ٢٥ وابن ماجة فى كتاب الأذان الباب الأول والدارميفى كتاب الصلاة الباب الثالث وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٤٣ .

(٢) رواه البخاري فى كتاب الأذان الباب الخامس والنسائي فى كتاب الأذان الباب ١٤ واحمد فى الجزء الثالث صفحة ٣٥ ، ٤٣

ورواه ابن خزيمة وغيره : ﴿ فإنه لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شئ إلا ويشهد له به يوم القيامة ﴾ [١] .

هذا هو أصل الحكم الشرعي فى دين الله تعالى للمسلمين فى الأذان ، فأين قولهم فى الأذان المقتضب أنه شرعي هل له أية صلة تمت به إلى الشرع ؟! .

الأذان المقتضب المفزع يخالف إجماع المسلمين

إذا كان تعليم الله تعالى لعباده للأذان هكذا وبيان رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ هو كذا فمن أين لهم الأذان المقتضب وفى أى شرع وفى أى دين إلا دين المخالفة لإجماع المسلمين ، والنداء فى نظر ذوي العقول السليمة بعد تبيين الله تعالى ورسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ بأنه لا حد له فى التطويل لأن حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ قد رغب المؤذن فى ذلك وبشره بذكر ما يترتب على التطويل بمد صوته ليوسع دائرة الشهداء له يوم القيامة بذلك فقال : ﴿ فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شئ إلا ويشهد له به يوم القيامة ﴾ [٢] الحديث .

الأذان لا يكون إلا من ندي الصوت :

هل يعد مؤذنًا مناديًا معلمًا معلنًا من يقول : اللــــــه أكبر ، أو من يقول الله أكبر .

فلا شك أن المطول هو الموافق لبيان السنة والكتاب ولذا أجمع عليه عقلاء الأمة الإسلامية سلفًا وخلفًا جيلاً بعد جيل خصوصًا لما استنبطوه من قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ لعبد الله بن زيد الذي سبق الصحابة فى تبليغ رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ برؤياه : ﴿ قم إلى بلال وألق عليه ما رأيت فإنه أندى منك صوتًا ﴾ [٣] ففهموا أن الأذان لا يكون إلا من ندي الصوت المطرب المترنم الذي هو شأن أندياء الأصوات لأخذهم بعاطفة القلوب وبمشـــاعر الإدراك إذ مــن المقرر عقلاً ونقلاً أن ندي الصوت لا يسعه إلا أن يترنم ويتطرب ويتوسع ليجلب ويستميل قلوب السامعين له خصوصًا فيما إذا كان المشرع أباح ذلك وبين أنه لا حد له . وإلا فــلا

---

(١) ، (٢) سبق تخريجة

(٣) سبق تخريجه

معنى لاختياره ﴿ ﷺ وآله﴾ بلالاً من بين جهوري الصوت وإختصاصه بأندياء الأصوات كبلال ، وابن أم مكتوم ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو محذورة الذي اختاره ﴿ ﷺ وآله﴾ حين عاب بلالا فى تقصيره الأذان من بين عشرين صحابيًا.

فلست أدري من أين لهؤلاء المخالفين هذه الطريقة الخبيثة المقتضبة المقطوعة المزعجة التى لم يعرف لها فى أصل الدين دليل كما علمت ، إلا من طريق المخالفين الذين لا شأن لهم إلا مخالفة الإجماع .

ولو رجعت ذيول الوهابية فى مصر وغيرها من الدول العربية إلى أم المدارس الوهابية الآن لوجدت أن الأذان فى مكة والمدينة سواء أكان فى الإذاعة أو التليفزيون بصوت ندي ، فهل أذان الوهابية فى مصر والدول العربية هو الشرعي أم أذان أم المدارس الوهابية الآن ؟ ! .

ومن أخبث الأمور وأنكر الألفاظ أنهم يسمونه بالأذان الشرعي ومن إطباقهم فى الجهالة لم يعرف عنه من الشرع شئ إلا عن هؤلاء المخالفين الخارجين عن إجماع المسلمين من زمن قريب ولم ينتشر إلا لكثرة فساد أهل الزمان واستعداد نفوسهم لقبول الشر وإعراضهم عن الخير وأهله .

قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١) . " راجع كتاب فيض الوهاب للشيخ عبد ربه سليمان الجزء الرابع ص ٥٧" .

هل الأذان حديث ؟

إن حديث الأذان هو حديث تعليم للأمة الإسلامية لأصل تشريع هذا الحكم الديني فلابد وأن يكون له أصل فى الكتاب والسنة وهو المعروف بالإعلام بلفظ مخصوص فى وقت مخصوص كما قدمنا ، وحيث كان إعلامًا لايقع في العقل السليم إلا موسعًا فيه على ما استفيد من بيان الحق له بالنداء ، وبيان سيد العالمين أيضًا بالنداء والنداء لا حد له .

فهو حديث لبيان الحكم وأصل التشريع . ولا يخفى أن استعمال ألفاظه بالنداء المشروع فقد رفعه وأوصله المؤذن إلى حد النداء والإعلام ، لا حديث تلاوة ، وهذا وجه تقرير

(١) سورة الروم – آية ٤١

فقهاء المذاهب الأربعة وإجماعهم على جوازه على ما سيتضح لك . وأما هؤلاء الخــارجون عن إجماع المسلمين فقد اتخذوا طريقة المخالفة عادة لهم ويدعون فى مثل هذا الأذان المقطوم أنه الشرعي . ويقولون : إنه حديث وهم لم يتفقوا مع إجماع المسلمين فى شئ منه . لأنهم لا يقرأونه تلاوة كالكتاب والسنة ، حتي يتفق مع دعواهم بأنه حديث . والحديث سنة يتلــى كالقرآن لا تغير فى ألفاظه على قاعدة القراء وفنهم . ومن المعلوم أن القرآن يتغنى به كما جاء فى السنة فما المانع من أن يتغنى بالأذان الذي جاء للإعلام والنداء ؟! وهم لا يفقهون أنه نداء جاء لتعليمهم كيفية النداء للصلاة ، والنداء لا حد له فتراهم مقصرين عن فهــم إجماع المسلمين وعما يفهم من بيان سنة سيد المرسلين ، وهذا شأن الضالين لا يهتدون إلى الحق ولا إلى طريق مستقيم .

ومن أعجب ما تسمع منهم وعنهم أنهم يقولون : إن هذا النداء المقطوم هــو أذان بــلال والسلف ، فهل رأى أحد منهم ذلك أو سمع به ؟ كلا وإنما الأذان حكم شــرعي يعــرف أصله من الكتاب والسنة كباقي الأحكام الشرعية .

هل الترنيم والتطريب فى الأذان حرام ؟ .

هل اللحن فى الحديث بالترنيم والتغيير فى ألفاظ الحديث بالنغمــات حــرام ؟ قــول : إن الترنيم والتطريب هو سنة عن سيد العالمين ، وقد جهل أصله الضالون ، وفطن لمصــدرها ومعناها من نور الله تعالى بصائرهم من عقلاء المسلمين . وما ذاك إلا أخذا مــن اختيــار حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ المؤذنين من ذوي الأصوات الحسنة ، وبالحري أن يكــون شــأنهم وطبيعتهم الترنيم والتطريب .

وإلا لو كان مجرد حكاية الألفاظ كما فهمه المخالف لكان أولى بالنداء به أول مخبر لرسول الله

﴿ ﷺ وآله﴾ برؤياه الأذان وهو عبد الله بن زيد .

ولا يخفي أن إعجاب حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ بمثل هذا ، وسماعه لقول أبي موسي (لحبرته لك تحبيرًا) أي لاجتهدت وتكفلت لك تحسينه، وسماعه ﴿ ﷺ وآله﴾ للمؤذنين المتــرنمين مــن أقوى الدلائل على ما نقول وها هم أئمة المسلمين أصحاب المذاهب الأربعة على ما تقــرر

فى كتاب الفقه للمذاهب الأربعة فى حكم التغنى والترنيم فى الأذان قال فى ص ٢٣٤ الحنفية ، قالوا : التغنى بالأذان حسن إلا إذا أدى إلى تغيير الكلمات بزيادة حركة أو حرف فإنه يحرم فعله ولا يحل سماعه . . المالكية ، قالوا : يكره التطريب فى الأذان لمنافاته الخشوع إلا إذا تفاحش عرفًا فإنه يحرم ، الشافعية ، قالوا : التغنى هو الانتقال من نغم إلى نغم إلى نغم آخر ، والسنة أن يستمر المؤذن فى أذانه على نغم واحد ، الحنابلة ، قالوا : التغنى هو الإطراب بالأذان .

وقد أجمع فقهاء الأمة شراح المذاهب الأربعة على أن التلحين والتطريب والترنيم ليس بحرام لأنه خرج عن كونه حديثًا إلى حد الإعلام . أى خرج عن كونه حديثًا يتلي كالقرآن بالفن والمد المعلوم فى قراءة الكتاب والسنة ، إلى حد الإعلام والنداء . وقال الزبير بن بكار : يصف أذان أبي محذورة : كان أبو محذورة أحسن الناس صوتًا وأذانًا وقد أقسم بعض شعراء قريش بنغمات أذانه فقال :

أما ورب الكعبة المستورة	وما تلي محمد من سورة
والنغمات من أبي محذورة	لأفعلن فعله مذكورة

لهذا كان إجماع المسلمين على ذلك .

هل الأذان مقطوم ومقتضب ؟

يقول القرنيون : إن الأذان مجزوم ، وبعضهم يقول : موقوف ، يعنون به المقطوم المقتضب هذا من تمام انغماسهم فى الجهل وتعمقهم فيه ، وإن تشأ فقل : لشدة بعدهم عن معرفة شئ من علوم القرآن الكريم – ولو بقراءة حفص – التى لابد لكل قارئ منها ، حتي فهموا معنى المجزوم الموقوف : المقطوم ، ولم يقل بها غيرهم . إذ معنى المجزوم الممدود بالمد اللازم أو العارض للسكون ، يعنى أن كل لفظ من ألفاظ الأذان يوقف عليه فى النهاية بالسكون ، ونهايته أربع عشرة حركة ، كما هو مقرر فى محله ، لا كما فهم الأغبياء من أن معناه المقتضب المقطوم ، فلست أدري كيف يفهمون أو يجهرون بما لا يعقلون ، أو لم يسألوا أهل الذكر عن أذان الحرمين قبل ظهور الوهابيين المخالفين وما كان عليه ، وهى سلسة متتابعة إلى أذان بلال رضى الله تعالى عنه فيكونوا قد اقتدوا بأول جامع للسنة إمام دار التنزيل

مالك رضى الله عنه ، الذي كان يقدم عمل أهل المدينة على الحديث الصحيح . ولكن ماذا تصنع فى المخالف الذي يصدع بها بدون دليل ولا وجه شرعي لا من النقل ولا من العقل ، وما أجرأهم على الله يقولن غير مبالين بحرمة وإثم الترنيم فى الأذان وقد قال الله تعالي : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (٢) حسبنا الله ونعم الوكيل فى أقوام يجرأون على دين الله بحكم فقه الريال لا فقه الرجال فنسأل الله تعالى أن يتولى جزاءهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٣) .

ولا يخفي على ذوي البصائر أن الله تعالى وضع قوانين لأحكام شرعه الشريف وخص تعالى بها من أناط به التبيين ﴿ ﷺ وآله﴾ ببيان الصفات والهيئات وجعلها قوانين تتبع كالقرآن فى أحكامه المحدودة وبالتلاوة أيضًا لا تكون إلا على نهج القوانين الموضوعة لذلك بالغن والمد والوقف ومن لم يتلقها ويرعها عند أداء القرآن والسنة فهو آثم .

وها هو ابن كثير أحد القراء الملتزم فى التلقي قصر المنفصل ، أجاز مد لفظ الجلالة فى تكبيرة الإحرام إلى أربع عشرة حركة ، والمد عند القراء أطوله ست حركات كحي على الصلاة وحي على الفلاح .

ثم إن ساداتنا العلماء رضى الله تعالى عنهم أجازوا التلحين فيه بدون إثم ، لأنه خرج عن كونه حديثًا إلى الإعلام بالصلاة وفى غيره لا يجوز ، وقد خصصوا أيضًا أن يكون المؤذن حسن الصوت لاختياره صلي الله تعالى عليه وسلم مؤذنيه الأربعة من ذوي الأصوات الحسنة ، خصوصًا ما أخرجه الدارمي وأبو الشيخ بإسناد متصل بأبي محذورة المتقدم .

المصادر التاريخية للأذان المفزع المقتضب :

١- أصحاب مسجد الضرار هم أصل هذا الأذان:

---

(١) سورة النساء – آية ١١٥

(٢) سورة الكهف – آية ١٧

(٣) سورة غافر – آية ٤٤

لا يخفى على عاقل أن مبدأ هذا الأذان الشنيع المقتضب – صادر عن مبدأ المخالفين لإجماع المسلمين ، الذين لا شأن لهم إلا مخالفة ما أجمع عليه علماء المسلمين من عقائد وأحكام وتشريعات وبيانات سيد المرسلين حسدًا واستكبارًا وجموحًا وإعراضًا عن الحق ، ولذا كانوا على مبدأ المخالف المنتقد المعترض الأول من قديم فى عصر حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ بإنكارهم عن أذان المسلمين : ﴿ وإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ (١) . ولذا كان أسلافهم ومن هم على شاكلتهم يريدون الضرر بالمسلمين والدس والكيد لهم بالتفرقة والتشقيق ، حتي أنزل الله فى أصل أعمالهم الآية قوله تعالى : ﴿ والَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٢) . ثم استمر الأمر مكتومًا بين جوانحهم ولم يتبع إلا ممن كان عني بهذه المخالفات الضارة ولكنهم لم يستطيعوا الظهور به لوجود أهل الحق البارزين .

٢ـ ابن تيمية شيخ المخالفين لجمهور المسلمين :

وقد استمر الأمر إلى أن ظهر ابن تيمية الذي لم يواجه الله تعالى إلا بحب الاستطلاع على كتب المخالفين ويظهر بها غرائب فى نظر الضالين من زخارف الأقوال التى لا يستحسنها إلا كل من كان على قدم إبليس اللعين ، ومنها أخذ يظهر بهذه المخالفة وكلما قصد وجهة وظهر بأمر مخالف زجوة فى السجون ثم يظهر أتباعه أنه تاب فيخرج ويشترط عليه ألا يقيم فى تلك البلد ثم يرحل إلى أخري ويظهر أمرًا آخر بالمخافة فيودع السجون وهكذا ، حتى قضي حياته سجينًا ومات فى السجن ، وكان معه ابن قيم الجوزية الذي لم يخرج من السجن إلا بعد موت شيخه وأظهر توبته .

---

(١) سورة المائدة ــ آية ٥٨

(٢) سورة التوبة ــ آية ١٠٧

قال فى طبقات الحنابلة : اجتمع ابن قيم الجوزية بالعماد ابن كثير ، فقال ابن قيم الجوزية لابن كثير : تكرهني لأني أشعري ؟ فقال ابن كثير : لو كنت كلك أشعريًا ما صدقك أحد من المسلمين أنك أشعري ، لأنك تلميذ ابن تيمية .

٣ـ الوهابية أصل هذا الأذان المقتضب :

نقل عن ابن تيمية الكثيرون من تلاميذ هذه الآراء المنكرة والمخالفات الفاسدة الضالة المضلة ولا زالت تتوارث عنهم إلى أن صدع بها ابن عبد الوهاب بالشام ، فطرود ورحل بها إلى جهة ظهور قرن الشيطان ، إلى أن كان من آخر أمره ما هو مدون فى التاريخ .

٤ـ الجمعية الشرعية أول من استورد هذا الأذان من الوهابية :

إن أول من صدع به في مصر قريبًا جمعية الشيخ محمود خطاب السبكي التى هى أول جمعية بمصر على شاكلة جمعية العروة الوثقى ثم حذا الشيخ محمد حامد الفقي الداعية للوهابية في مصر ، ثم نحى نحوهم جمعية الإخوان المسلمين في مصر ، ولما لم يجدوا حاكمًا شرعيًا يضرب على أيديهم كالأوائل السابقين فنشروا الفساد وعمموه بين ضعفاء الإيمان ويغروهم بحملهم لشهادة عالية من الأزهر فيظن العامة أنهم علماء خصوصًا من يظهر فيهم بتملقه ونفاقه بالمناصب العالية في الدولة ، فيكون هذا المركز الذي هو سبب في إلقائه في جهنم فوق تضليلاته – طامة كبري على العلم والعلماء والمسلمين .

والله يعلم أن العلم برئ منهم وعنهم إذ العالم العامل من عقل ودرى ، قال تعالي : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (1) . وعنه عليه الصلاة والسلام في معنى هذه الآية : ﴿ العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ﴾ (2) .

---

(١) سورة العنكبوت – آية ٤٣

(٢) أورده البغوي في تفسيره ٥ / ١٩٤ وابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف والقرطبي في تفسيرة ١٣ / ٣٤٦ .

الفصل الثاني

الصلاة والسلام على النبي (ﷺ وآله) بعد الأذان من السنة

حكم الأذان علي المنارة

الأذان على المنارة من السنة وإنكاره بدعة مضلة ، وبرهان ذلك ما ورد من الآثار بسند الإمام أبي داود في صحيفة ١٥٠ علي هامش الموطأ في باب الأذان فوق المنارة ، عن امرأة من بني النجار قالت : كان بيتي من أطول بيت حول المسجد ، وكان بلال يؤذن عليه الفجر ، فيأتي بسحر فيجلس على البيت ينظر إلى الفجر ، فإذا رآه تمطى ثم قال : ﴿ اللهم إني أحمدك واستعينك على قريش أن يقيموا دينك ﴾ [١] ثم يؤذن .

وبسنده من الحديث الطويل قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ وحتى هممت أن آمر رجالاً يقومون على الآطام ينادون المسلمين بحين الصلاة ﴾ .

من تلك الآثار الشريفة يتضح أن حكمة مشروعية الأذان – إعلام المسلمين بحين الصلاة ، ليجتمعوا في المسجد ، ولتلك الحكمة يسن شرعًا كل عمل يتوسل به لهذا الجمع والمقاصد تبرر الوسائل .

ولما كان الأذان على المنارة المرتفعة يسمع القريب والبعيد عن المسجد من المسلمين ، كان من السنة أن ترفع المنارات في الأمصار ، وأن يؤذن فوق المساجد وفي غيرها كما كانت السنة في عهد رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ . أما الأذان أمام المسجد ، فتلك السنة التى كانت في عهد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد جلوسه على المنبر ، لينتبه الحاضرون للجمعة ، فيسارعوا إلى دخول المسجد لسماع الخطبة .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة الباب ٣٣ .

فتح باب الفتن بالأذان الواحد يوم الجمعة :

ورجل يفتح باب التفرقة بين المسلمين بجعل البدع المضلة سننا ، والسنن المجمع عليها بدعا ، حكم علي نفسه أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ليس منه في شئ بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (١) .

وهو شر شياطين الإنس لأنه يترك أكبر الكبائر تفعل جهرًا أمام المسلمين فيقرها ، ويذهب إلى مسجد الله تعالى فيحدث شر البدع فيه ، وشرها الخصومة والجدل ، قال الله تعالى : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (٢) . فحكم على كل مجادل أنه خصم الله تعالى ، وخصم رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ والمؤمنين .

أما الأذان بجوار المنبر فهو بدعة أيضًا ، وإنما الأذان أمام الخطيب يكون على باب المسجد حيث تكون المساجد بعيدة عن الأسواق والغوغاء من السوقة الذين لا يشهدون الجمعة ، فإذا كان المراد به يقظة قلوب المصلين لسماع الخطبة – خصوصًا الذين يجلسون في الزوايا الملحقة بالمسجد بجوار محل الطهارة لزحام المسجد – كان الأذان بصوت ندى والخطيب على المنبر مما يعين على اليقظة لسماع الخطبة ، قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىءٍ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلي الله ورسوله . . . ﴾ (٣) الحديث .

والحقيقة أن المسلم إذا وعظ كما أمرنا القرآن المجيد بقوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٤) . لفاز الواعظ والموعظ برضوان الله الأكبر ، ودليل ذلك من الأثر الشريف ما رواه الإمام محمد أبو الحسن عن

---

(١) سورة الأنعام – آية ١٥٩

(٢) سورة الزخرف – آية ٥٨

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي الباب الأول وكتاب العتق الباب السادس وكتاب مناقب الأنصار الباب ٤٥ وكتاب الطلاق الباب ١١ (في الترجمة) وكتاب الإيمان الباب ٢٣ وكتاب الإكراه (في ترجمة الكتاب) وكتاب الحيل الباب الأول ومسلم في كتاب الإمارة الحديث ١٥٥ ، وأبو داود في كتاب الطلاق الباب ١١ والنسائي في كتاب الطهارة الباب ٥٩ وكتاب الطلاق الباب ٢٤ وكتاب الإيمان الباب ١٩ وابن ماجة في كتاب الزهد الباب ٢٦ .

(٤) سورة النحل – آية ١٢٥

الإمامين البخارى ومسلم قالا : قال السائب بن يزيد : ﴿ كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر في عهد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وأبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، فلما كان عثمان رضى الله عنه وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء ﴾ (١) فصح أن النداء في يوم الجمعة نداء أول للتفكير ونداء ثان عند وجوب الظهر ، ونداء ثالث عند جلوس الخطيب على المنبر .

الصلاة والسلام علي رسول الله بعد الأذان :

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) . ويقول سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴿ إذا سمعتم المؤذن يقول فقولوا مثلما يقول ثم صلوا علي ﴾ (٣) فلم قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : ((ثم صلوا على)) إلا لبيان أن ذلك من السنة ؟! ومن ثم فلا ينكر ذلك إلا أعمى البصر والبصيرة ! . وبذلك أخذ الإمام الشافعي رضى الله عنه أن الصلاة على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد الأذان سنة ، كما يقول العلامة الألوسي في تفسيره روح المعاني أن قوله تعالى : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٤) أن المؤذن داخل تحت عموم هذا الأمر لأن الأمر في الآية للوجوب . وليست الصلاة علي سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد الأذان قاصرة على الصيغة الإبراهيمية ، بل يجوز التنويع في الصلاة والسلام عليه ، كل بما يفتح الله تعالى عليه .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجمعة الباب ٢١ والترمذي في كتاب الجمعة الباب ٢٠ .

(٢) سورة الأحزاب – آية ٥٦ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الأذان الباب السابع ومسلم في كتاب الصلاة الحديث ١٠ ، ١١ والترمذي في كتاب الصلاة الباب ٤٠ وكتاب المناقب الباب الأول والنسائي في كتاب الأذان الباب ٣٣ ، ٣٥-٣٧ ، وابن ماجة في كتاب الأذان الباب الرابع ومالك في الموطأ في كتاب النداء الحديث الثاني والدارميفي كتاب الصلاة الباب العاشر وأحمد في الجزء الأول صفحة ١٢٠ والجزء الثاني صفحة ١٦٨ والجزء الثالث صفحة ٦ ، ٥٣ ، ٩٠ والجزء الرابع صفحة ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ والجزء السادس صفحة ٩ ، ٣٢٦ .

(٤) سورة الأحزاب – آية ٥٦

شبهات وأباطيل حول الصلاة والسلام على رسول الله بعد الأذان :

يقول ثالوث التكفير : ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب : إن الصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله بدعة مستحدثة لم تكن في عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

رد الشبهات والاباطيل حول الصلاة والسلام على رسول الله بعد الأذان:

والرد علي ذلك يتضمن وجهين :

١- لقد خص الله عباده في كل عصر بمزايا لم يختص بها غيرهم ، فها هو القرآن المجيد لم يقم الصحابة فيه بنقط حروف المصحف ، بل الذي وضعه هم التابعون ، والتابعون لم يضعوا الشكل ، بل وضعه تابعوا التابعين ، وتابعوا التابعين لم يضعوا له المواقف ، بل وضعه تابع تابع التابعين ، وغير ذلك ما يسمي الآن بعلوم القرآن ، فهل تعد كل هذه الأمور بدعة ؟ ؟! .

٢- إن السنة تنحصر في ثلاثة أشياء : أقواله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وأفعاله ، وتقريراته ، وهذه محصورة بالعدد، وحوادث الكون لا تنحصر ، ودخول ما لا ينحصر تحت المنحصر محال ، إذن وجب أن يكون في الشريعة الإسلامية أمور كلية تندرج تحتها الجزئيات ، والجزئيات هي التي لم تكن موجودة عند الإخبار عن الكليات . وهي المستحدثات التي تكون على مباديء الكليات لتقاس عليها ، ولا يجوز عقلاً وقوعها في غير أزمنتها قبل الأوان .

ومن الجزئيات المندرجة تحت الكليات مدارس تعليم القرآن ، وقسائم الزواج ، وعقود التمليك والتجارة والإجارة ، وإنشاء المحاكم ، ومناصب شيخ الأزهر ، والمفتي ، وشيخ الطرق الصوفية ، وإقامة الشركات والجمعيات .

رأي الإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام في الصلاة والسلام على النبي بعد الأذان :

إن حكم الصلاة والسلام على رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد الأذان وارد بصريح القرآن الشريف وبالآثار النبوية . أما القرآن فقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ هذه الآية الشريفة حجة قائمة على أن الله تعالى أمرنا بالصلاة والسلام على رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ من غير تقييد بعمل ولا بوقت

ولا بحال ولا بشأن وأخبرنا سبحانه أنه يصلي عليه هو وملائكته مؤكدًا الخبر ب ﴿إنَّ ﴾، والمؤذن وسامعوه أولى الناس بشكر رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ على نعمة الله علينا به كما قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[1] وأي نعمة أعظم وأجل من سماع الآذان الجامع لتعظيم الله تعالى وتوحيدة سبحانه والإقرار برسالة حبيبه محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ .

هذه النعمة العظمي توجب علينا عقلاً أن نصلي ونسلم عليه وعلى آله وصحبه وانصاره ، خصوصًا عند الاعتراف له بالرسالة بعد الإقرار بتوحيد الله في كلمة واحدة . وقد طلب ﴿ ﷺ وآله﴾ ممن سمع المؤذن أن يقول مثل ما يقول ، وأن يصلي ويسلم عليه ، وأن يسأل الله تعالي له الوسيلة ، وإذا كان هذا مطلوبًا ممن سمع المؤذن ، فكيف بالمطلوب من المؤذن ؟ .

هذا ، وعلى فرض أن الصلاة والسلام من المؤذن بعد الأذان الشرعي ليس من الأذان فهو ذكر يتقرب به المؤذن إلى الله تعالى وليس فيه من الكراهة شئ والمؤذن هو إنسان مسلم يتقرب إلى الله تعالي بعد أن يتم سنة الأذان بما يحبه الله ورسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، ولا تكون الكراهة في هذا إلا إذا اعتقد أن هذا من الأذان الشرعي .

ومما يقيم الحجة علي أن المصلي والمسلم على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد الأذان يعتقد أن قوله هذا ذكر فقط ، اختلاف العبارات التى يقولها المؤذن ، إذ لو كان يعتقد أنها من الأذان للزم ألفاظًا معينة ، ولكن الشيطان – لعنه الله – يلقي في قلوب إخوانه من الإنس ما يفتح به أبواب الفتن المضلة والآراء المفسدة ، أعاذنا الله تعال من فتح أبواب الفتن في المساجد والمجتمعات الدينية .

ولم يبق بعد هذا البيان والحجة من الآثار النبوية ، والعقل الذي يعقل عن الله تعالى وعن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، إلا النزوع إلى بذر بذور التفرقة بين عمار المساجد وأهل التقوي من المؤمنين ، أعاذنا الله من ذلك .

---

(١) سورة آل عمران –آية ١٠٣

المصلون على النبي﴿ ﷺ وآله﴾ علي الدوام هم المقربون :

لا يخفي على من رزقه الله نور اليقين أن الله سبحانه وتعالى خلق عباده أهل الخطاب ليعرفوه ، ولا يعرفونه تعالى إلا عن طريق المرشدين من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم وبما نصبه لهم من الآيات في مكوناته جميعها . ومنهم من خلقه مطبوعًا على معرفته تعالى ، مدفوعًا بفطرته الطيبة إلى التعلق على الدوام بربه ، وحب الأنبياء والمرسلين وعامة الصالحين ، وهو أقرب طريق في الدلالة عليه جل وعلا . وجعل لسيد العالمين مزية خاصة على جميع الأنبياء والمرسلين ، وهي كثرة الصلاة عليه ﴿ ﷺ وآله﴾ حتى من دأب على ذلك ولازم عليها صار من المقربين ولا يتقرب إليه تعالى إلا بهذه الوسيلة فأمرهم والأمر للوجوب بقوله تعالى: ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ أى بالدوام والاستمرار .

منع الصلاة على النبي من الإيذاء له ﴿ ﷺ وآله﴾ :

لا يخفى أن الله سبحانه وتعالى حذر عباده عن مطلق إيذائه ﴿ ﷺ وآله﴾ بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ [1] الآية ، وفي عدم الصلاة والسلام عليه ﴿ ﷺ وآله﴾، وعدم الإعلان بها ، وعدم تنبيه الناس بالصلاة عليه لهي إعراض عن ذكره ، وذكر الذاكرين الله تعالى ولحضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ ، أفلم يكن منع هؤلاء المانعين للصلاة والسلام عليه بعد الأذان خصوصًا بعد أن أجمع عليها علماء الأمة الإسلامية من الإيذاء لحضرته ﴿ﷺ وآله﴾؟ وإن كانت الآية الكريمة تتناول أكثر من ذلك .

من منع الصلاة والسلام على النبي خرج على إجماع المسلمين :

المانعون للصلاة والسلام على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد الأذان دخلوا في الوعيد الشديد لخروجهم على إجماع المسلمين ذلك الخروج المبين في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ

---

(١) سورة الأحزاب – آية ٥٣

مَصِيرًا ﴾ [1] وقد قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ يد الله مع الجماعة ﴾ [2] . وقال في معنى الجماعة (السواد الأعظم) أى من المسلمين.

أو لم يخشوا أن يدخلوا تحت الوعيد بمنعهم ذكر الله تعالى ورسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ وما يترتب على منعهم من عدم الصلاة والسلام من السامعين للصلاة والسلام عليه بعد الأذان ؟ فيكونوا بذلك قد آذوا الله ورسوله الذي جاء به الوعيد الشديد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [3] نسأل الله تعالى السلامة والعفو والعافية ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [4] .

الفصل الثالث

صلاة التراويح

صلاة التراويح من النوافل والسنن:

إن صلاة التراويح من النوافل والسنن الواردة ، والتراويح هي النافلة المخصوصة في رمضان ، وهى بمثابة قيام لشهر رمضان المبارك ، حتى أن بعض الفقهاء يسميه القيام ، وقد صح عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه صلاها بعض الليالي ، فلما رأى ازدياد عدد الصحابة توقف عن الخروج ، وإنما أخبر أصحابه بأن تأخره كان رأفة بأمته ، وخشية أن يفترض عليها هذا القيام فيعجز الكثير عن أدائها ، ويصبح مخالفًا لأمر رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ .

(١) سورة النساء – آية ١١٥
(٢) رواه الترمذي في كتاب الفتن الباب السابع والنسائي في كتاب التحريم الباب السادس
(٣) سورة الأحزاب – آية ٥٧
(٤) سورة ق – آية ٣٧

وقد صح بالروايات المتواترة أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخليفة الثاني لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، أنه جمع الناس على صلاة التراويح ، وأمر بأن يصليها بهم أبي بن كعب جماعة وكان يصليها عشرين ركعة ، ثم يوتر بثلاث ركعات ، وهذا ما صح فعله عن أصحاب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ .

فمن صلاها عشرين ركعة فقد نفذ ما ورد بالأمر والإقرار عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، لقول الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ﴾ (١) .

صفة صلاة التراويح :

١- أن يكون الذي يصليها عشرين ركعة يصليها بطمأنية وخشوع ، وبقراءة صحيحة واضحة ، وليس كما يفعل بعض مقيمي الشعائر أو شيوخ القطاع العام من سوء الترتيل في قراءتها ، وعدم إكمال ركوعها وسجودها ، فتلك صلاة خداج ليست بمقبولة كما نص عليه الحديث ، وإنما الواجب إتمام ركوعها وسجودها وحسن القراءة فيها والخشوع أثناء الانشغال بها .

٢- إن عدد الركعات إذا كانت عشرين تزيد في الأجر ، إذ أن فيها زيادة القيام ، والقيام هو القنوت لله تعالي ، وفيها زيادة التسبيح في الركوع والسجود ، والثناء والحمد في الاعتدال، والدعاء والتضرع في السجود ، وزيادة الجلوس بين السجدة والتشهد ، كل ذلك يحتسب للمصلي قربة وحسنات لا تحصي .

حال المسلمين قبل ظهور القرنيين :

مرت علي المسلمين قرون طويلة ، وأحقاب عديدة ، وهم بخير إخوة متحابون متعاونون يؤدون(صلاة التراويح) في رمضان عشرين ركعة ، وبينهم الألفة والمحبة والوفاق . . يجمعهم الإسلام في إطارة الواسع ، وتعاليمه السمحة ، ومبادئة الرشيدة . . لا شئ يكدر

---

(١) رواه الترمذي في كتاب العلم الباب ١٦ وأبو داود في كتاب السنة الباب الخامس وابن ماجة في المقدمة الباب السادس والدارمي في كتاب المقدمة الباب ١٦ وأحمد في الجزء الرابع صفحة ١٢٦ ، ١٢٧

صفوهم ، أو يشتت شملهم ، لا في رمضان ولا في غير رمضان ، لأن القرآن وطاعة الرحمن ، كان الشغل الشاغل لهم .

حال المسلمين بعد الصحوة الوهابية :

ثم جاء هذا العصر – عصر الصحوة الوهابية ، والكبوة الإسلامية ، عصر الجمود الفكري والركود العلمي – فلم يجد المسلمون لأنفسهم شيئًا يدعوا إلى العناية والاهتمام ، إلا الاشتغال بـ ((الفروع الجزئية)) وترك ((الأمور الكلية)) التي كان ينبغي عليهم أن يولوها أكبر قسط من العناية والاهتمام .

ودب الخلاف والتراع بينهم بسبب تلك الفروع ، مما أصبح عنوانًا ظاهرًا على تخلف المسلمين ، وتأخرهم عن مسايرة ركب الحضارة الإنسانية ، بعد أن كانوا هم روادها وقادها .

ظهور أئمة الضلال باسم السلفية :

والعجب أن من يحمل هذا الوزر – وزر الانحراف عن منهج الإسلام السوي – ليسوا هم العامة بل هم ثالوث التكفير وأبواقهم ومشايخ القطاع العام الذين تصدروا لزعامة الأمة وهم ممن ينتسب إلى العلم ، ويدعي أنه يريد إحياء السنة ، ويزعم أنه وصل إلى درجة من العبقرية والنبوغ ، لم يصل إليها كثير من علماء العصر . .بل ويأخذ بعضهم الغرور أحيانًا ، حتي يخيل إليه أنه بلغ درجة ((الأئمة المجتهدين)) ثم يأتى بأراء غريبة وأمور عجيبة ، تناقض ما ذهب إليه جمهور العلماء سلفًا وخلفًا – لتفكيك جماعة المسلمين .

أئمة الضلال يتميزون بالجهل وركوب الهوي :

الدين الذي يجمع القلوب ، ويوحد الصفوف ويقوي دعائم الأخوة الإسلامية ، أصبح اليوم – بسبب الجهل وركوب الأهواء – سببًا للتناحر والتخاصم والتفرق والتراع ، ومدعاة إلى تفكك أواصر الأخوة الإيمانية ، التي ربطها الله تعالى برباط الدين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (١) . ويالها من كارثة وفاجعة أليمة ، تحل بالمسلمين ، بسبب التعصب الأعمي للآراء لشيوخ النفط ، والتقليد لشيوخ القحط ، ممن يحبون فقه الريال لا فقه الرجال فيزعمون أنهم أهل للاجتهاد ، في هذا العصر المنكوب !! .

---

(١) سورة الحجرات – آية ١٠

يؤججون نار العداوة والفرقة بين المسلمين ، ويثيرون الفتن لأمور بسيطة يسيرة ، كأمر ﴿حمل المسبحة ووضع اليدين في الصلاة وصلاة التراويح وتقبيل يد العالم والقيام للضيف القادم وذكر الله جماعة وجهرًا وقول القارئ : صدق الله العظيم عند الانتهاء من التلاوة ، والتوسل بالنبي أو الولي﴾ وأمثال ذلك ، من الأمور التى لا تحتاج إلى جدال ومناظرة ، لأنها أمور بسيطة يسيرة في نظر الدين ، لا تعدو أن تكون محصورة بين دائرة ((الفاضل)) و((المفضول)) من أحكام الحلال والحرام .

أمور جزئية أثاروها وجعلوها في مكان الأصول الكبرى ، التى يجب أن يهتم بها المسلمون ، كأمور العقيدة ، ووحدة الكلمة ، وجمع الصف في سبيل مكافحة الدعوات الهدامة ، والجمعيات التبشيرية ، والنزعات الإلحادية والفساد الخلقى الذي استشرى بين شباب المسلمين والفتيات . . وكأن المسلمين بحاجة إلى من يمزقهم ، ويشتت شملهم ، بعد أن مزقهم عدوهم المستعمر ، فجعلهم شيعًا وأحزابًا ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (١) .

والأنكي من هذا ، أن هذا التقاطع والتدابر ، والتمزق والتناحر ، الذي عليه المسلمون اليوم ، يتزيا باسم الغيرة على الدين . . باسم ((إحياء السنة)) أحيانًا وباسم ((حماية التوحيد والسلفية أو الأصولية)) طورًا آخر ، وما درى هؤلاء ، أن هذه مكيدة خبيثة ، يدبرها لهم الأعداء ، ليشغلوهم بالصغير عن الكبير ويجعلوا بأسهم بينهم شديًا ، فتتمزق كلمتهم ، ويتفرق جمعهم ، والله تعالى قد حذرهم من ذلك في آياته البينات فقال : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (٢)

وقال جلت عظمته : ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) .

وماذا يضير هؤلاء الإخوة السلفيين – إن كان غرضهم خدمة الدين – أن يتركوا المسلمين يصلون في رمضان عشرين ركعة ، وأن يسبحوا الله تعالى باليد أو المسبحة ، وأن يذكروا

---

(١) سورة الروم – آية ٣٢

(٢) سورة آل عمران – آية ١٠٣

(٣) سورة آل عمران – آية ١٠٥

الله فرادي أو جماعة ، وأن يكرسوا جهودهم للوقوف في وجه الملاحدة ، والشيوعيين بدل من أن يجعلوا همهم مقاومة المصلين المتعبدين !! وأن يذكروا قول المصطفي الهادي الأمين ﴿ﷺ وآله﴾ :﴿ إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ﴾ [1] وقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴿ بشروا ولا تنفروا ويسيرواولا تعسروا ﴾ [2] !! .

اللهم ألهمنا رشدنا . . واحفظنا من اتباع الهوي . . وجنبنا مضلات الفتن ، يا رب العالمين.

أيها القرنيون صلاة القيام عشرون ركعة لا ثمان :

أما حجة من يحتج من القرنيين بحديث السيدة عائشة عليها السلام من أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ما كان يزيد على ثلاث عشرة ركعة في رمضان ولا في غير رمضان ، فإنها تحكي ما كان من عمل الرسول في صلاته في بيته وبمفرده ، وهذا لا يعارض ما رآه عمر بن الخطاب من إقامة صلاة الليل في رمضان بالجماعة حيث جمعهم على أبي بن كعب .

ولعل أم المؤمنين تحكي غالب ما كان عليه رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ في حياته من قيام الليل وكان ذلك تيسيرًا على أمته .

قيام شيخكم ابن تيمية عشرون ركعة لا ثمان :

قال ابن تيمية في الجزء الثاني من الفتاوي ص ٤٠١ : ((ثبت أن أبي بن كعب ، كان يقوم بالناس عشرين ركعة في رمضان ، ويوتر بثلاث فرأى كثير من العلماء أن ذلك هو السنة ، لأنه قام بين المهاجرين والأنصار ولم ينكره منكر)) .

وفي مجموعة الفتاوى النجدية ، أن الخارجي عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ذكر في جوابه عن عدد ركعات التراويح أن عمر رضى الله عنه لما جمع الناس على أبي بن كعب كانت صلاتهم عشرين ركعة .

---

(١) رواه النسائي في سننه ١٢٢/٨ والبيهقي في السنن الكبري ٣ / ١٨ والمتقي الهندي في كنز العمال ٥٣٨٤ وابن كثير في تفسيره ٤ / ١٧٨.

(٢) رواه البخاري في كتاب العلم الباب ١١ وكتاب الجهاد الباب ١٦٤ ومسلم في كتاب الجهاد الحديث الخامس وأبو داود في كتاب الأدب الباب ١٧ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٢٣٩ ، ٢٨٣ ، ٣٦٥ ، والجزء الرابع صفحة ٣٩٩ ، ٤١٢ ، ٤١٧ .

ومن النقول الكثيرة عن أئمة علماء المسلمين ، سلفًا وخلفًا ، تثبت بما لا يحتمل الشك ، كأن ما عليه المسلمون اليوم ، من صلاة التراويح ((عشرون ركعة)) هو الحق الذي لا محيد عنه ، وهو الذي تأكد بعمل الصحابة رضوان الله عليهم جميعًا ، وبإجماع الأئمة المجتهدين – أئمة المذاهب الأربعة – الذين هم أعلام الهدى ، ومنارات العلم في كل زمان وحين ، وهو الذي أمر به الفاروق رضى الله عنه الذي جعل الله الحق على لسانه وقلبه ، كما صح بذلك الحديث الشريف .

يا جماعة الخوارج بمصر تأدبوا مع شيوخكم في الحرمين الشريفين واقتدوا بهم :

ولقد وصلت الوقاحة بجماعة الخوارج بمصر إلى أن يقولوا الزيادة على إحدي عشرة ركعة بدعة وكل بدعة ضلالة حتى ولو كانت من عمر !! .

ولكن ماذا نقول : قاتل الله الجهل والغباء ، وصدق من قال :

إذا ما الجهل خيم في بلاد رأيت أسودها مسخت قرودًا

لقد بلغت هؤلاء الوقاحة بأن يقولوا عن الأئمة المجتهدين : إنهم أئمة ضلال ، فرقوا الدين وضللوا الأئمة ، ويأتون بالآية التى نزلت في اليهود والنصارى ، فيحملونها على الأئمة الأعلام ، ويقولون : هؤلاء ذمهم الله تعالى في كتابه العزيز ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (١) .

وقد أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت في اليهود والنصارى ولم تنزل في الأئمة المجتهدين كما يظن هؤلاء الأغبياء الجهال .

وكأنهم لم يقرأوا ما كتبه شيخهم ابن تيمية في ((رفع الملام عن الأئمة الأعلام)) :

ونخشى أن نكون قد أشرفنا على ذلك الزمان الذي يتربع فيه السفلة الجهال على كراسي العلم

(١) سورة الأنعام – آية ١٥٩

والإفتاء ، وهو ما حذرنا منه المصطفي «ﷺ وآله» في الحديث الـذي رواه البخـاري في باب قبض العلم : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ولكن يقـبض العلـم بقبض العلماء ، حتي إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغـير علـم فضلوا وأضلوا » [1] أخرجه البخاري .

وفي الحديث الصحيح أيضًا يقول «ﷺ وآله» : « إن من أشراط الساعة : أن يرفع العلم ، ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر ويظهر الزنا ، وتكثر النساء ويقل الرجال ، حتى يكـون لخمسين امرأة القيم الواحد » [2] .

إن من يضلل الصحابة ، والتابعين ، والأئمة المجتهدين وينسب إلى سلف الأئمة وخلفها ((بدعة الضلالة)) لمجرد أنهم صلوا صلاة التراويح عشرين ركعة لهو إلى السفه والجهالة أقرب ، وإلى الابتداع وعدم الاتباع أجدر وأليق، ولا يتجرأ أن يصف الصحابة والتابعين بالبدعة إلا الأحمق .

ألا إنه الغرور ، والشذوذ والسفه ، والجهل . . . إنه شق عصا الجماعة ، والخروج عـن طريق المسلمين ، وجماعتهم الذي حذرنا القرآن الكريم منه ، حين قال : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا ﴾ [3] .

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم الباب ٣٤ ومسلم في كتاب العلم الحديث ١٣ والترمذي في كتاب العلم الباب الخامس وابن ماجة في المقدمة الباب الثامن والدارمي في المقدمة الباب ٢٦ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١٦٢ ، ١٩٠ .

(٢) رواه البخاري في كتاب العلم الباب ٢١ وكتاب النكاح الباب ١١٠ وكتاب الحدود الباب ٢٠ وكتاب المحاربين الباب الخامس وكتاب الفتن الباب الخامس ومسلم في كتاب العلم الحديث ٨-١٠ والترمذي في كتاب الفتن الباب ٣١ ، ٣٤ وابن ماجة في كتاب الفتن الباب ٢٥ ، ٢٦ وأحمد في في الجزء الأول صفحة ٣٨٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤٥٠ والجزء الثاني صفحة ٤٨١ ، والجزء الثالث صفحة ٩٨ ، ١٥١ ، ١٧٦ ، ٢٠٢ ، ٢١٣ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، والجزء الرابع صفحة ٣٩٢ ، ٤٠٥ والجزء الخامس صفحة ٢٦٦ .

(٣) سورة النساء – آية ١١٥

إنه الكبر ، واتباع الأهواء ، في سبيل الشهرة ، وصدق المصطفي ﴿ﷺ وآله﴾ حين قال : ﴿ الكبر بطرالحق وغمط الناس ﴾ [1] بطر الحق : أى دفع الحق وعدم قبوله ، غمط الناس : أى احتقار الناس والإعجاب بالرأى .

---

(١) رواه ابو داود في كتاب اللباس الباب ٢٦ والترمذي في كتاب البر الباب ٦٠ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٣٨٥ ، ٤٢٧ .

الفصل الرابع

قراءة القرآن يوم الجمعة

ما أجمع عليه علماء المسلمين :

إن علماء المسلمين يجمعون على أنه ما من أمر يكون الأصل فيه بيان رب العالمين ، أو سنة سيد المرسلين خصوصًا إذا كان فيه ذكر لله تعالى ، أو تعظيم لشعائره ، أو رفع لشأن نبيه ، أو نفع للفقراء من المسلمين ، إلا ويستحسنونه ، لأنه يتناوله كلام رب العالمين أو سنة سيد المرسلين ، وإن كان محدثًا لما فيه من مرضاة الحق عز وجل ، وأمرهم بالسير عليه ، لما عساه أن يكون مقربًا لله تعالى ويرضى به عنه .

ومن هذه الأمور ما يأتي :

فرضه تعالى على عباده الصلاة بمكة ولم يفرض الوضوء لها إلا بالمدينة بعد الهجرة بسنتين .

ومنها : إخباره تعالى عباده فتح مكة ، ولم تفتح إلا بعد أربع سنين .

ومنها : ما أمر الله به عباده من النداء ليوم الجمعة بمكة ، ولم يفرض تنفيذها ولا القيام بها ولا استكمال شروطها إلا بعد الهجرة بسنتين .

ومنها : إحداث صلاة التراويح في زمن عمر رضى الله تعالى عنه عشرين ركعة ((راجع ما ذكرناه في الباب السابق بتوسع)) وقال بعد أن جمعهم علي قارئ واحد ((نعمت البدعة هذه)) [1] وما أخذها رضى الله تعالى عنه إلا من صلاة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ بهم ليالي ثم انقطع عنهم رحمة بهم .

ومنها بناؤه رضى الله تعالى عنه مسجد رسول ﴿ ﷺ وآله﴾ وإبداعه فيه والزيادة عليه عملاً بقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ما أضيف إلى مسجدي فهو مسجدي﴾ الحديث .

---

(١) رواه البخاري في كتاب التراويح الباب الأول ومالك في الموطأ في كتاب رمضان الحديث الثالث .

ومنها : إحداث عثمان رضى الله عنه الأذان الأول يوم الجمعة على الزوراء ، الذي أخذه من فعل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ من إخراج المؤذن من بين يدى حضرته إلى الباب عند كثرة المسلمين .

ومنها : إحداثه رضى الله عنه بناء فوق المسجد مرتفعًا بعد أن بناه ، وجعله يتحمل المؤذن فوقه الذي أخذه من تخصيص رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ المكان المرتفع للأذان حيث كان يؤذن فوق بيت أم هانئ وهو أعلى بيت بجوار المسجد .

ومنها : ستائر المنبر الذي أخذ من فعل عمر رضى الله عنه على ما رواه ابن سعد .

موقف الخوارج ومستحدثات الأمور :

فهؤلاء الخوارج على إجماع المسلمين يعترضون وينكرون على أهل الحق والتحقيق ويضلون ويضللون ضعفاء الإيمان من البرآء من المسلمين بقولهم : هذه لم تكن في زمن النبي ولا الصحابة ولا التابعين – فلا حظ لهم ولا رغبة لهم إلا المخالفة لإجماع المسلمين ليعرفوا فهم الفرق الخارجة عن دائرة السواد الأعظم من المسلمين – فأنت تراهم يدعون الإيمان والإسلام ويخالفون إجماع المسلمين ، وهم السواد الأعظم الذي بينه سيد العالمين والجماعة التى حث على اتباعهم وعدم مخالفتهم .

وقال : ﴿ من فارق الجماعة قيد شعرة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ﴾ [1] الحديث ، وياليتهم يجمعون علي تلك المخالفة ، بل كل فرقة منهم تختلف عن الأخري ، وقد جعلهم الله كذلك ، ليعلم المؤمن أنهم الفرق الضالة لا الجماعة ، وهم السواد الأعظم من المسلمين فأنت ترى منهم من ينتحل طريقة من الطرق المخالفة لإجماع المسلمين ، ويقولون نحن نعمل بقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ كالآذان يوم الجمعة ، كالمنبر ، كالصلاة والسلام على رسول الله بعد الأذان ، كتجويف القبلة في الحائط – وغيرها مما خالفوا فيه المسملين – وتراهم يعملون

(١) رواه البخاري في كتاب الفتن الباب الثاني ومسلم في كتاب الإمارة الحديث ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ وأبو داود في كتاب السنة الباب ٢٧ والترمذي في كتاب الادب الباب ٢٨ والنسائي في كتاب التحريم الباب ٦ ، ٢٨ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١٣٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠٦ ، ٤٨٨ ، والجزء الثالث صفحة ٤٤٥ ، ٤٤٦ والجزء الخامس صفحة ١٨٠ ، ٣٨٧ .

بصلاة التراويح ويقولون إذا اجتمعت سنة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وسنة الخلفاء الراشدين نعمل بسنة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ولا نعمل بسنة الخلفاء الراشدين ، وهل سنة الخلفاء الراشـــدين تغاير سنة النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ، أو جاءوا بها من عند أنفسهم ؟ ولذا يقول قائلهم المتســـلل في الدين كاللص في سرقته وهو يدخل على أتباعه المضللين : إذا اجتمع معنا قول للعلمـــاء الحاضرين وقول للعلماء السابقين بأيهما نأخذ ؟ يقول له المضللون : نأخذ بقول السابقين ، يقول لهم : وإذا اجتمع معنا قول السابقين والأئمة المجتهدين بأيهما نأخذ ؟ يقولـــون لـــه : بالأئمة المجتهدين ، وإذا اجتمع معنا قول المجتهدين والصحابة بأيهما نأخذ ؟ يقولون لـــه : بقول الصحابة ، يقول لهم : وإذا اجتمع معنا قول الصحابة وقول رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بأيهما ناخذ ؟ يقولون : بقول رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : فيقولون لهم هـــا هـــو الكتـــاب والسنة بين ايدينا نعمل بهما ، ولا داعي لأقوال غيرهما .

والضال الأكبر الأجرأ يقول لهم وإذا اجتمع معنا سنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وكتاب الله بأيهما نأخذ ؟ يقولون له : بكتاب الله ، يقول لهم : ها هو القرآن بين أيدينا جعله الله عربيًا واضحًا يفهمه – الهربجي – المار في الشارع .

فهم من مصداق قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول ما لنا ولسنة رسول الله ها هو القرآن بين أيدينا نعمل به ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه ﴾ (١) الحديث ، وإذا جئتهم – بما يقطع رقابهم وحججهم الواهيـــة – بـــالبراهين الســـاطعة الواضحة عمدوا إلى شبهة أخرى من الأوهام التى يوحيها شياطينهم ، فهم من مصداق قول الله تعالى : ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْوَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (٢) أوليس هؤلاء على مبدأ من أراد من أســـلافهم أن يتأول أية الزكاة ويمتنع عن إخراجها حتى قاتلهم الصديق رضى الله تعالى عنه ، ولكن بقي منهم من نشأ من هؤلاء على تلك المبادئ الخاطئة المؤولة لكتاب الله تعالى وسنة نبيه تأويلاً بالهوى فارجع إلى حكمة الحكيم الخبير بمصالح عباده الذين خلقهم على المقابلة والمماثلـــة ،

---

(١) أورده القرطبي في تفسيره ١ /٣٧

(٢) سورة الأنعام = آية ١١٢

حتي يتميز الخبيث من الطيب ، والحق من الضلال ، والمؤول بالباطل والخارج عن الجماعة من الموافق لهم ، والمهتدي بالقرآن والضال عنه .

ومن أعجب ما ترى أنك تلزم الضال منهم بالحجة والبرهان حتي تقطع منه كل شبهة وتريه الحق الصريح الواضح حتى يخيل لك أنه كاد يهتدي ، ويهتدي ، ولكنه لا يزال متمسكاً بالباطل الذي لا يستطيع أن يصدع به في مواجهة الحق . فهم من مصداق قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ ﴾ [1] الآية ، أو من مصداق قوله : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا ﴾ [2] .

الآية وأما أهل الحق والإجماع الذين وفقهم جل شأنه قال فيهم : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [3].

شبهات وأباطيل حول قراءة القرآن يوم الجمعة :

يقول أهل التكفير والتشريك والتبديع إن قراءة القرآن يوم الجمعة بدعة ، بحجة أنها لم تكن في زمن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ ولا الصحابة ولا التابعين ، وأنها على حد زعمهم تشويش على المصلين والذاكرين لله تعالى في المسجد .

الرد علي هذه الشبهات والأباطيل :

١- إن قراءة القرآن علي مصلي الجمعة يتضمن وعد الله تعالى بالثواب لتاليه والرحمة لسامعه ، سر قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4].

وقد أيدت ذلك السنة النبوية في قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ ما جلس قوم في بيت من بيوت الله عز وجل يتدارسون كتاب الله إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ﴾ [5]

(١) سورة أل عمران – آية ٧
(٢) سورة الأنعام – آية ٢٥
(٣) سورة الزمر – آية ١٧ – ١٨
(٤) سورة الأعراف – آية ٢٠٤
(٥) رواه مسلم في كتاب الذكر الحديث ٣٨ ، ٣٩ وأبو داود في كتاب الصلاة الباب ١٤ وكتاب الوتر الباب ١٤ والترمذي في كتاب القرآن الباب العاشر وابن ماجة في المقدمة الباب ١٧ وكتاب الأدب الباب ٥٣ واحمد في

فالمستمعون لقارئ القرآن كالسامعين للدارس له . والتالي له كالمدرس لهم ، فهم في هذه الحالة أرجى لرحمة الله من المصلين لتحية المسجد ، أو الذاكرين وقلوبهم مشغولة بالمارين بين الصفوف ، وأفضل من الساكت أو المتكلم مع من يجاوره . .

– قال ابن عباس رضى الله عنهما : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من استمتع إلى آية من كتاب الله له ألف حسنة مضاعفة ومن تلا آية من كتاب الله تعالى كانت له نورًا يوم القيامة ﴾ [1] .

أخرجه الوايلي أبو نصر من حديث إسماعيل بن عياش عن الليث عن مجاهد عن ابن عباس .

وقد ورد في الخبر : (أنه يدفع عن مستمعه بلوى الدنيا وعن تاليه بلوى الآخرة) .

فلهذا أجمعت الأمة على جواز قراءة القرآن يوم الجمعة وسنيتها في مصر وفي غيرها من البلاد الإسلامية . كما يقرأ القرآن بعد صلاة الجمعة من مشاهير قراء العالم الإسلامي في المسجد الحرام والمسجد النبوي ، فلو كانت قراءة القرآن يوم الجمعة بدعة لما فعلتها المدرسة الأم التى تمد هؤلاء وهؤلاء .

شبهات وأباطيل حول قراءة سورة الكهف يوم الجمعة :

يقولون : إن قراءة سورة الكهف يوم الجمعة من البدع التى لم تكن في زمنه ﴿ ﷺ وآله﴾ ولا الصحابة ولا التابعين . وأن قارئها يشوش على المصلين . وينكرون تعيين قراءة هذه السورة بالذات يقولون : القرآن كله واحد وكيف تقرأ هذه السورة دون غيرها بل من يشاء أن يقرأ فليقرأ من القرآن ما يشاء .

الرد علي هذه الشبهات والأباطيل :

الجزء الأول صفحة ٤٥٣ والجزء الثاني صفحة ٢٥٢ ، ٢٧٠ ، ٣١٩ ، ٣٧٢ ، ٣٨٠ ، ٤٠٨ ، ٤١٨ ، ٤٤٧ ، ٤٥٧ ، ٤٨٠، ٤٨٤ ، ٥٠٦ ، والجزء الثالث صفحة ٣٣ ، ٩٢ ، ٩٤ .

(١) أورده البغوي في تفسيره ١٢/١ والهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٢/٧ والمنذري في الترغيب والترهيب ٣٤٥/٢ والسيوطي في الدر المنثور ٣ / ١٥٧ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤ / ٥٠٠ وابن كثير في تفسيره ٣ / ٥٤٣ .

لقد ورد في بيان فضل قراءة سورة الكهف ومزاياها عن سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآلـــه﴾ أحاديث كثيرة ، لهذا اختار أفاضل الأمة قراءها يوم الجمعـــة وملازمـــة تلاوهمـــا ، ومـــن الأحاديث الصحيحة الواردة في شأنها :

روى النسائي في صحيحه عن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رســـول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين ﴾[1].

وفي سند الدارمي قال معاذ بن جبل : قال النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ من قـــرأ أول ســـورة الكهف وآخرها كانت له نورًا من راسه إلى قدميه ومن قرأها كلها كانت له نـــورًا مـــن السماء إلى الأرض ﴾ [2] .

وذكره الثعلبي أيضًا . . وفي سند الثعلبي قال : قال إسحاق بن عبد الله بـــن أبي فـــروة أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ ألا أدلكم علي سورة شيعها سبعون ألـــف ملـــك مـــلأ عظمتها ما بين السماء والأرض ولنا بها مثل ذلك : قالوا : بلي يا رسول الله قال : ســـورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وأعطى نورًا يبلغ السماء ووقى فتنة الدجال﴾ [3]

لهذه الأحاديث الصحيحة اختارت الأمة قراءها يوم الجمعة لما فيها من مزيد الفضل وعظيم الأجر أما إنكار أهل التكفير والتشريك والتحقير علي قراءة القرآن يوم الجمعة وبالأخص سورة الكهف فهو من باب خالف تعرف لهوى جامح وحظ في المعارضة . .

رأي الإمام أبي العزائم عليه السلام في قراءة سورة الكهف :

حكم قراءة سورة الكهف قبل صلاة الجمعة في المساجد ، أنها بدعة حسنة بالنسبة لعصرنا هذا . فإن الناس بحسب العادة في هذا الزمان يجتمعون لصلاة الجمعة ، فـــيجلس الأشـــباه والشكول بجانب بعضهم جاهلين بآداب المسجد يتكلمون في خصوصياهم تارة وفي ذكـــر

(١) أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣ /٢٤١ والقرطبي في تفسيره ١٠ / ٣٤٦ .

(٢) رواه أحمد ٣ / ٤٣٩ والبغوي في تفسيره والمتقي الهندي في كنز العمال ٢٦١١ والبغوي في شرح السنة ٤ / ٤٧٠ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥ / ١٦١ والهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٥٢ ، ٥٣ وابن كثير في تفسيره ٥ / ١٣١ والقرطبي في تفسيره ١١ / ٧٢ .

(٣) أورده القرطبي في تفسيره ١٠ / ٣٤٦

أحداث مضت آونة ، حتى إذا استوى الخطيب على المنبر ، فمنهم من يقطع حديثه ، ومنهم من يتم كلامه والخطيب يخطب . . وقد ورد في خبر أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ رغب الناس في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة من غير أن يعين وقتًا ، وقد رأيت في بعض مساجد بلاد الشرق ، سورة الكهف مكتوبة بخط يد في مجلدات كثيرة ، فإذا جلس الناس للصلاة قبل الخطبة صلوا تحية المسجد، وتناول كل رجل مجلدًا من تلك المجلدات وقرأ سورة الكهف ، فقراءة قارئ واحد لهم وإن كانت بدعة ، إلا أنها تمنع ضلالات وكبائر من وقوع بعض المصلين في الغيبة والنميمة أو الكذب في المسجد في وقت الذكر والصلاة ، وخصوصاً إذا كان القارئ يتغني بالقرآن بصوت ندي .

وأصغي إليه المصلون يسمعون ما في السورة من أسرار الحكمة وغرائب القدرة فخشعت قلوبهم وصلوا حاضري القلوب . وتكون بهذه الحكمة بدعة حسنة ، وأما ما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ ﴾ (١) فإنما ذلك في الصلاة ، فالقريب من الإمام يسمع ، والبعيد عنه ينصت ، وإن لم يسمع ، حفظًا لقلوب المصلين الذين يسمعون القرآن .

هذا والله تعالى لم يأمر أهل الجهالة أن يدعوا إلى الله تعالى ، ولكنه أمر أهل العلم بالله تبارك وتعالى بذلك ، قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (٢) يشير سبحانه بقوله ﴿مِّنكُمْ﴾ إلى البعض لأن (من) هنا للتبعيض وكل من دعا إلى الله تعالى أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر ، فوقع في الكبائر بتفرقة المسلمين وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم فذلك من شياطين الإنس ولا محالة . والواجب عليه أن يهذب أخلاقه ، ويتعلم طرق الدعوة إلى الله تعالى ، قال ﴿ ﷺ وآله﴾ :

---
(١) سورة الأعراف – آية ٢٠٤
(٢) سورة آل عمران – آية ١٠٤

﴿ ألا أخبركم بأحبكم إلى وأقربكم مني مجالس يوم القيامة ؟ ! قالوا : بلي يارسول الله ، قال : أحسنكم أخلاقًا الموطئون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون ﴾ [١] .

وقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ ألا أخبركم بأبغضكم إلى وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة ؟! قالوا : بلي يارسول الله قال : الثرثارون المتفيهقون الذين لا يألفون ولا يؤلفون ﴾ [٢] .

وعجبًا لرجل ينفر أمة سيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ ويبغضها في مساجد الله !! يبلغ من حماقته أن يقع في الخصومة بالسب واللعن والحرب ، كيف يحكم لنفسه أنه مسلم ورسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يقول : ﴿المسلم من سلم الناس من يده ولسانه والمؤمن من أمن جاره بوائقه﴾[٣] .

التبليغ وراء الإمام سنة حسنة :

معلوم أن الضرورات تبيح المحظورات ، وفي الخبر : ﴿ما رآه المسلمون حسنًا فهو حسن﴾[٤] والمسلمون قد يكون فيهم الأصم والأعمي ، ومعلوم أن مسجد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ في عصره – مع ما كان عليه – إذا رفع الإمام صوته أسمع من فيه جميعًا ، أما مسجد كالأزهر أو كمسجد عمرو بن العاص أو كمسجد السيد البدوي بطنطا ومسجد سيدي إبراهيم الدسوقي خصوصاً في أيام موالدهم – فإنه يتعذر علي المصلين جميعًا أن يسمعوا صوت الإمام

خصوصًا إذا كان الإمام خافت الصوت ، وكان الناس ممن يرفعون أصواتهم خلف الإمام ، فلدفع ما يحصل من الاختلاف في الصلاة – خصوصًا من الأعمي والأصم – يكون التبليغ في حكم السنة ، وما رآه المسلمون حسناً فهو حسن .

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البر الباب ٧٢ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١٨٥ والجزء الثالث صفحة ٢٢ وعبد الرزاق في مصنفه ٢٠١٥٤ والهيثمي في موارد الظمآن ١٩١٦ وفي مجمع الزوائد ٢١/٨ والمنذري في الترغيب والترهيب ٣ /٤٠٧ والمتقي الهندي في كنز العمال ٥٢٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢ / ٧٥ .

(٢) رواه الترمذي في كتاب البر الباب ٧١ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٣٦٩ والجزء الرابع صفحة ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣) رواه أحمد ٢٢٤/٢ ، ٧٧٩ ، ٤٤٠/٣ ، ٢١/٦ والهيثمي في موارد الظمان ٢٥ وفي مجمع الزوائد ٢٦٨/٣ وابن حجر في فتح الباري ٥٤/١ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٧٨/٢

(٤) رواه أحمد في الجزء الأول صفحة ٣٧٩ والزيلعي في نصب الراية ٤ / ١٣٣ والحاكم في مستدركه ٣ / ٧٨ والسيوطي في الدر المنثور ١٥٦ .

الصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله سنة حسنة :

إن القرآن الشريف والآثار النبوية تصرح بالصلاة والسلام على الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ بعد الأذان أما القرآن فقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

هذه الآية الشريفة حجة قائمة على أن الله تعالى أمرنا بالصلاة والسلام على رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ من غير تقييد بعمل ولا بوقت ولا بحال ولا شأن ، وأخبرنا سبحانه أنه يصلي عليه هو وملائكته مؤكداً الخبر بـ (إن) والمؤذن وسامعوه أولى الناس بشكر رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ على نعمة الله علينا به ، كما قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (٢) .

وأي نعمة أعظم وأجل من سماع الأذان الجامع لتعظيم الله تعالى وتوحيده سبحانه والإقرار برسالة حبيبه محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ ؟

المنبر من ست درجات فأكثر من سنة رسول الله :

أحدث معاوية زيادة المنبر ست درجات مضافة إلى ثلاث فصارت تسعًا ، وقد أخذه من فعل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ من انتقاله من الجذع وهو درجة واحدة إلى المنبر الذي صنع من ثلاث درجات ، ولم يشترط ﴿ ﷺ وآله﴾ علي الصانع تحديد الدرجات ، فتبين أن ارتفاع المنبر على أحوال منها كثرة الناس وسعة المسجد .

المحراب المجوف من سنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ :

ومنها إحداثه تجويف المحراب في الحائط الذي أخذه من التزام حضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ مكانًا مخصوصًا في المسجد يصلي فيه ولم يغيره خصوصًا لما أم الصديق الناس في مكان رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وكان قد تأخر حضرته للصلح بين قوم وجاء والصديق في المحراب في الصلاة

(١) سورة الأحزاب – آية ٥٦
(٢) سورة آل عمران – آية ١٠٣

وصفق الناس فتأخر الصديق وتقدم النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ الحديث وأنهم رضـــوان الله تعـــالى عليهم لم يغيروا المكان بعد انتقاله ﴿ ﷺ وآله﴾ إلى الرفيق الأعلي .

ومنها انه صح قول المفسرين للقرآن الكريم ، إن المحراب المذكور في الكتـــاب العزيـــز في أربعة مواضع لا غير ، موضوعين في آل عمران ، وفي مريم موضع ، وفي ص موضع ، علي أن المحراب هو أخص مكان للإمام ولم يعرف هذا من ذلك الحين إلا بتجويفـــه في الحـــائط ليكون أدعي وأبين أنه هو المكان الخاص بالإمام .

الفصل الخامس

تلقين الميت

تلقين الميت سنة وقد ثبت بالأدلة النقلية والعقلية وكل من أنكرها فهو مبتدع ضال يحب الظهور ولو أدت وسائله إلي المروق والفجور . . وليسود علي الأغرار المغفلين ، وصدق الله العظيم :﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَأَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (١)

الأدلة النقلية علي تلقين الميت :

إن تلقين الميت قد ثبت عن طائفة من الصحابة أنهم أمروا به ، كأبي إمامة الباهلي وغيره وروى فيه حديث عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه ﴿ كان يقوم على قبر الرجل من أصحابه إذا دفن ويقول : سلوا له التثبت فإنه الآن يسأل ﴾ (٢) وقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : ﴿ لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ﴾ (٣) فتلقين المحتضر سنة مأمور بها . وقد ثبت أن المقبور يسأل ويمتحن ، وأنه يؤمر بالدعاء له ، فلهذا قيل : إن التلقين ينفعه ، فإن الميت ليسمع النداء ، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه قال : ﴿ إنه ليسمع قرع نعالهم ﴾ (٤) وأنه قال : ﴿ ما أنتم أسمع لما أقول منهم ﴾ (٥) . وأنه أمرنا بالسلام على

---

(١) سورة الكهف – آية ١٠٣-١٠٤

(٢) رواه أبو داود في كتاب الجنائز الباب ٦٩

(٣) رواه مسلم في كتاب الجنائز الحديث الأول والثاني وأبو داود في كتاب الجنائز الباب ١٦ والترمذي في كتاب الجنائز الباب السابع والنسائي في كتاب الجنائز الباب الرابع وابن ماجة في كتاب الجنائز الباب الثالث وأحمد في الجزء الثالث صفحة ٣

(٤) رواه البخاري في كتاب الجنائز الباب ٦٨ ، ٨٧ والنسائي في كتاب الجنة الباب ٧٠ وأبو داود في كتاب الجنائز الباب ٧٤ وكتاب السنة الباب ٢٤ والنسائي في كتاب الجنائز الباب ١٠٨-١١٠ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ١٢٦ .

(٥) رواه البخاري في كتاب الجنائز الباب ٨٦ وكتاب المغازي الباب الثامن ومسلم في كتاب الجنة الحديث ٧٦ ، ٧٧ والنسائي في كتاب الجنائز الباب ١١٧ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١٣١ .

الموتى فقال : ﴿ ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم إلا رد الله عليه روحه حتي يرد عليه السلام ﴾ [1] وقال الإمام النووي في المجموع الجزء الخامس ص٣٠٣ قال جماعات من أصحابنا يستحب تلقين الميت عقب دفنه فيجلس عند رأسهإنسان ويقول : يا فلان ابن فلان ، ويا عبد الله ابن أمة الله ، اذكر العهد الذي خرجت عليه من الدنيا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وان محمدُا عبده ورسوله وأن الجنة حق .. إلى أن قال فهذا التلقين عندهم مستحب وممن حض على استجابة القاضي حسين ، والإمام المتولي والشيخ نصر المقدسي والرافعي وغيرهم . وسئل الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى عن التلقينفقال : (التلقين هو الذي نختاره ونعمل به) وروينا فيه حديثًا من حديث أبي أمامة ، وبعمل أهل الشام ، ثم نقل لفظ حديث أبي أمامة عن سعيد بن عبد الله الأزدى قال : شهدت أبا أمامة رضى الله عنه وهو في النزع فقال : إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال : ﴿ إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب علي قبره فليقم أحدكم علي رأس قبره ثم ليقل يافلان أبن فلانة ، فإنه يسمعه ولا يجيب . . إلى أن قال فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ﴾ [2] إلى تمام الحديث . وقد اتفق علماء الحديث وغيرهم علي المسامحة في أحاديث الفضائل والترغيب والترهيب ، وقد اعتضد بشواهد كحديث : ﴿ واسألوا له التثبيت ﴾ [3] ووصية عمرو بن العاص وهما صحيحان . ولم يزل أهل الشام على العمل بهذا في زمن من يقتدي به وإلى الآن . وفي متن نيل الأوطار من حديث النبي المختار في الجزء الرابع ص ١٣٨ باب الدعاء للميت بعد دفنه كان النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : ﴿ استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فهو الآن يسئل ﴾ [4]رواه أبو داود . وعن راشد به سعد ، وحمزة بن حبيب ، وحكيم بن عمير قالوا : إذا سوي علي الميت قبره

(١) رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٢٩٢/٧ .

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤ /٨٣ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٤٢٤/٦ والطبراني في المعجم الكبير ٢٩٨/٨ وابن حجر في تلخيص الحبير ١٣٥/٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ٣٢٤/٢ ، ٤٥/٣ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٢٤٠٦ ، ٤٢٩٣٤ .

(٣) ، (٦) رواه ابو داود في كتاب الجنائز الباب ٦٩

وانصرف الناس عنه كان يستحبون أن يقال للميت عند قبره : (يا فلان قل لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ثلاث مرات ، يا فلان قل ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﴿ ﷺ وآله﴾) . ثم ينصرف . رواه سعيد بن منصور في سننه . ثم قال شارحه : وقد روي نحوه مرفوعًا من حديث أبي إمامة وساقه بتمامه .

الأدلة العقلية على تلقين الميت :

يجد العقل السليم أحسن الآثار النافعة تترتب علي تلقين الميت أمام المشيعين الذي لا يخلو في الغالب عنهم . إذ أي شخص عنده إحساس يضطرب قلبه ، وتتخذ أعصابه إذا سمع . يافلان ، اذكر العهد الذي فارقتنا عليه ، فيسرح في ميدان صحيح التفكير ويوقن بأن الخطب كبير ، وأنه مسئول محاسب عما أكنه في الضمائر وما فعله بالظواهر وأنه مهما عاش مفارق كمن دفن ، وله ساعة كساعته لا يدري في أي وقت تكون ، فالتلقين في وقته المقرون بالدليل الحسي خير وعظ وإرشاد مؤثر ، يرقق العواطف ويصلح القلب من جراثيم الأمل ويعرف المخلوق سلطان ربه ، ومقدار نفسه ، ولو لم يكن فيه من الحكمة الطيبة إلا هذا لكفي .

فضلاً عن أنه نافع للميت أيضًا من حيث لا يستطيع العقل إنكار جواز حياته البرزخية الروحية ، التى تخالف في كل أعراضها حياته الجسمانية الدنيوية ، وكيف الإنكار وقد قالت الحكماء القدماء المحكمون للعقل بتناسخ الأرواح وأنها باقية لا تفني فاتفقوا مع الشرعين في بقائها . وعلى ذلك فالميت بروحه الباقية يسمع وينتفع عند الشرعيين والفلاسفة جميعًا .

علي أن مطالب الأموات لدى الأحياء ونصائحهم ، وأوامرهم التى لا تخطر على بال ، لمن أكبر الأدلة على أنهم أحياء يسمعون ويجيبون ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

تلقين الميت البالغ مستحب باتفاق العلماء :

إن تلقين الميت البالغ بعد تمام الدفن مستحب باتفاق علماء هذه الأمة على سنتيه وبقوله تعالى :﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) وأحوج ما يكون العبد للتذكير في هذه

(١) سورة الذاريات ــ آية ٥٥

الحالة ، والحديث رواه الطبراني في الكبير مرفوعًا وفي كتاب الدعاء وابن منده في كتاب الروح عن أبي أمامة بلفظ ﴿ إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب علي قبره فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل يافلان ابن فلانه فإنه يسمعه ولا يجيب ثم يقول يافلان ابن فلانة فإنه يستوي قاعدًا ثم يقول يافلان ابن فلانه فإنه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تشعرون فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله وإنك رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيًا وبالقرآن إمامًا فإن منكرًا ونكيرًا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا ما يقعدنا عند من لقن حجته فقال رجل يارسول الله فإن لم يعرف أمه قال فلينسبه إلى أمه حواء يافلان ابنحواء ﴾ (١)

وبهذا الحديث أخذ الإمام الشافعي والإمام مالك في الموطأ وأبو حنيفة ((رضي الله تعالي عنهم)) ولآثر رواه سعيد بن منصور عن راشد بن سعد وحمزة بن حبيب وحكيم بن عمير قالوا : ﴿ إذا سوي على الميت قبره وانصرف الناس عنه كان يستحب أن يقال للميت يافلان بن فلانة قل لا إاله إلا الله ثلاث مرات يافلان بن فلانه قل الله ربي ومحمد نبيي والإسلام ديني والقرآن إمامي والكعبة قبلتي والصلاة فريضتي والمسلمون إخواني وإبراهيم الخليل أبي وأنا عشت ومت علي قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ (٢) .

وقد أثبت استجابه الإمام النووي في الروضة ، وشيخ الاسلام في أسني المطالب وفتح الوهاب ، والشيخ العلامة ابن حجر في التحفة وفتح الجواد ، والشيخ العلامة الرملي في النهاية ، والشيخ العلامة الخطيب في المغني ، حيث قالوا : يستحب تلقين بالغ عاقل أو مجنون سبق له تكليف ، وزاد في التحفة لفظ ولو شهيدًا كما اقتضاه إطلاقهم بعد تمام الدفن لخير فيه .

ويستحب لمن حضر الدفن أن يقف على القبر بعد الدفن ، ويستغفر الله له ، ويدعو له لأنه ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴿ كان إذا فرغ من دفن الرجل يقف عليه ويقول استغفروا الله لأخيكم

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٨٣ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٤٢٤/٦ والطبراني في المعجم الكبير ٨ / ٢٩٨ وابن حجر في تلخيص الحبير ٢ / ١٣٥ والهيثمي في مجمع الزوائد ٣٢٤/٢ ، ٣ / ٤٥ والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٢٤٠٦ ، ٤٢٩٣٤ .

(٢) رواه سعيد بن منصور في سننه

واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسئل ﴾ [١] رواه أبو داود وغيره بإسناد جيد كما في المجموع .

ولم يزل الناس على العمل به من العصر الأول في زمن من يقتدي به . وقد أوصى عمرو بن العاص فقال حين حضرته الوفاة : ((فإذا دفنتموني فشنوا على التراب شنا ثم أقيموا على قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتي أستأنس بكم وأعلم بماذا أراجع به رسل ربي)) [٢] رواه مسلم وان يلقن الميت لقوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٣] وذلك بعد الدفن بالمأثور ، وهو: يا عبد الله إلى آخر ما في الحديث السابق .

الزعم بأن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله :

ولا يعارض استحباب قراءة القرآن قوله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾[٤] لأن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هذا الحكم منسوخ في هذه الشريعة – وإنما هو في صحف إبراهيم وموسي عليهما السلام – بقوله تعالى : ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [٥] فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء ، وقال عكرمة : إن ذلك لقوم موسي وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام وأما هذه الأمة فلهم ما سعوا ، وما سعى لهم غيرهم ، لما روي ﴿ أن امرأة رفعت صبيًا لها وقالت : يا رسول الله ألهذا حج ؟ فقال : نعم ولك أجر ﴾ [٦] وقال تقي الدين أبو العباس من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد غوى وخرق الإجماع من وجوه كثيرة في كتب التفسير .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الجنائز الباب ٦٩

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان الحديث ١٩٢ ، وأحمد في الجزء الرابع صفحة ١٩٩

(٣) سورة الذاريات – آية ٥٥

(٤) سورة النجم – آية ٣٩

(٥) سورة الطور – آية ٢١

(٦) رواه مسلم في كتاب الحج الحديث ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ وأبو داود في كتاب المناسك الباب الثامن والترمذي في كتاب الحج الباب ٨٣ والنسائي في كتاب الحج الحديث الباب ١٥ وابن ماجة في كتاب المناسك الباب ١١ ومالك في كتاب الحج الحديث ٢٤٤ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٢١٩ ، ٢٤٤ ، ٢٨٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

فإن من تأمل في النصوص وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى فلا يجوز أن تؤول الآية على خلاف الكتاب والسنة والإجماع ، فالظاهر أن الآية عامة خصصت بأمور كثيرة وجدت في كتب التفسير .

وينبغي أن يتولى التلقين أهل الصلاح والدين من أقربائه فإن لم يكونوا فمن غيرهم ، هذا قاله الإمام الأذرعي .

لا يعارض التلقين قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ (٢) لأن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ نادى أهل القليب وأسمعهم وقال في الميت : ﴿ إنه ليسمع قرع نعالهم ﴾ وأيضًا هذه الآية في حق الكافرين الذين لم يهتدوا بدعوة المصطفي ﴿ ﷺ وآله﴾ ، فشبههم الله تعالى بالموتي والصم والعمي بإيحاء هذه الآية ، أعني : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ﴾ (٣) أى لاتجزع ولا تحزن يا محمد علي عدم إيمانهم ، فإنهم موتي صم عمي ، ومن كان كذلك لا يهتدي ، هكذا قاله أهل التفسير .

ويسن أن يقف الملقن عند رأس القبر ، وأن يعيد التلقين ثلاثاً قياساً علي تلقين من حضرته الوفاة .

تلقين الميت الطفل يختلف في استحبابه :

إن تلقين الميت الطفل مختلف في استحبابه بين العلماء الثقات ، كما اختلفوا في ثبوت السؤال عن الأطفال في القبر ، فمن أثبت منهم السؤال عنهم في القبور قال باستحباب التلقين في حقهم ، ومن لم يثبت منهم ذلك قال بعدم الاستحباب .

فالإمام المتولي قال : إن تلقين الميت الطفل مستحب أخذا بما روي أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ لما دفن ابنه ابراهيم قال : قل الله ربي ورسول الله أبي والإسلام ديني فقيل يا رسول الله أنت تلقنه فمن يلقنا فأنزل الله تعالي : ﴿ يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

---

(١) سورة فاطر – آية ٢٢
(٢) سورة الروم – آية ٥٢
(٣) سورة النمل – آية ٨٠ – ٨١

وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [1] وفي رواية أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ لما دفن ولده إبراهيم وقف علي قبره وقال : يا بني إن القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول بما يسخط به الرب إنا لله وإنا إليه راجعون ، قل الله ربي ورسول الله أبي والإسلام ديني ، فبكت الصحابة رضي الله عنهم ومنهم عمر حتي ارتفع صوته فالتفت إليه النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال : ما يبكيك يا عمر ؟ فقال يا رسول الله هذا ولدك ، وما بلغ الحلم ، ولا جري عليه القلم ، ويحتاج إلي تلقين ، ومثلك تلقنه التوحيد في مثل هذا الوقت فما حال عمر وقد بلغ الحلم ، وجري عليه القلم ، وليس له ملقن مثلك . فبكي النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وبكت الصحابة معه ، ونزل جبريل عليه السلام بقوله تعالي :﴿ يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾[2] يريد بذلك وقت الموت وعند السؤال في القبر ، فتلا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ الآية فطابت الأنفس وسكنت القلوب ، وشكروا الله تعالي) .

وقال الإمام العلامة شيخ الإسلام زكريا الأنصاري بعدم استحبابه ، فقال : لا يلقن طفل ولو مراهقاً ونحوه مجنون لم يتقدمه التكليف ، لأنهما لا يفتنان في قبرهما ، وأجاب عما قاله الإمام المتولي وأثبته من الحديث السابق بقوله : وأما الحديث الذي روي أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ لقن ولده إبراهيم فغريب .

وبالجملة فالأحاديث والآثار وأقوال العلماء الثقات في ثبوت استحباب التلقين كثيرة ، وما ذكرته هنا يكفي لمن له بصيرة ، فصار التلقين عند العلماء المحققين من أهل السنة والجماعة سنة ومستحبًا ومندوبًا وتطوعًا وزائدًا على الواجب ، فلا أحد منهم يقول ببدعته ، أي القبيحة أو المحرمة ، بل هو من المستحسنات التي لا ينبغي لأحد منا أن يتركها .

المتوهب هو الذي ينكر التلقين :

يجب على كل حامل للعلم والمعرفة أن يرد أقوال المتوهبين وذيولهم القائلين ببدعة التلقين ، أو يأخذها ويلقيها في المزبلة ، ومن غير تكثير المباحثة ، أو تطويل المجادلة ، وأن يسكتهم سكوت الأبكم، وأن يصرعهم بأقوال أهل المعرفة .

---

(١) ، (٣) سورة إبراهيم – آية ٢٧

فإن المتوهبين وذيولهم خرقوا الإجماع ، وخالفوا أهل السنة والجماعة ، كما أنهم عن الأئمة الآربعة خرجوا ، وبفكر الجهلة من الوهابية تمسكوا .

ولسنا نعتبر الأفكار من متوهب بلغ من البلادة والجهالة مبلغ الحمار ، بل نضرب له المثل – نسمع جعجعة ولا نرى طحنًا – وقوله تعالى : ﴿ فَمَالِ هَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [1] صادق فيهم .

الرد على حجج المتوهبين ببدعة التلقين :

١- من كانت عنده مسكة من عقل واستعداد في فهم العلم من طريقه المعتاد ، لم ينهض أن ينكر مشروعية التلقين بعد نقل هذه الأخبار وهاتيك الآثار ، وأقوال العلماء الثقات التي اتضحت كشمس الضحى ، وأيضًا اندفعت بقول صاحب المذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه ويلقن بعد الدفن ، وفي الكنز للمولي مسكين أيها الأحباب :

لا تغتروا بقول المتوهبين في مأخذ التلقين ، لأنهم قد أصابتهم الفتنة فعموا وصموا ولم يعرفوا الحق .

وهذا دليل على قلة العلم وسوء الفهم ، بل وعلى الضلالة والمجازفة في الدين ، والتهور بما يؤول إلى الفتنة – أجارنا الله تعالى منها – وا أسفاه وأحزناه ، إن الفتنة قد رقدت ونامت فالمتوهبين أيقظوها ، فلعنة الله على من أيقظها .

٢- إن الحديث الضعيف الذي يعمل به الفضائل كما سبق من قول العلامة ابن حجر وغيره في المبحث الأول هو بحسب الأصل ، وأما الحديث الضعيف الذي نحن فيه من أمر التلقين فهو ليس بضعيف ، بل صحيح أو حسن ، لأن الحديث الضعيف إذا وجدت شروط العمل به صار خارجًا عن ضعفه ، داخلاً في صحته أو حسنه ، فيكون الحديث الذي رواه الطبراني عن أبي أمامة صحيحًا أو حسنًا ففي المصطلح استدل الحافظ الزياعي رضي الله تعالى عنه وأصحابه بالأحاديث وهي بين صحيح وحسن وضعيف واحتج جمهور

---

(١) سورة النساء – آية ٧٨ .

المحدثين بالحديث الضعيف إذا وجدت الشروط ، وألحقوه بالصحيح تارة ، وبالحسن أخري ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

٣- في إدعاء المتوهبين أهم من أهل الاجتهاد : إعلموا أيها الأحباب وفقكم الله تعالى لطاعته أن المتوهبين الآن قد تركوا ما ذهب إليه الأئمة الأربعة ، وادعوا أهم من أهل الاجتهاد والاستنباط والاستخراج يعني اجتهدوا واستنبطوا واستخرجوا أحكام الشريعة من الكتاب والسنة .

٤- وقال إمام الحرمين في البرهان : قد أجمع المحققون على أن العوام ليس لهم أن يتعلقوا بمذهب أعيان الصحابة رضي الله عنهم بل عليهم أن يتبعوا مذاهب الأئمة الذين سيروا ونظروا وبوبوا وذكروا الأوضاع ، أي أوضاع المسائل وجمعوها وهذبوها وبينوها ، وقال ابن الصلاح : أنه يتعين الآن اتباع مذهب من مذاهب الأئمة الأربعة دون غيرها ، لأنها قد انتشرت ، وعلم تقييد مطلقها وتخصيصها وشروط فروعها بخلاف مذاهب غيرهم .

ويفهم من هذه النقول أنه لا يجوز ولا يصح لأي فرد أن يقلد مذهبًا من مذاهب الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أجمعين فكيف إدعاؤهم هذا مع تمذهبهم بالفكر الوهابي ؟!.

إن هذا من أعجب العجائب ، عسى ربنا أن ينور بصائرهم ويهيدهم إلى الحق آمين ، كما نور بصائرنا بالبعد عن الابتداع .

رأى الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم عليه السلام في التلقين :

إن أول واجب على الحاضرين لمن في الترع أن يلقنوه لا إله إلا الله ، سيدنا محمد رسول الله ، لتكون آخر كلمة ينطق بها أو يسمعها إن خرس لسانه ، فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ﴾ (١) – والمعنى – والله أعلم – أن يلقن كلمة التوحيد حال الترع قبل الموت ، وبعدها تقرأ سورة يس ، الظاهر أن قراءها في حالة الترع أولى ليسمع الميت قوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي

(١) سبق تخريجه

وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [1] فعن معقل بن يسار رضي الله عنـــه قـــال رســـول الله ﴿ ﷺ وآله﴾:((اقرأوا على موتاكم سورة يس))[2] فإذا قرأناها حال الموت وبعده كان أكمل .

(١) سورة يس – آية ٢٦ -٢٧

(٢) أورده الهيثمي في موارد الظمآن ٧٢٠ والبغوي في تفسيره ١٧/٦ وفي شرح السنة ٢٩٥/٥ والزبيدي إتحاف السادة المتقين ١٠ / ٢٧٨ .

الفصل السادس

بشرية النبي (ﷺ وآله)

التأويلات القرنية لبشرية الرسول ﴿ﷺ وآله﴾:

ادعاء القرنيين أن حضرته ﴿ﷺ وآله﴾ بشر كالبشر العادي لا فرق بينه وبين غيره ، لا ينفع غيره ولا نفسه . . هذا الادعاء مصدره أحقاد الوثنين والصليبيين واليهود في عصره ﴿ﷺ وآله﴾ ومن بعدهم الخوارج وامتدادهم إلى عصرنا هذا . ويرى القرنيون أبواق ثالوث التكفير – ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب – في تفسير معني النور في الآية الكريمة ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [(١)] بأنه النور المعنوي وليس النور الحسي وذلك تعقيبًا على جمهور المفسرين الذين يقولون إن المقصود بالنور في الآية الكريمة هو سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ .

وقد دللوا على قولهم هذا القول – الذي لا يتفق مع جلال النبوة والرسالة الخالدة ومع الحقيقة التي يؤيدها العلم والعقل السليم – بقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(٢)] . فقالوا إن سيدنا محمدا ﴿ﷺ وآله﴾ أول خلق الله منزلة وليس أول خلق الله وجودا ، وأن الإرهاصات التي صاحبت البعثة النبوية كسقوط إيوان كسرى وخمود نار فارس ، كما غاضت بحيرة ساوة لا تعتمد عندهم على التحقيق العلمي ، ولا تستند إلى المصادر الأصلية في التاريخ الإسلامي ، زاعمين أن مثل هذه الروايات يراد بها المعنى المجازي فقط .

الرد على التأويلات القرنية لبشرية الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ :

(١) سورة المائدة – آية ١٥

(٢) سورة التوبة – آية ١٢٨

أولاً : لا يوجد سبب ولا مصدر ولا مبرر يقيد معنى النور في الآية بالنور المعنوي وحده بعد أن أثبت العلم الحديث أن الكون مليء بأنواع لا عد لها ولا حد من الإشعاع والكهرباء والمغناطيسية ، وأن كل إنسان كيفما كان شأنه فيه قدر منها بيقين ، بل إن إطلاق كلمة النور تجعلنا لا نجد صعوبة في أن يكون النور شاملاً لجميع الأنوار الحسية والمعنوية ، سواء ما علمناه وما لم نعلمه ، طالما أن الأدلة الشرعية توثق هذا الرأي وتقويه .

١- جاء بالسيرة الشامية للحافظ الشامي والتي تعتبر من أوسع مراجع السيرة :

روى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ لما خلق الله تعالى آدم أخبره ببنيه فجعل يرى فضائل بعضهم على بعض فرأى نورًا ساطعًا في آخرهم فقال : يا رب من هذا ؟ قال : هذا نبيك محمد ، وهو أول وهو آخر ﴾ [1].

٢- وأخرج السيوطي في الخصائص الكبرى أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت تخيط ثوبًا بليل ،وسقطت الإبرة من يدها ، فدخل النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ فأضاء المكان ورأت الإبرة .

٣- وأخرج البخاري أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا ساروا معه ﴿ ﷺ وآله﴾ في طريق صحبهم النور يضيء لهم ، فإذا تفرقوا أنقسم النور ، وصار مع كل واحد نورًا يوصله إلى داره .

٤- وأخرج البخاري أن كثيرًا من الصحابة كانوا يرون أنواره الحسية ، وكان يغلبهم وصفه فتارة يقولون : كالشمس وتارة يقولون : كالقمر .

٥- وأخرج البخاري عن كعب بن مالك قال : ﴿ كان رسول الله ﷺ وآله إذا استنار وجهه كأنه قطعة القمر ﴾ [2] .

---

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٥٦)، وفي الإتحافات السنية(٢٥٥).

(٢) رواه البخاري (٤ / ٢٩٩ ، ٨/٦)ومسلم في كتاب التوبة الباب التاسع رقم ٥٣ وأحمد(٣ / ٤٥٩، ٣٩٠/٦) والحاكم في مستدركه(٦٠٥/٢)والطبري في تفسيره(١١ / ٤٥) والسيوطي في الدر المنثور (٣ / ٢٨٨)وابن كثير في تفسيره(٤ / ١٦٨ ، ٣١٥/٨)والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٧٩٨)والزبيدي في إتحاف

٦- وأخرج أبو نعيم عن أبي بكر الصديق قال : ﴿ كان وجه رسول الله كدارة القمر ﴾[١]
٧- وقالت إحدى الصحابيات : لو رأيته لقلت : الشمس طالعة .
٨- وروى عثمان بن العاص عن أمه فاطمة قالت : لما حضرت ولادة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قالت : رأيت البيت قد امتلأ نورًا وضياء .
٩- وجاء في المواهب أن أم رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قالت : لما ولدته خرج منى نور أضاء قصور الشام .
١٠- وقال ابن إسحاق : حدثني ثور بن يزيد عن خالد عن أصحاب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أنهم قالوا : أخبرنا عن نفسك قال : ﴿ أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى عليهما السلام ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ﴾ [٢].

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [٣] .

والسراج كما ورد بكتاب الله وصف للشمس والمنير وصف للقمر وكأنه ﴿ ﷺ وآله﴾ هو السراج الوهاج والقمر المنير لما يحمله من أنوار ذاتية وأنوار صفاتية وأنوار معنوية وأنوار حسية .
١١- وأما حديث سيدنا جابر المشهور حين سأل النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ عن أول شيء خلقه الله قال : ﴿ نور نبيك يا جابر ﴾ .

السادة المتقين(٧/١١٥ ، ١٤٩) والمتقي الهندي في كنز العمال(١٨٣٩٢) وابن كثير في البداية والنهاية (٥/٢٥ ، ٦/١٥ ، ٣١٤)والبغوي في تفسيره(٣/١٦٣) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢ / ٣٦٦ .
(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال ١٨٥٢٦ ومصنف ابن أبي شيبه ١٤/٥٤٥ والسيوطي في الجامع الكبير المخطوط الجزء الثاني(٢/٣٠١).
(٢) رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق(١/٣٩)، وفي مناهل الصفا(٣٠)، والقرطبي في تفسيره(٢/١٣١)والطبري في تفسيرة(١/٤٣٥)والسيوطي في الدر المنثور(١/١٣٩ ، ٥/٢٠٧) والبغوي في تفسيره(١/١١١) والمتقي الهندي في كنز العمال(٣١٨٣٣ ، ٣١٨٣٤ ، ٣١٨٣٥ ، ٣١٨٨٩)والبيهقي في دلائل النبوة(١/٦٩)وابن سعد في الطبقات الكبرى وابن حجر في الكاف الشاف
(١٠) وابن كثير في البداية والنهاية(٢/٢٧٥).
(٣) سورة الأحزاب – آية ٤٥-٤٦.

فمعناه تؤكد أنه كان من خصائصه ﴿ﷺ وآله﴾ أن يرى من الخلف كما كان يرى من الأمام .

١٢- وحادث الإسراء والمعراج وحده كفيل بألا يدع مجالاً للشك بأن النور الذي خلق منه سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ أقوى من النور الذي خلق منه جبريل ، وإلا لما وقف جبريل في مقام دون مقام سيدنا محمد وقال : تقدم فإني لو تقدمت لاحترقت . أما أنت فلو تقدمت لاخترقت .

ولعل هذا ما حدا ببعض الأئمة العلماء أن ينظموا في ذلك شعرا يعبرون فيه عن نور نبيهم ، فذلك حسان بن ثابت يقول :

لما نظرت إلى أنواره سطعت ... وضعت من خيفيتي كفي على بصري
خوفا على بصري من حسن صورته ... فلست أنظره إلا على قدري
روح من النور في جسم من القمر ... كحلية نسجت في الأنجم الزهر

ويقول الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام :
مشيرًا إلى نور النبي ﴿ﷺ وآله﴾ :

إليك أيا نور المجالى العلية ... وشجرة زيتون الصفات الجلية
وقبضة نور الذات والكنز مجمل ... وسر التجلي والعلوم الخفية

ويقول عليه السلام:

جبريل وهو عظيم في مكانته ... لم يستطع يلج الأنوار بالهمم
والمصطفي سبق الأنوار أجمعها ... بالجسم والروح فافهم زهرة الحكم
إن كان جسم حبيبي في لطافته ... أصفى وأنقى من الأرواح كلهم
فكيف تدري معانيه وباطنه ... كنز العلي فلا تبحث ولا تحم

ثانياً : أما ما احتج به أهل التكفير والتشريك والتبديع في قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَـاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾[١]:

١- فليس هناك من رد يخرس ألسنة أبواق ثالوث التكفير سوى الحديث الذي رواه أنس : ﴿ أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ حين نزلت هذه الآية قرأها بفتح الفاء ثم قال ﴿ ﷺ وآله﴾ وأنا أنفسكم نسباً وصهرًا ﴾ [٢] .

فالنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ خلق من نور إلهي ليستقبل به أنوار الحق متمثلة في وحي السماء ، فهو من بشرية نورانية اختارها يد القدرة مثالاً للبشرية المعصومة ليتعامل بها مع البشر والملك . وهذا هو اختصار معنى قوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾[٣] جمعا بين مطالب الوحي والبشرية في وقت واحد.

٢- وإن سر الإعجاز في رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه : ((بشر رسول)) فقد ركب ﴿ ﷺ وآله﴾ البراق واخترق السبع الطباق وكلمه ربه بلا حجاب ، ومع ذلك ركب الحمار وأردف خلفه ، وجلس على الحصير وأكل مع الفقير جمعًا بين أصل البشرية ونور الربانية ، هذا هو اعتقادنا في سيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وهذا ما قاله الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام :

قد جاوز العقل والمعقول منزلة	وكل آياته حال الملاطفة
رأى التجلي رأى الأسماء ظاهرة	رأى المعاني بغيب في المقابلة
يارب صل على نور القلوب ومن	أسرى به الله ليلاً للمؤانسة

إذن ليس جهلاً ولا ضعفًا في العقل ولا محدودية في الفهم ممن يعتقدون أن سيدنا محمدًا ﴿ ﷺ وآله﴾ خلق من النور فهو نور تجسد بشرًا ، أو بشرا تجسد نورا ، والله نور السموات والأرض ، ثم إن علوم الذرة أثبت أن أصل جميع الكائنات الكهرباء، والكهرباء نور ، فلا عجب أن يكون محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ نورًا جسدًا فوق كل جسد ونور .

(١) سورة التوبة – آية ١٢٨.
(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور(٣ / ٢٩٤).
(٣) سورة الكهف – آية(١١٠).

ثالثاً : ينكر ثالوث التكفير أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ لم يكن أول خلق الله وجودًا .

والرد على ذلك أن الوجود شيء ، والظهور شيء آخر ، فليس كل موجود ظاهرًا ، كما هو الواقع المحسوس . ولقد أفرد الحافظ الشامي في سيرته أبوابا كاملة أثبت بها أولية النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وجودًا ونكتفي منها :

أ- بقول النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث ﴾ (١) ، وذكره ابن كثير بإسناد متصل .

ب- وحديث : ﴿ كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد ﴾ (٢) أخرجه أبو عيس والترمذي في سننه وقد أفرد الحافظ كتاب - الأحاديث المنتقاة - لإثبات هذه الحقيقة .

وفي هذا المعنى يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام :

إلي قبضة النور التي قد تقدست … بواعث روحي باليقين توجهت
إلي السر روح الكل من قبل آدم … ومن منه شمس الحق في الخلق نورت
إلي المصطفى الهادي البشير محمد … فؤادي ونفسي والمعالم هرولت

رابعاً : يستنكر مثلث الكفريات وأبواقه ، الإرهاصات التي صاحبت الميلاد كتصدع إيوان كسرى وخمود نار فارس ، وغيضان مياه بحيرة ساوة ويقولون إنها لا تعتمد على التحقيق العلمي .

وللرد على هذه الاستنكارات نقول : إن هذه الإرهاصات التي حصلت ساعة ميلاد النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قد حققها الحافظ الشامي ، وأفرد لها بابًا خاصًا عرضها بروايتها عن ابن جرير . . والبيهقي وأبو نعيم .

---

(١) أورده ابن سعد في الطبقات الكبري(١ / ١ / ٩٦)والمتقي الهندي في كنز العمال(٣١٩١٦٠).

(٢) أورده الحاكم في مستدركه(٦٠٩/٢) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٤ / ٢٩٢) وابن سعد في الطبقات الكبرى(١ / ١ / ٩٥ ، ٧ / ٤١)والمتقي الهندي في كنز العمال ٣١٩١٧ ، ٣٢١١٧ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين(١ / ٤٥٣) وابن الجوزي في زاد المسير(٦ / ٣٥٥)والسيوطي في حاوي الفتاوي(٢ / ٢٦٠) والبخاري في التاريخ الكبير(٧ / ٣٧٤) .

مغايرة بشريته ﴿ﷺ وآله﴾ لسائر البشر :

إن ثالوث التكفير يخالف إجماع المسلمين في كل ما أجمعوا عليه من الحق المبين ، في معرفة سيد العالمين ، فيقولون إنه بشر مثلك مثله ، وهم بذلك قد ضلوا وأضلوا كثيرًا ، ولو جاريناهم في جميع تطورات بشريته ﴿ﷺ وآله﴾ وفيما خلق وطبعه الله تعالى عليه من البشرية لوجدناه مغايرًا لجميع أفراد البشر كل المغايرة :

١- إذ أن بدء بشريته حين ولادته ﴿ﷺ وآله﴾ أكرمه الله تعالى ليلة ولادته ، بما لم يعمله مع غيره من المكرمين الأنبياء والمرسلين . فإن مرضعته كان أحد ثدييها مشلولاً وهو الأيمن ، لا يصلح للرضاع ، فلما حملته ناولته الأيسر فلم يقبله ، فناولته الأيمن فبريء ، وصار رضاعه منه إلي فطامه ، وخاصة لما نالها من وقت أخذها له من الخير العظيم ، من سعة الرزق ، وكثرة البركة فيه ، وكان في الطفولة يغاير عموم البشر ، من النهوض مع قوة الجسم وكانت تذهب به لأمه وأهله ، وترجع به على خلاف عادة المرضعات .

٢- ولما أن شق صدره الشريف مع إخوانه رعاة الغنم ورأت أثر الشق خافت عليه ، وردته لأهله ، ومن أراد الزيادة فعليه بأول مدون في السنة (السيرة النبوية) .

وفي طابعه البشري أن الصدر والبطن سواء ، وفي طابعه البشري انصرافه عن جميع ملاهي الطفولة ، وفي طابعة البشري عدم استطاعة نظر أي إنسان إلى نظره الشريف مواجهة له ، وفي طابعه الشريف شق صدره علي ما هو مدون بالسنة .

٣- ويحكي أبو لهب أن النبي ﴿ﷺ وآله﴾ افتقده قومه وهو صغير ، وانتشروا في البحث عنه فلما وجدوه أنخت راحلتي وأردت إردافه خلفي فلم تقم ، فحركتها فلم تقم ، فزجرتها فلم تقم ، فضربتها فسمعت من يقول : ((يا أجهل الجهلاء تتقدم على سيد المرسلين والأنبياء)) فجعلته أمامي فقامت الناقة من غير تحريك لها .

٤- ومنها لما أتم الكعبة الشريفة ، وأرادوا وضع الحجر الأسود في مكانه فتنازعوا ، كل يرجو وضعه فتحاكموا لأول داخل من الباب فكان حضرته ﴿ﷺ وآله﴾ وهو بهذا السن فقالوا جميعا : هذا الأمين وكلنا نرضاه ، فقال : ﴿ ضعوه في رداء وارفعوه جميعًا إلى مكانه ، ورضوا أن يضعه هو بيده الشريفة ﴾ .

والسنة ملأى من مميزاته الشريفة من الإرهاصات قبل بعثه ، فما بالك بعد بعثه الشريف ؟

ومن طابعه البشري خاتم النبوة بين كتفيه بالطابع الإلهي الذي لم يشاركه فيه بشر ، فكيف يكون بعد هذا كالبشر العادي ؟ وأنه كان من خصائصه الشريفة لا يقبل الصدقة ويقبل الهدية . وأن الله تعالى علم أن سيكون في عبادة مخالفون في كل شيء حتى في مزايا حضرته وخصائصه ،فلفت نظر عباده في الآيتين الكريمتين في كلامه العزيز في آخر سورة الكهف وفي أوائل سورة فصلت بقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [1] فكان يكفي قوله تعالى : ﴿ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ بجوار قوله تعالي : ﴿ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ لأنه ليس كل بشر يوحى إليه ، فردع بها المخالفين ولم يرتدعوا ، وقد عمل بها أهل الحق والإجماع ، وعرفوا منها مزيد فضله وبيان خصائصه .

الحكمة في جعل الرسل بشرا :

والحكمة في أن الله تعالي جعل رسله بشرًا لأن المخاطبين المرسلين إليهم بشر ، ويكفينا في البيان الشريف أنه يوحى إليه ، وهل يوحى إلى كل بشر ؟ كلا ! فهم لطمس بصائرهم يتبعون أسلافهم الضالين المعارضين للأنبياء والمرسلين ، الذين سبقوهم إلى الكفر – والعياذ بالله تعالى – ممن قالوا لنوح : ﴿ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [2] وممن قالوا لموسي وهارون : ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ [3] ؟ .

وممن قالوا لحضرته ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾ [4] ﴿ لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [5] فترى هؤلاء لا يتكلمون بخير في سيد العالمين ،ولشدة عمى بصيرهم لم يروا إلا المخالف ، ولم يفكروا إلا فيه ، ولم يبحثوا إلا عنه ، أو ينظروا إلى مغايرته﴿ ﷺ وآله﴾ لجميع إخوانه الأنبياء والمرسلين الذين كان يأتيهم الوحي رجلاً يكلمهم ويكلمونه ولا يعرفه أحد من الناس إلا الموحي إليه وأما حضرته ﴿ ﷺ

(١) سورة فصلت – آية ٦ وسورة الكهف آية ١١٠.
(٢) سورة المؤمنون – آية ٢٤.
(٣) سورة المؤمنون – آية ٤٧.
(٤) سورة الأنبياء–آية٣٦.
(٥) سورة الزخرف – آية ٣١

وآله﴾ فكان كذلك ويغايرهم في دخول الملك في جسده الشريف وهو المعبر عنه في الحديث : ﴿ وهو أشده على ﴾ [1] .

ولذا كان من العجب العجاب أن يدخل الملك اللطيف في الجسد الكثيف وهو عين المحال وإنما عرف العقلاء من البيان الشريف والتخصص اللطيف أن جعل الكبير المتعال تكوينه الشريف على حالتين :

١- حالة يقابل بها الملك وهي الحالة الربانية الصرفة التي كان بها صلى الله تعالى عليه وسلم مشاهدًا للحق جل وعلا على الدوام .

٢- وحالة بشرية يقابل بها البشر ليأخذوا منه وعنه ، أو لم ينظروا إلى قدرة القادر المبدع صنعًا في تكوين عيسى عليه السلام عن ملك وبشر ، ليعيش بالبشرية مع البشر وبالملكية مع الملائكة ؟

ما العلة في تمسك ثالوث التكفير ببشرية الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ :

يقول ثالوث التكفير وأبواقه في عصرنا هذا : إن بشرية الرسول كبشرية أفراد الناس ، وما الغرض الذي يرمون إليه ، إلا نفي الخير والبركة بالنسبة لحضرته ، فإذا تحقق لهم ذلك يكون نفيها عن جميع الأولياء والصالحين ، فينفون عنهم كل خير وبركة ، وينتقدون زائريهم وقاصديهم المحبين لهم ، المتمثلين لقوله تعالى عز وجل لحبيبه ﴿ ﷺ وآله﴾ :﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [2] . وقد سئل ﴿ ﷺ وآله﴾ عمن تجب على المؤمنين مودهم فقيل : من آل بيتك

يارسول الله الذين أوجب الله تعالى علينا مودهم ؟ فقال : ﴿ فاطمة وعلي وما تناسل منهما ﴾ . وبشهد لهذا الحديث قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي الباب الثاني ومسلم في كتاب الفضائل الحديث ٨٧ والنسائي في كتاب الافتتاح الباب ٣٧ ومالك في الموطإ في كتاب القرآن الحديث السابع وأحمد في الجزء السادس صفحة ١٥٨ ، ٢٥٧.

(٢) سورة الشورى – آية ٢٣.

عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [1] ، فقالوا من هم يا محمد ؟ ((فلما غدوا من الغد خرج ﴿ ﷺ وآلــه﴾ وبيديه الحسن والحسين وخلفه فاطمة وخلفهما علي رضوان الله تعالى عليهم)) ، فعــرف الناس من هذا أن هؤلاء هم آل بيته الطيبون الطاهرون المباركون الذين قال فــيهم ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا آل بيتي لحــبي ﴾ [2].

فالمتوجه إليهم الزائر لا يرجو إلا أمرين :

١- ود النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ في آل بيته كما تقدم .

٢- الامتثال لما أمر الله تعالى به عباده من نيلهم البركة وأخذهم لها من مصادرها .

أرجو الله أن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علما .

---

(١) سورة آل عمران – آية ٦١.

(٢) رواه الترمذي في كتاب المناقب الباب ٣١.

الفصل السابع

القنوت

أقسام الناس

يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام أن الناس حسب التقسيم العقلي أربعة أنواع :

١- مؤمن بقلبه ولسانه وهو الولي الكامل .

٢- مؤمن بقلبه كافر بلسانه وهو المسلم البصير المداري في وقت الفزع الأكبر .

قال تعالى: ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ (١)

٣- وكافر بقلبه مؤمن بلسانه وهو المنافق أعاذنا الله منه .

٤- وكافر بقلبه ولسانه وهو العدو المجاهر ، وإن كان ضرره على المسلمين أقل من ضرر المنافق لأن العدو المجاهر يحتاط المسلمون منه .

الناس في مقام الدعوة قسمان :

١- قسم قابل للبرهان على علم بشيء من الدعوة ، فالمنافق يخلط له الحق بالباطل حتى يشوش عليه دعوة الحجة والبرهان ويجعله مترددًا في الأمر .

٢- القسم الثاني يجهل حجج الدعوة وبراهينها ويقبلها إذا بينت ، والمنافقون يكتمون عنه تلك الحجج والبراهين ويظهرون الباطل بحجج باطلة عنادا للحق وطمعًا في نيل ما يفنى من متاع الدنيا من سيادة أو رياسة أو شهرة أو مال .

واللبس هو الخلط والمزج ، وهو هنا الإغواء ، والإضلال بأساليب تقتضيها دعوهم إلى الباطل ، حسب اقتدار كل فريق ممن يدعوهم .

راجع كتاب (أسرار القرآن) الجزء الأول ص ١٢٤ للإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم .

---

(١) سورة النحل – آية ١٠٦.

الوهابية تكتم الحق وتلبسه بالباطل :

والوهابية وأبواقها هؤلاء المضلون يعلمون ما أنزله الله تعالى في كتابه المبين وسنة سيد المرسلين ولكن سبق عليهم القدر فشوشوا تلك الآيات والأحاديث وحرفوها وأولوها إلى ما تهواه نفوسهم الإبليسية كما أول أصولهم من الخوارج ابن تيمية وابن عبد الوهاب وامتدادهم التاريخي من سلفية وإخوان وجهاد وغيرهم . الذين يعلمون الحق ويدعون الناس إلى الباطل فقام كل فريق من هؤلاء الذين أغواهم إبليس والذين هم امتداد للرعوية الإبليسية لعصرنا هذا بإنكار التوسل بالأنبياء والأولياء وإباحة التوسل بالكافرين من أمثال بيل كلينتون وبوش وريجان وكارتر ، وبإنكار شفاعة سيد الأنبياء وإباحة الشفاعة بشوارزسكوف ويلتسين وميتران وكول وجون ميجور . وبإنكار شد الرحال لزيارة النبي ﴿ﷺ وآله﴾ وبإباحة شد الرحال للطواف حول البيت الأبيض الأمريكي أو الأحمر الشيوعي وبهدم روضات الأنبياء والأولياء وإقامة مراكز الكفر والفسق والفجور والمخدرات وتمويل الإرهاب في مصر وتونس والجزائر والمغرب .

فليتق الله دعاة التوحيل لا التوحيد ممن نصبوا أنفسهم للحكم والقضاء وتعليم المسلمين أمور دينهم ، فباعوا الدين بقليل من المال الذي يفنى ، وأعانوا أهل الأهواء ، ولم يضحوا بما يزول في سبيل نصح الملوك والرؤساء والأمراء وأهل السلطة ، ومن كتم حقًا معلومًا ليصد عباد الله عنه كان أشد الناس عذابًا يوم القيامة .

الوهابية تقنت لحرب العراق مع الكويت بأمر من البيت الأبيض :

الوهابية تنكر القنوت في صلاة الفجر والمغرب والعشاء مع وجود النص على هذا القنوت من كتاب الله وسنة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ولكن إذا أجازه بوش وبيل كلينتون تجد الوهابية تسارع في القنوت وتجيزه مثال ذلك ما قاله لهم بوش في حرب العراق والكويت : على أمريكا ضرب العراق وعليكم أنتم كهنة الوهابية أن تجيزوا القنوت لينتصر بوش وأعوانه الصليبيون على العراق ويدمر شعب العراق . فيقوم شيوخ الوهابية بناء على أمر البيت الأبيض بالقنوت في صلاة الفجر والمغرب والعشاء طيل مدة الحرب العراقية الكويتية.

أنظر أخي المسلم كيف أن أوامر أمريكا والصليبية العالمية مقدسة لدى شيوخ الوهابية في القنوت والتوسل والشفاعة وطلب المدد من الأمريكان والبريطانيين والفرنسيين والألمان !!.

الوهابية تقنت للبوسنة والهرسك بأمر من البيت الأبيض :

مدد السلاح يتدفق على المقاتلين من الصرب الأرثوذكس والكروات الكاثوليك ويحظر إمداد المسلمين في البوسنة والهرسك بالسلاح ليقتل ويشوه ويعذب ويروع ويغتصب ويذل ويطرد الملايين من شعب البوسنة والهرسك المسلم فأمريكا ودول أوربا وروسيا متفقون على إبادة وطرد وإخراج كل أثر للإسلام من أوربا ، وعلى الوهابية ألا تشارك أهل البوسنة والهرسك إلا بالقنوت في صلاة الفجر والمغرب والعشاء دون تزويدهم بالسلاح ودون قطع التمثيل الدبلوماسي مع يوغوسلافيا ودون الإنسحاب من عضوية الأمم المتحدة ((على المسلمين)) بل يقتصر دور الوهابية على المعونات الغذائية لمن يهرب من مسلمي البوسنة والهرسك حتى يأتي دوره فيقتل وتكتفي بالشجب والتصريحات الكلامية والقنوت مع سكوت وهابي شامل .

معاني متعدده لكلمة القنوت :

القنوت في اللغة له عدة معان منها . . .

١- **الطاعة** : قال تعالى : ﴿ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ﴾[1] .

٢- **العبادة** : لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾ [2] .

٣- **السكوت** : لحديث زيد بن أرقم : كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [3]

٤- **القيام** : في الصلاة لقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ أفضل الصلاة طول القنوت ﴾ [4] ، والمراد هنا طول الدعاء بالخير .

---

(١) سورة الأحزاب – آية ٣٥.

(٢) سورة النحل – آية ١٢٠.

(٣) سورة البقرة – آية ٢٣٨.

(٤) رواه مسلم في كتاب المسافرين الحديث ١٦٤ ، ١٦٥ والترمذي في كتاب الصلاة الباب ١٦٨ والنسائي في كتاب الزكاة الباب ٤٩ وابن ماجة في كتاب الإقامة الباب ٢٠٠ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ٣٠٢ ، ٣٩١ ، ٤١٢ ، والجزء الرابع صفحة ٣٨٥ .

٥- **الدوام** : قال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (١) أي يدوم على الطاعة .

٦- **الخشوع** : يقول البيضاوي ويطلق القنوت على الخشوع والخضوع ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ ﴾(٢) أي خاشعين خاضعين على أحد التفاسير .

٧- **الركوع** : يطلق على طول الركوع وغض البصر وخفض الجناح ومن نظم العلامة ابن حجر:

لفظ القنوت أعدد معانيه تجد	تزيد على عشر معان مرضية
دعاء ، خشوع ، والعبادة ، طاعة	وخامسها إقراره بالعبودية
سكوت ، صلاة ، والقيام ، وطول	كذلك دوام الطاعة الرابح النية

وقد جاء في لسان العرب المحيط لابن منظور أن المشهور في اللغة أن القنوت الدعاء . وحقيقة القانت أنه القائم بأمر الله ، فالداعي إذا كان قائمًا ، خص بأن يقال له قانت ، لأنه ذاكر الله تعالى وهو قائم على رجليه ، فحقيقة القنوت العبادة والدعاء لله عز وجل في حال القيام ، ويجوز أن يقع في سائر الطاعة .

ثبوت القنوت في صلاة الفجر في مذهب المالكية والشافعية :

يتفق الإمامان الجليلان مالك والشافعي وأتباع مذهبيهما على ثبوت القنوت في صلاة الصبح عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وهما الإمامان الجليلان من الأئمة الأربعة لأهل السنة والجماعة المجمع على إمامتهم .

فالمالكية : متفقون علي أنه مندوب ويكون سرًا وهو قبل الركوع وبلفظ مخصوص وهو ((اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ونخنع لك ونخلع ونترك من يكفرك . اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخاف عذابك الجد ، إن عذابك بالكافرين ملحق -

(١) سورة الأحزاب – آية ٣١.
(٢) سورة البقرة – آية ٢٣٨.

((القنوت عندهم لا يكون إلا في الصبح خاصة (راجع حاشية الصفتي على متن العشماوية – نشر مكتبة ومطبعة صبيح وأولاده ١٣٦٧ هـ ، ١٩٤٧ م) .

الشافعية : متفقون على أنه من سنن الصلاة ويكون جهرًا وهو بعد الركوع وبلفظ مخصوص وهو((اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت)) . وكون القنوت في صلاة الصبح من سننها فإن السنة لا يعود إليها بعد التلبس بالفرض لكنه يسجد للسهو عنها أي سجود السهو (راجع متن أبي شجاع المسمى الغاية والتقريب – طبعه دار الأندلس بدمشق) و(المقدمة الحضرمية في فقه السادة الشافعية للحضرمي) و(التذهيب في أدلة متن الغاية والتقريب للدكتور مصطفى البغا– نشر دار الإمام البخاري بدمشق)

أدلة دعاء القنوت في صلاة الفجر :

أولاً- من كتب الحديث الشريف:

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ كان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه ، سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ثم يقول وهو قائم : ﴿ اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين ، اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسني يوسف اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان ، وعصبة عصت الله ورسوله ﴾ [1] ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[2] .

والمعروف أن رعلا وبني ذكوان قومًا من الكفار أتوا النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وأظهروا له الإسلام وطلبوا منه أن يمدهم بالقراء من الصحابة ، فأعطاهم سبعين من أصحابه فانصرفوا

(١) رواه البخاري في تفسير (سورة الدخان) الباب الثاني ومسلم في كتاب المنافقين الحديث ٤٠ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٣٨٠ ، ٤٣١ ، ٤٤١ .
(٢) سورة آل عمران – آية ١٢٨.

بهم فلما خرجوا إلى الصحراء غدروا بهم فقتلوهم وجعلوهم في " بئر معونة " فبلغ ذلك المصطفى ﴿ ﷺ وآله﴾ فشق عليه وحزن لذلك وصار يدعو عليهم مدة .

وروى الدار قطني والحاكم والبيهقي عن الربيع بن أنس قال : كنت جالسًا عند أنس بن مالك فقيل له إنما قنت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ شهرًا فقال : مازال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يقنت في صلاة الغداة أي الصبح ﴿ حتي فارق الدنيا ﴾ [1] (هذا الحديث صححه الحاكم وأبو جعفر الرازي أحد رواته مختلف فيه ولكن وثقه الكثيرون كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في التلخيص) .

وروى الترمذي وأبو داود والنسائي عن الحسن قال علمني رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ كلمات أقولهن في القنوت ﴿ اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يقضي عليك وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت ﴾ [2] .

صححه ابن حجر والبيهقي والدارقطني والذهبي

قال البيهقي : بعد هذا الحديث : فصح لهذا كله أن تعليم هذا الدعاء وقع لقنوت صلاة الصبح وقنوت الوتر وابن سيرين رواه بالوجهين – المهذب ص ١٧٤ .

وروي البيهقي عن عبيد بن البراء أن البراء قنت في الفجر .

١- عن عبد الله بن معقل قال : قنت على في الفجر .

قال الذهبي (هذا صحيح) المهذب ص ١٦٩ وقال ابن حجر في التلخيص روى بسند صحيح عن عبد الله بن معقل بن مقرن : قنت علي في الفجر – التلخيص الجزء الأول ص ٢٤٦ .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الوتر الباب السابع وكتاب الجهاد الباب ١٨٤ وكتاب المغازي الباب ٢٨ والدعوات الباب ٥٨ ومسلم في كتاب المساجد الحديث ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ وأبو داود في كتاب الوتر الباب العاشر وأحمد في الجزء الثالث صفحة ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٨٠ ، ١٩١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الوتر الباب الخامس والترمذي في كتاب الوتر الباب العاشر والنسائي في كتاب قيام الليل الباب ٥١ وابن ماجة في كتاب الإقامة الباب ١١٧ والدارمي في كتاب الصلاة الباب ٢١٤ وأحمد في الجزء الأول صفحة ١٩٩ ، ٢٠٠ .

٢- عن عبد الرحمن بن سويد الكاهلي قال : كأني أسمع عليا في الفجر حين قنت وهو يقول : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك .
٣- عن أبي رجاء العطاردي قال : صلي ابن عباس صلاة الصبح في هذا المسجد فقنت وقرأ هذه الآية ﴿ وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ ﴾(١) المهذب ص ١٦٩ .
٤- عن العوام بن حمزة قال : سألت أبا عثمان النهدي عن القنوت في الصبح ، قال بعد الركوع . قلت عمن ؟.
قال : عن أبي بكر وعمر وعثمان . قال الذهبي : إسناده حسن .
٥- عن طارق قال : صليت خلف عمر الصبح فقنت .
٦- عن عبيد بن عمير قال : سمعت عمر يقنت بمكة في الفجر .
٧- عن الأسود قال : صليت خلف عمر في السفر والحضر فما كان يقنت إلا في صلاة الفجر . سكت عليه الذهبي وكذا ابن حجر في التلخيص .
٨- عن أبي عثمان النهدي قال : صليت خلف عمر ست سنين فكان يقنت .
٩- عن أبي رافع أن عمر قنت في الصبح بعد الركوع - المهذب ج٢ ص ١٧٢ .
روى البيهقي عن عبيد بن عمير أن عمر قنت بعد الركوع فقال ((اللهم اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم . اللهم العن كفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك ويقاتلون أولياءك .

اللهم خالف بين كلمتهم وزلزل أقدامهم وأنزل بهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين. بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك بسم الله الرحمن الرحيم إياك تعبد ولك نصلي ونسجد ونحفد ونخشى عذابك الجد ونرجو رحمتك إن عذابك بالكافرين ملحق)) .
قال الذهبي : (إسناده صحيح - المهذب ج٢ ص ١٧٥) .

---
(١) سورة البقرة - آية ٢٣٨ .

ثانيًا أقوال العلماء والفقهاء :

أ- روى النووي في ((المجموع)) عن سعد بن طارق قال : (قلت لأبي يا أبي إنك صليت خلف رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فكانوا يقنتون في الفجر ؟ فقال : أي بني فحدث) ج٣ ص ٤٤٥ .

ب- وروى الشوكاني في ((نيل الأوطار)) : حكي الحافظ العراقي القنوت عن أبي بكر وعمر وعلي وابن عباس وقال : قد صح عنهم القنوت . وزاد إذا تعارض الإثبات والنفي قدم المثبت .

وحكاه عن أربعة من التابعين (ج٢ ص ٣٨٥) .

ج- قال الهمذاني في ((الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار)) : (الإثبات محكم وادعاء النسخ متعذر ، والنافي ادعاؤه محمول على الدعاء على الكفار والمثبت روايته محمولة على الثناء على الله عز وجل ، والعمل بدليلين أولى من العمل بدليل واحد) ص ٩٤ – ٩٥ .

د- وقال الهمذاني في ((الاعتبار)) قال : (أحاديثنا تدل على إثبات القنوت وأحاديثهم تدل على نفي القنوت والمثبت أولي من النافي لأن الأصل أن لا قنوت وأحاديثنا أثبتت القنوت وهو زيادة حكم فكان أولى) ص ٩٧

هـ- وقال في ص ٩٢ من ((الاعتبار)) : (وقد اختلف الناس في القنوت في صلاة الصبح فذهب أكثر الناس من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من علماء الأمصار إلي إثبات القنوت فمن روينا ذلك عنه :

١- من الصحابة : الخلفاء الراشدون : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمار بن ياسر وأبي بن كعب وأبو موسي الأشعري وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عباس وأبو هريرة والبراء بن عازب وأنس بن مالك وأبو حليمة معاذ بن الحارث الأنصاري وخفاف بن إيماء بن رخصة وإهبان بن صيفي وسهل بن سعد الساعدي وعرفجة بن شريح الأشجعي ومعاوية بن أبي سفيان وعائشة الصديقة .

٢- ومن المخضرمين : أبو رجاء العطاردي وسويد بن غفلة وأبو عثمان النهدي وأبو رافع الصائغ .

٣- ومن التابعين : سعيد بن المسيب والحسن بن أبي الحسن ومحمد بن سيرين وإبان بن عثمان وقتادة وطاوس وعبيد بن عمير والربيع بن خيثم وأيوب السختياني وعبيد السلماني وعروة بن الزبير وزياد بن عثمان وعبد الرحمن بن أبي ليلي وعمر بن عبد العزيز وحميد الطويل .

٤- ومن الأئمة الفقهاء : أبو إسحاق وأبو بكر بن محمد والحكم بن عتيبة وحماد ومالك بن أنس والشافعي وأصحابه وأهل الحجاز والأوزاعي وأكثر أهل الشام وعن الثوري روايتان .

وغير هؤلاء خلق كثير .

ونقل الدارقطني عن الحسن فيمن نسى القنوت في صلاة الصبح قال :

عليه سجدتا السهو . وعن سعيد بن عبد العزيز فيمن نسي القنوت في صلاة الصبح قال: يسجد سجدتي السهو ١٠هـ .

الفصل الثامن

الغناء

الغناء عند الإمام الغزالي :

قال الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين : القلوب والسرائر خزائن الأسرار ، ومعادن الجواهر ، وقد طويت فيها جواهرها ، ولا سبيل إلى استثارة خفاياها إلا بقوادح الغناء ، ولا منفذ إلى القلوب إلا من دهليز الغناء . فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها ، وتظهر محاسنها أو مساويها ، فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه ، كما لا يرشح الإناء إلا بما فيه .

واعلم أن المحبة في القلب كامنة ككمون النار تحت الرماد ، ولا تتحرك هذه النار إلا بسبب ، مثل أن يحركها بعود ونحوه ، فتتقد بعد أن كانت هامدة تحت الرماد ، فكذلك نار المحبة تكون هامدة غالبًا حتى تجد سببًا يحركها . وأعني بالمحبة أي محبة كانت ، سواء كانت محبة الله أو رسوله أو محبة غيرهما ، والسبب المحرك هو الغناء .

حكم الغناء في الإسلام :

١- من كان في قلبه محبة الله أو محبة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وهما متلازمتان لأن من يحب الله لابد من أن يحب رسوله ، فالغناء في حق هذا يكون مندوبًا .

٢- من كمن في قلبه محبة شخص ، فإما أن يكون ممن يباح له الاجتماع به ، كالزوجة مثلاً فالغناء في حق هذا يكون مباحًا .

٣- أن يكون الغناء خلاف ذلك ، كأن يكون عاشقًا لامرأة فيكون الغناء في حق هذا حرامًا .

أما القول بتحريم الغناء جملة فخارج عن حد الاعتدال .

آلات الغناء وحكمها :

اعلم أن اختلاف العلماء في آلات الغناء كالطبول ونحوها كان في سالف الزمان ، ولكن ما كان له تأثير ولا نزاع طويل ، لأن من كان يذهب إلي تحريمه ما كان يتعرض لمن يذهب إلى تحليله ، لعلمه أن ما اختلف العلماء فيه لا يتعرض لفاعله بنهي ، لأن تركه ليس بواجب بل يكون مندوبًا فقط .

وإنما القيل والقال بسبب الشرذمة الوهابية ، حين جعلت قول من قال بتحريم الطبول من العلماء سلمًا يصعدون به إلي ما تكنه قلوبهم فأشعلوا حربًا شعواء علي كل مادح لسيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ سواء مدحه بطبل أو غيره .

ومهما بينت لهذه الفئة الضالة من الأدلة فما تكون النتيجة منهم إلا إصرارهم على ما في قلوبهم من كراهية لسماع مدح الرسول وتعظيمه .

أدلة حلية الغناء من الكتاب والسنة وعمل الصحابة والتابعين :

١- لقوله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [١] . وترتيل القرآن هو تحسينه وأداؤه أداءً جميلاً .

٢- وفي السنة يستدل من قولهم عن السماع برواية أبي داود والترمذي والنسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ نهى عن البيع والشراء في المسجد وأن ننشد فيه ضالة ، وأن ينشد فيه شعر .

وللرد على ذلك نقول إن رواية أبي داود وغيره مقابلة بما رواه البخاري وأبو داود والترمذي من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها : ﴿ كان النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ يضع لحسان منبرًا في المسجد يقوم عليه قائمًا يفاخر عن رسول الله أو ينافح – أي يرد عنه هجاء الكفار بالشعر ويباهيهم به . ويقول رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: إن الله يؤيد حسانًا بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴾ [٢] قال الترمذي حسن صحيح ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

(١) سورة المزمل – آية ٤.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب الباب ٨٧ والترمذي في كتاب الأدب الباب ٧٠ وأحمد في الجزء السادس ص٧٢ .

٣- وروت السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن النابغة الجعدي لما أنشد شعره للـــنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قال له ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ لا يفضض الله فاك ﴾ (١) ، وقالت السيدة عائشة رضـــي الله عنها : ﴿ كان أصحاب سول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يناشدون عنده الأشعار وهو يبتســـم ﴾ (٢)، وروى الحاكم من حديث خزيم بن أوس سمعت العباس يقول : ﴿ يـــا رســـول الله إني أريد أن أمتدحك فقال (قل) لا يفضفض الله فاك ﴾ (٣) .

٤- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه قال : أنشد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت ، كل ذلك يقول: ﴿ هيه هيه – أي هات – أي زدني منه ، ثم قـــال : إن كاد – قرب– في شعره ليسلم ﴾ (٤) .

٥- وفي الصحيحين عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ﴿ لقد رأيت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الـــذي أسأمه ﴾ (٥) .

٦- إن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ سمع بعض الجواري يغنين ويضربن بالدفوف في عـــرس ﴿ الربيع بنت معوذ)) ، وكان جالساً على مقربة منها ، وحينما قالت إحدى المغنيات : وفينا نبي يعلم ما في غد ، لم يرضه هذا الإسراف في المديح وقال لها : دعي هـــذا الإســـراف في

---

(١) أورده ابن حجر في المطالب العالية(٤٠٦٥)والبيهقي في دلائل النبوة ٢٥١/٥ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين(٦ / ٤٨٠ ، ٤٨١)والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٠٢٧٦)والعراقي في المغني عن حمل الأسفار(٢٧٢/٢)وابن كثير في البداية والنهاية الجزء الخاص صفحة ١٧ وأبو نعيم في تاريخ أصفهان (١ / ٧٤)وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق(١ / ٣٥٠).

(٢) رواه مالك في الموطأ في كتاب السفر الحديث ٩٣ والنسائي في كتاب السهو الباب ٩٩ والترمذي في كتاب الأدب الباب ٧٠ وأحمد في الجزء الخامس صفحة ١٠٥ .

(٣) أورده ابن حجر في المطالب العالية(٤٠٦٥) والبيهقي في دلائل النبوة (٥ / ٢٥١) والزبيدي في إتحاف السادة المتقين(٦ / ٤٨٠ / ٤٨١) والمتقي الهندي في كنز العمال(٣٠٢٧٦) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار(٢ / ٢٧٢) وابن كثير في البداية والنهاية الجزء الخاص صفحة ١٧ وابو نعيم في تاريخ أصفهان(١ / ٧٤) وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق(١ / ٣٥٠).

(٤) رواه مسلم في كتاب الشعر الحديث الأول وابن ماجة في كتاب الأدب الباب ٤١ وأحمد في الجزء الرابع صفحة ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(٥) رواه البخاري في كتاب العيدين الباب الثاني ومسلم في كتاب العيدين الحديث ١٩ .

المديح وقولي بالذي تقولين ، وامضي في غنائك ، فمضت الجارية في غنائها والرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ يستمع لها في غبطةوانشراح ﴾ [1] .

انظر القسطلاني ج٥ ص ٩٥ والإجابة ج٨ ص ٨ .

٧- وتقول السنة المحمدية أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أبصر نساء وصبيانًا مقبلين من عرس فيه غناء فقام مسرعًا في سرور وارتياح وهو يقول ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ اللهم أنتم من أحب الناس إلي ﴾ [2] .

القسطلاني ج٨ ص ٨٥

٨- وجاء في البخاري : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل على السيدة عائشة رضي الله عنها وبين يديها مغنيتان تغنيان وتلعبان بالدف في يوم العيد ، وعلى مقربة منها كـان الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ يستمع ، فانتهر أبو بكر السيدة عائشة غاضباً . . ولكن الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ قال مؤدبًا : ﴿ دعها يا أبا بكر فإن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا ﴾ [3] . راجـع تيسير الوصول ج٣ ص ٢٨٠ .

٩- يسن الغناء بالأغاني ولا فرق بين أن يكون المغني فتى أو فتاة ، رجلاً أو امـرأة فـإن السيدة عائشة رضي الله عنها لما زفت قريبتها إلي الأنصاري ، قال لها النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ : أهديتم الفتاة قالت : نعم . قال : أرسلتم معها من يغني ؟ قالت : لا قال : إن الأنصار قوم فيهم الغزل ،فلو بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني ، قالت : ماذا تقول في غنائها قال : تقول :

أتينـــــاكم أتينـــــاكم فحيونـــــا نحيـــــيكم
ولـــولا الـــذهب الأحمـــر مـــا حلـــت بـــواديكم

(١) رواه أبو داود في كتاب الإمارة الباب ٢٠

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار الباب الخامس ومسلم في كتاب فضائل الصحابة الحديث ١٧٤ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ١٥٠ ، ١٧٥ .

(٣) رواه البخاري في مناقب الأنصار الباب ٤٦ ومسلم في كتاب العيدين ١٦ والنسائي في كتاب العيدين الباب ٣٣ وابن ماجة في كتاب النكاح الباب ٢١ وأحمد في الجزء السادس صفحة ٣٣ ،٩٩، ١٣٤ ، ١٨٧.

ولـــــولا الحنطـــــــة الســـــــمراء   مــــــا سمنـــــــت عـــــــذاريكم [1]

فهذه العناية من رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بالغناء والدف ، يرينا أنه يريد بحفل الزفاف أن تمر سعيدة موشحة بالأغاني ورنات الدفوف ، لتأخذ البشرية حظها في تلك المناسبة السارة .

١٠- وعند استقبال الأنصار رجالاً ونساء لسيدنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وهو قادم من مكة وغنائهم عند قدومه للمدينة المنورة بقولهم :

طلـــــع البـــــدر علينــــا   مــــن ثنيـــات الـــــوداع
وجـــــب الشــــكر علينــــا   مــــــا دعــــــا لله داع
أيهـــــا المبعـــــوث فينــــا   جئـــت بــــالأمر المطــــاع
جئـــــت شـــــرفت المدينــــة   مرحبــــاً يــــا خـــــير داع

١١- عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﴿ﷺ وآله﴾ أنه قال : ﴿ إن من الشعر لحكمة ﴾ [2]

رواه البخاري .

١٢- وعن أنس رضي الله عنه ((إن النبي ﴿ﷺ وآله﴾ كان يحدي له في السفر وهو الغناء لتحثيث الإبل على الإسراع في السير وإن أنجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال فقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ : ﴿ يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير ﴾[3] .

رواه أبو داود واتفق الشيخان منه على قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك .

(١) رواه ابن ماجة في كتاب النكاح الباب ٢١ واحمد في الجزء الثالث صفحة ٣٩١.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب الباب ٩٠ في كتاب الأدب ٦٩ وابن ماجة في كتاب الأدب الباب ٤١ والدارمي في كتاب الاستئذان الباب ٦٨ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٢٦٩ / ٢٧٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢ ، والجزء الثالث صفحة ٤٥٦ والجزء الخامس صفحة ١٢٥ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب الباب ٩٠ ، ٩٥ ، ١١١ ، ١١٦ ، ومسلم في الفضائل الحديث ٧٠ – ٧٣ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٧٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٢ ، ٢٢٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤، ٢٨٥ ، والسادس صفحة ٣٧٦ والدارمي في الاستئذان الباب ٦٥.

١٣- وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ﴿ كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وكان يأتيني صواحب لي وكان رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يسر لمجيئهن إلي فيلعبن معي ﴾ متفق على صحته ، وفي رواية لأبي داود بإسناد صحيح : ﴿ أن النبي﴿ ﷺ وآله﴾ قال لها يومًا : ما هذا ؟ قالت بناتي ، فقال : فما هذا الذي أرى في وسطهن ؟ قالت : فرس ، قال : وما هذا الذي عليه ؟ قالت جناحان ، قال فرس له جناحان ؟ قالت أو ما سمعت أنه كان لسليمان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة ، قالت : فضحك سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ حتى بدت نواجذه ﴾ (١) .

١٤- وكان لكثير من الصحابة والتابعين أسوة حسنة في رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قال عامر بن سعد : دخلت علي قرظة بنت كعب وأبي مسعود الأنصاري في عرس من الأعراس فإذا جواري يغنين فقلت يا صاحبي رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أيفعل هذا عندكم ؟ فقالا له : اجلس إن شئت فاستمع منا وإن شئت فاذهب فإنه قد رخص لنا اللهو عند العرس)) (٢) .

١٥- وكان ابن أبي عتيق – وهو حفيد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه – قد بلغه أن أحدًا اعتدى على رجل يغني فسارع إلى المعتدي وأخذ يضربه انتقامًا للمغني وهو يقول : كيف تجرؤ على أن تحطم مزامير داود ؟

١٦- والإمام مالك بن أنس طالما تغني بهذه الأبيات الآتية :

سليمي أزمعت بينا ... فأين تظنها أينا
وقد قالت لأتراب ... لها لما تلاقينا
تعالين فقد طاب ... لنا العيش تعالينا

فانظر أيها العاقل إلى هذه النصوص السواطع والحجج الواضحة القواطع ، فإن نظرت من ناحية الإسناد تجد إسنادها أحاديث تجيز السماع مما اتفق عليه البخاري ومسلم ، وإن

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة الحديث ٨١ ، وأحمد في الجزء السادس صفحة ٥٧ ، ١٦٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(٢) رواه النسائي في كتاب النكاح الباب ٨٠ .

نظرت من ناحية الدليل تجد دليل جواز السماع – سواء أكان في مسجد أو خارجًا عنه – من قولرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ .

وأين الإمام الغزالي الذي يحمل عليه أبواق ثالوث التكفير لإجازته للسماع ما دام بعيدًا عن التحريض علي العشق والفجور . ومن هذه الأحاديث التي في الصحيحين وهو نص صريح في أن الغناء واللعب ليسا بحرام ، وفيها دلالة على أنواع من الرخص .

أ –اللعب ، ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب .

ب– فعل ذلك في المسجد .

ج– قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴿دونكم يابني أرفدة ﴾ (١) وهذا أمر باللعب والتماس له فكيف يكون حرامًا.

د– منعه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن الإنكار والتغير وتعليله ﴿ ﷺ وآله﴾ بأنه يوم عيد أي وهو وقت سرور وهذا من أسباب السرور .

هـ– وقوفه ﴿ ﷺ وآله﴾ طويلاً في مشاهدة ذلك ، وسماعه لموافقة عائشة رضي الله عنها .

و– قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ ابتداء للسيدة عائشة رضي الله عنها ﴿ أتشتهين أن تنظري ﴾ (٢) .

ز– الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجارتين .

ح– أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم ، بل إنما يحرم عند خوف الفتنة .

فهذه المقاييس والنصوص تدل على إباحة الغناء ، والرقص ، والضرب بالدف ، واللعب بالحراب ، وانظر إلى رقص الحبشة والزنوج في أوقات السرور كلها قياسًا على يوم العيد فإنه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والوليمة ، والعقيقة والختان ، ويوم القدوم من السفر ، وسائر أسباب الفرح ، وهو كل ما يجوز به الفرح شرعًا كزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم في الابتهالات الدينية والمدائح النبوية .

---

(١) رواه البخاري(٢ / ٢٠ ، ٤ /٤٧) ومسلم في كتاب الصديق الباب الرابع رقم ١٩ والبيهقي في السنن الكبرى(١٠ / ٢١٨) والزبيدي في إتحاف السادة المتقين(٦ / ٤٩٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥)وابن حجر في فتح الباري(٢ / ٤٤٠) وفي مشكل الآثار(١ / ١١٧) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار(٢ / ٢٧٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب العيدين الباب الثاني ومسلم في كتاب العيدين الحديث ١٩.

دعوى محرمية السماع :

تجد أن دعوي محرمية السماع قال فلان وقال فلان من أبواق ثالوث التكفير ، ويزعمون أن بعض الناس أصدر فتوى بهذا المعنى وكان ذلك في سنة ٦٦١ هـ ومشى بها أربعة مذاهب ، وادعى أنه حصل من كل مذهب على فتوى تؤيد وجهة نظره .

١- فادعى أن الشافعية قالت له : إن السماع لهو مكروه يشبه الباطل ، ومن قال به ترد شهادته .

٢- وادعى أن المالكية قالت له : يجب على ولاة الأمور زجرهم وردعهم وإخراجهم من المساجد حتى يتوبوا أو يرجعوا إلى الله .

٣- وادعي أن الحنابلة قالت له : إن فاعل ذلك لا يصلي خلفه ، ولا تقبل شهادته ولا يقبل حكمه إن كان حاكماً وإن عقد النكاح علي يده فهو فاسد .

٤- وادعى أن الحنيفة قالت له : الحصر التي يرقص عليها لا يصلي عليها حتى تغسل والأرض التي يرقص عليها لا يصلي عليها حتى تحفر ويرمي ترابها .

فهذه هي النصوص التي يدور بها أبواق ثالوث التكفير معتقدو تحريم السماع فيتشددون بتحريمه جملة من غير تفصيل ولا استثناء شيء منه .

الرد على دعوى محرمية السماع :

١/أ – من هو القائم بهذا الأمر المهم ؟ وما المانع من ذكر اسمه مع قيامه بهذه الجولة على رجال المذاهب حتي استصدر هذه الفتاوى التي تؤيد وجهة نظره ؟.

ب- وما السبب الذي تأخرت به معرفة حكم السماع حتى لم يظهر إلا بعد سنة ٦٦١ هـ وللإجابة علي السؤال الأول ، نقول :

أ- أما سبب جهل اسم المستفتي هذا فلعله في حيز العدم إلى الآن ، ولعله خيال هجس ببال أبواق ثالوث التكفير لتحريم إجماع بزعم إجماع المسلمين على تحريمه .

ب- أو لعل الرجل المستفتي ممن لم يرتض في الدين من المبتدعة ، فخاف أبواق ثالوث التكفير من إظهار اسمه حتى لا ينفر منه المسلمون وبالتالي عدم قبول فتواه بتحريم السماع .

٢- إن ادعاء فتوى الشافعية بأن السماع مكروه - لو سلمنا جدلاً بأنهم أفتوا بذلك - لا يدل على التحريم لأن بين المكروه والمحرم بون كبير ، لأن المكروه ما لا عقاب عليه، بخلاف المحرم. ولو سلمنا جدلاً بأن الشافعية أفتوا بأن السماع باطل لا يدل على التحريم أيضا لأن الباطل يطلق على ما لا فائدة فيه.ولو سلمنا جدلا بأن الشافعية أفتوا بأن ترد شهادته لا يدل على التحريم ، لأن الشهادة قد ترد بأشياء مباحة منها الأكل في السوق ومنها شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة لأنها تخرم المروءة .

وانظر أيها المتحجر من أبواق ثالوث التكفير كيف أجاز الإمام الشافعي التغني بالقرآن الذي هو أحق أن يصان عما لا ينبغي فإباحته في غيره أولى فلا أدري من أين أخذوا تحريم السماع من مذهب الشافعية وقد قال الشافعي : الشعر كلام ، فحسنه حسن قبيحه قبيح ؟! .

٣- وقال إمام المالكية في عصره ابن عرفة ناقلاً كلام شيخ الإسلام العز بن عبد السلام : ((الطريق في إصلاح القلوب يكون بأسباب من خارج ، فيكون بالقرآن وهؤلاء أفضل أهل السماع ، ويكون بالوعظ والتذكير ، ويكون بالحداء والنشيد ، ويكون بالآلات المختلفة في سماعها كالشبابات ، فإن كان السامع لذلك مستحلاً سماع ذلك فهو محسن بسماع ما يحصل له من الأحوال ، وتارك للورع لسماعه ما اختلف في جواز سماعه وإلا : أي وإن كان يعتقد تحريم السماع فهو محسن بما حصل له من الأحوال ، مسيء بسماع ما يعتقد تحريمه)) .

فانظر كيف شمل حسن السماع حتى من يعتقد تحريمه ، حين قال فيه فهو محسن بما حصل له من الأحوال .

وإن ادعاء فتوى المالكية بأنه يجب على ولاة الأمور زجرهم وردعهم وإخراجهم من المساجد حتى يتوبوا أو يرجعوا إلى الله .

فهل ظهر من منع إنشاد الشعر أو الابتهالات الدينية أو المدائح النبوية التي مازالت تردد حتى الآن رغم إنكار أبواق ثالوث التكفير ؟! وهل حصل النهي ولو من واحد من أمراء المسلمين ؟! وهل خرج ولو من مسجد واحد من ينطقون ذكر الله ومدح سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ؟.

جواب ذلك كله لا . لأننا لم نسمع شيئًا من ذلك ولو في خبر ضعيف قبل هذه الأيام التي انتشر فيها أعداء السنة الذين يرون مدح أمرائهم ووصفهم بصفات الألوهية من الجائز ، حين ما يرون مدح الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ ولو ببيتين بما حباه له مولاه من الحرام بل من الشرك والإلحاد .

٤- وادعى أن الحنابلة قالت : فاعل ذلك لا يصلي خلفه ، ولا تقبل شهادته ، ولا يقبل حكمه إن كان حاكمًا ، وإن عقد النكاح على يده فهو فاسد .

انظر يا أخي ما قاله أبو حنيفة والشافعي وأحمد في إحدى روايتيه بصحة إمامة الفاسق مع الكراهة ، ووجه الأول صلاة الصحابة خلف الحجاج وكفى به فاسقًا وقد أحصوا من قتلهم من الصحابة والتابعين فبلغوا ١٢٠٠٠٠ مسلم .

٥- وادعى أن الحنفية قالت له : إن الحصر التي يرقص عليها لا يصلي عليها حتى تغسل والأرض التي يرقص عليها لا يصلي عليها حتى تحفر ويرمي ترابها .

انظر ما حقيقة هذه النجاسة التي يغسل منها ، هل هي حسية كنجاسة البول والدم وغيره ، أم معنوية كنجاسة الكفر ؟ ! فإن كانت حسية : أي ظاهرة فما المانع من ظهورها للغير ؟ !
.

وإن كانت معنوية : أي باطنة فما فائدة غسلها ؟ ! أي فكما لا يطهر الكافر من نجاسة الكفر إلا بدخوله الإسلام ولو اغتسل بجميع بحور الدنيا ، فكذلك لا تطهر الحصر التي يرقص عليها إن كانت النجاسة ذاتية معنوية .

فهل هذه الفتوى حصل ولو من شخص واحد عمل غسل الحصر في زمن ما ؟! وجواب ذلك كله : لا وقولهم الأرض التي يرقص عليها . . إلخ فنقول ما حقيقة النجاسة أذاتية معنوية أم حسية خارجية ؟! وهل هذا الحفر له حد يقف عنده أم لا ؟! وإلى كم ذهبت النجاسة في أجزاء الأرض ؟! وإلى كم غاصت في أعماقها ؟! وإذ قلتم له حد فهل تقديره بأميال أم بأمتار ؟!

وإذ عارضنا حين الحفر ماء قبل وصولنا إلى الحد المعلوم فما حكم ذلك الماء أيضا ؟ هل نجس كالتراب يجب نزحه أم كيف الحال ؟! وما سبب التفرقة بين إيجاب الغسل في الحصر والحفر في الأرض ، لا شيء ما أوجبتم الغسل في الأرض فتريقوا عليها الماء كسائر

النجاسات التي تكون في الأرض لأنها يراق عليها الماء فتطهر من غير تكلف حفر أو غيره ، وما سمعنا في مرتد ارتد عن الإسلام في موضع من المواضع أنه أمر بحفر ذلك الموضع لأنه وقعت فيه معصية أم هذه المعصية أقبح من معصية أبي لؤلؤة المشئوم الذي ارتكب أعظم ذنب في أعظم مكان فقتل أعظم إمام متلبسا في أعظم عبادة أمير المؤمنين وخليفة سيد المرسلين .

فهل أخبر التاريخ بأن المسجد المعظم الذي وقعت فيه هذه المصيبة العظمى أمر بحفر ترابه وغسل بسطه ، أم هذه الأحكام جهلها المتقدمون من أهل القرون الثلاثة ومن بعدهم حتى ظفر بها أهل القرن السادس ونصف فظهرت في سنة ٦٦٠هـ ياسبحان الله ، ما أحوج هذه الفتاوي إلى النظر وإعمال الفكر وعرضها على الكتاب والسنة حتى يطوي بها ويرمي في وجه قائله .

رأي الإمام المجدد أبي العزائم في السماع :

وقد أبان الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام أن الغناء إذا كان في الاحتفالات الدينية والمدائح النبوية كان حلالاً وكثيرًا ما جاء ذلك في مواجيده عليه السلام فمنها قواه :

يا بلبلاً غني على الأفنان ... فأثار في كوامن الأشجان
هذا اجتماع للسرور مبارك ... مع سيدي حبي مع الضيفان

ويقول عليه السلام:

غن لي لحن الظهور تنزلاً ... في اتضاح الغيب غير تأولي
واصغ لي في نشوتي حال الصفا ... تشهدن غيباً بغير تمثل

يقول عليه السلام:

أغني فترجم باللساني عن قلبي ... أغاني تجلى لي الجمال من الغيب
وبين لروحي الغيب فالحال قاهري ... لتشهد عين الروح ساطعة الحب

ويقول عليه السلام:

غـــــن ذكرنـــــا جمـــــال محمــــــد   واشـــــرحن أســــراره يامرشـــــــدي

الباب الثامن

أمثلة من خوارج عصرنا

الفصل الأول

سيد قطب

من هو المجتهد في الدين ؟ :

قال الإمام أبو بكر الهروي : أجمعت العلماء قاطبة على أنه لا يجوز لأحد أن يكون مجتهـــدًا في الدين حتي يكون جامعًا هذه الخصال وهي :

١- أن يكون حافظًا للغات العرب واختلافها ومعاني أشعارها وأصنافها .

٢- واختلاف العلماء والفقهاء

٣- يكون عالمًا فقيهًا

٤- حافظًا للإعراب وأنواعه

٥- عالمًا بما اختلف فيه العلماء .

٦- عالمًا بكتاب الله .

٧- حافظًا له ولاختلاف قراءته واختلاف القراء فيها .

٨- عالمًا بتفسيره ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وقصصه .

٩- عالمًا بأحاديث الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ مميزًا بين صحيحها وسقيمها ، ومتصلها ومنقطعها ، ومراسيلها ومسانيدها ، ومشاهيرها ، وأحاديث الصحابة موقوفها ومسندها .

١٠- ثم يكون ورعًا دينًا صائنًا لنفسه .

١١- صدوقًا ثقة يبني فكره ودينه على كتاب الله وسنة رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ .

فإذا جمع هذه الخصال فحينئذ يجوز أن يكون مجتهدًا وجاز أن يقلد ويجتهد في دينه وفتاويه ، وإذا لم يكن جامعًا لهذه الخصال أو أخل بواحدة منها كان ناقصًا ، ولم يجز أن يكون مجتهدًا وأن يقلده الناس .

قال : قلت : وإذا ثبت أن هذه شرائط لصحة الاجتهاد ((فعلي)) كل من لم يكن كذلك أن يقتدي بمن هو بهذه الخصال المذكورة .

وقال : الناس في الدين على قسمين : مقلد ومجتهد ، والمجتهدون مختصون بالعلم ، وعلم الدين يتعلق بالكتاب والسنة واللسان العربي الذي وردا به ، فمن كان ممن يعلم الكتاب والسنة وحكم ألفاظها ومعرفة الثابت من أحكامها والمنتقل من الثبوت بنسخ أو غيره والمقدم والمؤخر صح اجتهاده ، وأن يقلده من لم يبلغ درجته ، وفرض من ليس بمجتهد أن يسأل ويقلد ، وهذا لا اختلاف فيه . انتهى .

انظر قوله : وهذا لا خلاف فيه . وقال ابن القيم في أعلام الموقعين : لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة ما لم يجتمع فيه شروط الاجتهاد ومن جميع العلوم .

قال أحمد بن المنادي : سأل رجل أحمد بن حنبل : إذا حفظ الرجل مائة ألف حديث هل يكون فقيهًا ؟ قال : لا ، قال : فمائتي ألف حديث : قال : لا ، قال فثلاثمائة ألف حديث ؟ قال : لا ، قال : فأربعمائة ؟ قال : نعم ، قال أبو الحسين : فسألت جدي : كم كان يحفظ أحمد ؟ قال : أجاب عن ستمائة ألف حديث .

قال أبو إسحاق : لما جلست في جامع المنصور للفتيا ذكرت هذه المسألة ، فقال لي رجل : فأنت تحفظ هذا المقدار حتى تفتي الناس ؟ قلت : لا ، إنما أفتي بقول من يحفظ هذا المقدار . انتهى .

ولو ذهبنا نحكي من حكى الإجماع لطال ، وفي هذا الكفاية للمسترشد .

الخارجي سيد قطب وأمثاله بلاء على الأمة :

وإنما ذكرت هذه المقدمة لتكون قاعدة يرجع إليها فيما نذكره ، فإن اليوم ابتلى الناس بسيد قطب وأمثاله ممن ينتسب إلى الكتاب والسنة ويستنبط من علومهما ولا يبالي من خالفه ، وإذا طلبت منه أن يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل ، بل يوجب على الناس

الأخذ بقوله وبمفهومه ، ومن خالفه فهو عنده كافر ، هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد ولا – والله – عشر واحدة ، ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهال ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

الأمة كلها تصبح بلسان واحد ، ومع هذا لا يرد لهم في كلمة بل كلهم كفار أو جهال ، اللهم اهد الضال ورده إلى الحق .

الخارجي سيد قطب ليس بعالم :

فقد اتفق السلف والخلف على أن العلم الديني لا يؤخذ بالمطالعة من الكتب بل بالتعلم من عارف ثقة أخذ مثله إلى الصحابة قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي ((لا يؤخذ العلم إلا من أفواه العلماء)) وقال بعض السلف ((الذي يأخذ الحديث من الكتب يسمي صحفيًا لا عالماً والذي يأخذ القرآن من المصحف يسمي مصحفيًا ولا يسمي قارئًا)) وهذا مأخوذ من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : ﴿من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه﴾[1]رواه الطبراني .

ومن هؤلاء " سيد قطب " لم يسبق له أن جثى بين يدي العلماء للتعليم ولا قرأ عليهم ولا شم رائحة العلم كان في أول أمره صحفيًا ماركسيًا ثم انخرط بعد ذلك في حزب الإخوان فصدروه ، فأقدم على التأليف فزل وضل ومن وقف على كتبه وكان من أهل الفهم والتمييز وجدها محشوة بالفتاوي التي ما أنزل الله بها من سلطان وعلم أنها تنادي بجهله وهي كثيرة جدًا منها :

أولاً : كتاب في ظلال القرآن وهو ضلال في ضلال :

يقرر في كتابه " في ظلال القرآن " أنه لا وجود للمسلمين على الأرض طالما يحكم الحكام بغير الشرع ولو في مسائل صغيرة يذكر ذلك في الجزء الأول الصحيفة (٥٩٠) فيقول " فليس هناك دين للناس إذا لم يتلقوا في شئون حياتهم كلها من الله وحده ، وليس هناك إسلام إذا هم تلقوا في أي أمر من هذه الأمور جل أو حقر من مصدر آخر إنما يكون الشرك أو الكفر وتكون الجاهلية التي جاء الإسلام ليقتلع جذورها من حياة الناس ((ثم

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٨٩/١٩) والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١ / ٤)

يكفر كل من حكم بغير الشرع على الإطلاق ولو في مسألة صغيرة من غير تفصيل مفسرًا قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [(١)]

الرد على هذا الفكر الخارجي لسيد قطب :

١- إن تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ على ظاهره جهلاً أو مكابرة هو قول الخوارج ، أما السلف ومن بعدهم أولوا هذه الآية كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ابن عم رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وترجمان القرآن والبراء بن عازب رضي الله عنه ذكر القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص ١٩٠-١٩١ في تفسير هذه الآية ما نصه نزلت كلها في الكفار ثبت ذلك في صحيح مسلم كتاب الإيمان باب رجم اليهود أهل الذمة من حديث البراء وعلى هذا الجمهور ، فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة ، وقيل فيه إضمار أي ومن لم يحكم بما أنزل الله ، ردًا للقرآن وجحدًا لقول رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فهو كافر .

قاله ابن عباس ومجاهد فالآية عامة على هذا قال ابن مسعود : هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار أي معتقدًا ذلك ومستحلاً له ، فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه مرتكب لحرم فهو من فساق المسلمين وأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، إلا أن الشعبي قال : هي في اليهود خاصة . واختاره النحاس قال : ويدل على ذلك ثلاثة أشياء منها :

أ- أن اليهود قد ذكروا قبل هذا في قوله : ﴿ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ [(٢)] فعاد الضمير عليهم .

ب- ومنها أن سياق الكلام يدل على ذلك ألا تري أن بعده ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ [(٣)] فهذا الضمير لليهود بإجماع .

ج- فإن اليهود هم الذين أنكروا الرجم والقصاص .

---

(١) سورة المائدة – آية ٤٤.

(٢) سورة المائدة – آية ٤٤.

(٣) سورة المائدة – آية ٤٥.

٢- فإن قال قائل ((من)) إذا كانت للمجازاة فهي عامة إلا أن تقع دليل على تخصيصها قيل له : ((من)) هنا بمعنى الذي مع ما ذكرناه من الأدلة والتقدير واليهود الذين لم يحكموا بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون فهذا من أحسن ما قيل في هذا .

٣- ويروي أن حذيفة سئل عن هذه الآيات أهي في بني إسرائيل ؟ قال : نعم هي فيهم ، وقال طاووس وغيره ليس بكفر ينقل عن الملة ولكنه كفر دون كفر وهذا يختلف إن حكم بما عنده على أنه من عند الله فهو تبديل له يوجب الكفر ، وإن حكم به هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين قال القشيري : ومذهب الخوارج أن من ارتشى وحكم بغير حكم الله فهو كافر . انتهى كلام القرطبي .

٤- وذكر نحوه الخازن في تفسيره ج١ ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ وزاد عليه ((وقال مجاهد في هذه الآيات الثلاث (من ترك الحكم بما أنزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق) وقال عكرمة ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به فقد كفر ، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق ، وهذا قول ابن عباس أيضًا ، وقال طاووس : لابن عباس أكافر من لم يحكم بما أنزل الله ؟ فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحو هذا ، روي عن عطاء قال : هو كفر دون كفر .

٥- فقد حسم حبر الأمة عبد الله بن عباس الموضوع بتفسير موجز مفيد فقد أخرج الحاكم وصححه المستدرك ج٢ ص ٣١٣ ووافقه الذهبي وأخرج البيهقي في سننه وغيرهما عنه في الآيات الثلاثة المذكورات أنه قال : إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه ، إنه ليس كفرًا ينقل عنالملة ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[1] كفر دون كفر أ هـ. ومعنى((كفر دون كفر)) أي ذنب كبير يشبه الكفر في الفظاعة كما قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ :﴿سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ﴾[2] (مسند أحمد ج١ ص ٤٣٩) – رواه

(١) سورة المائدة – آية ٤٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان ٣٦ وكتاب الأدب الباب ٤٤ وكتاب الفتن الباب الثامن ومسلم في كتاب الإيمان الحديث ١١٦ والترمذي في كتاب البر الباب ٥١ وكتاب الإيمان الباب ١٥ والنسائي في كتاب التحريم الباب ٢٧ وابن ماجة في كتاب الفتن الباب الرابع وكتاب المقدمة الباب السابع والتاسع وأحمد في الجزء الأول صفحة ١٧٦ ، ١٧٨ ، ٣٨٥ ، ٤١١ ،٤٣٣، ٤٥٤ ، ٤١٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٦ ، ٤٦٠.

الإمام أحمد وقد وقع القتال بين المؤمنين منذ أيام على عليه السلام ولا يزال يحدث إلى الآن قال تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ [(١)] .

ثم إن كلام سيد قطب هو عين مذهب الخوارج القائلين بأن الظلم والفسق هو كفر يخلد في النار

أيضاً إطلاق قوله بتكفير من حكم بغير الشرع من غير تفصيل – فيه تكفير لكثير من الحكام الذين توالوا علا الخلافة الإسلامية ، سواء كانوا من بني أمية أو بني العباس أو بني عثمان أو آل سعود ، فإنهم حكموا بأن جعلوا الخلافة ملكًا يتوارثونه وهذا يبطل دعوى سيد قطب في كتابه المسمى" في ظلال القرآن " .

اتهام الخارجي سيد قطب للصحابة والسلف أنهم محرفون لكتاب الله :

فهو أولاً يرد التأويل في هذه الآية وكأنه بلغ ما قد بلغه ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة والتابعين ، فهو لا يتردد في كتابه هذا عن إطلاق النكير على العلماء من السلف والخلف فهو يقول في الجزء الثاني / ٨٩٨ منه ما نصه " والتأويل والتأول في مثل هذا الحكم لا يعني إلا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه " فقد أداه جهله إلى هذا الاتهام الباطل لعبد الله بن عباس وحذيفة بن اليمان وسعيد بن جبير والحسن البصري وغيرهم من السلف والخلف إلى أن جعلهم محرفين لكتاب الله كما فعلت علماء اليهود .

كتاب الظلال لم يدع فردًا إلا ورماه بالكفر :

والعجب أن هذا الكتاب يروج ويباع في البلاد الإسلامية وهو لم يدع فردًا من البشرية إلا وقد رماه بالردة ، حتي المؤذنين في المشارق والمغارب ، لأنهم لم يثوروا علي رؤسائهم الذين يحكمون بغير الشرع فيقول في الجزء الثاني / ١٠٥٧ ما نصه " فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد وإلي جور الأديان ونكصت عن لا إله إلا الله وإن ظل فريق منها يردد على

(١) سورة الحجرات – آية ٩.

المآذن لا إله إلا الله دون أن يدرك مدلولها ودون أن يعي هذا المدلول وهو يرددها ودون أن يرفض شرعية الحاكمية التي يدعمها العباد لأنفسهم . . . "

آذان المؤذنين بلا مدلول :

ثم يقول ألا إن البشرية عادت إلى الجاهلية وارتدت عن لا إله إلا الله فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية ولم تعد توحد الله وتخلص له الولاء . . ثم يتابع فيقول " البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله بلا مدلول ولا واقع وهؤلاء أثقل إثما وأشد يوم القيامة لأنهم ارتدوا إلى عبادة العبـــاد " أ هـــ .

صور متعددة لتكفير الأمة الإسلامية :

١- ثم يذكر في الجزء الثاني / ٨٤١ أن من حكم ولو في مسألة جزئية بغير الشرع فهـــو خارج عن الدين وبعدها في صحيفة / ٩٤٠ يذكر أن الذين يقولون أنهم مسلمون يقيمون ما أنزل إليهم من ربهم هم كأهل الكتاب هؤلاء ليسوا على شيء كذلك .

٢- يكفر من يحكم بغير الشرع إطلاقًا ولو في قضية واحدة في الجزء الثاني / ٩٧٢ فيقول: " والإسلام منهج للحياة كلها من اتبعه كله فهو مؤمن وفي دين الله ومن اتبع غيره ولو في حكم واحد فقد رفض الإيمان ، واعتدى على ألوهية الله ، وخرج من دين الله مهما أعلـــن أنه يحترم العقيدة وأنه مسلم " ويذكر نحو ذلك في الجزء الثاني / ١٠١٨ .

٣- وزاد في الجرأة إلى أن ذكر في الجزء الثالث / ١١٩٨ أن من أطاع بشرًا في قانون ولو في جزئية صغيرة فهو مشرك مرتد عن الإسلام مهما شهد أن لا إله إلا الله .

٤- يطلق القول بعد ذلك في الجزء الثالث / ١٢٥٧ بأن الإسلام اليـــوم متوقـــف عـــن الوجود مجرد الوجود وأننا في مجتمع جاهلي مشرك .

٥- ويقرر في الجزء الرابع / ١٩٤٥ أن البشرية اليوم بجملتها مرتدة إلي جاهليـــة شـــاملة فيقول " أن رؤية واقع البشرية علي هذا النحو الواضح تؤكد لنا أن البشرية اليوم بجملتها قد ارتدت إلى جاهلية شاملة " أهـــ .

مرشدوا الإخوان من رجال القانون الوضعي :

والعجب أن من أتباعه والمنادين برأيه المكفرين لمن حكم بالقانون ولو في جزئية صغيرة قسم منهم يشتغلون بالمحاماه وقسم آخر يتعاملون بالقانون أمثال المستشار حسن الهضيبي المحامي وعمر التلمساني المحامي وعبد القادر عودة المحامي ومعاملات الباسبور والفيزا ونقل الكفالة وحجرهم مؤلفاتهم أو مطبوعاتهم على غيرهم أن يطبعوها إلا بإذنهم ويعتقدون أن من فعل ذلك يحاكم قانونًا وكفاهم هذا خزيًا وتهافتًا ومناقضة لأنفسهم ، فعلى مؤدي كلام زعيمهم كفروا وهم لا يشعرون ، وهم على موجب نصه هذا قسم منهم عباد للحكومة السعودية ، وقسم منهم عباد لسائر الدول التي يعيشون فيها .

سيد قطب خارجي أزارقي :

فمن حقق في أمر هذا الرجل عرف أنه ليس له سلف إلا طائفة من الخوارج يقال لهم الأزارقة منفردين عن سائر فرق الخوارج يقولون أن الملك إذا حكم بغير الشرع صار كافرًا ورعاياه كفار ، ومن تابعه ومن لم يتابعه ، وسيد قطب كأنه أعاد دعوة عقيدة تلك الفرقة الخارجية التي من أشدهم في تكفير المسلمين وكفاه ذلك خزيًا وضلالا لأن الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ قال في الخوارج : ﴿ يخرج قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون بقول خير البرية يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وصيامه إلى صيامهم ﴾ وقال عليه السلام ﴿ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ﴾ [1] رواه البخاري .

الخارجي سيد قطب يحرض الإخوان على الثورة على الحكام :

وفي الجزء الثالث /١٤٤٤ يطعن في المجاهدين من السلف الصالح ويرميهم بالجشع إلى الفتك بالأبرياء و الشره إلى سفك الدماء ويقرر الجزء الثالث / ١٤٤٩ - ١٤٥٠ و١٤٥١ أن على المسلمين" بالجماعة الإسلامية أو ((حزب الإخوان)) انتزاع زمام الحكم من الحكام والقضاء على نظمهم بالثورة وإحداث الإنقلابات في الدول .

الخارجي سيد قطب يقرر أن الدنيا كلها بما فيها مكة والمدينة ليست دار إسلام:

(١) رواه البخاري في كتاب الاستتابة الباب السادس وكتاب المناقب الباب ٢٥ وكتاب فضائل القرآن الباب ٣٦ وأبو داود في كتاب السنة ٢٨ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٤٠٤

ويقرر في الجزء الرابع / ٢٠١٢ أن الاشتغال بالفقه الآن بوصفه عملاً للإسلام فهو مضيعة للعمر والأجر أيضًا ، طالما الناس في جاهلية يعبدون حكامهم ، ويذكر في الجزء الرابع / ٢١٢٢ أنه لا يوجد اليوم رئيس مسلم ولا رعية مسلمة ولا مجتمع مسلم إنما هي على زعمه جاهلية شاملة فيقول " أنه ليس علي وجه الأرض دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي " وكلامه هذا يؤدي إلى أن الدنيا كلها بما فيها مكة المكرمة والمدينة المنورة ليست دار إسلام بل دار حرب .

الخارجي سيد قطب مجسم ومشبه :

يخالف جميع علماء الإسلام في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (١) " وهو على الحقيقة لا على الكناية والمجاز فالله سبحانه وتعالى على رأيه مع كل أحد ومع كل شيء وفي كل مكان " وبذلك جعل الله منتشرًا في العالم وهذا كفر قوله : " في كل مكان " هذا لم يقله أحد من السلف إنما قاله جهم بن صفوان الذي قتل علي الزندقة في أواخر أيام الأمويين ثم تبعه جهلة الوهابية من غير فهم للمعنى فكل علماء الإسلام اتفقوا على أن معنى قوله تعالى﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾(٢)إحاطة علمه تعالى بكل الخلق ذكر سيد قطب مقالته هذه في الجزء السادس /٣٤٨١ من كتابه المذكور .

تأويلات شيطانيه لكتابه التصوير الفني في القرآن :

إن سيد قطب الخارجي يسمي الله بالريشة المعجزة وبالريشة الخالقة والمبدعة وذلك في مواضع عدة من كتابه (التصوير الفني في القرآن) وغيره ويسمي الله بالعقل المدبر في تفسير سورة النبأ هذا مما لا يخفي أنه إلحاد ، قال تعالى : ﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ ﴾ (٣) وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي في عقيدته التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة ((ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر)) .

---

(١) سورة الحديد – آية ٤.
(٢) سورة الحديد – آية ٤.
(٣) سورة الأعراف – آية ١٠٨

الخارجي سيد قطب يطعن في عصمة الأنبياء:

ثم لم يكتف بذلك بل أداه جهله ووقاحته إلى القدح أو الذم بسيدنا موسى عليه السلام فقال في كتابه المسمى (التصوير الفني في القرآن) ص / ١٦٢ ما نصه :

١- " لنأخذ موسى أنه نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج " ويقول في الصحيفة التالية : (فلندعه هنا لنلتقي به في فترة ثانية من حياته بعد عشر سنوات فلعله قد هدأ وصار رجلاً هادئ الطبع عليم النفس كلا . . . .)

٢- ويتهم سيدنا يوسف في الصحيفة / ١٦٦ بأنه كاد يضعف أمام امرأة العزيز .

٣- ويرمي سيدنا إبراهيم عليه السلام بالشك فيقول في الصحيفة / ١٣٣ ما نصه (وإبراهيم تبدأ قصته : فتى ينظر في السماء فيرى نجمًا فيظنه إلهه فإذا أفل قال لا أحب الآفلين ثم ينظر مرة أخرى فيرى القمر فيظنه ربه ، ولكنه يأفل كذلك فيتركه كذلك ويمضي ، ثم ينظر إلى الشمس فيعجبه كبرها ويظنها ولاشك إلهاً ، ولكنها تخلف ظنه هي الأخرى) أهـ .

دحض أفكار الخارجي سيد قطب :

فهذا الكلام مناقض لعقيدة الإسلام التي تنص على أن الأنبياء تجب لهم العصمة من الكفر والكبائر وصغائر الخسة قبل النبوة وبعدها وقول إبراهيم عن الكوكب حين رآه ((هذا ربي)) هو على تقدير الاستفهام الإنكاري فكأنه قال : أهذا ربي كما تزعمون ثم لما غاب قال : ﴿ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾ (١) أي لا يصلح أن يكون هذا ربا فكيف تعتقدون ذلك ؟ ولما لم يفهموا مقصوده بل بقوا على ما كانوا عليه ، قال : حينما رأى القمر ، مثل ذلك ، فلما لم يجد منهم بغيته ، أظهر لهم أنه بريء من عبادته ، وأنه لا يصلح للربوبية ، ثم لما ظهرت الشمس ، قال : مثل ذلك ، فلم ير منهم ، فأيس منهم ، فأظهر براءته من ذلك ، وأما هو في حد ذاته كان يعلم قبل ذلك أن الربوبية لا تكون إلا لله بدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الأنعام – آية ٧٦.

(٢) سورة الأنبياء – آية ٥١.

احذروا كتب الخارجي سيد قطب :

١- نخلص من هذا أنه طعن في مفسري علماء المسلمين وسلفهم وخلفهم وهذا فتح بابًا للمروق من الدين لا يعلم مبلغ خطره إلا الله فليحذره المسلمون وليشفقوا على دينهم من هذا الخطر فإنه صار قدوة للطعن في سلف الأمة وخلفها ودعوة للخروج الذي خرجته الخوارج فإنها فهمت قول الله تعالى : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ ﴾ (١) على خلاف المراد به فتجرأت على تكفير سيدنا علي ومن والاه حتي بلغت إلى تكفير كل من ارتكب معصية فإنا لله وإنا إليه راجعون .

٢- والعجب من هذا الرجل كيف خفي عليه قوله تعالى : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٢) .

فإن هذه الآية دليل قرآني علي بقاء هذه الأمة المحمدية على دينها إلى يوم القيامة ، لأن أمة محمد هم الذين اتبعوا عيسى بعد انقراض من اتبعه على الحقيقة بالإيمان والإسلام والتوحيد، كيف غفل هذا الرجل عن فهم هذه الآية واتبع توهمه الذي تخيله من أن الأمة المحمدية عاشت على الإسلام المائة الأولى وأن ما بعد ذلك جاهلية ؟ وكيف غفل عن قول رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴿ إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ﴾ (٣) ؟

وكيف غفل عن قوله عليه السلام : ﴿ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ﴾ (٤) ؟؟ الحديث الأول رواه أبو داود ، والثاني رواه الشيخان . أما آن لكم

(١) سورة الأنعام – آية ٥٧.
(٢) سورة آل عمران – آية ٥٥.
(٣) رواه أبو داود في كتاب الملاحم الباب الأول.
(٤) رواه البخاري في كتاب الاعتصام الباب العاشر وكتاب التوحيد الباب ٢٩ والمناقب الباب ٢٨ والخمس الباب السابع ومسلم في كتاب الإيمان الحديث ٢٤٧ والإمارة الحديث ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ وأبو داود في كتاب الفتن الباب الأول وكتاب الجهاد الباب الرابع والترمذي في كتاب الفتن الباب ٥١ وابن ماجة في كتاب المقدمة الباب الأول والدارمي في كتاب الجهاد الباب ٣٨ وأحمد في الجزء الرابع صفحة ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٣١٩ ، ٤٢٩ ، ٤٣٤ ، ٤٣٧ ، والجزء الخامس صفحة ٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

أيها المغترون به أن تفيقوا من سبات الغفلة إلى اليقظة ، وأنتم أيها المتعصبون لهذا الرجـــل اتقوا الله وارجعوا عن منهجكم هذا ، حتى تكونوا مع جمهور الأمة ، ومن شـــذ شـــذ إلى النار، والله نسأل أن يعصمنا من مثل هذا الزلل ، وسبحان الله والحمد لله رب العالمين .

الفصل الثاني

ناصر الألباني

ناصر الألباني عامل في إصلاح الساعات قليل البضاعة في ضبط الأوقات ، جاهل في علم الحديث والثقات ، متجريء مستور مع عرائه عن المؤهلات ؟! . . . وإليك أيها المفتون به أدلة الإثبات :

أحاديث الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ تشريع سماوي :

إن أحاديث رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ إنما هي من لدن الله اللطيف الخبير . . العليم الحكيم ، وما هي إلا تشريع سماوي .

كما جعل سنته ﴿ﷺ وآله﴾ وحيًا يوحيه إليه لأنه المتكفل بحفظه وعصمته ولم يتركه لغيره ، كما جعل الله تعالى من مهام النبي الكريم ﴿ﷺ وآله﴾ تعليم الحكمة ، وهي السنة المعطوفة على الكتاب.

لقد علم الصحابة الكرام رضي الله عنهم أن ما ثبت عن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ هو اللازم لجميع من عرفه ، لا يقويه ولا يوهنه شيء ، بل الفرض الذي على الناس اتباعه ، ولم يجعل الله تعالى هذا لأحد من خلقه سواه ، كما لم يجعل لأحد معه أمرًا يخالف أمره .

وهذا كله في الأساس مرده إلى أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ إنما هو مبلغ عن الله ، صادق أمين ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى (راجع كتاب تأدبوا مع رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ للدكتور محمد عبده يماني) .

هذه شهادة سماوية من رب العزة والجلال بأن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ إنما يروي عن ربه عز وجل ، وأن الحديث النبوي الشريف إنما هو وحي يوحى ، فهو الصادق الأمين الذي لم يكذب على الناس حتىيكذب على الله سبحانه وتعالى ، وهو الأمين على حقوق الناس فجعله أمينًا على سره ووحيه ، وأعطاه الرسالة ، وختم به النبوة والرسالة وأرسله للناس

كافة ، وشهد له بأنه على خلق عظيم وأنه لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحــي يــوحى علمه شديد القوى . .

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُــوَ إِلاَ وَحْــيٌ يُوحَى ﴾ (١)

الألباني يردد فكر الزنادقة والرافضة والخوارج :

العجيب أن ناصر الألباني ليس من أصحاب الحديث ، ولا من المختصين في أي نوع مــن فروعه ، ولكنه يعمل في تصليح الساعات ، وقد التف حوله مجموعة من المخدوعين بأفكاره من أصحاب المهن والحرف ، ومجموعة من العمال ، نجارين وحدادين بلا مؤهلات وكلهم كما نرى من غير أهل الدراية ولا الرواية ،و ليسوا أصلاً أهلا للخوض أو التصدي لمثــل هذه الأمور . . . .

وواضح من كلام الساعاتي ناصر الألباني في علم الحديث أنه ترديد أجوف لمقولات سابقة بدأها بعض الزنادقة ومجموعة من الرافضة الذين أنكروا الاحتجاج بالســنة ورددوا فكــر الخوارج .

ومن لطف الله أن هذه القضايا قد أثيرت أيام الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم ، فتصدوا لها هم ومن جاء من بعدهم وردوا عليها . وقد حذا الخوارج أيضًا حذوهم وأنكروا حجيــة الإجماع والسنن الشرعية .

وعلى أي حال ، فالألباني يردد أفكارًا قديمة ، وبطريقة مشوهة ، ولا يستبعد أي عاقل أن خلفه من يغذي هذه الأفكار ، ويروج لها من أعداء الإسلام الذين يعمدون إلى إثارة مثــل هذه الفتن بين حين وآخر ، ويسعون إلي قذف الشبهات في عقول الناشئة ، ويســتخدمون مثل هؤلاء المغفلين كمطايا سهلة للطعن في الدين الإسلامي .

المستشرقون يتخذون من الألباني وأتباعه مطية للطعن في الإسلام :

وهكذا نرى أن هؤلاء المغفلين يرددون صدى دعوات ضالة قديمة بدأها الزنادقة والرافضة ومن والاهم ثم تلقفها المستشرقون وروجوا لها وأصبحوا يتحينون الفرص بين وقت وآخر

---

(١) سورة النجم – أيه ١

لإثارتها من جديد . . ولهذا فهم يبثون مثل هذه الشبهات والضلالات عندما يحسون بضعف مناعة الأمة الإسلامية . . ولقد كانت قضية حجية السنة : (والتشكيك فيها والنيل منها) من جملة ما خاض فيه المستشرقون منذ أواخر القرن المنقضي ، وفي مقدمتهم جولد تشيهر وشبرنجر وفون كريمر .

حيث بثوا شكوكهم في كتبهم وفي مختلف الموسوعات والمراجع ، وكانت مقولاتهم تلك بين ما ترجم إلى العربية ، ونقله بعض الباحثين المسلمين وروجوا له .

وقد سار على هذا النهج الأستاذ أحمد أمين في مؤلفه الشهير ، فجر الإسلام ، الصادر في سنة ١٩٢٨ حيث أفرد ست عشرة صفحة للحديث ، أبرز فيها قضية الموضوعات وعدم التدوين وعرض الأقوال التي تنتقد أبا هريرة رضي الله عنه وتشكك فيه .

استنفرت هذه الموجة بعض الراسخين في العلم ، فمنهم من بسط أراء جولد تشيهر والأستاذ أحمد أمين ، ورد على مقولاتهم مبينًا أوجه الخطأ أو التحريف فيها ، ومنهم من أثبت حجية السنة بمختلف الأدلة النقلية والعقلية ومنهم من جمع بين النهجين ولعل أبرز تلك الكتابات رسالة الشيخ عبد الغني عبد الخالق في (حجية السنة) وهي مرجع نفيس أنجزه في بداية الأربعينات . ومؤلف الدكتور مصطفى السباعي ، الفقيه السوري الأشهر ، الذي أصدره في سنة ١٩٤٩ ، بعنوان (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) .

السنة النبوية خدمها المسلمون بما لم يخدموا به علمًا آخر :

وحسبنا الله ونعم الوكيل أن تصبح قضايانا الإسلامية والسنة النبوية خاصة ؛ مطية سهلة لمثل هؤلاء الذين لم يتأدبوا مع رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ولم يحسنوا التعامل مع السنة النبوية المطهرة . . ولا شك أنه أمر مؤسف أن يخوض كل من هب ودب في مثل هذه الأمور الدقيقة وحتى استهان أمثال هؤلاء بأمر السنة المطهرة فراحوا يهرفون بما لا يعرفون مع أن السنة النبوية . . خدمت بما لم يخدم به علم من ناحية التوثيق والتدقيق . . حتى كانت أصح ما عرف في التاريخ من علم الرواية والأخبار ، فالسنة النبوية : خدمها المسلمون بما لم يخدموا به علمًا آخر في تاريخهم إذ بذلوا جهودًا جبارة في تدوينها ثم أقاموا علم مصطلح الحديث الذي أسس القواعد العلمية لتصحيح الأخبار ، ووصفه الدكتور السباعي بأنه أصح ما عرف في التاريخ من قواعد علمية للرواية والأخبار وأثمر هذا الجهد علم ((الجرح

والتعديل)) أو علم ميزان الرجال ، الذي يبحث في أحوال الرواة وأمانتهم وثقتهم وعدالتهم وضبطهم أو عكس ذلك من كذب أو غفلة أو نسيان وهو علم جليل لا نظير له في سجل معارف الأمم الأخرى ، وثمة علوم أخرى استلزمها دراسة السنة وضبطها وتحقيقها أوصلها أبو عبد الله الحاكم في كتابه ، معرفة علوم الحديث ، إلى ٥٢ علمًا ، وأوصلها النووي في ((التقريب)) إلي خمسة وستين علماً .

الضرب على أيدي المجترئين على السنة :

ولا شك أن أي عاقل يري ضرورة إيقاف ناصر الألباني والضرب على يد هذا الساعاتي المجتريء على السنة المطهرة . . وأمثاله خصوصًا ممن ينتسبون إلي الإسلام ويندسون تحت هذا الستار إما عن غفلة أو جهل أو عن خبث أو لمصالح مادية يستخدمهم فيها أعداء الإسلام لنشر مثل هذه الفوضى والدسائس . . وأحسب أن من واجبنا أن نلتفت إلي تثقيف الناشئة والأمة ككل بإبعاد مثل هذه المخاطر وحمايتهم من مثل شبهات الألباني وغيره.

طرق الطعن في السنة

الطعن في الحديث :

ولا شك أننا جميعًا نعلم أن العداء للسنة النبوية قديم ، ولقد حاول أعداء الإسلام أن ينفذوا من خلال القرآن فلم يستطيعوا ، ولهذه فقد لجأوا إلي قضية التشكيك في الحديث النبوي الشريف ، وعمدوا إلى الطعن في السنة الشريفة المطهرة والنيل منها ، بل وتجرأوا على الطعن في رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ من منطلق الحقد والخبث الذي في نفوسهم على الإسلام وعلى نبينا محمد﴿ ﷺ وآله﴾ وعلى الحديث النبوي الشريف ، وللأسف الشديد أن بعض هؤلاء يزعم زورًا وبهتانًا أنه منتسب إلى الإسلام ، وما هو كذلك بل هو ممن يطعن في الإسلام ويشكك في الإسلام ، لأن السنة النبوية متممة وشارحة ومبينة عن الله عز وجل ولمجمل المعاني التي أوردها في كتابه الكريم ، وهي في الأصل وحي أوحى إليه ﴿ ﷺ وآله﴾ وقد حفظت على مدار السنين حفظًا موثقًا أذهل أعداء الإسلام وشهدوا له وبه قبل أبنائه ،

وبقيت السنة محفوظة والحمد لله رغم تشكيكهم وادعاءاتهم الباطلة . ولما يئسوا من ذلك قام المبشرون والمستشرقون بعمل رسائل تطعن في السنة باسم البحث العلمي وباسم التجديد وما هي في حقيقة الأمر إلا الأحقاد الدفينة في أنفسهم .

الطعن في الصحابة :

إن تلك الادعاءات والطعونات من الساعاتي ناصر الألباني قد ظهرت بأشكال مختلفة ، لكنها كلها ترمي عن قوس واحد ، فظهرت بشكل خطب في محافل ، وبشكل مقالات ظهرت في مجلات وجرائد ، وبشكل كتب طبعت . . إلخ .

وظهر الساعاتي ناصر الألباني تارة في عدائه الصريح للصحابة الكرام رضي الله عنهم وخاصة المكثرين منهم ، كأبي هريرة ، وابن عباس ، وعائشة وابن عمر ، وابن عمرو . .

الطعن في رجال الحديث :

كما ظهر في عدائه لرجال الحديث ممن لهم وزنهم في الرواية والدراية كالزهري . . باسم الحفاظ على الإسلام والغيرة عليه ، وتقريبه لغير المسلمين فطعن في كل حديث لا يوافق هواه .

الطعن في الصحيحين :

وإذا كانت بعض كتب الساعاتي ناصر الألباني قد عممت الطعن في السنة كلها ، فإن بعضها الآخر خصص للطعن في الصحيحين بالذات وذلك لما أشاعه ويشيعه كذبًا وافتراء بأن جمهور العلماء والمحدثين يشيرون إلى الاكتفاء بالصحيحين ، ثم يذكر بعض الأحاديث التي لا توافق هواه المنحرف فيطعن فيها ، ويشكك من بعد ذلك في الصحيحين .

وهذا وإن كان افتراء على الأمة وعلى علماء الحديث بالأخص من ادعائه الاعتماد عليهما فقط ، إلا أنه أيضا من أكبر عوامل الهدم والتخريب ، إذ كيف يدعي إلى الاكتفاء بهما ، ثم يأتي الطعن فيهما ، فماذا يبقى بعدهما من كتب الحديث ؟ ، لاشك أن الطعن في الصحيحين جريمة كبرى ، ورزية عظمى ، ومعصية خطيرة ، وانحراف في السلوك والتفكير وكيف لا يكون كذلك وهما أصح الصحيحين ؟ . فهذا طعن فيهما فالطعن فيما بعدهما أسهل وأمرا على النفوس الضعيفة .

الصحيحان أصح الصحيح بالمسبة للحديث :

ولما للصحيحين من أهمية كبرى عند علماء المسلمين ، ومن ثم عند عامة المسلمين حيث تلقاهما علماء الأمة بالقبول ، وأجمعوا على العمل بهما وأنهما أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل ، وأنهما أصح الصحيح بالنسبة للحديث ، ولا نعلم كتابا – بعد كتاب الله تعالى – خدم ما خدم هذان الكتابان من حيث كثرة الشروح والمستخرجات والمختصرات والحواشي والمستدركات والتعليقات حتى زادت على المئات .

شبهات أعداء الحديث والرد عليها :

والحقيقة أن مثل هذه الطعنات والافتراءات أصبحت ولله الحمد غير خافية على أبناء الإسلام ، وقيض الله من أهل العلم والخير من يتصدى لها بروح عالية ، وهم صادقة سليمة، وعقيدة صافية.

الشبهة الأولى والرد عليها :

ولكن الهجمات الألبانية بدأت تقذف بشبهات عجيبة في نفوس الناس ، مثل قوله بأن القرآن قد حفظ بكتابته فلم يحدث فيه نسيان ولا تغيير ، ولم يتعرض لأي تحريف ولكن الحديث يختلف من ناحية أن لغته سهلة المحاكاة ، وهناك الكثير من الأحاديث الضعيفة بل والمكذوبة على رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ .

وهذا الكلام هو كلمة حق أريد بها باطل ، لأن الحديث لم يكتب في أول عهد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ لأنه كان ﴿ﷺ وآله﴾ قد نهى في بداية الأمر الصحابة عن أن يكتبوا شيئًا غير القرآن حتى لا يلتبس القرآن أو يختلط بغيره ، ولكن بعد أن تم حفظ القرآن وصار معروفًا . . ومكتوبًا . . وموثقًا لا خوف عليه ، عندها أذن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ للصحابة بكتابة الحديث ، فكتبوا ما يسمعون منه ﴿ﷺ وآله﴾ ودونوا أقواله عليه الصلاة والسلام وأفعاله ، وكانوا يحتاطون أشد الحيطة ، ويدققون كثيرًا ويتحرون كثيرًا ولهذا جاء – والحمد لله – في غاية الانضباط والدقة ، وميزوا كل شيء ،فعرفوا الصحيح وميزوه ، والحسن ، والضعيف ، والغريب ، ودققوا في الأسانيد ، وليس هناك دون شك علم خدم

كعلم الحديث حتى أن طرق ضبطه أذهلت كل من درسوه من غير المسلمين حيث وجدوا فيه علمًا له أسس صحيحة ، وطرق دقيقة ، وأصول رفيعة .

ولقد جمع الحديث وأحكام الشريعة دونت عند المسلمين على ثلاثة أطوار :

الطور الأول : الذي جمع فيه الرجال ما في صدورهم من علم .

الطور الثاني : جمع أهل الأمصار كل ما عند علمائهم وكتبوه ودونوه .

الطور الثالث : تم جمع كل ذلك ودونت في الدواوين الكبرى والمصنفات الجليلة وتم تحقيقها وتدقيقها ومقارنتها واستخلاصها حتى صارت على النحو الذي وصلنا اليوم وهو في غاية الدقة .

الشبهة الثانية والرد عليها :

وإني لأكشف القناع لأول مرة بأن زعم الساعاتي ناصر الألباني أن الأحاديث النبوية لم تدون إلى مائة سنة أو تسعين سنة قد أخطأ ، والتاريخ يعارضه ، والسبب في هذا الخطأ أن أول كتاب في الحديث النبوي كتاب الموطإ لمالك بن أنس وأول كتاب في السيرة كتاب المغازي لابن إسحاق ، وهذا الإمامان الجليلان كانا متعاصرين وتوفى الأول سنة ١٧٩ هـ والثاني سنة ١٥١ هـ فاعتبروا العقود الأولى من القرن الثاني بداية تدوين الأخبار والسير والأمر ليس كذلك ، فإن بواكير التدوين ابتدأت قبل ذلك بكثير ، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز المتوفي سنة ١٠١ هـ ، عالمًا جليلاً ولي إمارة المدينة ثم استخلف سنة ٩٩ هـ وقد عهد إلى القاضي أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم – الذي كان إمامًا في الحديث والخبر – أن يبدأ في تدوين سننالنبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وأخباره لأنه خاف على العلم أن يرفع شيئًا فشيئًا ، خاف درس العلم وعفاءه ، وقد ذكر في هذا تعليقات البخاري والموطإ لمالك والمسند للدارمي ، فقام بذلك أبو بكر بن حزم وكتبت الأحاديث والأخبار والسنن في القراطيس وأرسلت إلي دار الخلافة بدمشق ، ونسخت في الصحف والكتب وبعث بها إلى البلاد الإسلامية وكبريات تلاميذ المدن يومئذ ، فأبو بكر هذا الذي علمتم مكانته من العلم والفضل وكان قاضيًا بالمدينة المنورة هو الذي اختاره عمر بن العزيز لهذا

العمل الجليل ، لعلمه وفضله ولأن خالته عمرة كانت من كبريات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وكان ما روته خالته عمرة عن أم المؤمنين عائشة محفوظا عنده ، فأوعز إليه عمر بن عبد العزيز بتدوين مرويات خالته وقد اختصها بالذكر في كتابه إليه .

ضبط الأحاديث وتدوينها وكتابتها

١ـ في عهد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ :

وهكذا يتضح لنا أن مقولة الساعاتي ناصر الألباني بأن الحديث لم يكتب في عهد رسول الله هي مقولة باطلة ، فبعضه كتب في عهد الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ ولا أدل على ذلك من :

١- الحديث الذي يروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، من أنه كان يكتب كل ما يسمع من النبي ﴿ﷺ وآله﴾ كما جاء في صحيح البخاري في باب كتاب العلم ، وفي سنن أبي داود ومسند الإمام أحمد : أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أريد حفظه . . . فنهتني قريش عن ذلك . . وقالوا : تكتب لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يقول في الغضب والرضا . . فأمسكت حتى ذكرت لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فقال : ﴿ اكتب . . . والذي نفسي بيده ما خرج منه إلا الحق ، وأشار بأصبعه إلى فمه حين قال ذلك ﴾[1] ﴿ﷺ وآله﴾ ، ولهذا سمي عبد الله بن عمرو ابن العاص صحيفته هذه بالصادقة . . وكان يقول لقد حبب الحياة إلي أمران . . أحدهما: هذه الصادقة ، فقد كنت لا أكتب فيها إلا ما سمعت أذناي ، ويقول مجاهد : رأيت عند عبد الله ابن عمرو بن العاص كتابًا فسألته : ما هذا ؟ فقال : هذه الصادقة . . فيها ما سمعته من رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ليس في ذلك بيني وبين رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أحد .

٢- في صحيح البخاري أن النبي ﴿ﷺ وآله﴾ أمر بعد هجرته إلى المدينة أن يحصي له كم عدد الذين يلفظون بالإسلام ، فأحصوا فكان عددهم خمسمائه وألفا ، وأمر ﴿ﷺ وآله﴾

---

(١) رواه أبو داود في كتاب العلم الباب الثالث والدارمي في كتاب المقدمة الباب ٤٣ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١٦٢ ، ١٩٢ .

فكتب أحكام الزكاة وما تجب فيه ، ومقادير ذلك ، فكتبت مشروحة مفصلة في صفحتين وبعث بصورة ذلك إلى أمراء البلاد وولاتها ، وبقيت محفوظة في بيت أبي بكر الصديق وأبي بكر بن عمرو بن حزم ، وكان عند عمال الزكاة رسائل فيها أحكام الزكاة .

٣- كان عند سيدنا علي عليه السلام صحيفة في قراب سيفه كتبت فيها أحاديث تتعلق بالأحكام ورآها الناس لما سألوه عن ذلك (صحيح البخاري ج ٢ ، ١٠٨٤ ، ١٠٢٠)
.

٤- في هدنة الحديبية التي كانت بين المسلمين ومشركي قريش أمر رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ سيدنا عليا فكتب كتاب الهدنة في نسختين أعطى المشركين نسخة وبقيت النسخة الأخرى عند النبي﴿ ﷺ وآله﴾ (ابن سعد في المغازي ص ٧١)

٥- لما ولى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ عمرو بن حزم اليمن وبعثه إليها أعطاه أحكامًا مكتوبة في الفرائض والصدقات والديات (كنز العمال ج ٣ ص ١٨٦)

٦- تلقي عبد الله بن حكيم كتابًا من رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فيه أحكام الحيوانات الميتة (المعجم الصغير للطبراني ص ٢١٧) .

٧- ولما أراد وائل بن حجر أن يرجع إلى بلاده حضر موت ناوله رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ كتابًا فيه أحكام الصلاة والصوم والربا والخمر وغير ذلك (الطبراني في الصغير ص ٢٤٢)

٨- لما وجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب السؤال إلى أصحاب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ إن كان عند أحد منهم سنة عن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ في نصيب المرأة من دية زوجها فقام الضحاك بن سفيان فقال : نعم عندنا كتاب من رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يبين في ذلك (الدار قطني ج ٢ ص ٤٨٥) .

٩- وكتب عمر بن عبد العزيز في خلافته إلى المدينة يسأل عن كتاب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ في أحكام الصدقات فوجدت نسخة عن آل عمرو بن حزم (الدار قطني ص ٤٥١) .

٢ـ في عهد الصحابة :

وهناك الكثير من الروايات التي توضح لنا أن الحديث قد كتب دون شك :

١- قصة مروان يوم خطب في الناس في مكة فذكر حرمتها فقام إليه رافع بن خديج وقال أمام الناس : والمدينة حرم حرمها رسول الله وهو مكتوب عندنا في أديم خولاني ، وإن شئت قرأته عليك ، فقال مروان : أجل قد بلغنا ذلك (مسند الإمام أحمد بن حنبل) .
٢- وجمع همام بن منبه روايات أبي هريرة وهو أكثر الصحابة رواية وأوعاهم حفظًا لأحاديث الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ فصارت تعرف صحيفته بين المحدثين بصحيفة همام ، وقد أوردها الإمام أحمد بن حنبل في الجزء الثاني من مسنده (ص ٣١٢ ، ٣١٨ الطبعة الأولى).
٣- وكذلك بشير بن نهيك وكتب مروياته عن أبي هريرة في كتاب وقرأه عليه (كتاب العلل للترمذي ص ٦٩١ ، والدارمي ص ٦٨) وذكر ابن حجر في كتاب فتح الباري أن أبا هريرة جاء برجل إلى بيته وأراه أوراقًا وقال : هذه رواياتي ، وقال الذي روى ذلك أنها لم تكن مكتوبة بيده (فتح الباري ج١ ص ١٨٤ ، ١٨٥) .
٤- وكان أنس بن مالك وهو معروف بكثرة الرواية يقول لأولاده : يا بني اكتبوا العلم وقيدوه بالكتابة (الدارمي ص ٦٨) وكان تلميذه إبان يكتب رواياته بين يديه (الدارمي ص ٦٨)
٥- وروى عن سلمى قالت : رأيت عبد الله بن عباس يستملي أبا رافع خادم رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ما كان ﴿ ﷺ وآله﴾ يفعل أو يقول (طبقات بن سعد ٢/٢ ص ١٢٣) .
٦- والواقدي وهو من متقدمي المصنفين في السيرة النبوية يقول : رأيت عند عبد الله بن عباس الكتاب الذي أرسله رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ إلى المنذر بن ساوي سيد عمان مع كتب أخرى(زاد المعاد ج٢ ص ٥٧) .
٧- وفي تاريخ الطبري أن عروة بن الزبير كتب جميع ما كان في غزوة بدر مفصلاً إلى عبد الملك الخليفة الأموي (الطبري ص ١٢٨٥) .
٨- وكان عبد الله بن مسعود وهو الذي كان يكثر الدخول على رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ليلاً ونهارًا حتى خيل إلى الناس أنه من أهل البيت يشكو الناس أنهم يكتبون منه عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ لأنه كان لا يستحل أن يكتب غير القرآن حرصًا منه على القرآن أن يلتبس به غيره(الدارمي ص ٦٧) .

٣ـ في عهد التابعين :

١- يقول سعيد بن جبير التابعي : كنت أكتب على الإقتاب ما أسمعه في الليل من عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، فإذا أصبحت كتبته واضحًا (الدارمي ص ٦٩) .

٢- وكان أصحاب البراء بن عازب يكتبون عنده رواياته (الدارمي ص ٦٩) .

٣- وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود أخرج كتابًا وقال : وأيم الله هذا ما كتبته يد ابن مسعود(جامع بيان العلم لابن عبد البر ص ١٧) .

٤- وقال سعيد بن جبير : كنا نختلف في بعض الأمور فنكتب ذلك ثم نأتي عبد الله بن عمر فنعرضه عليه ونخفي عنه ما كتبنا ولو علم به لكانت الفيصل بيننا وبينه ، أي أنه لا يأذن لهم بحضور مجلسه (جامع بيان العلم ص ٣٣) .

٥- ويقول الأسود التابعي : وقعت أنا وعلقمة على صحيفة جئنا بها إلى ابن عمر فمحاها (جامع بيان العلم ص ٣٣) .

٦- وابن زيد بن ثابت (وهو من كتبة الوحي) كان لا يري كتابة شيء إلا القرآن ، فاحتال مروان على أن أجلسه بين يديه وأجلس كاتبًا من وراء الستر يكتب ما يقول ، وفعل مثل ذلك معاوية بن أبي سفيان ، فاستملاه حديثًا ولكن زيد بن ثابت فطن لذلك فألح بمحوه حتى محي (مسند أحمد ج ٥ ص ١٨٢) .

مبلغ علم الألباني :

الساعاتي ناصر الألباني حوت كتبه تناقضات وأخطاء ، ويتعدى على الصحيحين ، وهو جاهل باللغة العربية ، ولا يعرف علم الجرح والتعديل ولم يسلم من لسانه كبار المحدثين والمفتونون به لا معرفة لهم بعلم الحديث ، وبالتالي فلا يشهد الحداد على العطار ولا يشهد العطار على النجار ، وهو عميل للوهابية والصهيونية .

وإليك أدلة الإثبات على أن الألباني ، لو كان عنده شيء من العلم لما استجاز أن يرد أحاديث الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ بتأويل فاسد :

محمد ناصر الألباني شديد الولوع بتخطئة الحذاق من كبار علماء الإسلام ، ولا يحابي في ذلك أحدًا كائنًا من كان ، فتراه يوهم البخاري ومسلمًا ، ومن دونهما ، ويغلط ابن عبد البر وابن حزم وابن تيمية والذهبي وابن القيم وابن حجر والصنعاني والشوكاني ، ويكثر

من ذلك حتى يظن الجهلة والسذج من العلماء ، أن الألباني نبغ في هذا العصر نبوغا يندر مثله .

وهذا الذي ينم عنه ما يتبجح به الألباني في كثير من المواطن ، ويلفت إليه أنظار قارئيه فتارة يقول : اغتنم هذا التحقيق فإنك لا تجده في غير هذا الموضع (يعني عند غيره من المصنفين) ، وتارة يدعي أنه خصه الله تعالى في هذا العصر بالوقوف على زيادات الحديث الواردة في مختلف طرقه ، المنتشرة في الكتب المبعثرة ، وبذلك وصل إلى ما لم يصل غيره من المحققين السابقين ولا اللاحقين .

ولكن من كان يعرف الألباني ، ومن له إلمام بتاريخه ، يعرف أنه لم يتلق العلم من أفواه العلماء ، وما جثا بين أيديهم للاستفادة ، وإنما العلم بالتعلم ، فماله وللعلم ، ولم يتعلم ، وقد بلغني أن مبلغ علمه وجل مهارته في تصليح الساعات ، ويعترف بذلك هو ويتبجح به.

ولازم ذلك أنه والله لا يعرف ما يعرفه آحاد الطلبة الذين يشتغلون بدراسة الحديث في عامة مدارسنا ومن أمثلة ذلك :

(١) أنه يقرأ ((تصدق بأتوار من الأقط) ويفسره هكذا (أتوار جمع تور بالمثناة الفوقية : إناء من صفر ، (الصحيحة ٢ / ١٦١) .

وآحاد الطلبة يعرفون أن الصواب ((بأثوار من الأقط)) والأثوار جمع الثور ، وهو قطعة من الأقط ، كما في النهاية (١ / ١٦٣) .

(٢) ومنها زعمه أن المباركفوري صاحب التحفة حنفي ، كما في فهرس ((المسح على الجوربين)).

والواقع أن المباركفوري من مشاهير الشاذة المعاندين للأئمة الأربعة ، وإن كان الألباني في شك من هذا فليسأل تلميذه : الشيخ تقي الدين المراكشي الهلالي . راجع كتاب (الألباني وشذوذه وأخطاؤه الجزء الأول للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي) .

تناقضات وأخطاء ناصر الألباني :

لقد ناقض : الرجل نفسه ولم يصدق فقد ضعف أحاديث في البخاري وكذا في مسلم ولا بد من التمثيل عليها لإثبات البرهان والدليل على ما نقول :

١- حديث : " قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره " [١] .

قال الألباني في ((ضعيف الجامع وزيادته)) (٤ / ١١١ برقم ٤٥٠٥) :

رواه أحمد والبخاري عن أبي هريرة ((ضعيف)) !!!.

٢- حديث : ((إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها)) [٢] .

قال الألباني في ((ضعيف الجامع وزيادته)) (٢/١٩٧ برقم ٢٠٠٥) :

رواه مسلم عن أبي سعيد " ضعيف " !!! .

٣- حديث : ((إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صرته بركعتين خفيفتين)) [٣] .

قال الألباني في ((ضعيف الجامع وزيادته)) (٢١٣/١ برقم ٧١٨) :

رواه الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة ((ضعف)) !!! .

٤- حديث : ((من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال)) [٤] .

قال الألباني في ((ضعيف الجامع وزيادته)) (٢٣٣/٥ برقم ٥٧٧٢) .

رواه احمد ومسلم والنسائي عن أبي الدرداء ((ضعيف)) !! .

تعدي الألباني على الصحيحين :

والصحيحان هما أصح الكتب بعد كتاب الله باتفاق علماء المسلمين من المحدثين وغيرهم فقد امتازا على غيرهما من كتب السنة بتفردهما بجمع أصح الأحاديث الصحيحة ، وطرح الأحاديث الضعيفة والمتون المنكرة ، على قواعد متينة ، وشروط دقيقة ، وقد وفقوا في

---

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع الباب ١٠٦ وكتاب الإجازة الباب العاشر وابن ماجة في كتاب الرهون الباب الرابع وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٣٥٨ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الطلاق الحديث ١٣ ، ١٤ وأبو داود في كتاب الأدب الباب ٣٢ وأحمد في الجزء الثالث صفحة ٦٩ .

(٣) رواه مسلم في كتاب المسافرين الحديث ١٩٧ ، ٢٠٠ وأحمد في الجزء السادس صفحة ٣٠ .

(٤) رواه مسلم في كتاب المسافرين الحديث ٢٥٧ وأبو داود في كتاب الملاحم الباب ١٤ والترمذي في كتاب ثواب القرآن الباب السادس واحمد في الجزء الخامس صفحة ١٣ ، ١٩٦ ، والجزء السادس صفحة ٤٤٦ ، ٤٤٩ .

ذلك توفيقًا بالغًا لم يوفق إليه من بعدهم ممن نحا نحوهم في جمع الصحيح ، كـــابن خزيمـــة ، وابن حبان ، والحاكم ، وغيرهم حتى صار عرفًا عامًا أن الحديث إذا أخرجه الشـــيخان أو أحدهما فقد جاوز القنطرة ودخل في طريق الصحة والسلامة ، ولا ريب في ذلك ، وأنه هو الأصل عندنا .

والألباني يثبت في كتبه تعديه على الصحيح وحكمه بالنكارة أو الشذوذ على بعض الألفاظ ، وقد أبلغ في الرد على نفسه . لكنه استدرك أو تناقض فقال : ((وليس معنى ذلـــك أن كل حرف أو لفظة أو كلمة في الصحيحين هو بمترلة ما في القرآن لا يمكن أن يكون فيـــه وهم أو خطأ في شيء من ذلك من بعض الرواة . كلا فلسنا نعتقد العصمة لكتـــاب غـــير كتاب الله تعالى أصلاً ، فقد قال الإمام الشافعي وغيره : أبى الله أن يـــتم إلا كتابـــه . ولا يمكن أن يدعي ذلك أحد من أهل العلم ممن درسوا الكتابين دراسة تفهم وتدبر مـــع نبـــذ التعصب ، وفي حدود القواعد العلمية الحديثية)) .

أ . (راجع كتاب تناقضات الألباني الواضحات للشيخ حسن بن علي السقاف) .

كلام الألباني احتوى على مخالفتين :

الأولى : من المعروف عند المحدثين وغيرهم أن أحاديث الصحيحين تلقتها الأمة بـــالقبول ، ولذلك كانت صحيحة ، لأن الأمة معصومة من الخطأ .

وهذا التلقي بالقبول خاص بما لم ينتقده الحفاظ ، وأن هذا الانتقاد لا يخرج هذه الأحاديث المنتقدة عن الصحة غالبًا . هذا ما قرره الأئمة الحفاظ وغيرهم من الفقهاء والأصـــوليين . لكن الألباني في كلامه خطورة كبيرة حيث إنه أطلق الأمر ، وجعل لأي مـــدع الحـــق في الحكم على أحاديث الصحيحين بما يراه في حدود ((القواعد العلمية الحديثية)) . وهنـــا تناقض آخر منه لأن القواعد العلمية الحديثية تقرر عكس ما يقوله تمامًا فهي مشرقة وهـــو مغرب وشتان بين مشرق ومغرب. فالقواعد العلمية الحديثية تقرر أن أحاديث الصحيحين صحيحة جداً ولا يجوز النظر في أسانيدها سوى أحرف يسيرة معروفة تكلم عليها بعـــض الحفاظ كالدارقطني ، فلا بد أن يقيد الألباني كلامه بهذا القيد الهام جدًا الذي إن تعـــداه – وقد حصل – يكون قد خالف الإجماع وحكم على الأمة بأنها غير معصومة وقد اجتمعـــت على خطأ والله الهادي للصواب .

الثانية : قول الألباني : ((فلسنا نعتقد العصمة لكتاب بعد كتاب الله أصلاً)) .
هذه والله سقطة شنيعة ، فمن المعلوم أن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق ، وكلام الله صفة من صفاته ، فكيف يعتقد من يدعي السلفية العصمة لصفة من صفات الله تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا ، وهذا كلام لا يقوله إلا معتزلي يؤمن بخلق القرآن ونظيره قوله : ((والعصمة لله وحده)) انظر صحيحته (٤ / ٤٢٩) ومقدمة الطحاوية (ص ٢٧) ومقدمة رياض الصالحين صفحة (س) فأثبت عصمة وهي تقتضي عاصمًا ومعصومًا ومعصومًا منه .
وبقوله : ((وحده)) يكون قد نفى العصمة عن الأنبياء والمرسلين ، بالإضافة إلى إثباته صفة لله عز وجل بدون توقيف وصفات الله توفيقية . وهي لفظة في نهاية السقوط والبطلان ، ولو صدرت من مخالف له وتنبه لها لاتهمه بطامات ولعده من أهل البدع والأهواء ، ولكنني لا أحكم على عباد الله عز وجل بهذه الفظائع . والمقصود أنه غفل غفلة شديدة ، وهو لا يعذر هنا بجهله ، والله أعلم .

جهل الألباني باللغة العربية :

١- ومن هذا القبيل قوله في الصحيحة : (سنة الجمعة والمغرب القبليتين) ولو أنه تحرى الصواب لقال : (سنة الجمعة وسنة المغرب القبليتان) .

٢- قال في ((صحيحته)) (٤/٨٨) : (وجوب الأخذ بيد الظالم) أهـ .

وهذا لحن وخطأ ، والصواب أن يقول : ((وجوب الأخذ على يد الظالم)) لأن الأخذ بيد الظالم لغة هو مساعدته في ظلمه ، وقد اغتر الشيخ بورود هذه الكلمة في بعض طرق الحديث الذي غلط فيه أحد رواته ! .

٣- قال في ((صحيحته)) (٢ / ٢٥٤) في حديث : " ثلاثة لا يقبل منهم صلاة : ورجل صلى على جنازة ولم تويز " وعلق في الحاشية على لفظة " تويز " فقال : " كذا الأصل المصور ، ولم يتبين لي الصواب " أ هـ .

قلت : (تويز) لا معنى لها في اللغة العربية ولا دخل لها في هذا الحديث ، والصواب والأصل هو " يؤمر " فتكون الجملة (ورجل صلى على جنازة ولم يؤمر) فلم يستطع قراءتها .

مع أنها مرت عليه في الترغيب والترهيب (ص ١٩٥ رقم الحديث ٤٨٤ صحيح الترغيب !) ولكنه كثير الغفلة ! .

٤- يقول في ((سلسلته الضعيفة)) (٢/٣٣٣) ما نصه : ((إن حماد له أوهامًا)) . أ هـ.
فعكس عمل ((إن)) فجعله عمل ((كان)) وأخواتها وهذا قلب صريح لمقاييس اللغة !!
والصواب أن يقول : ((إن حمادًا له أوهام)) . وما ((تويز)) منه ببعيد !! .

٥- ويقول في ((صحيحته)) !! (٤ / ٣١٥) في حديث رقم (١٧٣٦) : ((على كل زوجة سبعون حلَّةٍ يبدو مخ ساقها)) أ هـ .
هكذا يخفض آخر حرف من كلمة ((حلة)) لأنه فاقد للتمييز !! . فالتمييز عنده بالكسر خلافًا للعرب !!! . وهكذا تعاكس شذوذاته أهل الفن في جميع المجالات !! ولله في خلقه شؤون !! .

٦- ويقول في(سلسلته الصحيحة) (١/ ٤٧) ما نصه ((لكنهما غير متهمان)) أ هـ .
قلت : لو تحرى الصواب لعرف أن الصحيح أن يقول : ((لكنهما غير متهمين)) . وهذا مما يدلك على أن هذه أغلاط طبعية لا أخطاء مطبعية !! ولدينا مزيد من ذلك ندخره لوقت الحاجة والله المستعان !! .

ناصر الألباني لا يعرف علم الجرح ولا التعديل :

لقد تخبط الألباني في توثيق الرواة وتجريحهم ، وكلامه في الرجال أخطاؤه أيضًا عديدة فتراه في ترجمة الراوي على كتاب أو اثنين ، فيظهر عند ذلك قصوره ، أضف إلى ذلك تعنته وعدم اتباعه للمقرر عند أهل الحديث كثيرًا وهناك بعض الأمثلة التي توضح ذلك :

١- عبيد الله بن أبي بردة .
قال الألباني (١ / ٨٧) : لم يوثقه أحد حتى ولا ابن حبان ، فلا تغتر بقول المنذري ورجاله ثقات . أ هـ .
قلت قال الحافظ في التهذيب (٧ / ٤٩) : أخرجه الضياء في المختارة ومقتضاه أن يكون عبيد الله عنده ثقة . أهـ .
فالرجل ثقة ، والحافظ المنذري أصاب في قوله :(رجاله ثقات) ، والله أعلم .

٢- جري بن كليب النهدي الكوفي .

قال الألباني (١ / ٩٧) : لم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي . أ هـــ .
قلت : بل روى عنه غيره : قال الحافظ في التهذيب (٢ / ٧٨) : روى عنه أيضًا يـــونس بن أبي إسحاق ، وعاصم بن أبي النجود وحديثهما عنه في مسند أحمد . أ هـــ والذي أوقع الألباني فيما تراه هو اعتماده على كتاب واحد هو الميزان فانظره (١ / ٣٩٧) .
٣- عمرو بن علقمه بن وقاص الليثي .
قال الألباني (١ / ٢١٤) : عمرو هذا في عداد المجهولين وإن صحح له الترمذي . أ هـــ.
قلت : هذا تطاول غير مقبول على أحد أئمة الحديث الذي قال له البخاري : استفدنا منك أكثر مما استفدت منا .

ناصر الألباني لم يسلم من لسانه كبار المحدثين :

١ـ الحافظ السيوطي

اعلم أخي القاريء أن الألباني يتطاول على الإمام الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى ويصـــفه بأنه يجعجع ، فيقول عنه في ((ضعيفته)) (٤ / ١٨٩) : ((وجعجع حوله الســـيوطي في اللآلي دون طائل)) أ هـــ .
* وقال في ضعيفته (٣ / ٤٧٩) بدون أدب !!!
" فياعجبًا للسيوطي كيف لم يخجل من تسويد كتابه ((الجامع الصغير)) بهذا الحديث . . " أهـــ؟!.
وقال هذا المؤدب !! أيضًا في ـــ(ضعفيته) (٣ / ١٨٧) : " ومع هذا فقد تجرأ السيوطي أو غفل فسود الحديث الجامع الصغير . . " أ هـــ .
وهل سلم الألباني من التجرؤ ؟ !! .
وقال في ((ضعيفته)) (٣ / ٣٦٠) : " والحديث مما سود به السيوطي جامعه الصغير " أ هـــ .

٢ـ الحافظ الذهبي :

* قال الألباني في كتابه الفذ !! " غاية المرام " ص (٣٥) منتقضًا الحافظ الذهبي ما نصه :

" فلم وافق الحاكم على تصحيح إسناده ؟! وكم له مثل هذه الموافقات الصادرة عن قلة نظر وتحقيق . . أ هـ !! .

فالذهبي في نظر فضيلته !! قليل نظر وتحقيق !! .

ويقول أيضًا في " ضعيفته " (٤ / ٤٤٢) عن الحافظ الذهبي واصفًا إياه بالتناقض !! عائبًا !! ما نصه:

" فتأمل مبلغ تناقض الذهبي ! لتحرص على العلم الصحيح وتنجو من تقليد الرجال " أهـ !! .

فالذهبي متناقض بنظر فضيلته !! وفاقد للعلم الصحيح !! وإنما صاحب العلم الصحيح هو الألباني الذي استأثره الله به !! لتروج تجارته في الكتب المتناقضة !! فالله المستعان !! .

فليس له أو لأي متشيع له مفتون به ! يتعصب له أو من يُنصِّب نفسه دريئة له ممن ينصت لوحيه المشئوم أن يحتج بما يقع للحافظ الذهبي أو غيره ، وليس له أن يُحرِّم علي غيره ما يستبيحه لنفسه .

وإذا كان يتعذر ويسوغ لنفسه التناقض فلم يعيبه على غيره ؟! .

قال الألباني في(ضعيفته) (٤٠٢/٣) ما نصه :

" فلا يفيد بعد الاطلاع على هذا أن ابن خزيمة أخرجه ، لاسيما وهو معروف عند أهل المعرفة بهذا الفن أنه متساهل في التصحيح ، علي نحو تساهل تلميذه ابن حبان الذي عرف عنه الإكثار من توثيق المجهولين أ هـ . . . فتأملوا !! .

٣ـ الحافظ الحاكم :

قال الألباني في " ضعيفته " (٣ / ٤٥٨) معترضًا !! بزعمه !! على الحافظ الحاكم صاحب " المستدرك " مستخفًا به ما نصه :

" ولذلك فقد أخطأ الحاكم خطأ فاحشًا " أ هـ .

وأقول له : وأغلاطك أليست فاحشة ؟! .

٤ـ الحافظ ابن الجوزي :

قال في (صحيحته) (١ / ١٩٣) : " ولذلك فقد أساء ابن الجوزي بإيراده لحديثه في (الموضوعات) ! على أنه تناقض ، فقد أورده أيضًا في (الواهيات) يعني الأحاديث الواهية غير الموضوعة أ هـ !! .

٥ـ الحافظ ابن حجر :

من العجيب الغريب حقًا أن يتطاول الألباني على حفاظ الأمة والعمد من الأئمة !! فيرميهم بالتناقض والإساءة والذهول والغفلة ثم متى وقع في المصيدة واشتد الخناق عليه استغاث وتحجج بأخطاء وقعت لهؤلاء الحفاظ بعد أن كان قد هوَّلها وطوَّلها وعرَّضها وتبجح بها عليهم !! وإذا به الآن يدلس ويصحف فيقلب لام التهويل نونًا يهون من أمرها ويستتر بها وكان قبل ذلك قد عابها ونقص أصحابها !! .
مع أنها لا تعدو عشر معشار معشار ما هو غارق فيه من التناقض والغلط والتلاعب !! فهل يدافع أو يصلح الخطأ بالخطأ ؟! أم لابد له أن يعترف الآن بأنه صاحب غلط وخطأ وتناقض وأنه دن أولئك الجهابذة بكرات ومرات ؟ !! بل لا يساوي شيئًا !! .

٦ـ الحافظ السبكي :

ولم يتأدب الألباني مع الحافظ السبكي رحمه الله تعالى مع كونه صرح بضعف الحديث كما حكم عليه الألباني ! ولم يعتبر بتأديب العلماء بعضهم مع بعض وذلك لعصبية مقيتة ربطت على قلبه تجاه الإمام الحافظ السبكي رحمه الله تعالى ! ولم يتأس بقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في إنكاره على ابن طاهر حينما تعدى على إمام الحرمين بعبارة قاسية فقال الحافظ ابن حجر منكرًا عليه كما في " التلخيص " (٤ / ١٨٣) .

ناصر الألباني عميل للوهابية والصهيونية :

أـ عمالته للوهابية :

إعلم أن الألباني يصحح أحاديث موضوعة وضعيفة فيها ذكر فضائل لمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص شغبًا وتأييدًا للنواصب وهو مخطيء وخاطيء في ذلك لأن هذه الأحاديث

لا يمكن أن تصح حسب موازين علم الحديث زيادة على تصريح الحذاق من أهل هذا الشأن من كبار المحدثين بعدم صحتها .

١- يقول الألباني في حق معاوية أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ قال : ((اللهم اجعله هاديًا مهديًا واهد به)) وهذا حديث لا يصح بحال من الأحوال .

٢- ومن تلك الأحاديث التي صححها الألباني مما يتعلق بنصره مذهب التعصب أحاديث أوردها في صحيحته (١ / ٢٣٨ رقم ١٥٥) قول عن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ (أسلم الناس وأأمن عمرو بن العاص) وهذا الحديث أورده الألباني مع ركاكة لفظه وضعف إسناده .

٣- أورد الألباني في " ضعيفته " (٣ / ٢٥٣) حديث بريده " ((كان أحب النساء إلى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فاطمة ، ومن الرجال علي)) [1] وحكم عليه بالبطلان !! فقال : باطل .

وقال الترمذي : ((هذا حديث حسن)) وقال الحاكم : " صحيح الإسناد " ووافقه الذهبي!! .

ب- عمالته للصهيونية :

أفتى الساعاتي ناصر الألباني بوجوب هجرة أهل فلسطين المقيمين في الأراضي المحتلة وترك ديارهم ووطنهم لليهود ! وحجته في ذلك أن أهل فلسطين يتعرضون للأذى في دينهم وأعراضهم وأموالهم على يد إسرائيل ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام هاجر من مكة وتركها للكفار .

(مجلة الحرس الوطني – السعودية – السنة الرابعة عشرة – العدد (١٣٤) ربيع الآخر ١٤١٤ هـ – أكتوبر ١٩٩٣ م)

و نقول للساعاتي ناصر الألباني ((إن دعوة أهل فلسطين إلى الهجرة من ديارهم هي قرة عين إسرائيل ، وإن تشبيه أهل فلسطين بأهل مكة هو تشبيه في غير مكانه ، ولا يجوز لأحد أن يعقد مثل هذا التشبيه إلا إذا كان عميلاً لإسرائيل .

(١) رواه الترمذي في سننه ٣٨٦٨ وفي مناهل الصفا ٣٤.

ولوع الألباني بنقض كلام ابن تيمية :

أنتقى لك أمثلة من رد الساعاتي ناصر الألباني على ابن تيمية وتزييفه لكلامه يقول الألباني في تعليقه على حقيقة الصيام :

١- قال ابن تيمية : وقال . . . (فضيقوا مجاريه بالجوع والصوم) قال الألباني : لا أعلم لها أصلاً في شيء من كتب السنة المطبوعة أو المخطوطة . . . ، ومن العجائب أن يخفي ذلك على مثل المؤلف (ابن تيمية) (ص ٥٦) .

٢- قال ابن تيمية : ثبت في الصحيح أن النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ احتجم وهو صائم محرم ، قال الألباني : ليس الحديث بهذا اللفظ في أحد الصحيحين .

٣- ذكر ابن تيمية في الكلم الطيب حديث ابن عمر ، أنه خدرت رجله ، فقال له رجل : أذكر أحب الناس إليك ، فقال : يا محمد ، وذكر نحوه عن ابن عباس ، فقال الألباني في الأول : إنه ضعيف ، وفي الثاني : إنه موضوع .

٤- ويقول في صحيح الكلم الطيب : أنصح كل من وقف على هذا الكتاب (الكلم الطيب لابن تيمية) وغيره : ألا يبادر إلى العمل بما فيه من الأحاديث ، إلا بعد التأكد من ثبوتها ، وقد سهلنا له السبيل إلى ذلك بما علقنا عليه ، فما كان ثابتًا منها عمل به . . . وإلا تركه ، (صحيح الكلم الطيب ص ٤) .

وليس يعني الألباني بذلك إلا أنه يجب على الناس أن يتخذوه إمامًا ، ويقلدوه تقليدًا أعمى ، ولا يعتمدوا على ابن تيمية ولا على غيره من الثقات الأثبات من المحدثين ، في ثبوت الأحاديث حتى يسألوا الألباني ويرجعوا إلى تحقيقاته .

أيها المفتونون بالألباني :

وأختم هذا الفصل من سلسلة ((تناقضات وأخطاء الألباني الواضحات)) وتعديه على الصحيحين، وعلى جهله باللغة العربية ، وعدم معرفته لعلم الجرح والتعديل وكذلك الاتهامات التي يفتريها على كبار المحدثين هم أبرياء منها كما أثبتنا وبرهنا ، وعمالته للوهابية والصهيونية ، وقد هدمناها على رأسه ما يفتخر بها هذا الألمعي عند من فتن به من سذج الطلاب والمنتفعين الحيارى ، يتبين ويظهر ظهورًا جليًا واضحًا أن ما يقوله أولئك المفتونون به – الفاقدون للتمييز – ما هو إلا هباء منثورا وخصوصًا أنهم ليسوا بمستوى من

المعرفة يؤهلهم أن يكشفوا تلك الطامات ، وإنما هم مقلدون جامدون أشـــربت قلـــوبهم الافتتان الخاطيء بهذا الرجل الذي ما هو إلا ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ [1] .

(١) سورة النور – آية ٣٩

الباب التاسع

فكر الخوارج وعلاج التطرف والإرهاب

مافيا التطرف والإرهاب الذي روع الإنسانية قديمًا وحديثًا هو نتاج فكر خوارج المسيحية ومافيا التطرف والإرهاب الذي انتهك حرمات الأمة الإسلامية في الماضي والحاضر هو نتاج فكر خوارج الإسلام .

فكر خوارج المسيحية :

كانت الشعوب الأوربية تخضع لهيمنة الكنيسة المسيحية باعتبارها القيادة الدينية لتلك الشعوب، ولكن تحجر الكنيسة وممارستها للإرهاب الفكري في العصور الوسطي كان من أسباب ثورة الناس علي الكنيسة، وتمردهم علي سلطالها الروحي، وانبثاق ما يسمي بعصر النهضة الأوروبية وفق المنهج المادي المناوئ للدين .

فقد تجمدت عقلية المسيطرين علي الكنيسة آنذاك على أفكار ونظريات اعتبروها دينا، وفرضوها علي الناس بالقوة، وصادروا حرية التفكير والبحث العلمي، فأي كاهن أو راهب يتجرأ على مناقشة المسلمات الفكرية للكنيسة، أو يدعو إلى تطويرها، كان يحكم بكفره وزندقته، أو يطرد من رحاب الكنيسة، لا بل يعاقب بالموت شنقًا أو حرقًا !! .

فالتسامح ممنوع في شئون المعتقدات، ولغة التكفير والإعدام هي لغة التعامل مع المخالفين وقد سن الملك الفرنسي (شارلمان) قانوًا يقضي بإعدام كل من يرفض أن يتنصر .
وأصبحت حرية الفكر جريمة يعاقب عليها بمنتهى القسوة، حتى تأسست محاكم التفتيش سنة ١١٨٣ م والتي تولى شؤوها رجال الدين للدفاع عن المعتقدات، وكانت التهمة أو الوشاية كافية لإحراق المتهم بعد التنكيل به . (راجع كتاب التعدية للشيخ حسن نصار).

أمثلة من أعمال خوارج المسيحية :

١- فقد ظهر في مقاطعة بريثانيا بفرنسا أواخر القرن الثاني عشر مفكران مصلحان أولهما يدعي (أموري البنياوي) وثانيهما (داود الديانتي) تلميذه ورفيقه وكانا يهاجمان جمود الكنيسة وتحجرها وديكتاتوريتها، فشكلت الكنيسة لهما ولأتباعهما محكمة عاجلة حكمت عليهما وعلى أتباعهما بالحرق بالنار، وأحرق بالفعل عدد من الأتباع أما المفكران فقد هربا حتي ماتا مختفيين فأمرت الكنيسة بنبش قبريهما وإحراق رفاقهما !! .

٢- والراهب الفيلسوف الإيطالي (جورد انوبرونو) وهو من أبناء الكنيسة ورجالها، ولكنه كان ينادي بضرورة العلم وضرورة التجربة فيه وبحرية التفكير وابداء الرأي، فاقهم بالمروق وأحرق في مدينة روما .

٣- كما حكموا بكفر الراهب البوهيمي الدكتور (جون هيس) وأحرقوه بالنار لأنه يخطب باللغة البوهيمية التى يفهمها الناس لا اللاتينية ويخالف تحجر الكنيسة سنة ١٤١٥م.

٤- والراهب الهولندي (هرمان فان ريزويك) أحرق بتهمة المروق عام ١٥١٢م في مدينة لاهاي عاصمة هولندا لإعجابه واتباعه لمذهب أرسطوا وفلسفة الفليسوف العربي ابن رشد.

٥- لقد حرق رجال الكنيسة الكتاب المقدس، وادخلوا في الدين المسيحي آراءهم البشرية، ثم فرضوا علي عقول الناس أن تتوقف عند حدود هذه الآراء والنظريات، وعارضوا تجارب العلم، وتطوير الفكر، بل بالغوا في القسوة ضد المخالفين لهم .

٦- ويقدر أن من عاقبته محاكم التفتيش يبلغ عددهم ثلاثمائه ألف أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحياء !! كان منهم العالم الطبيعي المعروف (برونو) نقمت منه الكنيسة آراء من أشدها قوله بتعدد العوالم، وحكمت عليه بالقتل، واقترحت بألا تراق قطرة من دمه، وكان ذلك يعني أن يحرق حيا، وكذلك كان .

٧- وهكذا عوقب العالم الطبيعي (غاليلو) بالقتل لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس .

فكر خوارج الإسلام :

وبينما كانت الشعوب الأوربية تعيش هذا الوضع المأسوي في ظل القمع والإرهاب كان الإسلام يبني حضارته المجيدة على أساس الحرية والتسامح والعلم، فالإسلام لا يلغي دور

العقل بل يجعله المصدر والمرجع في الحياة فعن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ﴿ قوام المرء عقله ولا دين لمن لا عقل له ﴾ [1] وما دام الإسلام يشجع العقل على ممارسة دوره القيادي في حياة الإنسان فلا بد وأن يزيل العقبات والحواجز من طريقه .

وأكبر حاجز وعقبة تشل فاعلية عقل الإنسان، وتعطل قدراته الذهنية، هو الإرهاب الفكري ومصادرة حرية الرأي وحينئذ تتضاءل إنسانية الإنسان، وتتلاشي كفاءاته .

جاء الإسلام مبشرًا بالحرية، داعيًا إلى التسامح، مؤكدًا علي كرامة الإنسان وقيادته للعقل . . يقول الله تعالى مبينًا دور النبي محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [2] .

حرية العقيدة في الإسلام :

ولو أراد الله تعالى قسر الإنسان على الإيمان في هذه الحياة لخلقه على هيئة الملائكة ولسلب منه حرية الإرادة والاختيار، ولكنه شاءت حكمته أن يكون الإنسان حرًا مختارًا يستخدم عقله، ويمارس إرادته وينتخب طريقه . .

والأنبياء يقتصر دورهم على التذكير والتوجيه، وليست لهم صلاحية الإكراه والجبر وهذا ما تؤكد عليه آيات عديدة في القرآن الحكيم يقول الله تعالى :

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [3]

﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [4]

﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [5]

﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [6]

---

(١) أورده العلامة ابن حجر في المطالب العالية ٢٧٤٧

(٢) سورة الأعراف – آية ١٥٧

(٣) سورة الغاشية – آية ٢١ – ٢٢

(٤) سورة ق – آية ٤٥

(٥) سورة يونس – آية ٩٩

(٦) سورة البقرة – آية ٢٥٦

وقد روي أن سبب نزول هذه الآية ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ هو النهي والتحذير لأحد أصحاب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وهو رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين والذي كان له ابنان نصرانيان فأراد أن يجبرهما علي اعتناق الإسلام، فأنزل الله تعالى هذه الآية دفاعًا عن حرية العقيدة، ومنعاً للإرهاب والقمع الفكري .

حرية الفكر في الإسلام :

والملفت للنظر أن فهم آيات القرآن وتفسيرها هي وظيفة عقل الإنسان وفكره، حيث لم يفرض الإسلام إلى جانب القرآن تفسيرًا منصوصاً محددًا يلزم به كل مسلم، بل دعا الناس إلى استخدام عقولهم في تفهم القرآن وتدبر آياته :

يقول الله تعالى :

﴿ أفلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (١)

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٢)

﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾ (٣)

أما إذا أشكل على الإنسان شئ في فهمه لآية من القرآن الحكيم أو تشابهت عليه معاني الآيات، فعليه أن يرجع إلى الراسخين في العلم ويسأل أهل الذكر : ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

ونتيجة لهذه الحرية الفكرية التى أرساها الإسلام في مجتمعه تعددت المدارس العقائدية والمذاهب الفقهية ونبغ علماء الطبيعة والمخترعون والمكتشفون، فإعمال الفكر مطلوب في الإسلام، ينال صاحبه عليه الثواب، حتى وإن لم يوفق للصواب شرط صحة المنهج فالمجتهد إذا أصاب له أجران، وإذا اخطأ له أجر واحد كما هو مفاد الحديث الشريف .

(١) سورة محمد – آية ٢٤
(٢) سورة ص – آية ٢٩
(٣) سورة النساء – آية ٨٢
(٤) سورة النحل – آية ٤٣

التسامح في الإسلام :

فليس في الإسلام محاكم للتفتيش، ولا يحق أن يمارس دور الوصاية والرقابة علي أفكار الناس ونواياهم ومشاعرهم، والانتماء إلى الإسلام والعضوية في مجتمعه لا تحتاج إلى شهادة أو قبول من أحد، وبذلك لا يمتلك أحد حق الحكم بطرد أحد من إطار الإسلام ما دام يعلن قبوله بالإسلام حتي لا تكرر مآسي التكفير والاتهام بالزندقة والمروق الذي كانت تفعله الكنيسة كما سبق .

مافيا التطرف والإرهاب عند خوارج الإسلام :

إن التفكير والاتهام بالزندقة والمروق هو مظهر للإرهاب الفكري، حيث يدعي البعض لنفسه أن الإسلام ينحصر فيما يراه ويفهمه هو، وأن من يخالفه في ذلك الفهم أو الرأي والمذهب فهو كافر لا مكان له في أجواء الإسلام ومجتمعه ! ولقد حذر رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ من أن يشهر مسلم على أخيه المسلم سلاح التفكير، ففي الحديث الصحيح : ﴿ من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ﴾ [1] .

موقف أئمة الإسلام من الخوارج :

ولم يكن مبدأ التسامح مجرد فكرة نظرية أو خلق مثالي، بل كان سياسة ونظامًا اجتماعيًا طبقه رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ في حياته وذلك ملحوظ في تعامله مع المنافقين، حيث لم يكفرهم ولم يطردهم من مجتمع المسلمين ولم يقاتلهم، وبعد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، ينقل لنا التاريخ صفحات رائعة من حالة التسامح التى كانت سائدة في حياة المسلمين، ومن أروع الصفحات :

١- موقف الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام من مخالفيه ومناوئيه، فعلى عليه السلام لم يحكم على من اختلف معه في الفهم أو الموقف بالخروج عن حظيرة الإسلام، ولم يحرمهم من حقوقهم كأعضاء في المجتمع الإسلامي .

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب الباب ٧٣ ومسلم في كتاب الإيمان الحديث ١١١ ومالك في الموطأ في كتاب الكلام الحديث الأول وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١٨، ٤٤، ٦٠، ٧٧، ١٠٥، ١١٣

ورغم أن المتمردين علي الإمام على من الخوارج، تجرأوا حتى علـــي تكفـــيره، واتهمـــوه بالشرك، ولكنه عليه السلام رفض أن يبادلهم التهمة، بل اعترف لهم بالإســـلام وعاملـــهم معاملة سائر المسلمين .

٢- وينقل عن إمام المذهب الحنفي أبو حنيفة أنه قد جلس بالمسجد يومًا، فدخل عليه بعض الخوارج شاهري سيوفهم، فقالوا يا أبا حنيفة نسألك عن مسألتين، فإن أجبت نجـــوت وإلا قتلناك

قال اغمدوا سيوفكم فإن برؤيتها ينشغل قلبي . قالوا : وكيف نغمدها ونحن نحتسب الأجر الجزيل بإغمادها في رقبتك ؟ .

قال : سلو إذن . قالوا : جنازتان بالباب : إحداهما رجل شرب الخمر فمـــات ســـكرانا، والأخري : امرأة حملت من الزني فماتت في ولادتها قبل التوبة، أهما مؤمنان أم كافران ؟

فسألهم : من أي فرقة كانا ؟ من اليهود ؟ قالوا : لا، قال : من النصاري ؟ قالوا : لا، قال : ممن كانا ؟ قالوا : من المسلمين : قال : قد أجبتم !

قالوا : هما في الجنة أم في النار ؟

قال : أقول فيهما ما قال الخليل عليه السلام فيمن هو شر منهما ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّـــي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) وأقول كما قال عيسي عليه السلام : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) فنكسوا رؤوسهم وانصرفوا .

إن هذا المرض المقيت يسبب تحجر الفكر، ويؤدي إلى الإرهاب الفكري، وينتج الصـــراع والتراع في المجتمع .

من هنا يربي الإسلام أبناءه على خلق التسامح واحترام الرأي والبحث عن الحق واستماع القول لإتباع أحسنه، ويحذرهم من التعصب المقيت وادعاء الحق المطلق .

---

(١) سورة إبراهيم – آية ٣٦

(٢) سورة المائدة آية ١١٨

مآسي الإرهاب الفكري :

في عصور الإسلام الأولي كان التسامح واحترام الرأي هو الخلق الاجتماعي السائد الذي ينظم حرية الفكر، ولكن بعد بروز الانحراف السياسي في حياة المسلمين، وضعف الالتزام بمبادئ الإسلام وأخلاقه وتعاليمه، ابتلي المسلمون بمآسي الإرهاب الفكري في العديد من الفترات والعهود، والخوارج هم أول من مارس هذا النوع من الإرهاب الفكري في تاريخ المسلمين حيث كفروا من يخالفهم في الرأي أو الموقف السياسي حتى وإن كان على بن أبي طالب عليه السلام أول الناس إسلاما واسبقهم إيمانًا وأقربهم من رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ .

وحدثت من جراء ذلك آلام ومآسي بتبادل اتهامات التكفير والمروق من الدين وباستباحة الدماء وهتك الحرمات لخلاف على فكرة أو حكم فقهي !!

مافيا التطرف والإرهاب عند خوارج هذه الأيام :

والآن نحن نعيش القرن الخامس عشر للهجرة، ونلاحظ تطور العلم والتكنولوجيا، والمدى الذي وصلت إليه المجتمعات الصناعية المتقدمة، الآن وقد تنامى مستوى الوعي والإدراك في أوساط أمتنا الإسلامية الناهضة، هل يمكن القبول بتكرار مآسي الماضي، وعودة أجواء التحجر والتزمت والإرهاب الفكري ؟.

مؤسف جدًا أن هناك من لا يزال يعيش بتلك العقلية الضيقة ويريد فرض وصايته وأرائه على الآخرين، وإذا ما خالفه أحد أو ناقشه بادر إلى إصدار فتوى التكفير والمروق عن الدين أو اتهمه بالابتداع والضلال .

يقول الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي :

وقد عرفنا في عصرنا أناسا يجهدون أنفسهم، ويجهدون الناس معهم، ظانين أنهم قادرون على أن يصبوا الناس في قالب واحد يصنعونه هم لهم، وأن يجتمع الناس على رأيهم وفق عقلهم وتطاولهم علي مناهج علماء الأمة، واحتقارهم للفقه الموروث، ودعاواهم العريضة في أنهم وحدهم على الحق، وما عداهم علي خطأ قلت : لابد أن يكون النص صحيحًا مسلمًا به عند الجميع، ولابد أن يكون صريح الدلالة على المعني المراد، ولا بد أن يسلم من معارض مثله، أو أن وجود فئات تحمل هذا التوجه المتشدد وترفض حرية الفكر وخلق

التسامح، ليهدد الحركة العملية والفكرية بالشلل والتحجر، كما يخلق حالة النزاع والعداوة ويمنع من الوحدة والتعاون .

وخاصة إذا ما كانت هناك مصالح سياسية تدفع بعض الحكومات ذات النفوذ والثروة لتبني مثل هذه التوجهات، وهذا هو ما تعاني منه الأمة الإسلامية في هذا العصر .

كبوة إسلامية وصحوة وهابية :

وبعد انتشار الحركات والانتقاضات الوهابية في الأمة جدد هؤلاء المتزمتون نشاطهم ضمن مخطط سياسي لمواجهة الأمة الإسلامية : فصاروا يصدرون ألوان الكتب والمجلات، ويمارسون نشاطًا مكثفاً ضد المذاهب والمدارس الفكرية المخالفة لهم، بهدف إيجاد البلبلة وتعميق الفرق، ولإضعاف الجهود الوحدوية الصادقة .

علاج التطرف والإرهاب لخوارج هذه الأيام :

إن محاربة أي مذهب أو فكرة بالقمع والإرهاب غالبًا ما لا يقضي على تلك الفكرة بل يفجر إرادة التحدي عند الأتباع، ويجعلهم أكثر إصرارًا وتمسكاً برأيهم، بل قد يدفعهم إلى الهجوم المضاد، والرد الانتقامي وبذلك تتمزق وحدة الأمة، وتتبدد طاقاتها على حساب معركتها المصيرية وقضاياها الأساسية.

والواعون من الأمة مطالبون بمقاومة الإرهاب الفكري، وتشجيع حرية الفكر، وبث أخلاق الإسلام الداعية إلى التسامح واحترام الرأي .

ومن المبادرات الإيجابية في هذا المجال الكتاب الذي أصدره الدكتور الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي من أبرز علماء المسلمين في سوريا تحت عنوان (السلفية مرحلة زمنية لا مذهب إسلامي) فالكتاب دفاع عن حرية الرأي والفكر وإدانة للإرهاب الفكري، ويشير المؤلف إلى أخطار التحجر الفكري، ومصادرة حق الآخرين في إبداء آرائهم، وما ينتجه هذا التوجه الذي تتخذه السلفية شعارًا ولواء من تكريس للخلافات وتمزيق للصف الإسلامي الواحد .

يقول في ص ٢٤٤ :

" الأذى المتنوع البليغ الذي انحط في كيان المسلمين من جراء ظهور هذه الفتنة المبتدعة فلقد أخذت تقارع وحدة المسلمين، وتسعى جاهدة إلى تبديد تآلفهم وتحويل تعاونهم إلى تناحر وقد عرف الناس جميعًا أنه ما من بلدة أو قرية في أي من أطراف العالم الإسلامي، إلا وقد وصل إليها من هذا البلاء شظايا، وأصابها من جرائه ما أصابها من خصام وفرقة وشتات، بل ما رأيت أو سمعت شيئًا من أنباء انتشار الإسلام في أنحاء أوروبا وأمريكا وآسيا، مما يثلج الصدر، ويبعث على البشر والتفاؤل إلا ورأيت بالمقابل من أخبار هذه الفتنة الشنعاء التى سيقت إلى تلك الأوساط سوقًا، ما يملأ الصدر كربًا ويزج المسلم في ظلام من الخيبة الخانقة والتشاؤم الأليم .

ولقد اشتدت هذه الخصومات منذ بضع سنوات، في مسجد واشنطن إلى درجة ألجأت السلطات الأمريكية الى التدخل، ثم إغلاق المسجد لبضعة شهور .

ولقد اشتدت هذه الخصومات ذاتها واهتاجت، في أحد مساجد باريس منذ ثلاثة أعوام حتى اضطرت الشرطة الفرنسية إلى اقتحام المسجد والمضحك المبكي بآن واحد، من أن أحد أطراف تلك الخصومة أخذته الغيرة الحمقاء لدين الله وحرمة المساجد، لما رأى أحد رجال الشرطة داخل المسجد بحذائه فصاح فيه أن يخلع حذاءه ولكن الشرطي صفعه قائلاً : وهل ألجأنا إلى اقتحام المسجد علي هذه الحال غيركم أيها السخفاء ؟! .

وأخيرًا فإن حالات الإرهاب الفكري بالإضافة إلى أضرارها الداخلية، وعونها للعدو الخارجي علينا، فإنها تشكل إساءة وتشويها لسمعة الإسلام أمام سائر الشعوب،التى تمارس الحرية الفكرية والعلمية في أجوائها على أوسع نطاق، فماذا سيكون انطباعهم عن دين يتبادل أتباعه التكفير والتفسيق، وتسود بينهم لغة القمع والبطش بغطاء ديني ؟

قال رسول الله﴿ ﷺ وآله ﴾ ﴿ هلك المتنطعون، هلك المتنطعون ﴾ (١) وكررها ثلاثًا واقتفوا هدي النبوة، فقد كان ﴿ ﷺ وآله﴾ إذا بعث أحدًا من أصحابه في

(١) رواه مسلم في كتاب العلم الحديث السابع وأبو داود في كتاب السنة الباب الخامس وأحمد في الجزء الأول صفحة ٣٨٦ .

بعض أمره قال لهم :﴿ بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا ﴾ [1]واسمعوا ما قاله الحبيب المصطفي ﴿ ﷺ وآله﴾ لأصحابه معلمًا ومرشدًا : ﴿ أنكم في زمان من ترك فيه عشر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من يعمل بعشر ما أمر به نجا ﴾ [2] رواه الترمذي في بابا الفتن.

تمسكوا بأقوال العلماء العاملين والأئمة المجتهدين، فهم أهل الاختصاص في أمور الدين وإياكم واتباع أهل الاهواء، من ((أدعياء العلم)) المتعالمين، الذين يدعونكم إلى نبذ أراء الأئمة الأعلام، بحجة أن اتباع المذاهب ضلالة لتقعوا فريسة لآرائهم الشاذة، التي خالفوا فيها جمهور العلماء من السلف والخلف، وليس لهم هدف إلا حب الظهور الذي يقصم الظهور، فالله تعالى قد أمركم بالرجوع إلي أهل العلم والاختصاص فقال : ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [3] وقال : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[4] .

فالأئمة المجتهدون هم مصابيح الهدى، ومشاعل النور والضياء، ولست أدري والله إذا لم يكن (مالك) إمام دار الهجرة، والشافعي عالم مكة وأحمد إمام أهل السنة وأبو حنيفة الذي طبق علمه الخافقين، هؤلاء الأئمة الاعلام، هم السلف الصالح وهم قدوتنا في أمور الشريعة والدين، فبمن نقتدي إذن ؟ ؟ ....

أنتقدي بهؤلاء الذين أغرموا بالمخالفة والشذوذ !!

ولله در القائل :

قم وابك منتحبا لما قد حل ... بالإسلام من وهن وفرط تبدد

أبناؤه متشاكسون، عراهم ... محلولة ما بينهم لم تعقد

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم الباب ١١ وكتاب الجهاد الباب ١٦٤ ومسلم في كتاب الجهاد الحديث الخامس وأبو داود في كتاب الأدب الباب ١٧ واحمد في الجزء الأول صفحة ٢٣٩، ٢٨٣، ٣٦٥، والجزء الرابع صفحة ٣٩٩، ٤١٢، ٤١٧ .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الفتن الباب ٧٩

(٣) سورة الأنبياء – آية ٧

(٤) سورة النساء – آية ٨٣ .

ويقوم منهم من يسمى مصلحا   بين البرية وهو عين المفسد
أو مرشدا هو أحوج الأقوام لو   عقل الأمور إلى اتباع المرشد
معبوده إما هوى أو درهم   فسوى الدراهم والهوى لم يعبد
ويقوم باسم الدين يوقد نارها   بغيا ولولا بغيه لم توقد
أو من يروج في الأنام ضلالة   ويخالها رشدا وإن لم يرشد
من عصبة فيها الجمود سجية   لم يلف فيها قط من لم يجمد
جاءت مجددة لدين محمد   زعمت وتنفي عنه كل مجدد
فرغت من التوطيد للإسلام لم   تترك من الإسلام غير موطد
لم يبق في الأمصار من متجنس   من فضل دعوتها ولا متهود
ما أن ترى بين الوري من فاجر   عاص ولا من شارب ومعربد
ردت عن الإسلام كل معاند   وحمته من باغ عليه ومعتد
فتحت أقاصي أرض أشبيلية   وتخوم أندلس حوتها باليد
لم يبق غير قبور آل محمد   شيدت ضلالاً في بقيع الغرقد
وقبور أبناء النبي وصحبه   بوجودها الإسلام لم يتمهد
أمسي بها التوحيد مفقودًا فمذ   هدمت فما في الكون غير موحد

الخاتمة

أوجه نصيحتي إلى الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

إلى الخوارج عبر العصور والدهور من السلفيين والتيميين والوهابيين وامتدادهم في مصر والسودان وتونس والجزائر والمغرب المدعمين بالبترووريال.

تأدبوا مع الله فلا تجسيم ولا تشبيه، وتأدبوا مع رسول الله ﴿ ﷺ وآله ﴾ فلا تعظيمه من باب العبادة، وتأدبوا مع أهل بيت رسول الله، وتأدبوا مع صاحبة رسول الله، وتأدبوا مع التابعين، وتأدبوا مع الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، وتأدبوا مع أولياء الله الصالحين، وتأدبوا مع السلف الصالح.

ينبغي أن يكون الحق دائما هو الرائد، ورضوان الله هو الغاية، لا اتباع الأهواء، والشهرة الزائفة، ولو على حساب الدين فإن حب الظهور يقصم الظهور.

أن نسعى جهدنا لجمع الشمل، ووحدة الصف فقد حذرنا الله من الفرقة.، ودعانا إلى الوحدة ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾ [1] ونبهنا إلى خطر التنازع والفرقة فقال: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2] .

وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3]. تذهب ريحكم :أي تذهب قوتكم وبأسكم.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٥

(٣) سورة الأنفال آية ٤٦

عليكم أن تكونوا في صف الجماعة ومع الجماعة، وتتركوا الشذوذ والانحراف عن جماعة المسلمين. فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾(١) والخروج عن الجماعة مهلكة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ﴿عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار﴾ (٢) كما صح بذلك الخبر عن النبي المختار.

اتركوا القيل والقال وكثرة الجدال، فإن الجدال والمراء في أمور الدين مهلكة للأمة، كما قال ﴿ﷺ وآله ﴾ ﴿ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل﴾ (٣) أخرجه الترمذي في التفسير رقم ٣٢٥٠ وأحمد في السنة ٢٥٢٦. ثم تلا ﴿ﷺ وآله﴾ قوله تعالى: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾(٤) . وقال﴿ﷺ وآله﴾ ﴿إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب﴾ (٥) أخرجه مسلم في العلم.

اسلكوا طريق الحكمة في الدعوة إلى الله، وعليكم بالرفق في جميع أموركم ﴿فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يترع من شيء إلا شانه﴾ (٦) . أخرجه مسلم وأبو داوود في باب فضل الرفق، كما قال سيد الخلق ﴿ﷺ وآله﴾ . وليكن هدفكم في الحياة نيل رضوان الله، وجمع القلوب على المحبة والصفاء.

وإياكم والتنطع والتشدد في أمور الدين فقد قال ﴿ﷺ وآله﴾ : ﴿هلك المتنطعون﴾ (٧)

---

(١) سورة النساء آية ١١٥

(٢) رواه الترمذي في كتاب الفتن الباب السابع والنسائي في كتاب التحريم الباب السادس

(٣) رواه الترمذي في كتاب تفسير "سورة الزخرف" وابن ماجه في المقدمة الباب السابع وأحمد في الجزء الخامس صفحه ٢٥٢، ٢٥٦

(٤) سورة الزخرف آية ٥٨.

(٥) رواه مسلم في كتاب العلم الحديث الثاني وأحمد في الجزء الأول صفحة ٤٠١، ٤٢١، والجزء الثاني صفحة ٤٦٧، ٤٩٥، ٥٠٣، ٥٠٨، ٥١٧.

(٦)رواه مسلم في كتاب البر الحديث ٧٨ وأبو داود في كتاب الجهاد الباب الأول وأحمد في الجزء السادس صفحة ٥٨، ١١٢، ١٢٥، ١٧١، ٢٠٦، ٢٢.

(٧) سبق تخريج هذا الحديث.

ياشباب الصحوة الوهابية والكبوة الإسلامية :

نريد منكم ألا تتسرعوا في إطلاق الأحكام، وأن تأخذوا العلم والفقه عن أصحابه عمن تثقون بعلمه ودينه، فقد قال الإمام الزهري: " هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم".

واحذروا أيها الشباب، أدعيا العلم، الذين يحبون الشهرة والظهور،ولو على حساب التجريح لكرامة العلماء، والطعن في الأئمة الأعلام من السلف الصالح رضوان الله عليهم.

لقد وصلنا إلى العصر الذي يسود فيه الجهلاء، والذي أخبر عنه المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾ في الحديث الذي رواه البخاري : ﴿إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا﴾ [(١)].

ياشباب الصحوة الوهابية والكبوة الإسلامية :

هل إثارة الفتن والبلبلة والتشويش على المسلمين، في أمور جزئية من سيرة السلف الصالح؟.

هل تضليل الأمة، وتجهيل علمائها ــ سلفا وخلفا ــ ورميهم بمخالفة السنة والابتداع، من عمل السلف الصالح؟

هل الشذوذ بالآراء، والخروج عن جماعة المسلمين، والتمسك بأقوال شيوخ العصر، من طريقة السلف الصالح؟

اتقوا الله في هذه الأمة، وليكن رائدكم الإخلاص والصدق والتمسك بهدى السلف الصالح لا الشهرة واتباع الأهواء وحب الظهور!!.

اتركوا هذه الآراء الشاذة، وكرسوا جهدكم لمحاربة المبشرين والملحدين والشيوعيين والصليبيين والصهاينة.

(١) رواه البخاري في كتاب العلم الباب ٣٤ ومسلم في كتاب العلم الحديث ١٣ والترمذي في كتاب العلم الباب الخامس وابن ماجه في المقدمة الباب الثامن والدرامي في المقدمة الباب ٢٦ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ١٦٢، ١٩٠.

اتقوا الله في هذه الأمة، كفانا ما نحن فيه من الفرقة والتشتت والضياع، كفانا ما يجابهه المسلمون، من قوى البغي والطغيان، من شيوعية وإباحية وإلحاد وعلمانية وصليبية وصهيونية !! نحن في عصر يموج بالفتن.. عصر.. فيه الحرب بين الإيمان والكفر، ليس هو عصر السنة والبدعة!!.

اتركوا الناس يصلون التراويح ثمانية أو عشرين، اتركوهم يسبحون الله فرادى أو جماعة، دعوهم يجتمعون في حلق الذكر، بدل أن يذهبوا إلى الملاهي والمراقص، إن كنتم حقا مخلصين، تريدون اتباع نهج السلف الصالح.

لا تشوشوا على الناس عبادتهم، ولا تتهموا علماء المسلمين وتتهموا السلف الصالح بالابتداع في الدين، لمجرد أنكم لم تطلعوا على الأحكام، أو جهلتم الأدلة التي استند عليها العلماء والأئمة المجتهدون رضوان الله عليهم.

ياشباب الصحوة الوهابية والكبوة الإسلامية :

راجعوا كتاب (سعادة الدارين) للسمنودي، حتى يتضح لكم أن دعاة الوهابية ممن ينسبون أنفسهم لأهل العلم زورا وبهتانا، ليس لهم أي صلة يتصلون بها في أصلمن أصول الدين الإسلامي الذين يدعون التمسك بمبادئه، الكتاب والسنة.

فلست أدري كيف يلقبون أنفسهم بحماة التوحيد وأنصار السنة، والتوحيد والسنة براء منهم ومن أشكالهم . لأن عقيدتهم الضالة المضلة يقتفون أثر أسلافهم من الخوارج، الذي استبدلوا الدين بالبتروريال.

لقد زرع هؤلاء الضالون المضلون بذور الفساد الوهابي في عقول شباب القحط الذين لا خلاق لهم في الدنيا والآخرة، لحكم يعلمها الحكيم العليم، ولذلك جمعت ما يبطل أدلتهم ويقطع حجبتهم في المقالات التي كتبتها قي مجلة " الإسلام وطن(والتي سميتها) أيها القرنيون هلا فقهتم!!" في بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب، حتى لا تقوم لهم قائمة بعدها إن شاء الله تعالى من أدلة الكتاب والسنة، للرد عليهم في جميع ضلالاتهم من كتبهم التي كتبوها بأيديهم وضللوا بها شباب القحط.

ولقد امتثلت في هذا الكتاب أمر الله تعالى وأمر رسوله ﴿ﷺ وآله﴾ في الحديث المروي عن مسلم: ﴿ أترعون أن تذكروا الفاجر بما فيه، اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس ﴾[1]
وقد حث أفاضل علماء الأمة الإسلامية على الجهاد ضد الخوارج والسلفيين والتيميين والوهابيين وأبواقهم في مصر والسودان وتونس والجزائر والمغرب بقولهم:

من الذين كشف الستر عن كل كاذب	وعن كل بدعي أتى بالعجائب
ولولا رجال مؤمنون لهدمت	صوامع دين الله من كل جانب

ومن هؤلاء الأفاضل من العلماء، ابن السبكي وابن حجر وغيرهم في كل عصر، وها هو الشيخ سليمان بن عبد الوهاب شقيق البدعي النجدي محمد بن الوهاب.
وقد ألف كتابا أسماه " الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية" وقد رد فيه على أخيه مؤسس الوهابية في عصره.
وها هو الشيخ أحمد الدرديري الذي أطبق علماء الأمة الإسلامية أنه مالك الصغير، : " إن ابن تيمية ضال مضل خرق الإجماع وسلك مسلك الابتداع".
وقد قام فضيلة العالم الكبير الشيخ محمد عليش ــ فريد عصره ــ بسعيه بنفسه في هذا الميدان، وكذلك الشيخ يوسف الشرنبخومي من أفاضل علماء الأزهر، وكذلك الشيخ محمد بخيت المطيعي المشهور مفتي الديار المصرية سابقا، والشيخ محمد حسن مخلوف وكيل مشيخة الأزهر سابقا في رسالتيهما المطبوعتين مع الصواعق الإلهية سالفة الذكر.
وفضيلة الشيخ يوسف الدجوي من جماعة هيئة كبار العلماء بالأزهر قام بدوره برسالته المسماه: " صواعق من نار".
وهكذا سنة الله تعالى في خلقه كلما ظهر من الخوارج شيطان قيض الله له شهابا ثاقبا ما بقيت الدنيا. ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[2] ولو شئت أن

(١) أورده البيهقي في السنن الكبرى (٢١٠/١٠) والطبراني في المعجم الكبير (٤١٨/١٩) وابن حجر في لسان الميزان (٥٧٩/١) والسيوطي في الدر المنثور(٩٧/٦) وفي ميزان الاعتدال (١٤٢٨) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢٤٩/٣) والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١/ ٣٨٢، ١٨٨/٣، ٢٦٢/٧، ٢٦٣، ٢٦٨) والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥٥٥/٧، ٥٥٦) .
(٢) سورة فاطر آية ٤٣ .

أذكر لك من ميدان الضالين والرادين عليهم في كل عصر لضاق بنا المقام، ولا تنس أن لكل نمورذ إبراهيم ولكل فرعون موسى، ولك ضال محمدي.

صرخة في الله إلى حكام مصر والسودان وتونس والجزائر والمغرب

إن التسلط الوهابي قد بلغ مبلغه من هؤلاء البغاة المتعصبين لرأي ثالوث التكفير " ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب" دون غيرهم من أئمة الإسلام، يحاربون كل فكرة مخالفة لهم، ويشيعون المثالب حول دعوة مخالفة لدعوتهم، ويستعدون الناس إزاء كل شاردة وواردة، ويقمحون نيلا ويرمونهم رميا، ويطالبون بتكميم الأفواه إلا أفواههم، ويطالبون غيرهم باتباعهم رغما عنهم، ولا يميلون إلى تسامح ويستبيحون دماء مخالفيهم وأموالهم ولا سيما في العقيدة ومستعدين بإلقاء أرواحهم في التهلكة مقابل الدفاع عن عقيدتهم الباطلة وفكرهم الفاسد!! يعتقدون صلاح حالهم طالما أنهم متمسكون بعقيدة سلفهم، ماضون في تعصبهم طالما شيوخ النفط معهم والبترودولار يناصرهم، فمتى يرعون إلى جادة الصواب؟، ومتى يؤخذ على يد هؤلاء البغاة؟ الذين يريدونها فتنة تعم البلاد والعباد، ويريدون أن تسال الدماء ويقتل الرجال وتسبى النساء ويقطع الطريق.

إن الأخذ على أيديهم ضرورة ملحة لبقاء الأمة ولا بد من الأخذ على يدهم بيد من حديد لا هوادة معهم، فهم لا ينفع معهم حوار ولا مجادلة طالما لا يقرون مخالفيهم، لذلك فالأخذ بهم ومحاسبتهم واجب من الواجبات لكي يستقيم الدين، وينصلح حال الأمة، فتشعر بالأمن والأمان على دمائها وأعراضها وأفكارها.

إن بقاء هؤلاء المتسلطة على الدين خطر عظيم ومرض جسيم وداء سرطاني لا ينفع إلا قطعه وبتره.

فمتى يحاسب هؤلاء الشرذمة البغاة؟ الذين يقسمون الأمة ويفرقون الصفوف ويساعدون أعداء الله من اليهود والنصارى على سرعة الانقضاض على إرث الأمة الإسلامية.

إن البغاة الجدد قد ظهروا فينا متحدثين ومفتين ومكفرين ومبدعين ومفسقين ومشركين للسلطة للدخول في معركة هم فرسانها وهم حاطبوها ومشعلوها، إنهم البغاة الجدد من عملاء الوهابية والصليبية والصهيونية قدموا إلينا بشخوصهم وأشباحهم، قدموا إلينا بأفكارهم الشاذة، وبتعصبهم الأعمى وبسوء أدبهم وقلة حيائهم، لا يرعون إلا ولا ذمة يرمون هذا، ويكفرون هؤلاء،و يفسقون ويبدعون جمهور الأمة لمخالفتهم رأيهم، لا يقرون باختلاف الآراء ولا يدعون رأيا مخالف لرأيهم إلا نسفوه وهاجموه وعابوه، وتكلموا في رجاله وأئمته وكأن الحق لهم، والميزان بيدهم، يرفعون هذا، ويسقطون هؤلاء، يرفعون خسيستهم عالية، وكأن الحق أقامهم للتقويم، لا يقرون بحجة ولا برهان، ولا بحوار ولا جدال، محاورهم خارج عن الملة، ومناقشهم مبتدع في الدين، ومخالفهم يخافون عليه الشرك والضلال.

وهكذا ينصرون مبادئهم ويقررون أفكارهم، ويلقنونها أتباعهم. إنهم البغاة الجدد، إنهم متعصبوا العصر . أقاموا أنفسهم حراسا وغيرهم خداما، وأقاموا أنفسهم علماء وغيرهم فساقا، أقاموا من أنفسهم أعلاما ومن غيرهم أوضاعا، والله ما هذه بأخلاق العلماء، إنهم البغاة الجدد، إنهم خوارج هذه الأمة ظهورا فينا.

يقولون بشركية هذه الأمة إلا هم، فهم هداة الدين، حراس العقيدة المدافعون عنها بكل ما أوتوا من قوة!!!.

وللأسف فإن هؤلاء البغاة المتعصبون ما كانوا ليظهورا فينا إلا لتغاضي الناس عن كبائرهم وجرائمهم في قذف الناس وصلحاء الأمة وعلمائها ودعاتها.

إن البغاة الجدد فكرهم إلى زوال، وأملهم إلى ظلام، ومبادئهم إلى ضلال، ونصبهم على زيغ وإلحاد.

ولقد جرت سنن الله الكونية أن ترجي في العباد قبل البلاد، فمن لم يتأدب مع العلماء وعموم المسلمين، أدبته سنن الله الكونية.

﴿من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب... ﴾[1] ومن لم يتوقف عند حده سلط الله عليه من يوقفه، ومن فضح المسلمين وتتبع عوراهم وتجسس عليهم وأوقع بينهم العداوة والبغضاء سلط الله عليه وفضحه في رحله وبين أهله وعشيرته وقومه.

فالتقوى التقوى، الحذر الحذر ... من مصاحبة البغاة، إنهم يسفهون الأحلام ويقذفون علماء الإسلام، وينادون بكل ما هو سفه وساقط، ويرفعون كل وضيع جاحد.

إنهم خوارج هذه الأمة فالحذر الحذر من مجالستهم، فإنهم أشرار بغاة... فمتى يؤدبون ويؤخذ على أيديهم ؟ إن غدا لناظره لقريب.

لا أمكن الله لهم أرضا، ولا أقام لهم دولة، ولا أظهر لهم رأيا، ولا رحم منهم أحدا، وأبقاهم عبرة لمن يعتبر، وأقامهم على الذل والهوان، وفرق بينهم وبين مناصريهم شيوخ النفط والبتروريال، وشتت الله أمرهم، وبدد شملهم، وفرق جمعهم إنه على ما يشاء قدير .

وأختم هذا الكتاب بقولي : إن أكبر حامل لي على كتابته إنما هو أن أدرج مع من دخلوا تح مصداق قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : ﴿ لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من حمر النعم ﴾[2] رواه الشيخان.

لأن الرجال على ما قرره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيما يروى عنه:

الرجال أربعة:

١ــ رجل يدري ويدري أنه يدري وهذا عالم فاسألوه.

٢ــ ورجل يدري ولا يدري أنه يدري وهذا ناس فذكروه.

٣ــ ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري وهذا جاهل فعلموه.

٤ــ ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري وهذا فاسق خطر فاحذروه.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق الباب ٣٨.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد الباب ١٠٢، ١٤٣ وكتاب فضائل أصحاب النبي الباب التاسع وكتاب المغازي الباب ٣٨ ومسلم في كاب فضائل الصاحبة الحديث ٣٥ وأحمد في الجزء الخامس صفحة ٢٣٨، ٣٣٣..

فالرابع هذا هو الذي جهل أنه جاهل، وهذا هو وجه خطورته على العالم، وهذا هو الـــذي قال فيه العقلاء : جاهل جهلا مركبا، إذ الجهل ينقسم إلى قسمين : جهل بسيط وهو الذي يتعلم صاحبه بالتعلم.

وجهل مركب وهو الذي صاحبه لا يقبل المعلم لأنه جهل أنه جاهل كما قيل:

قـــــال حمـــــار الحكـــــيم يومـــــا لـــو أنصـــف الـــدهر كنـــت أركـــب
لأني جاهـــــــــــل بســـــــــــيط وصـــــاحبي جاهـــــل مركـــــب

وقد أبان الحق عز وجل في كتابه العزيز لعباده على لسان حضرته ﴿ﷺ وآله﴾ في قوله تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(١) إن من عباده من يفهم بالإشارة ومنهم من يفهم بالعبارة ومنهم من لا يفهم لا بالإشارة ولا بالعبارة، بل بإلقامه الحجارة. وصدق الله العظيم حيث قال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(٢).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) ، (٢) سور النحل آية ١٢٥

تطلب مؤلفات الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم ﷺ

من مكتبة دار الكتاب الصوفى

تليفون 3901030 022 002

١١٤ش مجلس الشعب

فى جانب تفسير القرآن :

١- هذا السفر الجليل " أسرار القرآن ".

٢ تفسير سورة القدر.

فى جانب العقيدة :

١- كتاب عقيدة النجاة .

٢- كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:

١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول (ﷺ وآله).

٢- صيام أهل المدينة المنورة.

٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

١- سيرة النبى (ﷺ وآله)

٢- وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

١- النشأة الثانية.

٢- الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.

٣- الشفاء من مرض التفرقة.

٤- الجفر.

٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.

٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.
٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :
١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله (ﷺ **وآله)**.
٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :
١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج
٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار
٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان
٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :
١- محكمة الصلح الكبرى.
٢- العالم والتاجر والفلاح.
٣- المقتصد والمسرف والفاسد.
٤- السياسى والحكيم والغشيم.
٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :
١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.
٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.
٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :
١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.
٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.
٣- معارج المقربين.
٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.
٥- من جوامع الكلم.

٦- الطريق إلى الله تعالى.
٧- الفرقة الناجية.
٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.
٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.
١٠- مصطلحات الصوفية
١١- آداب أل العزائم
١٢- دروس تزكية النفوس
١٣- موارد أهل الصفا
١٤- قبس من المضنون
١٥- الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخر، رجب، شعبان، رمضان.
٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.
٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

فهرس كتاب (أيها القرنيون هلا فقهتم؟!)

الموضوع الصفحة

مقدمة شيخ الطريقة العزمية

مقدمة المؤلف

الباب الأول

القرنيون : منهجهم وصفاتهم وغايتهم

الفصل الأول : نابذة تاريخية ١

•مؤامرة قريش في دار الندوة تعقد تحت رعاية إبليس اللعين.......... ١

•إبليس اللعين يتجسد في هيئة شيخ نجدي ليخطط لقرار هذه المؤامرة........................ ٢

•الرسول (ﷺ وآله) يتنبأ بأن نجدا يخرج منها قرن الشيطان ليزلزل العقيدة ويثير الفتن........ ٥

•من هم القرنيون؟.. ١١

الفصل الثاني : منهج القرنيين.. ١١

•الاشتغال بالجدل عند السلف الصالح من المنكرات.. وعند القرنيين من أعظم القربات......... ١١

•السلف الصالح شعاره: الرجوع إلى الحق من أمهات الفضائل.............................. ١١

•القرنيون شعارهم التفرق والتمزق للعناد وللرأي العقيم والمراء السقيم ١٢

•جرى نهج القرنيين في عروق بعض المتأخرين من أهل المذاهب، وصور ذلك..................... ١٣

١ـ الخلاف المعقول المقبول ١٣

٢ـ ما لا يسوغ فيه الخلاف.. ١٣

٣ـ أخطر أنواع الخلاف... ١٤

٤ـ أسباب هذه الخلافات..١٤

٥ـ من الآثار الضارة لفكر القرنيين ١٨

•السبب في انتشار فكر القرنيين في هذه الأيام ما أصاب شبابنا

من قحط فاستغل ذلك شيوخ النفط.. ١٩

الموضوع الصفحة

الفصل الثالث : صفات القرنيين ٢٠

•القرنيون يجهلون أحكام الشرع الضروري منها أو النظري.................................. ٢٠

•القرنيون لا يفهمون ما هو من ضروريات الدين وما هو أمر اجتهادي.......................... ٢٠

•القرنيون لا يعرفون القرآن وأقسام الدلالة فيه وما يحتج به منه ٢١

•القرنيون لا يدركون السنة وأقسامها وما يحج به من الأخبار ٢٣

•القرنيون لا يعلمون الأخبار المتعارضة وسبب التعارض وعلاجه...................................٢٤

•القرنيون لا يعقلون وجود الحقيقة والمجاز في الكتاب والسنة ٢٥

الفصل الرابع : الغاية من تكفير أهل القبلة والتبشير

المسيحي هو التنصير الصليبي..٢٨

•القرنيون يطلقون الكفر على جميع الذنوب.. ٢٨

•ما هو المقصود من إطلاق الكفر والشرك والنفاق على بعض الذنوب ؟؟......................... ٢٩

•أدلة توزيع الكفر والشرك بسخاء على المسلمين من كتبهم.. ٣١

•المبشرون يزحفون على العالم الإسلامي ٣٣

•المبشرون يعملون لوقف انتشار الإسلام في أفريقيا وآسيا.. ٣٤

•القرنيون عملاء للتبشير المسيحي لمعاداة الإسلام.. ٣٥

•الغاية من التكفير والتبشير هو التنصير ٣٥

•إثارة الهمم لإحياء القيم ٣٧

الباب الثاني

أمور شذَّ فيها القرنيون عن إجماع الأمة

الفصل الأول : البدعة............ ٣٩

•القرنيون يوزعون البدعة بسخاء على عباد الله.......٣٩

•مفهوم البدعة عند السلف الصالح.................................. ٤٠

الموضوع الصفحة

١ـ تعريف البدعة... ٤٠

٢ـ تعيين البدعة هو سبب الاشتباه.................................... ٤٠

٣ـ الأفعال تتغير أحكامها ٤٣

•أمثلة للتحجر العقلي في تفسير البدعة.............................. ٤٥

•اختلاف دعاة السلفية بعضهم عن بعض ٤٥

الفصل الثاني : الشفاعة............ ٤٧

•إذا كانت الشفاعة للأنبياء والأولياء حق فكيف يكون سؤالها منهم شركا؟!.................... ٤٧

•الشفاعة هي طلب الدعاء... ٤٧

•الكتاب والسنة يؤيدان شفاعة الأنبياء والأولياء ٤٧

•أولا: فمن آيات القرآن التي تجوز الاستشفاع بالأنبياء والأولياء والملائكة المقربين............. ٤٧

•ثانيا: ومن أحاديث الرسول (ﷺ وآله) التي تجوز الاستشفاع بالأنبياء والأولياء ٤٩

•تأويلات القرنيين في الشفاعة.. ٥٣

•الرد على تأولات القرنيين ٥٣
•رأي الإمام أبي العزائم عليه السلام في الشفاعة ٥٦
•وختاما ٥٧
الفصل الثالث : النظرة والمدد ٥٩
•حكم النداء بطلب النظرة والمدد لا يزيد عن دعاء وسؤال نجدة للمستنجد ٥٩
•الأنبياء والأولياء أحياء في قبورهم ٥٩
•أدلة حياة الأنبياء والأولياء في قبورهم ٥٩
•أولا: من الكتاب ٦٠
•ثانيا: من السنة ٦١
•النداء بطلب المدد والنظرة ٦٢
•أدلة جواز طلب المدد والنظرة ٦٤
الموضوع الصفحة
•شبهات القرنيين حول النداء بالممدد أو النظرة ٦٦
•الشبهة الأولى ٦٦
•الرد على هذه الشبهة ٦٦
•الشبهة الثانية ٦٧
•الرد على هذه الشبهة ٦٧
الفصل الرابع: التوسل ٦٩
•السفهاء لا الفقهاء هم الذين يمنعون التوسل بالأنبياء
والأولياء لأن تدينهم ممسوخ مطبوخ ٦٩
•معنى الوسيلة لغة ٦٩

•التوسل بالأنبياء والأولياء ٦٩
•أدلة جواز التوسل من القرآن ٧٠
•أدلة جواز التوسل من السنة.. ٧١
•الفرق بين العبادة والتوسل.. ٧٤
•تأولات القرنيين في التوسل ٧٥
•الرد على تأولات القرنيين.. ٧٥
•رأي الإمام أبى العزائم ﷺفي منكر الوسيلة.. ٧٧
الفصل الخامس: بناء المساجد على المشاهد.. ٨٠
•الإسلام يرغب العابد في اتخاذ المساجد على المشاهد.. ٨٠
•بناء المساجد على المشاهد لامتياز أصحابها وأدلة ذلك.. ٨١
•أولا: من الكتاب.. ٨١
•الدليل الأول من الكتاب ٨١
•شبهات وأباطيل القرنيين في الدليل الأول ٨٢
•الرد على شبهات وأباطيل القرنيين.. ٨٣

الموضوع الصفحة

•الدليل الثاني من الكتاب ٨٥
•ثانيا: من السنة.. ٨٦
•الدليل الأول من السنة.. ٨٦
•ثالثا: إجماع الصحابة على اتخاذ مسجد على قبر الصحابي أبى بصير عتبة
ابن أسيد في عهد النبي (ﷺ وآله) ٩٠
•رابعا: إن قبور الشهداء والصحابى عثمان بن مظعون كانت مرتفعة في زمن

عثمان بن عفان رضي الله عنه.. ٩١

•خامسا: البناء على قبور الصحابة وأهل البيت عليهم السلام قبل

القرن الخامس الهجري.. ٩٢

•سادسا: البناء على قبور الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء في فقه المذاهب............ ٩٤

•فقه الحنفية.. ٩٤

•فقه المالكية ٩٤

•فقه الشافعية ٩٤

•فقه الحنابلة.. ٩٥

•فقه الظاهرية ٩٥

•فقه الزيدية.. ٩٥

•ثبوت الاحترام لقبور الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء.............................. ٩٥

الفصل السادس: تعظيم شعائر الله تعالى.. ٩٧

•احترام الأنبياء والأولياء موجب لاحترام مشاهدهم.. ٩٨

•أولا: إن من تعظيم شعائر الله إقامة مشاهد الأنبياء والأولياء لا هدمها................. ٩٨

•شبهات وأباطيل حول إقامة المشاهد.. ٩٨

•الرد على شبهات وأباطيل منع إقامة المشاهد.. ٩٩

•ثانيا: إن من تعظيم شعائر الله الكتابة على مشاهد الأنبياء والأولياء......................... ١٠٠

الموضوع الصفحة

•شبهات وأباطيل حول الكتابة على المشاهد.. ١٠٠

•الرد على شبهات وأباطيل منع الكتابة على المشاهد ١٠٠

•ثالثا: إن من تعظيم شعائر الله الصلاة والدعاء عند مشاهد الأنبياء والأولياء.................... ١٠

•شبهات وأباطيل ابن تيمية في الصلاة والدعاء عند مشاهد الأنبياء والأولياء.................. ١٠٢

•الرد على شبهات وأباطيل ابن تيمية وذيوله في منع الصلاة والدعاء عند المشاهد............... ١٠٢

•رابعا: إن من تعظيم شعائر الله إنارة مشاهد الأنبياء والأولياء ١٠٥

•شبهات وأباطيل حول إنارة المشاهد.. ١٠٥

•الرد على شبهات وأباطيل منع إنارة المشاهد... ١٠٥

•خامسا: إن من تعظيم شعائر الله تزيين مشاهد الأنبياء والأولياء بالكسوة وغيرها.......... ١٠٥

•شبهات وأباطيل حول تزيين المشاهد ١٠٥

•الرد على شبهات وأباطيل منع تزيين المشاهد... ١٠٦

•سادسا: إن من تعظيم شعائر الله التبرك بمشاهد الأنبياء والأولياء بلسم أو تقبيل أو طواف...... ١٠٨

•شبهات وأباطيل التبرك بالمشاهد.. ١٠٨

•الرد على شبهات وأباطيل منع التبرك بالمشاهد... ١٠٨

الفصل السابع: زيارة روضات الأنبياء والأولياء.................................. ١١١

•شبهات وأباطيل حول منع زيارة القبور وشد الرحال إليها...................................... ١١١

•أولا: مشروعية زيارة روضة النبي (ﷺ وآله) والرد على شبهات وأباطيل منع الزيارة........ ١١٢

١ـ أدلة الكتاب.. ١١٢

٢ـ أدلة السنة... ١١٢

أ ـ ما ورد من الأحاديث بلفظ الزيارة.................................... ١١٢

ب ـ ما ورد من الأحاديث بغير لفظ الزيارة ١١٥

•معنى قوله (ﷺ وآله) : " إلا رد علي روحي فأرد عليه السلام"........... ١١٥

•حجية أحاديث الزيارة.. ١١٦

الموضوع الصفحة

٣ـ الإجماع ١١٧

أـ رد العلماء على الخارجي ابن تيمية الحراني ١١٧

ب ـ المنقول من فعل الصحابة والمسلمين في زيارة روضة النبي (ﷺ وآله).................. ١١٩

١ـ المنقول من فعل الصحابة.. ١٢٠

٢ـ المنقول من فعل المسلمين ١٢٠

•ثانيا: مشروعية زيارة سائر القبور... ١٢٠

•ثالثا: شد الرحال لزيارة مشاهد الأنبياء والاولياء ومنع الخارجي ابن تيمية الحراني

شد الرحال لزيارة روضة النبي (ﷺ وآله)...................................... ١٢١

•الرد على منع الخارجي ابن تيمية الحراني شد الرحال لزيارة النبي (ﷺ وآله)................ ١٢٢

أ ـ زيارة النبي (ﷺ وآله) إلى مسجد قباء كل يوم سبت........................ ١٢٢

ب ـ شجرة تستأذن المولى سبحانه في أن تسلم على رسول الله (ﷺ وآله) ١٢٣

ج ـ زيارة سيدنا بلال لروضة النبي (ﷺ وآله) ١٢٣

د ـ زيارة كعب الأحبار لروضة النبي (ﷺ وآله) ١٢٤

هـ ـ إرسال عمر بن عبد العزيز بريد من الشام للسلام على النبي (ﷺ وآله) ١٢٤

•رابعا:عدم اختصاص زيارة القبور بالرجال... ١٢٤

•منع ابن تيمية وابن عبد الوهاب من زيارة النساء للقبور ١٢٤

•الرد على منع ابن تيمية وابن عبد الوهاب من زيارة النساء للقبور............................ ١٢٥

الفصل الثامن : التبرك.. ١٢٦

•مفهوم حقيقة التبرك... ١٢٦

•مظاهر تشريف الله تعالى لنبيه (ﷺ وآله)... ١٢٦

•أمر النبي (ﷺ وآله) بالتبرك وإذنه في ذلك ١٢٩

•التبرك بتقبيل يدي النبي (ﷺ وآله) ورجليه.. ١٣٠

•التبرك بسؤر النبي (ﷺ وآله) ١٣٢

الموضوع الصفحة

•التبرك بموضع لامسه فم النبي (ﷺ وآله).. ١٣٢

•التبرك بفضل وضوئه (ﷺ وآله).. ١٣٣

•التبرك بشعر النبي ١٣٤

•التبرك بلباس النبي (ﷺ وآله) والاستشفاء به... ١٣٤

•من مظاهر التبرك بآثار النبي(ﷺ وآله) ١٣٥

•التبرك بآنية النبي(ﷺ وآله)... ١٣٥

•التبرك بموضع قدم النبي(ﷺ وآله)... ١٣٥

•التبرك بمنبر النبي(ﷺ وآله)... ١٣٥

•التبرك بقطيفة وبثوب النبي (ﷺ وآله).. ١٣٦

•التبرك بنعل النبي (ﷺ وآله)... ١٣٦

•التبرك بروضة النبي (ﷺ وآله).. ١٣٦

•التبرك بتقبيل قبر النبي(ﷺ وآله).. ١٣٧

•تبرك السيدة فاطمة الزهراء بتراب قبر النبي (ﷺ وآله).. ١٣٧

•التبرك بتراب المدينة المنورة.. ١٣٧

•التبرك بالصالحين وآثارهم ١٣٨

•التبرك بتقبيل يد ورجل الصالحين.. ١٣٩

•التبرك بثياب الصالحين.. ١٤٠

•التبرك بصحيح البخاري ١٤٠

•التبرك بمس قبر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ١٤٠

•حكم من حكم بالكفر على من مس وقبل آثار الأنبياء والأولياء.. ١٤٠

الفصل التاسع : النذر.. ١٤٢

•تعريف النذر.. ١٤٢

•أدلة النذر من الكتاب ١٤٢

الموضوع الصفحة

•أدلة النذر من السنة.. ١٤٣

•النذر عند المذاهب الأربعة.. ١٤٤

•النذر عند الحنفية.. ١٤٤

•النذر عند المالكية.. ١٤٤

•النذر عند الشافعية.. ١٤٥

•النذر عند الحنابلة ١٤٥

•النذر ليس بقربة لذاته ولا عبادة.. ١٤٥
•الأدلة على أن النذر ليس بعبادة للمنذور.. ١٤٥
•تلبيس في أحاديث ذكر النهي عن النذر.. ١٤٦
•شبهات أباطيل حول النذر للأنبياء والأولياء..١٤٧
•الرد على شبهات وأباطيل النذر للأنبياء والأولياء.................................... ١٤٨
الفصل العاشر : النحر والذبح........ ١٥٠
•دلالة النحر والذبح من الكتاب.. ١٥٠
•دلالة النحر والذبح من السنة... ١٥١
•شبهات وأباطيل حول النحر والذبح للأنبياء والأولياء................................ ١٥١
•الرد على شبهات وأباطيل النحر للأنبياء والأولياء.................................... ١٥٤.
•رأي الشيخ محمد عبده يرد دعوى ثالوث التكفير ١٥٦
•أسانيد إهداء الثواب إلى الأموات ١٥٧
•حكمة اختيار النحر أو الذبح بجوار مشهد النبي أو الولي ١٥٩

الباب الثالث

حول توقير النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ وإحياء ذكرى

الأنبياء والأولياء والسيادة لهم والقسم بغير الله تعالى

الموضوع الصفحة

الفصل الأول : توقير النبي ﴿ ﷺ وآله﴾.................................. ١٦٠

•القرنيون لا يوقرون النبي ﴿ ﷺ وآله﴾.. ١٦٠

•تعظيم القرآن للرسول (ﷺ وآله).. ١٦١

•تعظيم الصحابة رضي الله عنهم له (ﷺ وآله).. ١٦٥

•تعظيم السلف الصالح رضي الله عنهم له (ﷺ وآله).. ١٦٦

•مظاهر عدم توقير النبي وتعظيمه عند ثالوث التكفير.. ١٦٨

الفصل الثاني : إحياء ذكرى الأنبياء والأولياء.. ١٧١

•الاحتفال بذكرى الأنبياء والأولياء من تعظيم شعائر الله.. ١٧١

•القرآن يدعو لإحياء الذكرى ١٧٢

•شبهات وأباطيل ثالوث التكفير حول الاحتفال بالموالد.. ١٧٣

•الرد على شبهات وأباطيل ثالوث التكفير.. ١٧٤

•أدلة إحياء المولد في الكتاب ١٧٦

•أدلة إحياء المولد من السنة.. ١٨٧

•التأويلات الشيطانية لكلمتي السنة والبدعة لثالوث التكفير.. ١٨١

•مشروعية الاحتفال بالموالد.. ١٨٢

•ليلة المولد أفضل من ليلة القدر وأدلة ذلك ١٨٢

•أول من أحدث عمل المولد.. ١٨٣

•رأي الإمام أبى العزائم عليه السلام في الاحتفال بالمولد ١٨٤

•الكتب المصنفة في مولد النبي (ﷺ وآله).. ١٨٥

الفصل الثالث: السيادة للأنبياء والأولياء عليهم السلام.. ١٨٨

•سلوك الأدب راجح على امتثال أمر الله.. ١٨٨

•شبهات وأباطيل حول إطلاق لفظ السيادة.. ١٨٩

الموضوع الصفحة

•الرد على شبهات وأباطيل إطلاق لفظ السيادة ١٨٩

١- إطلاق لفظ "السيد" على غيره سبحانه في القرآن

معنى آخر من معاني لفظ "السيد" في القرآن.. ١٩٠

٢- إطلاق لفظ "السيد" على غيره سبحانه في الأحاديث.. ١٩٢

٣- إطلاق لفظ "السيد" على غيره سبحانه من الصحابة.. ١٩٣

•ما لا يجوز لنا ويجوز للرسول (ﷺ وآله).. ١٩٤

•فرية ابن عبد الوهاب في أحاديث السيادة.. ١٩٦

•السيادة للنبي مستحبة عند الشافعية وسنة عند الحنفية.. ١٩٧

•نبينا (ﷺ وآله) سيد الوجود وسيد الكائنات.. ١٩٧

<u>الفصل الرابع :حكم الإقسام على الله والقسم بغيره تعالى</u>.. ٢٠٠

•أولا: الإقسام على اله بمخلوق أو بحق مخلوق.. ٢٠٠

•صور الإقسام على الله بمخلوق أو بحق مخلوق.. ٢٠٠

•شبهات وأباطيل حول الإقسام على الله بمخلوق أو بحق مخلوق.. ٢٠٠

•الرد على شبهات وأباطيل الإقسام على الله بمخلوق أو بحق مخلوق.. ٢٠١

•ثانيا: الحلف بغير الله من نبي أو ولي... ٢٠٥

•شبهات وأباطيل حول الحلف بغير الله ٢٠٥

•رد الشبهات والأباطيل حول الحلف بغير الله ٢٠٥

أ ـ الحلف بغير الله من الله تعالى ٢٠٧

ب ـ الحلف بغير الله من النبي (ﷺ وآله).. ٢٠٩

ج ـ الحلف بغير الله من العلماء والتابعين وجميع المسلمين................................. ٢٠١

•القسم بالنبي (ﷺ وآله) كما أورده ابن تيمية ٢١١

•رجل يقسم لابن عباس بحرمة النبي (ﷺ وآله) ٢١١

•القرطبي يصرح بجواز القسم بحياته (ﷺ وآله) ٢١٢

الموضوع الصفحة

•الإمام أحمد يبين أن اليمين تنعقد بالنبي (ﷺ وآله).. ٢١٢

•خلاصة القول ٢١٣

الباب الرابع

عصمة الأنبياء

الفصل الأول : شرف نسب النبي ﴿ﷺ وآله﴾... ٢١٤

•الحكم على أبويه (ﷺ وآله) ليس من قواعد الإسلام.. ٢١٤

•نهيه (ﷺ وآله) عن سب الأموات وتتبع عثراتهم ٢١٥

•كتاب السيف المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ٢١٦

•مسالك الحنفاء في نجاة والدي المصطفى (ﷺ وآله) ٢١٦

•نهيه (ﷺ وآله) عن تتبع عثرات المسلمين ٢١٧

•أهل البيت النبوي أهل التطهير.................................. ٢١٧

•توقير وعظيم أبوي النبي (ﷺ وآله) ٢١٨

•الأحاديث الواردة في فضل الآباء الكرام ١١٩

•الإمام المجدد أبو العزائم والنسب النبوي الشريف.................................. ٢٢٠

•شبهات وأباطيل حول عدم نجاة أبويه (ﷺ وآله) ٢٢٢

•الرد على هذه الشبهات والأباطيل بنجاة أبويه (ﷺ وآله).................................. ٢٢٢

•الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها.................................. ٢٢٦

الفصل الثاني: عصمة النبي﴿ ﷺ وآله﴾ ٢٢٧

•بيان في معنى العصمة.................................. ٢٢٧

•مقدمات العصمة ٢٢٧

•مدى العصمة.................................. ٢٢٨

•الأدلة الكامنة لإثبات العصمة ٢٢٩

•المجاهدات عند بعض الناس.................................. ٢٢٩

الموضوع الصفحة

•العصمة قوة في النفس.................................. ٢٣٠

•عصمة النبي (ﷺ وآله) عند أبواق ثالوث التكفير..................................٢٣٠

•الفصل الثالث: ثبوت عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم

وإهانة اليهود والنصارى والقرنيين لهم ٢٣٦

•وجوب عصمة الأنبياء ٢٣٦

•أولا: افتراء اليهود على أنبيائهم ٢٣٧

١ـ الافتراء على نبي الله لوط عليه السلام.. ٢٣٧

٢ـ الافتراء على نبي الله داود عليه السلام.. ٢٣٧

٣ـ الافتراء على نبي الله سليمان عليه السلام.. ٢٣٨

٤ـ الافتراء على نبي الله نوح عليه السلام ٢٣٨

٥ـ الافتراء على نبي الله يوشع عليه السلام.. ٢٣٩

•ثانيا: افتراء النصارى على نبيهم وسائر الأنبياء ٢٣٩

•أقوال الهنود الوثنيين في بوذا.. ٢٤٠

•أقوال النصارى في المسيح ٢٤١

•أقوال القرآن في عصمة الأنبياء ٢٤١

•رأي الخوارج في العصمة ٢٤٣

•رأي ابن حزم الأندلسي في العصمة.. ٢٤٤

•الرد على فكر ابن حزم الأندلسي في عصمة الأنبياء يتضمن.. ٢٤٤

•رأي ابن تيمية في عصمة الأنبياء ٢٤٤

•رأي المودودي في عصمة الأنبياء ٢٤٥

•نماذج من زيغ وضلال المودودي.. ٢٤٥

١ـ بالنسبة للنبي الخاتم (ﷺ وآله).. ٢٤٥

٢ـ إهانته لنبي الله موسى عليه السلام ٢٤٥

الموضوع الصفحة

٣- إهانته لنبي الله يوسف عليه السلام.. ٢٤٦

٤- إهانته لنبي الله يونس عليه السلام ٢٤٦

الباب الخامس

من تأويلات القرنيين الشيطانية

•الدكتور السالوس ينفي العصمة المطلقة للأنبياء والرسل.............. ٢٤٧

•الدكتور السالوس يخصص عصمة الأنبياء بالتبليغ فقط................. ٢٤٨

•عصمة النبي محمد (ﷺ وآله) ثابتة بنص القرآن ٢٤٩

•الخطأ من الرسول (ﷺ وآله) يوجب الخطأ في السنة يادكتور سالوس.................. ٢٥١

•كيف تكون الأمة معصومة والأنبياء عليهم السلام غير معصومين؟ يادكتور سالوس........... ٢٥١

•نسبة الذنوب إلى رسول الله (ﷺ وآله) يادكتور سالوس قباحة ووقاحة منك................ ٢٥١

•التأويلات الشيطانية لبعض آيات القرآن في كتاب الدكتور على السالوس ٢٥٢

•أولا: ما قاله في حق سيدنا موسى عليه السلام ٢٥٢

•ثانيا: ما قاله في حق سيدنا رسول الله (ﷺ وآله) ٢٥٣

١- آية " ما كان لنبي أن يكون له أسرى" ٢٥٣

٢- آية " عفا الله عنك لم أذنت لهم" ٢٥٤

٣- آية " وتخشى الناس والله حق أن تشخاه"..
٢٥٤

٤- آية " عبس وتولى".. ٢٥٤

٥- آية " واستغفر لذنبك " وآية " ليغفر لك ما تقدم من ذنبك" ....
٢٥٥

٦- التأويلات الشيطانية في سورة الضحى آية صادقة لقوله تعالى:

" وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا"............
٢٥٧

•أولا: التأويلات الشيطانية لقوله تعالى: "ألم يجدك يتيما فآوى"..................................
٢٥٧

•الرد على التأويلات الشيطانية لثالوث التكفير في سورة الضحى ....
٢٥٨

•مرضعات سيدنا رسول الله (ﷺ وآله) ٢٥٩

الموضوع الصفحة

•حكمة رفع أشراف العرب أولادهم إلى المراضع ....
٢٦٠

•الحافظ بن حجر يرد على من يصف النبي باليتم المادي..
٢٦٠

•يتم الرسول (ﷺ وآله) يتم معنوي يفيد فوزه بكل الكمالات الإنسانية....................
٢٦١

•الفقر في حقه (ﷺ وآله) هو الافتقار إلى مولاه والغنى عمن سواه والمسكنة تواضعه.........
٢٦١

•ثانيا: تفسير المجرمين لقوله تعالى " ووجدك ضالا فهدى" ....
٢٦٢

•تجريد الأنبياء من العصمة قديما فرية يهودية..
٢٦٦

تجريد النبي من العصمة حديثا فرية وهابية.. ٢٦٦

•لا تقوم الساعة حتى يتحدث الرويبضة.. ٢٦٧

•أخي في الله وحبيبي في رسول الله ٢٦٧

الباب السادس

الأوراد والصلوات والأذكار

الفصل الأول: الأوراد........ ٢٦٨

•حقيقة الأوراد وتلاوتها... ٢٦٨

•أهمية الورد في حياة المسلم ٢٦٨

•الورد دأب الأنبياء السابقين وسجيتهم ٢٦٩

•أوراد في كتاب الله ٢٦٩

•الورد في السنة.. ٢٧٠

•أوراد أهل البيت والصحابة والسلف الصالح عليهم السلام وحجيتها.......................... ٢٧١

•ورد الفرج لسيدنا الخضر عليه السلام ٢٧٣

•دعاء ختم القرآن لسيدنا علي زين العابدين ﷺ.................................... ٢٧٣

•حزب البحر لأبي الحسن الشاذلي ﷺ... ٢٧٤

•أوراد الإمام المجدد أبي العزائم ﷺ.. ٢٧٤

•أوراد الشيخ محمود خطاب مؤسس الجميعة الشرعية ٢٧٤

الموضوع الصفحة

•مجلس الورد اليومي للجمعية الشرعية قبل توهبها.. ٢٧٥

تلاوة الأوراد والصلوات بالمساجد وحكمها.. ٢٧٦

•تلاوة الأوراد والصلوات لا تعد تشويشا على المصلين..................................... ٢٧٧

<u>الفصل الثاني : الصلوات على النبي ﴿ ﷺ وآله﴾</u>

•فقه الصلوات ٢٧٩

•المواطن التي تتأكد فيها الصلاة على النبي (ﷺ وآله)... ٢٧٩

•كيفية الصلاة عليه (ﷺ وآله) ٢٨٠

•فضل الصلاة عليه (ﷺ وآله).. ٢٨٢

•صيغ الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله (ﷺ وآله) ٢٨٣

•مسالك الوضوح والتصريح ٢٨٤

•من صلوات الإمام علي عليه السلام ٢٨٤

•من صلوات ابن مسعود رضي اله عنه.. ٢٨٥

•من صلوات الإمام المجدد أبي العزائم عليه السلام.. ٢٨٥

•معنى الصلاة عليه(ﷺ وآله) ٢٨٥

•لماذا خص إبراهيم عيه السلام بالتشبيه ٢٨٦

•الوهابية وصيغ الصلوات... ٢٨٧

•الرد على النجدي في إنكاره للصلوات ٢٨٧

•من لم يصل على سيدنا رسول الله (ﷺ وآله) فقد آذاه، ومن آذاه فقد آذى الله ٢٨٩

•الصلاة عليه وعلى آل بيته ٢٨٩

•من منع الصلاة على النبي بعد الأذان فقد آذاه ٢٩٠

•شبهات وأباطيل الوهابية حول منع الصلاة على النبي (ﷺ وآله) ٢٩١

•الرد على هذه الشبهات والأباطيل ٢٩٣

•الصلاة والسلام بعد الأذان وجهر المؤذن بها ٢٩٦

الموضوع الصفحة

•في قول المؤذن : يأول خلق الله ٢٩٨

•كيف هو خاتم الأنبياء والمرسلين وأول خلق الله ؟.. ٢٩٩

• قول المؤذن : يانور عرش الله ٢٩٩

•قول المؤذن : يامن على بساط النور أجلسك الله ٣٠٠

•لم تمنع الوهابية الصلاة على رسول الله بعد الأذان ؟ ٣٠٠

•الصلاة والسلام بعد الأذان من بيانه الشريف ٣٠٢

الفصل الثالث : ذكر الله تعالى.. ٣٠٤

•حجية الذكر في الكتاب.. ٣٠٤

•حجية الذكر في السنة ٣٠٥

•الذكر عند الجميعة الشرعية قبل أن تتوهب.. ٣٠٧

•آداب هامة ٣٠٨

•شبهات وأباطيل حول الذكر ٣٠٨

•الرد على الشبهات والأباطيل حول الذكر ٣٠٩

•الإنشاد على الذكر سنة لا بدعة.. ٣١٤

•التصفيق من قائد الذاكرين جائز.. ٣١٥

الباب السابع

الفصل الأول : الأذان الشرعي والبدعي ٣١٧

•معنى الأذان لغة وشرعا.. ٣١٧

•أول ألفاظ الأذان في بدء الإسلام ٣١٨

•الأذان في الكتاب ٣١٨

•الأذان في السنة ٣١٩

•ألفاظ الأذان مثنى والإقامة وتر ٣١٩

•التطويل في الأذان من حكم الشرع ٣٢٠

•الأذان المقتضب المفزع يخالف إجماع المسلمين ٣٢١

•الأذن لا يكون إلا من ندي الصوت ٣٢١

•هل الأذان حديث ؟ ٣٢٢

•هل الترنيم والتطريب في الأذان حرام ؟.................................... ٣٢٣

•هل الأذان مقطوم ومقتضب.. ٣٢٤

•المصادر التاريخية للأذان المفزع المقتضب ٣٢٥

١- أصحاب مسجد الضرار هم أصل هذا الأذان ٣٢٥

٢- ابن تيمية شيخ المخالفين لجمهور المسلمين.................................. ٣٢٦

٣- الوهابي أصل هذا الأذان المقتضب... ٣٢٦

٤- الجمعية الشرعية أول من استورد هذا الأذان من الوهابية.............................. ٣٢٦

الفصل الثاني : الصلاة والسلام على النبي

﴿ ﷺ وآله﴾ بعد الأذان من السنة ٣٢٨

•حكم الأذان على المنارة ٣٢٨

•فتح باب الفتن بالأذان الواحد يوم الجمعة ٣٢٩

•الصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ وآله)بعد الأذان.......... ٣٣٠

•شبهات وأباطيل حول الصلاة والسلام على رسول الله(ﷺ وآله) بعد الأذان.......... ٣٣٠

•رد الشبهات والأباطيل حول الصلاة والسلام على رسول الله(ﷺ وآله) بعد الأذان ٣٣٠

•رأي الإمام المجدد أبي العزائم في الصلاة والسلام على النبي(ﷺ وآله) بعد الأذان.......... ٣٣١

•المصلون على النبي (ﷺ وآله) على الدوام هم المقربون ٣٣٢

•منع الصلاة والسلام على النبي من الإيذاء له (ﷺ وآله) ٣٣٢

•من منع الصلاة والسلام على النبي(ﷺ وآله) خرج على إجماع المسلمين.......... ٣٣٣

الفصل الثالث: صلاة التراويح.......... ٣٣٤

الموضوع الصفحة

•صلاة التراويح من النوافل والسنن.......... ٣٣٤

•صفة صلاة التراويح.......... ٣٣٤

•حال المسلمين قبل ظهور القرنيين ٣٣٥

•حال المسلمين بعد الصحوة الوهابية ٣٣٥

•ظهور أئمة الضلال باسم السلفية ٣٣٥

•أئمة الضلال يتميزون بالجهل وركوب الهوى ٣٣٦

•أيها القرنيون صلاة القيام عشرون ركعة لا ثمان ٣٣٧

•قيام شيخكم ابن تيمية عشرون ركعة لا ثمان ٣٣٨

•ياجماعات الخوارج بمصر تأدبوا مع شيوخكم في الحرمين الشريفين واقتدوا بهم ٣٣٨

الفصل الرابع : قراءة القرآن يوم الجمعة.................................... ٣٤٠

•ما أجمع عليه علماء المسلمين ٣٤٠

•موقف الخوارج ومستحدثات الأمور ٣٤٠

•شبهات وأباطيل حول قراءة القرآن يوم الجمعة.................................. ٣٤٣

•الرد على هذه الشبهات والأباطيل.................................... ٣٤٣

•شبهات وأباطيل حول قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ٣٤٤

•الرد على هذه الشبهات والأباطيل ٣٤٤

•رأي الإمام أبي العزائم عليه السلام في قراء سورة الكهف ٣٤٥

•التبليغ وراء الإمام سنة حسنة ٣٤٦

•الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله سنة حسنة ٣٤٧

•المنبر من ست درجات فأكثر من سنة رسول الله (ﷺ وآله)................................. ٣٤٧

•المحراب المجوف من سنة سيدنا رسول الله (ﷺ وآله) ٣٤٨

الفصل الخامس : تلقين الميت.. ٣٤٩

•الأدلة النقلية على تلقين الميت ٣٤٩

الموضوع الصفحة

•الأدلة العقلية على تلقين الميت ٣٥٠

•يلقين الميت البالغ مستحب باتفاق العلماء ٣٥١

•الزعم بأن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله ٣٥٢

يتلقين الميت الطفل مختلف في استحبابه.. ٣٥٤

•المتوهب هو الذي ينكر التلقين ٣٥٥

•الرد على حجج المتوهبين ببدعية التلقين ٣٥٥

•رأي الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبى العزائم عليه السلام في التلقين ٣٥٦

الفصل السادس: بشرية النبي ﴿ ﷺ وآله﴾.. ٣٥٨

•التأويلات القرنية لبشرية الرسول (ﷺ وآله) ٣٥٨

•الرد على التأويلات القرنية بشيرة الرسول (ﷺ وآله) ٣٥٨

•مغايرة بشريته (ﷺ وآله) لسائر البشر.. ٣٦٣

•الحكمة في جعل الرسل بشرا.. ٣٦٤

•ما العلة في تمسك ثالوث التكفير ببشرية الرسول (ﷺ وآله) ٣٦٥

الفصل السابع : القنوت ٣٦٧

•أقسام الناس.. ٣٦٧

•الناس في مقام الدعوة قسمان ٣٦٧

•الوهابية تكتم الحق وتلبسه بالباطل ٣٦٨

•الوهابية تقنت لحرب العراق مع الكويت بأمر من البيت الأبيض ٣٦٩

•الوهابية تقنت للبوسنة والهرسك بأمر من البيت الأبيض ٣٦٩

•معاني متعددة لكلمة القنوت ٣٦٩

•ثبوت القنوت في صلاة الفجر في مذهب المالكية والشافعية................................ ٣٧٠

•أدلة دعاء القنوت في صلاة الفجر ٣٧١

•أولا: من كتب الحديث الشريف.. ٣٧١

•ثانيا: أقوال العلماء والفقهاء ٣٧٣

الفصل الثامن : حكم الغناء.. ٣٧٦

•الغناء عند الإمام الغزالي ﷺ.. ٣٧٦

•حكم الغناء في الإسلام ٣٧٦

•آلات الغناء وكمها ٣٧٦

•أدلة حلية الغناء من الكتاب والسنة وعمل الصحابة والتابعين ٣٧٧

•دعوى محرمية السماع ٣٨٢

•الرد على دعوى محرمية السماع ٣٨٢

•رأي الإمام المجدد أبي العزائم ﷺ في السماع.. ٣٨٥

الباب الثامن

أمثلة من خوارج عصرنا

الفصل الأول: سيد قطب.. ٣٨٦

•من هو المجتهد في الدين.. ٣٨٦

•الخارجي سيد قطب وأمثاله بلاء على الأمة ٣٨٧

•الخارجي سيد قطب ليس بعالم ٣٨٨

•أولا : كتاب في ظلال القرآن وهو ضلال في ضلال................................... ٣٨٩

•الرد على هذا الفكر الخارجي لسيد قطب ٣٨٩

•اتهام الخارجي سيد قطب للصحابة والسلف أنهم محرفون لكتاب الله ٣٩١

•كتاب الظلال لم يدع فردا إلا ورماه بالكفر ٣٩٢

•أذان المؤذنين بلا مدلول ٣٩٢

•صور متعددة لتكفير الأمة الإسلامية ٣٩٢

•مرشدوا الإخوان من رجال القانون الوضعي ٣٩٣

•سيد قطب خارجي أزارقي ٣٩٣

•الخارجي سيد قطب يحرض الإخوان على الثورة على الحكام ٣٩٣

•الخارجي سيد قطب يقرر أن الدنيا كلها بما فيها مكة المدينة ليست دار إسلام................ ٣٩٤

•الخارجي سيد قطب مجسم ومشبه.. ٣٩٤

•تأويلات شيطانية لكتابه .. التصوير الفني في القرآن................................... ٣٩٤

•الخارجي سيد قطب يطعن في عصمة الأنبياء ٣٩٥

•دحض أفكار الخارجي سيد قطب... ٣٩٥

•احذروا كتب الخارجي سيد قطب ٣٩٦

<u>الفصل الثاني: ناصر الألباني</u>.................................... ٣٩٨

•أحاديث الرسول تشريع سماوي.. ٣٩٨

•الألباني يردد فكر الزنادقة والرافضة والخوارج ....
٣٩٩

•المستشرقون يتخذون من الألباني وأتباعه مطية للطعن في الإسلام..........................
٣٩٩

•السنة النبوية خدمها المسلمون بما لم يخدموا به علما آخر ....
٤٠٠

•الضرب على أيدي المجترئين على السنة ....
٤٠١

•طرق الطعن في السنة ٤٠١

•الطعن في الحديث.. ٤٠١

•الطعن في الصحابة ٤٠١

•الطعن في رجال الحديث ٤٠٢

الطعن في الصحيحين.. ٤٠٢

•الصحيحان أصح الصحيح بالنسبة للحديث.. ٤٠٢

•شبهات أعداء الحديث والرد عليها.. ٤٠٣

•الشبهة الأولى والرد عليها... ٤٠٣

•الشبه الثانية والرد عليها ٤٠٤

•ضبط الأحاديث وتدوينها وكتابتها ٤٠٤

١ـ في عهد رسول الله (ﷺ وآله) ٤٠٥

الموضوع الصفحة

٢ـ في عهد الصحابة ٤٠٦

٣ـ في عهد التابعين ٤٠٧

•مبلغ علم الألباني ٤٠٨
•تناقضات وأخطاء ناصر الألباني ٤٠٩
•تعدي الألباني على الصحيحين.. ٤١٠
•كلام الألباني احتوى على مخالفتين ٤١٠
•جهل الألباني باللغة العربية ٤١١
•ناصر الألباني لا يعرف علم الجرح ولا التعديل.................................. ٤١٢
•ناصر الألباني لم يسلم من لسانه كبار المحدثين.................................. ٤١٣
•ناصر الألباني عميل للوهابية والصهيونية ٤١٦
١ـ عمالته للوهابية ٤١٦
٢ـ عمالته للصهيونية ٤١٧
•ولوع الألباني ينقض كلام ابن تيمية.................................... ٤١٧
•أيها المفتونون بالألباني ٤١٨

الباب التاسع

فكر الخوارج وعلاج التطرف والإرهاب

•فكر خوارج المسيحية... ٤٠٩
•أمثلة من أعمال المسيحية.. ٤٠٩
•فكر خوارج الإسلام ٤١٠
•حرية العقيدة في الإسلام ٤١١
•حرية الفكر في الإسلام ٤١٢
•التسامح في الإسلام ٤١٢

•مافيا التطرف والإرهاب عند خوارج الإسلام ٤١٣

الموضوع الصفحة

•موقف أئمة الإسلام من الخوارج ٤١٣

•مآسي الإرهاب الفكري ٤١٤

•مافيا التطرف والإرهاب عند خوارج هذه الأيام ٤١٥

•كبوة إسلامية وصحوة وهابية ٤١٥

•علاج التطرف والإرهاب لخوارج هذه الأيام ٤١٦

<u>الخاتمة:</u> ٤٢٠

•أوجه نصيحتي إلى الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.......... ٤٢٠

•ياشباب الصحوة الوهابية والكبوة الإسلامية.. ٤٢١

•صرخة في الله إلى حكام مصر والسودان وتونس والجزائر والمغرب ٤٢٤

•الفهرس ٤٢٨